أصول الحديث

علومه ومصطلحه

تأليف

الدكتور محمد عجاج الخطيب

الاستاذ المساعد في كلية الشريعة بجامعة دمشق

دار الفكر

الطبعة الأولى
١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م

الطبعة الثانيـــة
١٣٩١هـ - ١٩٧١م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه باحسان إلى يوم الدين .

وبعد فقد تناولت في كتابي « السنة قبل التدوين » اهتمام الأمة بالحديث النبوي الشريف قبل أن يودع في أمهات مصنفاته المشهورة ، وبحثت حياة السنة في تلك الحقبة بحثاً دقيقاً وافياً ، وانتهيت إلى أن السنة قد حفظت على أحسن وجه منذ عصر الرسول ﷺ حتى عصر التصنيف ، بفضل عناية الأمة وعلمائها ، وحرصهم جميعاً على صون مصادر الشريعة الخالدة وحفظها ، كما فندت بعض شبهات المستشرقين ، ورددت على بعض الآراء المشككة ، التي دارت حول السنة في تلك الحقبة ، فانهارت الشكوك أمام الحقيقة العلمية الواضحة ، وبرز وجه السنة ساطعاً لاشية فيه .

وهذا كتابي « أصول الحديث » تناولت فيه أهم القواعد والاسس ، التي اتبعت في قبول الحديث ورده ، وفي تحمله وأدائه ، وما يلحق بهذا من علوم مختلفة تتعلق بأحوال الرواة والمرويات ، وما يترتب على ذلك من أحكام بين القبول والرد . تلك العلوم التي ساهمت في حفظ الحديث

وبيانه ، وميزت قويه من سقيمه ، وصحيحه من ضعيفه ، وسليمه من معله ، وناسخه من منسوخه ، وبيّنهُ من مشكله ، وأصيله من دخيله . كما تناولتُ أهم وأشهر المصطلحات الحديثية وبينت مدلولاتها .. وتسهيلاً للبحث جعلت هذا الكتاب في تمهيد وأربعة أبواب ألحقت بهـــا بعض المباحث الهامة .

أما التمهيد ففيه التعريف بعلم الحديث رواية ودراية ، وبيان أهمية علم أصول الحديث ، ولمحة حول نشأة هذا العلم ، وبيان كثرة أنواع علوم الحديث ، ومنهجنا في دراستها .

وأما الباب الاول : فجعلته مدخلاً إلى السنة ، وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : معنى السنة .

الفصل الثـاني : مكانة السنة من التشريع .

الفصل الثالث : الحديث في العهد النبوي .

الفصل الرابـع : الحديث في عصر الصحابة والتابعين .

الفصل الخامس : النشاط العلمي في عصر الصحابة والتابعين .

الباب الثاني : تدوين الحديث ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الاول : حول تدوين الحديث .

الفصل الثـاني : مادون في صدر الإسلام .

الفصل الثالث : آراء في تدوين الحديث .

الباب الثالث : علوم الحديث ، وفيه سبعة فصول :

الفصل الاول : تحمل الحديث وأداؤه .

الفصل الثـاني : علم تاريخ الرواة .

الفصل الثالث : علم الجرح والتعديل .

الفصل الرابع : علم غريب الحديث .
الفصل الخامس : علم مختلف الحديث ومشكله .
الفصل السادس : علم ناسخ الحديث ومنسوخة .
الفصل السابع : علم علل الحديث .
الباب الرابع : مصطلح الحديث ، وفيه أربعة فصول :
الفصل الاول : الحديث الصحيح .
الفصل الثاني : الحديث الحسن .
الفصل الثالث : الحديث الضعيف .
الفصل الرابع : المشترك بين الصحيح والحسن والضعيف .
ثم ألحقت بهذه الابواب المباحث التالية :
١ ــ الموقوف والمقطوع .
٢ ــ الصحابة .
٣ ــ التابعون .

وتكلمت عن الحديث الموضوع في بحث مستقل ، وأتبعته ببحث حول آداب رواية الحديث ومجالسه ، واختتمت الكتاب ببيان ألقاب **أهل الحديث . ثم بالتصنيف في أصول الحديث .**

وبهذا نكون قد استوعبنا في هذا الكتاب منهج علوم الحديث ومصطلحه لكلية الشريعة وكلية الآداب في جامعة دمشق ، ومناهج كليات الشريعة وأصول الدين والمعاهد الدينية وكليات الآداب في مختلف البلاد العربية والإسلامية .

واني لأرجو الله عز وجل أن يحقق الغاية من هذا الكتاب ، وينفع به طلاب العلم ، انه خير مسؤول ، وهو ولي التوفيق والرشاد .

دمشق في : (٢٥/جمادي الآخرة /١٣٨٧
(٩ /تشرين أول /١٩٦٦

محمد عجاج الخطيب

تمهيد
في تعريف علوم الحديث وموضوعها

يشمل علم الحديث موضوعين رئيسين : علم الحديث رواية ، وعلم الحديث دراية .

١ ـ علم الحديث رواية :

هو العلم الذي يقوم على نقل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية نقلا دقيقاً محرراً .

فموضوع علم الحديث رواية ـ أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته ، من حيث نقلها نقلًا دقيقاً ، فهو يتناول ضبط كل حديث ونقله .

وفي العناية بعلم الحديث رواية حفظ السنة وضبطها ، والاحتراز عن الخطأ في نقل ما أضيف إلى الرسول ﷺ ، وبهذا يتم حسن الاقتداء به عليه الصلاة والسلام ، وتنفيذ أحكامه .

٢ ـ علم الحديث دراية :

قال ابن الاكفاني : (علم الحديث الخاص بالدراية : علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها ، وحال الرواة وشروطهم ، وأصناف المرويات وما يتعلق بها) .

وقال غيره : هو علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن ، وموضوعه السند والمتن [1] .

وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر : أولى التعاريف له أن يقال (معرفة القواعد المعرفة بحال الراوي والمروي) [2] . وتابعه على ذلك جل أهل الحديث .

فعلم الحديث الخاص بالدراية — هو مجموعة القواعد والمسائل التي يعرف بها حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد .

فالراوي ناقل الحديث ، والمروي ما أضيف إلى النبي ﷺ ، أو إلى غيره من الصحابة أو التابعين أو غيرهم .

والمقصود بحال الراوي من حيث القبول والرد — معرفة حاله جرحا وتعديلًا ، وتحملًا وأداء ، وكل مايتعلق به مما له صلة بنقله

والمقصود بحال المروي كل ما يتعلق باتصال الاسانيد او انقطاعها ، ومعرفة علل الاحاديث وغير ذلك مما له صلة بقبول الحديث أو رده .

فموضوع علم الحديث دراية السند والمتن : السند من جهة أحوال افراده ، واتصاله أو انقطاعه ، وعلوه أو نزوله ، وغير ذلك . والمتن من جهة صحته أو ضعفه وما يلحق بذلك .

وفائدة علم الحديث دراية معرفة المقبول من المردود .

وعلى هذا لا يستغني أحد العلمين عن الآخر ، بل إن علم الحديث

---

١ ـ انظر تعريف السند والمتن في الصفحة (٣٣) من هذا الكتاب .

٢ ـ انظر تدريب الراوي ص ٥ ، وفتح المغيث للسخاوي ص ٤ ، وقارن بجامع الاصول ص ١٣ — ١٤ ،وتوجيه النظر ص ٢١، وقارن بالدرة العزيزة ص ٤ ، وبمقياس الهداية ص ٤ .

رواية لايجدى ما لم يقترن بعلم الحديث دراية ، كي يمكن معرفة المقبول من المردود .

وقد أطلق علماء الحديث على علم الحديث دراية اسم (علوم الحديث واسم (مصطلح الحديث) واسم (أصول الحديث)[1] ، وكلها اسماء لمسمى واحد ، وهو مجموعة القواعد والمسائل التي يعرف بها حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد ، وتناولوا تحت تلك الاسماء أقسام الحديث الصحيح والحسن والضعيف ، وطرق التحمل والاداء ، والجرح والتعديل وغير ذلك .

والحق ان الدراية أعم من معرفة القواعد والقوانين المعرفة بأحوال الراوي والمروي من حيث القبول والرد . فمعظم المحدثين المتقدمين والمتأخرين يطلقونها على ذلك وعلى فهم المروي ، واستخراج معانيه وأحكامه ، لهذا لام بعض المحدثين طلاب الحديث لاقتصارهم على الحفظ والكتابة وجمع طرق الاحاديث ، من غير أن ينظروا كما نظر السلف في حال الراوي والمروي واستنباط ما في السنن من الأحكام[2] .

وإذا رأى بعضهم أن استنباط الأحكام خاص بالفقيه ، وأن وظيفة المحدث

---

١ ـ انظر الكفاية ص ٣ و ص ٧ ، والجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص٣ : آ ، واختصار علوم الحديث ص ١٨ ، وشرح أصول الحديث للامام محمد البركوي شرح داود القارصي ص ٢ :ب ، وقواعد أصول الحديث ص٥ : آ – ب ، وتوضيح الافكار ص ٦ ج ١ .

٢ ـ انظر المحدث الفاصل بين الراوي والواعي باب (القول في فضل من جمع بين الرواية والدراية اعتباراً من الفقرة «١٣٩ » وانظر الفقرة « ١٥٧ » وما بعدها،وانظر ماجاء تحت عنوان « فصل آخر من الدراية يقترن بالرواية مقصور علمها على اهل الحديث » اعتباراً من الفقرة « ٢٠٨ » وانظر الكفاية ص ٣ ، والجامع لاخلاق الراوي ص ١٧٨ : آ – ب ، وانظر ترجمة يحيي بن محمد بن صاعد وأقوال العلماء في حفظه ودرايته تذكرة الحفاظ ص ٣٣٦ ج ٢ .

أن يروي ما سمعه من الأحاديث كما سمعه – فقد رأوا في فهمه لما يرويه ودرايته لما يحمل – زيادة في الفضل وكمالاً في الأختيار[1] .

٣ – أهمية علم أصول الحديث :

مما سبق ندرك أهمية علم أصول الحديث ، الذي يبين المعل من السليم ، والضعيف من الصحيح ، والموقوف من المرفوع ، والمقبول من المردود . فعليه يقوم استنباط الاحكام من السنة الطاهرة ، وبواسطته يتم حسن الاقتداء بالرسول ﷺ ، وهو علم جليل تفرد المسلمون به دون غيرهم من الأمم الأخرى ، فكان من أبرز ما قدموه إلى الحضارة الانسانية ، لما تميز من دقة في مسائله وأصوله ، وأصالة وقدم في قواعده وأسسه ، وسيكشف لنا البحث عن كثير من هذا .

٤ – حول نشأة علم أصول الحديث :

نشأت علوم الحديث مع نشأة الرواية ونقل الحديث في الاسلام ، وبدأ ظهور هذه الاصول بعد وفاة الرسول ﷺ حين اهتم المسلمون بجمع الحديث النبوي خوفاً من ضياعه ، فاجتهدوا اجتهاداً عظيماً في حفظه وضبطه ونقله وتدوينه ، وكان من الطبعي أن يسبق تدوين الحديث تدوين علم أصول الحديث ، ذلك لأن الحديث هو المادة المقصودة بالجمع والدراسة ، وأصول الحديث هي القواعد والمنهاج الذي اتبع في قبول الحديث أورده ، ومعرفة صحيحة من ضعيفه .

وقد اتبع الصحابة والتابعون وتابعوهم قواعد علمية في قبول الأخبار من غير أن ينصوا على كثير من تلك القواعد ، ثم جاء أهل العلم من بعدهم فاستنبطوا تلك القواعد من منهاجهم في قبول الأخبار ، ومعرفة

---

١ - انظر جامع الاصول ص ١٤ ج ١ .

الرواة الذين يعتد بروايتهم أو لا يعتد بها ، كما استنبطوا شروط الرواية وطرقها وقواعد الجرح والتعديل وكل ما يلحق بذلك .

فقد لازم نشوء علم أصول الحديث نقل الحديث وروايته ، وهذا أمر طبعي ، فما دام هنالك نقل للحديث لا بد من وجود منهاج وطريق لذلك النقل .

ثم ما لبثت علوم الحديث أن تكاملت ، وأصبحت علماً مستقلاً له شأنه بين العلوم الاسلامية .

٥ – كثرة أنواع علوم الحديث :

تناول العلماء تحت اسم علوم الحديث ، أو مصطلح الحديث ، أو علم أصول الحديث ، أو علم الحديث دراية – مسائل كثيرة ، كأقسام الحديث : الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، وأنواع الحديث الضعيف الضعيف الكثيرة : من منقطع ، ومعضل ، ومضطرب ، كما تناولوا سن السماع وطرق التحمل والاداء ، ومباحث الجرح والتعديل ، وشروط الجارح والمعدل ، ومراتب الجرح والتعديل وما إلى ذلك ، ومعرفة الرواة وأوطانهم ، وتمييز الثقات من الضعفاء وغير ذلك ، وجعلوا كل مسألة من هذه المسائل أو كل بحث – نوعاً من علوم الحديث [1] ، لهذا كانت علوم الحديث كثيرة جداً ، حتى إن الإمام السيوطي قال : إنها كثيرة لاتعد ، وقال الحازمي : (علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة ، كل نوع منها علم مستقل ، لو انفق الطالب فيه عمره ما أدرك نهايته) [2] .

---

١ – انظر على سبيل المثال كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم ، فقد ذكر فيه اثنين وخمسين نوعاً من علوم الحديث . يمكن اختصارها إلى أقل من ذلك بكثير .

٢ – تدريب الراوي ص ١٤ .

وذكر ابن الصلاح من أنواع علوم الحديث خمسة وستين نوعاً منها معرفة الصحيح ، ومعرفة الحسن ، ومعرفة الضعيف ، والمسند والمرفوع ومعرفة كيفية السماع ، ومعرفة الثقات ، والضعفاء وغير ذلك ، ثم قال : (وليس بآخر الممكن في ذلك ، فانه قابل للتنويع إلى مالا يحصى ، إذ لاتحصى أحوال رواة الحديث ، وصفاتهم ، ولا أحوال متون الحديث وصفاتها ، وما من حالة منها ولا صفة إلا وهي بصدد أن تفرد بالذكر .. فاذا هي نوع على حياله) [1] .

ولكنه بسط كثيراً من الانواع التي يمكن جمعها تحت نوع واحد ولهذا قال الحافظ ابن كثير في صنيع ابن الصلاح : (وفي هذا كله نظر ، بل في بسطه هذه الانواع إلى هذا العدد نظر . اذ يمكن ادماج بعضها في بعض ، وكان أليق مما ذكره ، ثم إنه فرق بين متماثلات منها بعضها عن بعض وكان اللائق ذكر كل نوع إلى جانب ما يناسبه) [2].

٦ ـ منهجنا في دراسة علوم الحديث :

لما كانت أنواع علوم الحديث كثيرة كثرة يصعب معها عرضها ـ كما قسمها اكثر المصنفين ـ كان من العسير أن تدرس هذه الأنواع منفردة ، فبعضها يمثل مسائل جزئية في قضايا كلية ، أو فروعاً مختلفة يمكن ردها إلى أصول عامة ، ولهذا رأيت تسهيلاً للبحث العلمي ، وتسهيلاً على الطلاب للدراسة والمذاكرة أن أجمع الابحاث التي يتصل بعضها ببعض في مواضيع ذات وحدة تامة ، وأسلك المواضيع المتقاربة في عقود الفصول ، والفصول في أبواب جامعة .

وقد حاولت ان أبسط كثيراً من المسائل بذكر بعض الامثلة ،

---

١ ـ مقدمة ابن الصلاح ص ٦ ، وتدريب الراوي ص ١٤ .

٢ ـ اختصار علوم الحديث ص ٢٠ .

التي تجلي الموضوع وتوضحه ، ولما كانت مهمتنا عرض هذا العلم وبيان قواعده وأصوله فلن نتعرض إلى كثير من آراء العلماء ومناقشاتهم إلا إذا اقتضت الضرورة .

وقد اضطرتنا طبيعة البحث إلى أن نذكر تاريخ ميلاد بعض الرواة ووفاته ، فاقتصرنا على وضعها بين قوسين هكذا (٣٠ — ٩٥ هـ) ، الاول لميلاده والثاني لوفاته .

وقد حرصت على الاشارة إلى مصادر الابحاث ، ليفيد منها الطالب في مطالعاته والتوسع في ابحاثه في المستقبل إن شاء الله . وقد رجعت إلى بعض المخطوطات ، ومعظمها قد رقمت أوراقه دون صفحاته ، ولما كان للورقة وجهان أشرنا إلى الوجه الاول بـ (آ) وإلى الوجه الثاني بـ (ب) ، فحين نذكر مثلا (الجامع لاخلاق الراوي ص ٣٦ : آ) أي الوجه الاول من الورقة (٣٦) . وقد اضطررنا أحياناً إلى الاستفادة من عدة نسخ لمخطوط واحد ، حسب تيسر الرجوع اليها ، فأشرنا إلى ذلك في موضعه ، وأما ما عزوناه إلى فقرات من كتاب (المحدث الفاصل) فالمراد به النسخة الاصلية التي حققناها بمراجعة أهم النسخ الخطية لهذا الكتاب ، وقد أودعنا نسخة من أصل الكتاب المحقق في مكتبة كلية الشريعة بجامعة دمشق ، ونسخة أخرى في مكتبة وزارة التربية بدمشق ، ونسخة ثالثة في مكتبة جامعة القاهرة ، ونسخة رابعة في مكتبة كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، راجياً أن اوفق إلى طبعه ونشره في القريب العاجل — إن شاء الله — ليفيد منه العلماء وطلاب العلم على حد سواء . وأما ما عزوناه إلى صفحات من (المحدث الفاصل) من غير تقييد النسخة بقيد — فالمراد بها نسخة (مكتبة سوهاج) بمصر .

وبالله التوفيق

الباب الأول

مَدْخَلٌ إلى السُّنَّةِ

وفيه خمسة فصول

الفصل الاول : معنى السنة .

الفصل الثاني : مكانة السنة من التشريع .

الفصل الثالث : الحديث في العهد النبوي .

الفصل الرابع : الحديث في عصر الصحابة والتابعين .

الفصل الخامس : النشاط العلمي في عصر الصحابة والتابعين .

الفصل الأول

معنى السنة

١ ـ السنة في اللغة :

هى السيرة حسنة كانت أو قبيحة . قال خالد بن عتبة الهذلي :

فلا تَجْزَعَنْ من سيرة أنت سرتها
فأول راض سنة من يسيرها [١]

وسننتها سنا واستننتها سرتها ، وسننت لكم سنة فاتبعوها .

وفي الحديث عن الرسول ﷺ : « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سن في الاسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » [٢] يريد من عملها ليقتدى به فيها .

وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده ، قيل هو الذي سنه [٣] .

---

١ ـ انظر لسان العرب والقاموس المحيط مادة « سنن » .

٢ ـ اخرجه الامام مسلم في صحيحه ص ٧٠٥ حـ ٢ ، و ص ٢٠٥٩ حـ ٤ .

٣ ـ قال نصيب :

كأني سننت الحب أول عاشق من الناس إذ أحببت من بينهم وحدي

وقد تكرر في الحديث النبوي ذكر السنة وما تصرف منها ، والاصل فيه الطريقة والسيرة .

٢ ــ السنة في الشرع :

إذا اطلق لفظ السنة في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به الرسول ﷺ ونهى عنه وندب اليه قولاً وفعلًا ، ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة ، أي القرآن والحديث .

ولكن معنى السنة يختلف في اصطلاح المشترعين حسب اختلاف اختصاصاتهم وأغراضهم ، فهي عند الاصوليين غيرها عند المحدثين والفقهاء، ويظهر مدلول معناها من خلال ابحاثهم .

آ ــ فعلماء الحديث انما بحثوا عن رسول الله ﷺ الامام الهادي والرائد الناصح ، الذي أخبر الله عز وجل عنه أنه اسوة لنا وقدوة ، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة ، وخلق ، وشمائل ، وأخبار وأقوال ، وأفعال سواء أثبت المنقول حكماً شرعياً أم لا .

ب ــ وعلماء الأصول انما بحثوا عن رسول الله ﷺ من حيث إنه مشرع يبين للناس دستور الحياة ، ويضع القواعد للمجتهدين من بعده ، ولذلك اعتنى الأصوليون بأقواله ، وأفعاله ، وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها .

جـ ــ وعلماء الفقه انما بحثوا عن رسول الله ﷺ ، الذي تدل أفعاله على حكم شرعي ، وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد وجوبا أو حرمة ، أو إباحة ، أو غير ذلك .[1]

---

١ ــ انظر فتح الغفار بشرح المنار ص ٧٥ جـ ٢ ، والاحكام في أصول الأحكام للآمدي ص ٢٤٧ جـ ١ وما بعدها ، وارشاد الفحول ص ٣٣ ، والمدخل إلى السنة وعلومها ص ٢٧ والسنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ص ٦١ .

مما تقدم يتلخص لدينا ما يلي :

السنة في اصطلاح المحدثين : هي كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية ، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء [1] ، أم بعدها .

والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي .

السنة في اصطلاح علماء اصول الفقه : هي كل ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن الكريم ، من قول أو فعل ، أو تقرير ، مما يصلح أن يكون دليلًا لحكم شرعي .

السنة في اصطلاح الفقهاء : هي كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب .

فأوسع الاطلاقات اطلاق المحدثين الذين يقصدون بالسنة كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو سيرة ... سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها ، وسواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا .

اما القول فهو أحاديثه ﷺ التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات كقوله « إنما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى .. » [2] ، وقوله : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » [3] ، وقوله : « لا

---

١ – ويلحق بهذا حسن سيرته صلى الله عليه وسلم ، لان الحال يستفاد منه ما كان عليه قبل النبوة : من كرائم الاخلاق ، ومحاسن الافعال ، كقول السيدة خديجة رضي الله عنها له حين نزل عليه الوحي أول مرة : (كلا والله لايخزيك الله ابدا : انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق). ونحو ذلك . انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ج ١٠ ص ١٨ .

٢ – اخرجه الشيخان وابن حبان . وانظر صحيح مسلم ص ١٥١٥ ح ٣

٣ – رواه الترمذي انظر الاربعين النووية ص ٣٧ .

ضرر ولا ضرار » [1] ، وقوله في البحر : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » [2] .

واما الفعل فهو أفعاله التي نقلها الينا الصحابة ، مثل وضوئه ، وأدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها ، وأدائه ﷺ مناسك الحج ، وقضائه باليمين والشاهد [3] ، وما إلى ذلك .

واما التقرير فكل ما أقره الرسول ﷺ ، مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال ، بسكوت منه وعدم انكار ، أو بموافقته واظهار استحسانه وتأييده ، فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الاقرار والموافقة عليه صادراً عن الرسول ﷺ ، من ذلك ما أخرجه ابو داوود والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه خرج رجلان في سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة فتيمما صعيداً طيباً ، فصليا ثم وجدا الماء في الوقت فأعاد احدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له ، فقال للذي لم يعد : « أصبت السنة » وقال للآخر « لك الاجر مرتين » . [4] .

ومنه ايضاً اقرار ه لاجتهاد الصحابة في امر صلاة العصر في غزوة بني قريظة « حين قال لهم : « لا يصلّينّ احد العصر الا في بني قريظة » ففهم بعضهم هذا النهي على حقيقته ،فأخرها الى ما بعد المغرب ،وقال :

---

١ – رواه الامام احمد وابن ماجه انظر سبل السلام ص ٨٤ حـ ٣ .

٢ – اخرجه أصحاب السنة الاربعة وابوبكر بن ابي شيبة وصححه الترمذي وابن خزيمة أنظر سبل السلام ص ١٥ حـ ١ .

٣ – ثبت قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم بشاهد ويمين . انظر الموطأ ص ٧٢١ حـ ٢، وسند الامام أحمد : الاحاديث رقم ٢٢٢٤ و ٢٨٨٨ و ٢٩٦٤ و ٢٩٧٠ جـ ٤ وسبل السلام ص ١٣١ حـ ٤ .

٤ – رواه ابو داود والنسائي انظر سبل السلام ص ٩٧ حـ ١ .

(لا نصلي حتى نأتيها) ، وفهمه بعضهم على ان المقصود حث الصحابة على الاسراع فصلاها في وقتها ، وبلغ النبي عليه الصلاة والسلام ما فعل الفريقان ، فأقرهما ولم ينكر على احدهما [1] .

ومنه اقراره لطريقة معاذ بن جبل في القضاء حينما بعثه الى اليمن . اذ قال له : « كيف تقضي اذا عرض لك قضاء » ؟ قال : أقضي بكتاب الله ، قال : « فان لم تجد في كتاب الله » ؟ قال : فبسنة رسول الله ﷺ ، قال : « فان لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله » ؟ قال أجتهد رأيي ولا آلو ، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله »[2].

ومنه اقراره ﷺ للعب الحبشة بالحراب في المسجد وعدم انكاره عليهم [3] .

٣ ـ **السنة وعمل الصحابة** : إلى جانب المعنى السابق الذي يدل عليه لفظ السنة ، فقد يطلق العلماء لفظ السنة احياناً على ما عمل به أصحاب رسول الله ﷺ ، سواء أكان ذلك في القرآن الكريم أم في المأثور عن النبي ﷺ أم لا ، لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم ، أو اجتهاداً مجمعاً عليه منهم [4] .

ومن أبرز ما ثبت في السنة بهذا المعنى حد الخمر [5] ، وتضمين

---

١ ـ انظر فتح الباري ص ٤١٢ حـ ٨ .

٢ ـ سنن أبي داود ص ٤١٢ حـ ٣ حديث ٣٥٩٢ ، واعلام الموقعين ص ٢٠٢ حـ ١ .

٣ ـ انظر فتح الباري ص ٩٥ حـ ٢ ، وصحيح مسلم ص ٦٠٨ - ٦١٠ حـ ٢ .

٤ ـ انظر الموافقات ص ٤ حـ ٤ ، وقارن بالصفحة ٧٤ وما بعدها منه .

٥ ـ كان تعزير شارب الخمر في عهده صلى الله عليه وسلم غير معين فكانوا يضربونه تارة أربعين جلدة وتارة يبلغون ثمانين جلدة ، فلما كان عهد عمر رضي الله عنه استشار الناس فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : أخف الحدود ثمانون ، وقال علي رضي الله عنه نرى أن تجلده ثمانين . فانه إذا شرب =

الصناع [1] ، وجمع المصاحف في عهد ابي بكر برأي عمر رضي الله عنهما [2] ، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة وتدوين الدواوين . وما اشبه ذلك مما اقتضاه النظر المصلحي الذي أقره الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين [3] .

ومما يدل على اطلاق السنة بهذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ[4] » وقوله : « تفترق أُمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار

= سكر ، وإذا سكر هذى،وإذا هذىافترى، فجلد عمر في الخمر ثمانين . (انظر الموطأ ص ٨٤٢ حـ ٢ ، وسبل السلام ص ٣٠ وما بعدها حـ ٤ واعلام الموقعين ص ٢١١ حـ ١) ، وعلى هذا فتحديد الثمانين هو السنة التي عمل عليها الصحابة باجتهادهم واجمعوا على هذا الاجتهاد .

١ – قضى الخلفاء الراشدون بتضمين الصناع ، قال على رضي الله عنه : (لايصلح الناس إلا ذاك). لان الناس بحاجة إلى الاستصناع ، وعدم تضمين الصناع يورث الاهمال في العمل وعدم المسؤولية ، مما يؤدي إلى ضياع أموال الناس . انظر الاعتصام ص ١١٩ حـ ٢ .

٢ – انظر صحيح البخاري ص ١٨٣ حـ ٦ طبعة ليدن، ومسند الإمام أحمد ص ١٠ و ١٣ جـ ١ ، ص ١٨٩ حـ ٥ الميمنية .

٣ – انظر الموافقات ص ٥ – ٦ حـ ٤ .

٤ – من حديث طويل رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، ثم اقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرَفَتْ منها العيون، ووجِلتْ منها القلوب، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فاذا تعهد الينا ؟ فقال : (اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبداً حبشياً ، فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) قوله (وإن عبداً حبشياً) تقديره : وإن كان الوالي عليكم عبداً حبشياً اخرجه أبو داود في سننه ص ٢٨١ حـ ٤ .

إلا واحـــدة » قالوا : (ومن هم ، يا رسول الله ؟) قال : « ما أنا عليه وأصحابي[1] » .

٤ — السنة والبدعة :

البدعة في اللغة : الأمر المستحدث[2] ، وأصل مادة (بدع) للاختراع على غير مثال سابق - كما قال الامام الشاطبي — ومنه قول الله تعالى : « بديع السموات والأرض[3] » اي مخترعها من غير مثال سابق متقدم ، وقوله تعالى . « قل ما كنت بدعاً من الرسل[4] » اي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد ، بل تقدمني كثير من الرسل ، ويقال : ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه اليها سابق[5] .

والبدعة في الشرع تطلق على كل ما أحدثه الناس من قول أو عمل في الدين وشعائره مما لم يؤثر عن الرسول ﷺ وعن أصحابه[6] بدلالة قوله

---

١ — روى هذا الحديث من عدة طرق انظر المقاصد الحسنة ص ١٥٨ وسنن ابن ماجه ص ١٣٢٢ ح ٢ ، وسنن أبي داود ص ٢٧٦ ح ٤ .

٢ — انظر لسان العرب والقاموس المحيط مادة (بدع) .

٣ — ١١٧ : البقرة .

٤ — ٩ : الاحقاف .

٥ — يقول الامام الشاطبي : (ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة ، فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع ، وهيئتهاهي البدعة ،وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة) . الاعتصام ص ٣٦ ح ١ .

٦ — لابد من تقييد البدعة في الشرع بما استحدث في الدين من اعتقاد أو قول أو فعل سواء أكان ذلك بالفعل أم بالترك ، كيلا ينطوي تحتها كل مستحدث مما تقتضيه المصلحة ويتمشى مع أصول الشريعة ، مما لم يكن على عهده صلى الله عليه وسلم ، فقد أطلق بعضهم على هذا لفظ البدعة ، كما فعل الامام العز بن عبد السلام ، فجعل البدعة اقساماً (بدعة واجبة ، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مباحة) وذكر من البدع الواجبة الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله وكلام رسوله صلى الله =

عليه الصلاة والسلام : « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد »[1] وقوله « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد »[2].

وعلى هذا فقد تطلق السنة في مقابلة البدعة ، ومن ذلك قولهم (فلان على سنة) إذا عمل على وفق ما عمل النبي ﷺ وأصحابه ، سواء أكان

= عليه وسلم ، وذلك واجب ، ومنها حفظ غريب الكتاب والسنة ، وتدوين أصول الفقه وغير ذلك انظر قواعد الاحكام ص ١٧٣ ، فالبدع التي رآها واجبة كلها تدخل في باب المصالح وليست مقصودنا ، وذكر في البدع المحرمة ابتداع مذهب القدرية والمجسمة ، وفي البدع المكروهة زخرفة المساجد ، وتلحين القرآن بحيث تتغير الفاظه عن الوضع العربي، فهذه تدخل في البدع التي قصدناها في تعريفنا .

وهذا قال الامام الشاطبي في تعريف البدعة : (هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه) وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة ، وإنما يخصها بالعبادات ، وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول : (البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الطريقة الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية) الاعتصام ص ٣٧ ح ١ وبهذا تقيدت البدعة بخروجها عما رسمه الشارع . فتنفصل عن كل مايظهر أنه مخترع مما هو متعلق بالدين كسائر العلوم الخادمة للشريعة .

قال ابن تيمية في تعريف البدعة : (ماخالفت الكتاب والسنة او اجماع سلف الامة من الاعتقادات والعبادات . كأقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية ، وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء بالمساجد) مجموع فتاوى ابن تيمية ص ٣٤٦ ح ١٨ .

ومن البدع في الاعتقاد التجسيم ، وفي الافعال نذر الصيام قائماً في الشمس لا يستظل، وفي الاقوال الذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد ونحو ذلك . ومن البدع التي تكون بترك المباح من غير عذر شرعي وعلى سبيل المبالغة في التعبد - تحريم النوم ، وعدم التزوج ، وترك الفطر ودوام الصيام ، ففي مثل ذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (من رغب عن سنتي فليس مني) . وفي هذا يقول الإمام الشاطبي : (كل من منع نفسه من تناول ما أحل الله من غير عذر شرعي فهو خارج عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم والعامل بغير السنة تديناً ، هو المبتدع بعينه) . الاعتصام ص ٤٤ ح ١ .

١ - اخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه انظر صحيح مسلم ص ١٣٤٣ ح ٣ ، وسنن أبي داود ص ٢٨٠ ح ٤ حديث ٤٦٠٦ .

٢ - صحيح مسلم ص ١٣٤٤ ح ٣ .

ذلك مما نص عليه في الكتاب الكريم أم لم يكن ، وقولهم (فلان على بدعة) إذا عمل على خلاف ما عملوه أو أحدث في الدين ما لم يكن عليه السلف .

٥ – **ونعني بالسنة في دراستنا** هـذه ما أراده المحدثون ، وهي ما يرادف الحديث عند جمهورهم ، وإن كان بعضهم يفرق بينهما ، فيرى الحديث ما ينقل عن الرسول ﷺ ، والسنة ما كان عليه العمل المأثور في الصدر الأول ، ولذلك فقد ترد أحاديث تخالف السنة المعمول بها ، فيلجأ العلماء حينئذ إلى التوفيق والترجيح ، وعلى ذلك يحمل قول عبد الرحمن بن مهدي[١]: لم أر أحداً قط أعلم **بالسنة ولا بالحديث** الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد[٢] .

وقوله أيضاً عندما سئل عن سفيان الثوري[٣] والأوزاعي[٤]

---

١ – هو ابو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري ، أحد كبار أئمة الحديث ، امام في الجرح والتعديل ، قال فيه الإمام الشافعي : لاأعرف له نظيراً في الدنيا ، ولد سنة (١٣٥ هـ) في البصرة ، وتوفي فيها سنة (١٩٨ هـ) . انظر ترجمته في مقدمة كتاب (الجرح والتعديل) ص ٢٥١ وما بعدها ، وفي التهذيب ص ٢٧٩ حـ ٦ .

٢ – انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ١٧٧ ، وهو أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الازدي البصري ، ولد في البصره سنة (٩٨ هـ) ، ونشأ بها ، وتلقى العلم على شيوخ عصره ، فسمع كثيراً من التابعين ، ونبغ في الحديث والفقه ، حتى أصبح شيخ العراق في عصره ، واحد أعلام الحفاظ المجودين ، روى عنه خلق غير قليل ، وكان ضريراً إلا أنه لم يولد أعمى . قال الإمام أحمد: كان من ائمة المسلمين. توفي في البصرة سنة(١٧٩ هـ) عن إحدى وثمانين سنة رحمه الله . انظر تذكرة الحفاظ ص ٢١٢ حـ ٢١ ، وتهذيب التهذيب ص ٩ حـ ٣ ، وخلاصة الخزرجي ص ٧٨ .

٣ – هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، الإمام المشهور أمير المؤمنين في الحديث وسيد حفاظ عصره ، الفقيه الكوفي ، له عدة تصانيف ، راوده الخليفة المنصور على أن يلي الحكم فأبى ، ثم سكن مكة والمدينة، كان قوالا بالحق شديد الانكار ، طلبه المهدي ، فتوارى عن الانظار ،كان مولده سنة ٩٧ هـ وتوفي سنة ١٦١هـ في البصرة . انظر تذكرة الحفاظ ص ١٩٠ - ١٩٣ حـ ١ وتهذيب التهذيب ص ١١١ حـ ٤ .

٤ – هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي الأوزاعي ، والاوزاع بطن من=

ومالك[1] : سفيان الثوري امام في الحديث وليس بإمام في السنة ، والاوزاعي إمام فيالسنة وليس بإمام فيالحديث ، ومالك إمام فيها[2] .

ومما يدل على ان السنة هي العمل المتبع في الصدر الاول قول علي ابن أبي طالب لعبد الله بن جعفر عندما جلد شارب الخمر اربعين جلدة : (كفّ . جلد رسول الله ﷺ اربعين وابو بكر اربعين ، وكملها عمر ثمانين وكل سنة) [3] . وقول الامام مالك : (والسنة عندنا ، ان كل من شرب شراباً مسكراً ، فسكر أو لم يسكر فقد وجب عليه الحد) [4] .

٦ – معنى الحديث والخبر والأثر :

آ – الحديث في اللغة : الجديد من الأشياء . والحديث الخبر يأتي

=همدان ولد سنة (٨٨ هـ) وسمع من كبار التابعين، وروى عنه مالك وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وغيرهم ، كان امام أهل الشام فيزمانه ، ثقة مأمونا خيراً ، كثيرالحديث والعلم والفقه حجة ، له عدة تصانيف في الحديث والفقه نزل بيروت مرابطاً وأقام بهاحتى توفي سنة ١٥٧ هـ. انظر طبقات ابن سعد ص ١٨٥ قسم٢جـ ٧ وتقدمة الجرح والتعديل ص ١٨٤ وما بعدها ، وتذكرة الحفاظ ص ١٦٨ حـ ١ وتهذيب التهذيب ص ٢٣٨ ترجمة (٤٨٤) حـ ٦ ، ومعجم المؤلفين ص ١٦٣ حـ ٥ .

١ – هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الاصبحي إمام دار الهجرة ، ولد سنة (٩٣ هـ) في المدينة وسمع كبار التابعين حتى أصبح إمام عصره ، كان ثقة جليلا بعيداً عن الامراء يحب أهل العلم ، وكان على صلة بالليث بن سعد إمام مصر في عصره ، جمع كتابه الموطأ ، وله رسائل وكتب في الرد على القدرية ، وفي تفسير غريب القرآن ، توفي سنة (١٧٩ هـ) بالمدينة . انظر تهذيب التهذيب ص ٥ حـ ١٠ ، وتقدمة الجرح والتعديل ص ١٠ وما بعدها .

٢ – انظر الزرقاني على الموطأ ص ٣ حـ ١ .

٣ – مسند الإمام أحمد ص ٤٨ – ٤٩ حديث ٦٢٤ حـ ٢ .

٤ – الموطأ ص ٨٤٣ حـ ٢ ، وانظر ص ٨٤٢ حـ ٢ منه .

على القليل والكثير ، والجمع أحاديث كقطيع وأقاطيع ، وهو شاذ على غير قياس .

وقوله عز وجل : « فلعلك باخعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا[1] » — عنى بالحديث القرآن الكريم ، وقوله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث[2] » أي بلغ ما أُرسلت به[3] . فالحديث والخبر في اللغة مترادفان .

ب — الحديث في الاصطلاح : اسلفت في تعريف السنة عند المحدثين انها ترادف الحديث ، ويراد بها كل ما أثر عن الرسول ﷺ قبل البعثة وبعدها ، ولكنه إذا أطلق لفظ الحديث انصرف في الغالب إلى ما يروي عن الرسول ﷺ **بعد النبوة** : من قوله وفعله واقراره [4] وعلى هذا فالسنة أعم من الحديث .

وإذا أطلق لفظ الحديث عند الاصوليين أريد به السنة القولية ، لأن السنة عندهم أعم من الحديث ، وهي تشمل قول الرسول ﷺ وفعله وتقريره ، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي .

والخبر عند المحدثين مرادف للحديث ، فيطلقان على المرفوع وعلى

---

١ - ٦ : الكهف .

٢ - ١١ : الضحى .

٣ - انظر لسان العرب مادة (حديث) .

٤ - انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٦ - ١٠ . وقال رحمه الله : (والكتب التي فيها اخباره - صلى الله عليه وسلم - منها كتب التفسير ، ومنها كتب السيرة والمغازي ، ومنها كتب الحديث . **وكتب الحديث هي ما كان بعد النبوة أخص،** وان كان فيها امور جرت قبل النبوة ، فان تلك لاتذكر لتؤخذ وتشرع فعله قبل النبوة بل قد أجمع المسلمون على أن الذي فرض على عباده الايمان به والعمل هو ماجاء به بعد النبوة) . فتاوى ابن تيمية ص ١٠ - ١١ حـ ١٨ .

الموقوف والمقطوع [٢] ، فيشمل ما جاء عن الرسول ﷺ وعن الصحابة والتابعين [٣] .

وقال بعضهم : الحديث ما جاء عن النبي ﷺ ، والخبر ما جاء عن غيره ، ومن ثم قيـــل لمن يشتغل بالسنة محدث ، وبالتواريخ ونحوها أخباري [٤] .

وقيل بين الحديث والخبر عموم وخصوص مطلق فكل حديث خبر ولا عكس . وقد يسمى المحدثون المرفوع والموقوف من الأخبار (أثراً) إلا أن فقهاء خراسان يسمون الموقوف بالأثر . والمرفوع بالخبر [١] .

وخلاصة القول :

إذا أطلق لفظ (الحديث) أريد به ما أضيف إلى النبي ﷺ ، وقد يراد به ما أضيف إلى صحابي أو تابعي ، ولكنه غالباً ما يقيد في مثل هذه الحال .

ويطلق الخبر والأثر ويراد بهما ما أضيف إلىالرسول ﷺ وما أضيف إلى الصحابة والتابعين ، إلا أن فقهاء خراسان يسمون الموقوف أثراً والمرفوع خبراً .

٧ ــ الحديث القدسي :

كل حديث يضيف فيه الرسول ﷺ قولاً إلى الله عز وجل يسمى بالحديث القدسي أو الالهي ، والأحاديث القدسية كثيرة ، وقد جمعها

---

١ ـ المرفوع ما أسند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والموقوف مارفع الى الصحابي والمقطوع مارفع إلى التابعي ، وسنفصل القول في هذا في بحث علم مصطلح الحديث .

٢ ـ انظر شرح نخبة الفكر ص ٣ .

٣ ـ انظر تدريب الراوي ص ٦ ومنهج ذوي النظر ص ٨ .

٤ ـ انظر تدريب الراوي ص ٦ ومنهج ذوي النظر ص ٨ .

بعضهم في جزء كبير [1] ، ونسبة الحديث إلى القدس (وهو الطهارة والتنزيه) . وإلى الاله أو إلى الرب ، لأنه صادر عن الله عز وجل من حيث إنه المتكلم به أولاً والمنشيء له ، وأما كونه حديثاً ، فلأن الرسول ﷺ هو الحاكي له عن الله تعالى ، بخلاف القرآن الكريم فانه لا يضاف إلا إلى الله عز وجـــل ، فيقال فيه : (قال الله تعالى) ويقال في الأحاديث القدسية (قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى) [2].

---

١ – قال العلامة شهاب الدين ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين النووية (وهي أكثر من مائة ...) ص ٢٠١ ، وبلغت الاحاديث القدسية التي جمعها المحدث الشيخ عبد الرؤوف ابن علي المناوي في كتابه (الاتحافات السنية بالاحاديث القدسية) – (٢٧٢) حديثاً.

٢ – من المناسب أن نذكر هنا الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم ، ذكر العلماء مزايا للقرآن الكريم منها :

١ً – القرآن معجزة باقية على مر الدهور محفوظة من التغيير والتبديل ، متواترة اللفظ في جميع الكلمات والحروف والاسلوب .

٢ً – حرمة روايته بالمعنى .

٣ً – حرمة مسه للمحدث وتلاوته لنحو الجنب .

٤ً – تعينه في الصلاة .

٥ً – تسميته قرآنا .

٦ً – التعبد بقراءته لكل حرف منه عشر حسنات .

٧ً – امتناع بيعه في رواية عن الامام أحمد وكراهيته عند الشافعية .

٨ً – تسمية الجملة منه آية ، ومقدار من الآيات مخصوص سورة .

٩ً – القرآن الكريم ما كان لفظه ومعناه من عند الله عز وجل بوحي جلي ، وأما الحديث القدسي فهو ما كان لفظه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه من عند الله تبارك وتعالى ، بالالهام أو المنام ، وقد يكون بوحي جلي ، وليس الوحي الجلي شرطاً له بخلاف القرآن الكريم فانه لا يكون إلا بوحي جـــلي ، أي ينزل به الملك من عند الله تعالى بلفظه ، في حين أنه لاتنحصر الاحاديث القدسية في كيفية من كيفيات الوحي ، بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من كيفياته ، كرؤيا النوم ، والالقاء في الروع ، وعلى لسان الملك . وعلى هذا قد يكون الحديث النبوي بوحي ، وقد يكون باجتهاد إلا أن الرسول لايقر على اجتهاد خطأ . والحديث القدسي لايكون إلا بوحي أعم من أن=

والفرق بين الحديث القدسي والأحاديث النبوية الأخرى ، ان هذه نسبتها إلى الرسول ﷺ وحكايتها عنه ، وأما الحديث القدسي فنسبته إلى الله تعالى ، والرسول ﷺ يحكيه ويرويه عنه عز وجل ، ولذلك قيدت بالقدس أو الاله فقيل فيها أحاديث قدسية وأحاديث الهية نسبة إلى الذات العلية ، وقيدت الأخرى بالنبي ﷺ فقيل فيها أحاديث نبوية نسبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام . وان كانت جميعها صادرة بوحي من الله عز وجل ، لأن الرسول لا يقول إلا الحق ، قال تعالى : « وما ينطق عن الهـــوى » (١) ، وقال ﷺ : « ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه » (٢) .

ومثال الحديث القدسي ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى « ثلاثة أناخصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره » (٣) . وحديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال :

=يكون جلياً أو غير جلي، فتجوز روايته بالمعنى لان لفظه للرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك لا يجزي في الصلاة بل يبطلها . انظر فتح المبين لشرح الاربعين ص ٢٠١ ، وقواعد التحديث ص ٦٤ - ٦٩ ، والمنهج الحديث في علوم الحديث ص ٣١ - ٣٢ وقارن برسالة (الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم والحديث النبوي) لنوح بن مصطفى الحنفي القونوني محطوطة دار الكتب المصرية (مجاميع تيمور ٣٣) ص ٧١ - ٧٢ .

١ - ٣ : النجم .

٢ - أخرجه أبو داوود في سننه ص ٢٧٩ حـ ٤ وانظر تيسير الوصول ص ٢٥ حـ ١.

٣ - أخرجه البخاري وابن ماجه والطبراني وغيرهم ، واللفظ لابن ماجه . انظر سنن ابن ماجه حديث ٢٤٤٢ حـ ٢ ، ورياض الصالحين ص ٥٧٣ ، والاتحافات السنية ص ١١٠ .

خصمته أي تغلبت عليه ، و (أعطى بي ثم غدر) أي عاهد بالله عهدا ثم نقضه .

« ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » [1] .

ومثال الحديث النبوي ما رواه سهل بن حُنَيف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه » [2] . والأحاديث النبوية أكثر من أن تحصى .

٨ – تعريف المتن والسند :

قبل أن نعرف المتن والسند تعريفاً لغوياً واصطلاحياً ، نذكر حديثاً نبين فيه كلا منهما : روى الامام البخاري قال : حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال : حدثنا أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أنس عن النبي ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون اللهُ ورسوله أحبَّ اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وان يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » [3] .

---

١ – وتتمة الحديث (ياعبادي : كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم ياعبادي كلكم جائع إلا من اطعمته ، فاستعطوني أطعمكم . ياعبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني اكسكم . ياعبادي انكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الزنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم . ياعبادي انكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد مانقص ذلك من ملكي شيئاً . ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته – ما نَقَصَ ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أدخل البحر . ياعبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه). اخرجه الامام مسلم في صحيحه ص ١٩٤٤ ح ٤ وانظر فتح المبين لشرح الاربعين ص ١٩٠

٢ – صحيح مسلم ص ١٥١٧ ح ٣ .

٣ – فتح الباري ص ٦٦ ح ١ .

فقوله ﷺ (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة لايمان) إلى آخر الحديث هو متن الحديث . وسلسلة الرواة الذين نقلوه سنده .

آ ـ **المتن في اللغة** : المتن من كل شيء ما صلب ظهره ، والجمع متون ومتان ، ومتن كل شيء ما ظهر منه ، وما ارتفع وصلب من الأرض ، ومتّن القوس تمتيناً شدها بالعصب [٣] .

والمتن في الاصطلاح : هو الفاظ الحديث التي تتقوم بها معانيه ولعله سمي بذلك لأنه الظاهر والمطلوب والغاية من الحديث كله فهو مأخوذ من معانيه اللغويه السابقة ، وهو في المثال السابق (ثلاث من كن فيه .) .

ب ـ **السند في اللغة** : ما ارتفع من الارض . . . وما قابلك من الجبل وعلا عن السفح والجمع (أسناد) ، وكل شيء أسندته إلى شيء فهو مسند ، ويقال : اسند في الجبل إذا ما صَعِده . ويقال فلان سند أي معتمد [٤] .

والسند في الاصطلاح : هو طريق المتن ، أي سلسلة الرواة الذين نقلوا المتن عن مصدره الأول ، وسمي هذا الطريق سنداً ـ إما لأن المسند يعتمد عليه في نسبة المتن إلى مصدره ، أو لاعتماد الحفاظ على المسند في معرفة صحة الحديث وضعفه [١] .

وفي رأينا أنه سمي بذلك لهـذين المعنيين . وهو في المثال السابق

---

٣ ـ انظر لسان العرب مادة (متن) .

٤ ـ انظر لسان العرب مادة (سند) .

١ ـ انظر تدريب الراوي ص ٥ ـ ٦ ، وشرح الزرقاني على البيقونية ص ٩ ، وحاشية لقط الدرر ص ٤ .

(البخاري عن محمد بن المثنى ، عن عبد الوهاب الثقفي ، عن أيوب السختياني عن أبي قلابة ، عن أنس) .

والاسناد هو رفع الحديث إلى قائله ، أي بيان طريق المتن برواية الحديث مسنداً ، وقد يطلق الاسناد على السند ، من باب اطلاق المصدر على المفعول ، كما أطلق الخلق على المخلوق ، ولهذا نجد المحدثين يستعملون السند والاسناد بمعنى واحد ، وقلما يقولون : هذا الحديث روى بأسناد — جمع سند — صحيحة ، بل يقولون بأسانيد — جمع إسناد — لهذا اشرنا إلى استعمالهم .

• • •

الفصل الثاني

مكانة السنة من التشريع

١ – تمهيد :

ختم الله عز وجل الرسالات السماوية برسالة الاسلام ، فبعث محمداً ﷺ رسولاً هادياً ، وأنزل اليه القرآن الكريم ، المعجزة الكبرى ، والحجة العظمى ، وأمره بتبليغه وبيانه .

فالقرآن الكريم هو أساس الشريعة ، لأنه كلام الله تعالى المعجز ، المنزل على الرسول ﷺ بواسطة الملك جبريل الامين ، المتواتر لفظه جملة وتفصيلا ، المتعبد بتلاوته ، المكتوب في المصاحف .

وكل ما جاء عن الرسول ﷺ – سوى القرآن الكريم – من بيان لأحكام الشريعة ؛ وتفصيل لما في الكتاب الكريم ، وتطبيق له – هو الحديث النبوي أو السنة كما أسلفنا ، وهي بوحي من الله تعالى ، أو باجتهاد من الرسول ﷺ ، الا ان الرسول ﷺ لا يُقرُّ على اجتهاد خطأ ، وعلى هذا فمرد السنة الى الوحي . فالقرآن الكريم هو الوحي المتلو ، المتعبد بتلاوته ، والسنة وحي غير متلو ، لا يتعبد بتلاوتها . قال الإمام ابن حزم : (لما بينا أن القرآن هو الأصل المرجوع اليه في الشرائع ،

نظرنا فيه فوجدنا فيه ايجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ ، ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفاً لرسوله ﷺ : « وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى » [1] ، فصح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله عز وجل الى رسوله ﷺ — على قسمين :

احدهما وحي متلو ، مؤلف تأليفاً معجز النظام ، وهو القرآن .

والثاني وحي مروي ، منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ، ولا متلو ولكنه مقروء ، وهو الخبر الوارد عن رسول ﷺ ، وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا . قال الله تعالى : « لتبين للناس ما نُزِّلَ اليهم » [2] ، ووجدناه تعالى قد أوجب طاعة هذا القسم الثاني كما أوجب طاعة القسم الأول ولا فرق) [3] .

فالقرآن والسنة مصدران تشريعيان متلازمان ، لا يمكن لمسلم أن يفهم الشريعة الا بالرجوع اليهما معاً ،ولا غنى لمجتهد أو عالم عن أحدهما.

قال ابن قيم الجوزية : (وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » [4] ، فأمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل اعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً ، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه ، فإنه أوتى الكتاب ومثله معه ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً ، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في

---

١ — ٣ و ٤ : النجم .

٢ — ٤٤ : النحل .

٣ — الاحكام في أصول الاحكام لابن حزم ص ٨٧ حـ ١ .

٤ — ٥٩ : النساء .

ضمن طاعة الرسول ، ايذاناً بأنهم انما يطاعون تبعا لطاعة الرسول . فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة) [1] .

فالسنة من حيث وجوب العمل بها ، ومن حيث إنها وحي هي بمنزلة القرآن الكريم ، وإنما تلي القرآن بالمرتبة من حيث الاعتبار ، لأنه مقطوع به جملة وتفصيلا ، والسنة مقطوع بها على الجملة لا على التفصيل ولأنه هو الأصل ، وهي الفرع ، لأنها شارحة ومبينة له ، ولا شك في أن الأصل مقدم على الفرع ، والبيان مؤخر عن المبيَّن . وقد دل على ذلك حديث معاذ بن جبل حين بعثه الرسول ﷺ قاضياً الى اليمن .

٢ ــ أدلة حجية السنة :

نوجز فيما يلي الأدلة التي تثبت أن السنة مصدر من المصادر التشريعية التي تستنبط منها أحكام الشريعة وآدابها في الاسلام ، وهذه الادلة اربعة:

آ ــ الايمان : من لوازم الايمان بالرسالة وجوب قبول كل ما يرد عن الرسول ﷺ في أمر الدين ، فقد اجتبى الله عز وجل الرسل واصطفاهم من عباده ليبلغوا شريعته اليهم ، قال الله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » [2] ، وقال : « فهل على الرسل الا البلاغ المبين » [3] . وبهذا بين عظيم اختصاصهم ، وسمو واجبهم . وأمر بالإيمان بهم ، وقرن ذلك بالإيمان بالله سبحانه ، من هذا قوله عز وجل : « ما كان الله ليذرَ المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميزَ الخبيث من الطيب ، وما كان الله

---

١ ــ إعلام الموقعين ص ٤٨ ج ١ .

٢ ــ ١٢٤ : الانعام .

٣ ــ ٣٥ : النحل .

ليطلعكم على الغيب ، ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم » [1] ، وهذه الآية عامة في وجوب الإيمان بالله عز وجل وبرسله كافة ، وهناك آيات تنص على الإيمان بالرسول محمد ﷺ منها قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل » [2] . وقوله عز من قائل : « فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » [3]. قال الإمام الشافعي : (فجعل كمال ابتداء الإيمان ، الذي ما سواه تبع له — الإيمانَ بالله ثم برسوله) [4] . والرسول أمين على شرع الله ، لا يبلغ في أمر الدين الا مايوحى إليه ، فمقتضى الرسالة والعصمة [5] يوجب الاعتماد على السنة والاحتجاج بها ، والتأسي بصاحبها عليه الصلاة والسلام .

ب — القرآن الكريم : في القرآن الكريم آيات كثيرة تنص على طاعة الرسول ﷺ منها قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » [6] ، والرد إلى الله هو الرد إلى الكتاب ، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته ، وقوله: « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا » [7] ، وبين ان طاعة الرسول

---

١ — ١٧٩ : آل عمران .

٢ — ١٣٦ : النساء .

٣ — ٥٨ : الاعراف .

٤ — الرسالة ص ٧٥ فقرة (٢٣٩) .

٥ — اجمعت الامة على عصمة الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين انظر تفصيل هذا في الاحكام في أصول الاحكام ص ٢٤٢ جـ ١ وما بعدها ، وارشاد الفحول ص ٣٣ .

٦ — ٥٩ : النساء .

٧ — ٩٢ : المائدة .

طاعة الله عز وجل فقال : « من يطع الرسول فقد أطاع الله »[1] ، وقال : « ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله فسيؤتيه أجراً عظيما »[2] . وقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »[3] .

وقال عز وجل : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما »[4] .

وقال عز وجل : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون »[5] .

كل هذه الآيات تدل على وجوب طاعة الرسول ﷺ ، وما طاعته إلا الإذعان له في حياته ، والعمل بسنته والاقتداء بهديه بعد وفاته .

وقال عز وجل على لسان ابراهيم عليه السلام : « ربنا وابعث فيهم

---

١ – ٨٠ : النساء . ٢ – ١٠ : الفتح . ٣ – ٧ : الحشر .

٤ – ٦٥ : النساء نزلت هذه الآية الكريمة في قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة بين الزبير بن العوام وأحد الانصار حين اختلفا في السقاية ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (اسق يا زبير ثم ارسل الماء إلى جارك) فغضب الانصاري .فقال: يارسول الله أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه نبي الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال :(يازبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر) . صحيح مسلم ص ١٨٢٩ حـ ٤ . طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من الزبير أولا التسامح مع جاره بالاكتفاء بأقل درجة في السقي ، فلما لم يفهم الانصاري ذلك وحمله محملا سيئاً استوفى صلى الله عليه وسلم للزبير حقه الشرعي ، وهو أن للاعلى حبس الماء عن الاسفل حتى يسقي سقياً تاماً . انظر الموافقات ص ١٣ - ١٤ حـ ٤ والجدر بفتح الجيم وكسرها وسكون الدال ـ الجدار ، والمراد هنا أصول الشجر. وقد أخرج هذا الحديث البخاري في (الشرب) وأبو داود في (القضايا) والترمذي في (الأحكام) وفي (التفسير) ، والنسائي في (القضاء) وابن ماجه في (الأحكام) .

٥ – ٥٦ : النور .

رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك أنت العزيز الحكيم » [1] .

وقال تعالى : « لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهما آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » [2] .

وقال عز وجل : « وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عظيما » [3]. وغيرها من الآيات الكريمة التي قرن فيها الله عز وجل الحكمة مع الكتاب .

قال الإمام الشافعي : (ذكر الله الكتاب ، وهو القرآن ، وذكر الحكمة فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة : سنة رسول الله) [4] وذهب كثير من أهل العلم الى أن المراد من الحكمة في هذة الآيات هو السنة [5] .وعلى هذا يكون الله عز وجل قد نص في الكتاب الكريم على وجوب العمل بالسنة كما نص في آيات أخرى على وجوب طاعة الرسول ﷺ . وكل هذا دليل على الاعتداد بالسنة ، وعلى إعتبارها مصدراً من مصادر التشريع في الإسلام .

ج ـ أدلة حجية السنة من الحديث : قال ﷺ : « تركت فيكم

---

١ - ١٢٩ : البقرة .

٢ - ١٦٤ : آل عمران .

٣ - ١١٣ : النساء .

٤ - الرسالة ص ٧٨ فقرة (٢٥٢) .

٥ - انظر قول العلماء في تفسير الآية « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيرا » .(٣٤ : الاحزاب) انظر تفسير ابن كثير حيث قال : (أي من الكتاب والسنة . قاله قتادة وغير واحد من أهل العلم) ص ٤٨٦ حـ ٣. وانظر الجامع لاحكام القرآن ص ١٨٣ حـ ١٤ . وانظر التفسير الكبير للرازي ص ٧٤ حـ ٤ .

أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي » [1] .

وعن المقدام بن معدى كَرِب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه » [2] .

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، عن الرسول ﷺ أنه قال: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها ، وعضواعليها بالنواجذ » [3] .

هذه الأحاديث تدل على أن الرسول ﷺ أوتي الكتاب والسنة، وتوجب التمسك بهما ، والأخذ بما في السنة كما يؤخذ بما في الكتاب .

ولم يكتف الرسول ﷺ بالحث على التمسك بسنته ، بل ذم من يترك حديثه متذرعاً بالإعتماد على **ما جاء في** القرآن الكريم فقط . فقال ﷺ : « لا أُلفِيَنَّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرت به أو نهيت عنه — فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه [4] » .

---

١ - اخرجه الإمام مالك بلاغاً انظر الموطأ ص ٨٩٩ ح ٢ حديث ٣ ، وروى الحاكم عن أبي هريره عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال: (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي ، ولن يفترقاحتى يردا علي الحوض) الفتح الكبير ص ٢٧ ح ٢.

٢ - سنن أبي داود ص ٢٧٩ ح ٤ .

٣ — سنن أبي داود ص ٢٨١ ح ٤ ، وتيسر الوصول ص ٢٤ ح ١ .

٤ — رواه الإمام الشافعي بسنده عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . الرسالة ص ٨٩ فقرة (٢٩٥) . وفي رواية عن المقدام بن معدى كرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يوشك الرجل متكئاً على اريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل . فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه . ألا وان ماحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله) . سنن ابن ماجه ص ٦ ح ١ وسنن البيهقي ص ٥ ح ١ ، وانظر سنن أبي داود ص ٢٧٩ ح ٤ ، وتيسير الوصول ص ٢٤ ح ١ .

وقد أخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من بلغه عني حديث فكذب به فقد كذب ثلاثة : الله ورسوله والذي حدث به) في سنده محفوظ بن ميسور ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلا . انظر مجمع الزوائد ١٤٨ - ١٤٩ ح ١ .

د ـ الاجماع :

أجمعت الأمة الاسلامية على العمل بالسنـــة ، بل اطبقت على ذلك استجابة لله عزوجل وللرسول الأمين ، وتقبل المسلمون السنـة كما تقبلوا القرآن الكريم ، لأنها مصدر تشريعي بشهادة الله عز وجل ، وقد أسلفنا كثيراً من الآيات الكريمة التي تؤكد ذلك . وشهد الله تعالى للرسول ﷺ بأنه لا يتبـع إلا ما يوحى إليه ، قال تعالى : « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك ، **إن اتبـع إلا ما يوحى إلي** قل هل يستوي الأعمى والبصير ، أفلا تتفكرون[1] » .

وما يوحى إليه فيه هداية المتّبعين وصلاحهم وسبيل نجاحهم في الدنيا والآخرة .قال تعالى : « وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها **قل إنما أتبـع مايوحى إلي من ربي هذا بصائرمن ربكم وهدىورحمة لقوم يؤمنون[2]**» . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون[3] » .

لكل هذا اعتنى المسلمون بالسنة النبوية ، ونقلها الخلف عن السلف ،

---

١ ـ ٥٠ : الانعام .

٢ ـ ٢٠٣ : الاعراف . بصائر جمع بصيرة ، وهي للقلب كالبصر للعين ، واصل البصيرة الابصار ، من أبصر أي تأمل بعين بصيرته ، يقـال ابصر الرجل إذا خرج من الكفر إلى بصيرة الايمان . والمراد بالبصائر هنا القرآن الكريم وما فيه من حجج واضحة لانه سبب لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ، فأطلق عليه لفظ البصيرة تسمية للسبب باسم المسبب . انظر التفسير الكبير للرازي ص ١٠١ ـ ١٥ ، والمصحف الميسر ص ١٨٠ آية (١٠٤) .

٣ ـ ٢٤ : الانفال . (يحول بين المرء وقلبه) أي يحول بين المرء وما يتمناه قلبه من طول الحياة ، وفسحة الآمال ، فيميته قبل أن يتحقق له مـا يريد ، والمراد أن لاتتأخروا عن طاعة الله ورسوله وعن عمل الخير اعتماداً على فسحة الوقت وطول العمر (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، ان الله عليم خبير) .

جيلًا بعد جيل ، ورجعوا إليها في جميع أمور دينهم ، وعملوا بما فيها وتمسكوا بها ، وحافظوا عليها ، استجابة لله عزوجل ، وتأسياً برسوله ﷺ.

وأخبار تمسك الأمـــة بالسنة أكثر من ان تحصى ، وسأكتفي بذكر بعضها :

١ – حين تولى ابو بكر الصديق الخلافة أتته فاطمـة الزهراء بنت رسول الله ﷺ تسأله سهم الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال لها : (إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عزوجل إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده » ، فرأيت ان أرده على المسلمين) ، فقالت : فأنت وما سمعت من رسول الله ﷺ أعلم[١] .

وفي رواية قال : لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، وإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيـغ[٢] .

٢ – وقف عمر بن الخطاب على الركن امام الحجر الأسود ثم قال : (إني لأعلم أنك حجر ، ولو لم أر حبيبي ﷺ قبلك أو استلمك ما استلمتك ولا قبلتك . « لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة[٣])

٣ – قال سعيد بن المسيب : رأيت عثمان قاعداً في المقاعد ، فدعا بطعام مما مسته النار فأكله ، ثم قام إلى الصلاة فصلى ، ثم قال عثمان : قعدت مقعـد رسول الله ﷺ ، وأكلت طعام رسول الله ﷺ ، وصليت صلاة رسول الله ﷺ[٤] .

---

١ – مسند الإمام احمد ص ١٦٠ حـ ١ باسناد صحيـح ، واخرج نحوه في ص ١٧٧ و ١٧٨ حـ ١ .

٢ – مسند الإمام أحمد ص ١٦٧ حـ ١ باسناد صحيح من حديث طويل .

٣ – المرجع السابق ص ٢١٣ و ١٩٧ حـ ١ باسناد صحيح .

٤ – مسند الامام أحمد ص ٣٧٨ حـ ١ باسناد صحيح ، ويظهر ان المقاعد مكان في المسجد كانوا يتوضؤون عنده ، وقد ورد ذكره في حديث رواية عثمان لوضوء الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ – عن عبد خير بن يزيد الخيواني الهمداني ، عن علي رضي الله عنه قال : كنت أرى باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما ، حتى رأيت رسول الله ﷺ يمسح ظاهرهما[١] .

٥ – وقال علي رضي الله عنه في القيام للجنازة : قد رأينا رسول الله ﷺ قام فقمنا ، وقعد فقعدنا[٢] .

٦ – جاءت امرأة إلى عبد الله بن مسعود فقالت : أُنبئت انك تنهى عن الواصلة ؟ قال : نعم ، فقالت : أشيء تجده في كتاب الله ام سمعته عن رسول الله ﷺ ؟ فقال : أجده في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ ، فقالت : والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول ، قال : فهل وجدت فيه « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ؟ قالت : نعم ، قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ نهى عن النامصة والواشرة ، والواصلة ، والواشمة إلا من داء[٣].

٧ – عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « من سره ان يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فان الله عزوجل شرع سنن الهدى لنبيه ، وإنهن من سنن الهدى ، وإني لا أحسب منكم أحداً إلا له مسجد يصلي فيه في بيته ، فلو صليتم في بيوتكم وتركتم مساجدكم لتركتم سنة نبيكم ﷺ ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم[٤] »

---

١ ـ مسند الإمام احمد ص ١٠٣ حديث ٧٣٧ و ٩١٧ ـ ٢ باسناد صحيح .

٢ ـ مسند الإمام احمد ص ٥٢ ـ ٢ باسناد صحيح .

٣ ـ النامصة : التي تنتف الشعر من وجهها . والواشرة : المرأة التي تحدد اسنانها وترقق أطرافها ، تفعله المرأة الكبيرة تتشبه بالشواب، والواصلة التي تصل شعرها بشعر آخر زور . انظر مسند الإمام أحمد ص ٢١ ـ ٦ حديث ٣٩٤٥ .

٤ ـ مسند الامام أحمد ص ١٦٦ ـ ٦ حديث ٤٣٥٥ . وهذا الحديث يؤكد أن معنى السنة ومفهومها قديم ومعروف منذ الصدر الاول .

٨ – وقيل لعبد الله بن عمر : لا نجد صلاة السفر في القرآن ؟ فقال ابن عمر : إن الله عزوجل بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً ، فإنما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل[١]. وفي رواية قال : وكنا ضلالاً فهدانا الله به ، فبه نقتدي[٢].

٩ – وكانوا لا يرضون ترك سنة كان عليها رسول الله ﷺ ولا يقبلون مع السنة رأي أحد مهما كان شأنه ومهما علت مكانته ، بل كانوا يغضبون غضباً شديداً وينكرون إنكاراً قوياً على من لا يستجيب لسنة سنها الرسول الأمين ، او لخلق تخلق به ، ولو كان من ينكرون ذلك عليهم ولدهم أو أقرب الناس إليهم ، فقد كانوا يرون الشرع ما أتى به الرسول ﷺ قرآناً كان ذلك او سنة .

من هذا ما رواه مالك بن عبد الله الزيادي عن ابي ذر : انه جاء يستأذن على عثمان بن عفان ، فأذن له وبيده عصاه ، فقال عثمان : يا كعب إن عبد الرحمن توفي وترك مالاً فما ترى فيه ؟ فقال : إن كان يصل فيه حق الله فلا بأس عليه ، فرفع ابو ذر عصاه فضرب كعباً وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما أُحب لو ان لي هذا الجبل ذهباً أُنفقه ويُتَقبَّلُ مني أذر خلفي منه ستٌ اواق » ، أُنشدكَ الله يا عثمان ، أسمعته ثلاث مرات ؟ قال : نعم[٣] .

١٠ – ومن ذلك أيضاً ما رواه سعيد بن جبير عن عبد الله بن مغفل أنه كان جالساً إلى جنبه ابن اخ له ، فخذف[٤] ، فنهاه وقال : إن

---

١ ـ مسند الامام أحمد ص٦٨حديث ٥٦٨٣ حـ ٨ و ص ٢٠٩ حديث ٥٣٣٣ حـ ٠٧

٢ ـ مسند الامام احمد ص ٧٧ حديث ٥٦٩٨ حـ ٨ .

٣ ـ مسند أحمد ص ٣٥٧ حـ ١ .

٤ ـ خذف من الخذف وهو ان يجعل الحصاة او النواة بين سبابتيه ويرمي بها .

رسول الله ﷺ نهى عنها وقال : « إنها لا تصيد صيداً ولا تنكي عدواً ، وانها تكسر السن ، وتفقأ العين » . قال : فعاد ابن اخيه يحذف ، فقال : أُحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنها ، ثم عدت تحذف ؟ إذاً لا أكلمك ابداً[1] .

١١ – روى ابو نضرة عن الصحابي الجليل عمران بن حصين : ان رجلاً اتاه فسأله عن شيء ، فحدثه ، فقال الرجل : حدثوا عن كتاب الله عزوجل ، ولا تحدثوا عن غيره فقال : إنك أمرؤ أحمق .. أتجد في كتاب الله صلاة الظهر أربعاً لايجهر فيها ، وعد الصلوات ، وعد الزكاة ونحوها ، ثم قال : أتجد هذا مفسراً في كتاب ؟ كتاب الله أحكم ذلك ، والسنة تفسر ذلك[2] .

١٢ – وعلى هذا كان جميع الصحابة ، ونهج التابعون واتباعهم والمسلمون من بعدهم سبيل الصحابة في المحافظة على السنة والعمل بها واجلالها قال رجل للتابعي الجليل مطرف بن عبد الله بن الشخير : لاتحدثونا إلا بالقرآن فقال مطرف : (والله مانريد بالقرآن بدلاً ، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا[3] ، وهو الرسول ﷺ الذي بين الكتاب الكريم ، وطبق تعاليمه ، وشرح مقاصده وغاياته ، وفصل أحكامه بسنته الطاهرة ، التي كانت ولا تزال قدوة المسلمين وسبيلهم ، ولذلك تمسكوا بها تمسكهم بالقرآن الكريم ، وحافظوا عليها محافظتهم عليه[4] .

---

١ – سنن ابن ماجه ص ٦ ح ١ .

٢ – كتاب العلم للمقدسي مخطوطة الظاهرية ص ٥١ ، وجامع بيان العلم وفضله ص ١٩١ ح ٢ .

٣ – جامع بيان العلم وفضله ص ١٩١ ح ٢ .

٤ – انظر مزيداً من هذه الاخبار في كتابنا السنة قبل التدوين ص ٨٠ – ٩١ .

٣ ـ منزلة السنة من القرآن الكريم :

لم يكن للأحكام في عهد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام مصدر سوى الكتاب والسنة ، ففي كتاب الله تعالى الأصول العامة للأحكام الشرعية ، دون التعرض إلى تفصيلها جميعها ، والتفريع عليها ، إلا ما كان منها متفقاً مع الأصول العامة ثابتاً بثبوتها لايتغير بمرور الزمن ولا يتطور باختلاف الناس في بيئاتهم واعرافهم ، كل هذا حتى يحقق القرآن الكريم النهضة الانسانية الشاملة ، والرقي الاجتماعي والفكري ، وينشر العدالة والسعادة ، في كل زمن ، ويبقى صالحاً لكل أمة مهما كانت بيئتها واعرافها ، فتجد فيه مايكفل حاجتها التشريعية في سبيل النهوض والتقدم، وإلى جانب هذه الأصول في القرآن الكريم نجد العقائد والعبادات ، وقصص الأمم الغابرة ، والآداب العامة والأخلاق .

وقد جاءت السنة في الجملة موافقة للقرآن الكريم ، تفسر مبهمه ، وتفصل مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتشرح أحكامه وأهدافه، كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم ، تتمشى مع قواعده ، وتحقق أهدافه وغاياته ، فكانت السنة تطبيقاً عملياً لما جاء به القرآن العظيم ، تطبيقاً يتخذ مظاهر مختلفة ، فحينا يكون عملاً صادراً عن الرسول ﷺ ، وحيناً آخر يكون قولاً يقوله في مناسبة ، وحيناً ثالثاً يكون تصرفاً أو قولاً من أصحابه ﷺ ، فيرى العمل أو يسمع القول ثم يقر هذا وذاك ، فلا يعترض عليه ولا ينكره ، بل يسكت عنه أو يستحسنه فيكون هذا منه تقريراً .

وقد أكدنا في مطلع هذا الفصل أن السنة بمنزلة القرآن الكريم من حيث إنها وحي ، ومن حيث إنها مصدر تشريعي يجب العمل بما فيها ،

وبينا أنها تلي القرآن الكريم بالمرتبة من حيث الاعتبار لأنها مبينة له ، كما قال الله عز وجل – مخاطباً الرسول الكريم – : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّلَ إليهم ولعلهم يتفكرون » [1] .

وبيان السنة للقرآن الكريم بحث أصولي ، له مكانه في علم أصول الفقه [2] ، ومع هذا فلا بد لنا من إيجاز القول فيه هنا ، لنأخذ فكرة عن بيان السنة للقرآن الكريم .

لقد بينت السنة القرآن من وجوه ، فبينت ماأجمل من عبادات وأحكام فقد فرض الله تعالى الصلاة على المؤمنين ، من غير أن يبين أوقاتها وأركانها وعدد ركعاتها ، فبين الرسول ﷺ هذا بصلاته وبتعليمه المسلمين كيفية الصلاة وبقوله عليه الصلاة والسلام : « صلوا كما رأيتموني أصلي » [3] . وفرض الحج من غير أن يبين مناسكه ، وقد بين الرسول الكريم ﷺ كيفيته ، وقال : « خذوا عني مناسككم » [4] . وفرض الله تعالى الزكاة من غير أن يبين ماتجب فيه من أموال وعروض وزوع ، كما لم يبين النصاب الذي تجب فيه الزكاة من كل ، فبينت السنة ذلك كله .

ومن بيان الرسول ﷺ للقرآن الكريم – تخصيص عامه ، من هذا ماورد في بيان قوله تعالى : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » [5] . فهذا حكم عام في وراثة الاولاد آباءهم وامهاتهم يثبت

---

١ – الآية ٤٤ : النحل وانظر ص ٣٣ و ٣٤ من هذا الكتاب .

٢ – انظر الرسالة للامام الشافعي ص ٩١ فقرة ٢٩٩ وما بعدها ، والموافقات ص ١٢ حـ ٤ وما بعدها ، والمدخل إلى علم أصول الفقه ٥٥ ، وأصول التشريع الاسلامي لعلي حسب الله ص ٤٠ وما بعدها ، والسنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ص ٤٢٦ ، وتاريخ التشريع الاسلامي للخضري ص ٢٣٥ وتاريخ التشريع الاسلامي للسبكي واخوانه ص ٦٦ ، وأسباب اختلاف الفقهاء ص ١١ ، والمدخل إلى السنة وعلومها ص ١٧ .

٣ – اخرجه البخاري في حديث طويل ، انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ص ١٢٥ – ١٢٦ حـ ١ .

٤ – صحيح مسلم ص ٩٤٣ حـ ٢ .

٥ – ١١ : النساء .

في كل أصل مورث ، وكل ولد وارث ، فخصصت السنة المُورَّث بغير الأنبياء ، بقوله ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء لانُوَرث ماتركناه صدقة » [1] ، وخصت الوارث بغير القاتل بقوله ﷺ « لايرث القاتل » [2].

ومن بيانه ﷺ تقييد مطلق القرآن كما في قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما » [3] فان قطع اليد لم يقيد في الآية بموضع خاص ، فتطلق اليد على الكف وعلى الساعد وعلى الذراع . ولكن السنة بينت هذا ، وقيدت القطع بأن يكون من الرسغ ، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ عندما « أتى بسارق فقطع يده من مفصل الكف » [4].

وتأتي سنة الرسول ﷺ **مثبتة ومؤكدة** لما جاء في القرآن الكريم، **أو مفرعة** على أصل تقرر فيه . ومن ذلك جميع الأحاديث التي تدل على وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج والصدقة وغير ذلك .

ومثال السنة التي وردت تفريعاً على أصل في الكتاب [5] منع بيع الثمار قبل بدو صلاحها . ففي القرآن الكريم قوله تعالى « لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » [6] .

فعندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وجد المزارعين يتبايعون ثمار الأشجار قبل أن يبدو صلاحها ، من غير أن يتمكن المشتري من

---

١ ـ فتح الباري ص ٢٨٩ حـ ٦ .

٢ ـ سنن الترمذي كتاب الفرائض الباب (١٧) وسنن ابن ماجه ص ٨٨٣ حـ ٢ .

٣ ـ ٣٨ : المائدة .

٤ ـ انظر سبل السلام ص ٢٧ و ٢٨ حـ ٤ ، وقد روى هذا الحديث من حديث عمرو بن شعيب واخرجه الدار قطني .

٥ ـ انظر المدخل إلى علم أصول الفقه ص ٥٦ .

٦ ـ ٢٩ : النساء .

معرفة كميتها وصلاحها ، فاذا حان جني الثمار كانت المفاجئات غير الطيبة كثيراً ماتثير النزاع بين المتعاقدين ، وذلك عندما يطرأ طارىء من برد شديد ، أو مُراض شجري يقضي على الزهر ، وينعدم معه الثمر . لذلك حرم رسول الله ﷺ هذا النوع من البيع ما لم يبد صلاح الثمر [1] ، ويتمكن المشتري من التثبت من تمام تكونها ، وقال : (أرأيت إذا منع الله الثمرة بم يأخذُ احدكم مال أخيه) [2] .

وفي السنة احكام لم ينص عليها الكتاب الكريم ، وليست بياناً له ، ولا تطبيقاً مؤكداً لما نص عليه كتحريم الحمر الاهلية ، وكل ذي ناب من السباع ، وتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها ، وأن لا يقتل مسلمٌ بكافر ، وجواز خيار الشرط ، وثبوت الشفعة ، وجواز الرهن في الحضر ، واحداد المتوفى عنها زوجها ، وهو زائد على ما في القرآن الكريم من العدة ، وغير ذلك [3] . وكل هذا سنة يجب اعتباره والعمل به ، وعلى هذا جميع من يعتد به من الامة الاسلامية في مختلف الأوطان والأزمان .

قال الإمام الشافعي : (وما سن رسول الله ﷺ فيما ليس لله فيه حكم فبحكم الله سنه ، وكذلك اخبرنا الله في قوله : « وانك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله » [4] وقد سن رسول الله مع

---

١ ـ انظر فتح الباري ص ٢٩٨ حـ ٥ كتاب البيوع باب بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها .

٢ ـ فتح الباري ص ٣٠٢ حـ ٥ .

٣ ـ انظر الموافقات ص ١٦ حـ ٤ ، واعلام الموقعين ص ٢٨٩ حـ ٢ .

٤ ـ قال تعالى : « وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الامور » (٥٢ و ٥٣/الشورى) .

كتاب الله ، وسن فيما ليس فيه بعينه نصُ كتاب . وكل ما سن فقد الزمنا الله اتباعَهُ ، وجعل في اتباعه طاعته، وفي العنود [1] عن اتباعها معصيته التي لم يَعذِر بها خلقا ، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله مخرجاً) [2] .

وقال ابن القيم : (فما كان منها زائداً على القرآن ، فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ ، تجب طاعته فيه ، ولا تحل معصيته ، وليس هذا تقديماً على كتاب الله ، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله ، ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع في هذا القسم لم يكن لطاعته معنى ، وسقطت طاعته المختصة به ، وإنه إذا لم تجب طاعته إلا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه لم يكن له طاعة خاصة تختص به ، وقد قال الله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ») [3] .

مما تقدم يتخلص لدينا : أن السنة مع القرآن الكريم على ثلاثة وجوه:

الاول : ما كان موافقاً للكتاب مؤيداً ومؤكداً ما جاء فيه ، كأحاديث الأمر بالصلاة والزكاة وتحريم الربا ونحوها .

الثاني : ما كان مبيناً ومفسراً لما جاء مجملا في القرآن الكريم ، فبينت السنة المراد منه ، كبيان كيفية الصلاة وعدد ركعاتها وأوقاتها ، وبيان شرط الفرع الوارث وغير ذلك .

الثالث : ما سن رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نص كتاب ، كتحريم أكل الحمر الأهلية [4] .

---

١ ـ العنود : بضم العين العتو والطغيان ، او الميل والانحراف .

٢ ـ الرسالة ص ٨٨ – ٨٩ . وقوله (وفي العنود عن اتباعها) أي اتباع السنن .

٣ – إعلام الموقعين ص ٢٨٩ ج ٢ . والآية هي الـ ٨٠ النساء .

٤ ـ الوجهان الاول والثاني متفق عليهما بالاجماع ، وأما الوجه الثالث فقد اختلف العلماء في توجيهه وتخريجه وتعليله ، ولهم اجتهادات وآراء في بيان ذلك . انظر تفصيل هذا في الرسالة ص ٩٢ ومابعدها ، وإعلام الموقعين ص٢٨٨ج ٢ وما بعدها . والموافقات ص ١٢ – ٤٨ ج ٤ .

الفصل الثالث

الحديث في العهد النبوي

آ – تمهيد :

قضى الرسول ﷺ ثلاثة وعشرين عاماً يدعو إلى الاسلام ، ويبلغ أحكامه وتعاليمه ، حتى دانت الجزيرة العربية وأطرافها لهذا الدين الحنيف ، وقد كانت هذه الفترة مرحلة تعليمية تطبيقية ، وأساساً متيناً لبنيان الحضارة الاسلامية الشامخ ، الذي غير وجه التاريخ وأمده بذخيرة حضارية في مختلف نواحي الحياة .

وتبليغ الرسالة وأداء الأمانة مهمة شاقة وخطيرة ، لا يضطلع بها الا أولو العزم من الرسل ، وقد اصطفى الله عز وجل محمداً ﷺ ورباه وعلمه بعنايته الالهية ، ليتمكن من حمل الرسالة وتبليغها ، فأعد اعداداً عظيماً ، من الناحية العلمية والخلقية ، لذلك كله كان صلوات الله عليه وسلامه يتمتع بصفات خلقية سامية ، ويتميز بشخصية تربوية عالية ، تتجلى فيها الآداب الكريمة ، التي تتدفق من خصاله الحميدة الكثيرة ، ويكفينا في ذلك كله شهادة الله عز وجل له اذ يقول : « وانك لعلى خلق عظيم » [1] .

---

١ – ٤ : القلم .

أما من الناحية العلمية فقد شرح الله صدره وعلمه ما لم يكن يعلم ، فبلغ ﷺ من العلم غاية لم يبلغها بشر سواه ، فكان المرجع الأول للمسلمين في أحكام القرآن وتعاليم الاسلام ، فعلم دقائق ذلك كله ، فحمله إلى الناس ، وبينه بسنته الطاهرة ، وهديه الكريم ، فكان الرائد الاول والمرشد الامين إلى الطريق القويم .

لقد اندفع الرسول ﷺ من صميم فؤاده ، وبجميع قواه في سبيل تبليغ رسالته ، وقد تحمل من أجل هذا صنوف الاذى ، وقاسى مختلف الصعاب ، وصبر الصبر الجميل لتدعيم أركان الحنيفية السمحة ، واضطهد كثيراً حتى غادر مسقط رأسه ، ومع هذا كان يرجو لقومه الهداية والرشاد ، فيطيب الله خاطره ، ويخفف عنه ، مبيناً أن هدايتهم بيده عز وجل ، فيقول : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين »[1] .

حتى إذا مارست دعائم الاسلام وقويت شوكته ، وقامت دولته كان الرسول عليه الصلاة والسلام ـ القائد الموجه ، والرئيس المشرف ، والفقيه المعلم ، والمفتي الصادق ، يمارس كل هذا بنفسه الصافية ، وروحه العالية مندفعا في أداء الامانة ، فقضى عمره داعيا الى الله معلما مرشدا ، متجاوبا على دعوته ورسالته ، محبا لأصحابه ، آخذا بأيديهم الى مافيه صلاحهم وهدايتهم ، يشاركهم آلامهم وأفراحهم ، وفي كل هذا كان خير من يقتدى به ، ويهتدى بسيرته في مختلف مظاهر الحياة ، وقد كان الاسوة الحسنة لأصحابه الذين خالطوه ورأوه وسمعوا منه ، وعرفوا عنه كل دقيق وجليل ـ وكل ذلك سنة ـ فنقلوه الينا باخلاص ودقة .

---

١ ـ ٥٦ : القصص .

ويجدر بنا هنا ونحن ندرس السنة في عهد الرسول ﷺ أن نعرف منهجه ﷺ في تعليم أصحابه ، وطرق تلقي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين — السنة عنه . لما لهذا من أثر بعيد في تثبيت السنة وحفظها .

ب — منهج الرسول ﷺ في تعليم أصحابه :

قبل أن نتكلم عن منهجه ﷺ لا بد لنا من أن نبين موقف الشريعة الإسلامية من التعليم . لما لهذا الموقف من أثر بعيد في إقبال المسلمين على حفظ القرآن والسنة والتفقه في الدين ، ولما له أيضاً من أثر طيب وعميق في حياة الحديث وحفظه وصيانته والاعتناء به في مختلف العصور .

مما لاشك فيه أن أول ما نزل الوحي على الرسول ﷺ نزل بآيات توجه النظر الانساني إلى التعلم ، وتطالبه بالقراءة ، فصدع بقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق .. »[1] .

وانا لنجد القرآن يدعو إلى التعلم ، ويحض على طلب العلم ، ويبين درجات العلماء ، ويخاطب العقلاء ، ويحضهم على التدبر في آيات الله تعالى وآلائه ، من ذلك قوله عز وجل : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »[2] .

ولسنا هنا بصدد احصاء آيات العلم والتعليم والعلماء في القرآن الكريم ، فان المقام لا يتسع لذلك ، وانما الغاية أن نعرف موقف الرسول ﷺ من العلم والحث على طلبه ، لما لهذا من صلة ببحثنا ، ولما له من أثر بعيد في حفظ « السنة » إلى جانب القرآن الكريم .

١ — فقد حض الرسول ﷺ على طلب العلم ، وبين منزلة العلماء

---

١ ـ العلق ١ : العلق .

٢ ـ ٩ : الزمر .

فقال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » [1] . وجعل طلب العلم الشرعي الذي يحتاج اليه كل مسلم ليقيم أمور دينه فريضة على كل مسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[2]. وغيرها من الاحاديث التي تحض على طلب العلم ، ولم يقتصر حضه ﷺ على طلب العلم الشرعي من خلال القرآن والسنة ، بل دعا إلى تعلم كل ما يعود على المسلمين بالخير [3] .

٢ – وكما حض الرسول على طلب العلم حض على تبليغه ، فحدث الرسول ﷺ في مواقف مختلفة ، وكان يقول : « ليبلغ الشاهد الغائب ربّ مبلغ أوعى من سامع [4] ، و « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه ، فربّ مبلّغ أحفظ له من سامع » [5] . وكان يأمر الوفود التي تفد إليه بأن يحملوا الاسلام إلى من خلفهم [6] .

فمن الناحية التطبيقية لم يترك الرسول ﷺ طريقة من طرق الاعلام والتبليغ في ذلك العصر الا استعملها في سبيل نشر الاسلام وتبليغه ، فأرسل الرسل ، وطيّر الكتب ووجه الأمراء والقضاة ، فكان خير مبلغ.

٣ – وبين الرسول ﷺ منزلة العلماء المعلمين « فقال : « العلماء ورثة الأنبياء » [7] . وحث على احترام العلماء ، فقال : « ليس من

---

١ ـ أخرجه الامام احمد بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه في مسنده ص ١٨٠ حديث ٧١٩٣ ج ١٢ .

٢ ـ اخرجه ابن ماجه بسنده عن أنس رضي الله عنه . سنن ابن ماجه ص : ٥ ج١.

٣ ـ انظر السنة قبل التدوين : ص ٣٨ و ٣٩ .

٤ ـ صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٢٣ ج ١ .

٥ ـ أخرجه الامام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في مسنده ص ٩٦ حديث ٤١٥٧ ج ٦ .

٦ ـ انظر فتح الباري ص ١٩٤ ج ١ .

٧ ـ انظر مجمع الزوائد ص ١٢١ ج ١ .

أمتي من لم يجلّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » [1] وأكد الرسول ﷺ ما للعالم من أجر عند الله عز وجل بقوله : «العالم والمتعلم شريكان في الأجر » [2] .

٤ – وكما بين الرسول عليه الصلاة والسلام منزلة العلماء بين منزلة طلاب العلم وما لهم من أجر في طلبه ، فقال : « من غدا الى المسجد لا يريد الا أن يتعلم خيراً ، أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته » ، [3] وقال ﷺ : « ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينةُ ، وغشيتهم الرحمةُ ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله عز وجل فيمن عنده ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » [4] .

٥ – ولم يكتف الرسول ﷺ بالحض على طلب العلم ، وعلى تبليغه ولم يكتف ببيان منزلة العلماء وطلاب العلم ، بل أوصى بطلاب العلم خيرا ورغب في تعليمهم والاحسان اليهم ، من هذا ما رواه أبو هارون العبدي قال : كنا اذا أتينا أبا سعيد الخدري قال : مرحبا بوصية رسول الله ﷺ . قال : قلنا : وما وصية رسول الله ﷺ ؟ قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « إنه سيأتي بعدي قوم يسألونكم الحديث عني فإذا جاؤوكم فألطفوا بهم ، وحدثوهم » [5] . وفي رواية : إنهم – أي

---

١ – مجمع الزوائد ص ١٢٧ جـ ١ .

٢ – جامع بيان العلم وفضله ص ٢٨ جـ ١ .

٣ – هكذا في الاصل (تاما حجته) انظر مجمع الزوائد ص ١٢٣ جـ ١ ، ورجاله ثقات.

٤ – مسند الامام احمد ص ١٦١ حديث ٧٤٢١ جـ ١٣ باسناد صحيح .

٥ – شرف أصحاب الحديث ص ٧٢ : آ .

طلاب العلم – سيأتونكم من أقطار الارض ، يتفقهون في الدين فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيرا [1] .

هكذا تبين لنا حرص الشريعة على العلم والتعليم ، وقد مارس الرسول ﷺ ذلك بنفسه ، وشجع على طلب العلم ، وأوصى بطلابه ، وبين ما للمشاركين فيه من أجر ، حتى بلغ التشجيع العلمي أوجه ، وفتح باب العلم لجميع طلابه ليس بينه وبينهم حاجز أو مانع .

بعد هذا نتكلم عن منهج الرسول ﷺ في تعليم أصحابه .

إن منهج الرسول ﷺ في تبليغ أصحابه وتعليمهم لا يتعدى منهج القرآن العظيم ، اذ كان الرسول الكريم مبلغا لكتاب الله تعالى ، مبينا أحكامه ، موضحا آياته ، وقد نزل القرآن منجما على محمد ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة ،والرسول الكريم يبلغ قومه ، ومن حوله ،ويفصل تعاليم الاسلام ، ويطبق أحكام القرآن ، فكان معلما وحاكماً وقاضياً ومفتياً وقائداً طيلة حياته عليه الصلاة والسلام ، فكل ما يتعلق بالأمة الاسلامية في جميع شؤونها ، دقيقها وعظيمها ، وكل ما يتناول الفرد والجماعة في مختلف نواحي حياتهم ، مما لم يرد في القرآن فهو من السنة ، العلمية أو القولية أو التقريرية ، ومن ثم نجد بين يدينا أحكاما وآدابا وعبادات وقربات شرعت وسنت وطبقت خلال ربع قرن ، فإذا ما نظرنا الى تلك الحقبة الفينا أنفسنا أمام مدرسة كبيرة جداً ، يشرف على توجيهها وتربية طلابها وتعليمهم **محمد** ﷺ ، موادها **القرآن والسنة** ، وطلابها الصحابة رضوان الله عليهم ، فكما أن القرآن الكريم لم ينزل

---

١ ـ سنن ابن ماجه ص ٥٦ ج ١ .

جملة واحدة ، كذلك لم توضع السنة دفعة واحدة [1] كمجموعة من الشرائع الوضعية ، أو الأحكام الخلقية ، التي يمليها بعض الحكماء والوعاظ وإنما شرعت لتربية الأمة الإسلامية دينياً واجتماعياً وخلقيا وسياسياً ، في السلم والحرب ، في الرخاء والعسر ، وتتناول النواحي العلمية والعملية. فلم يكن من السهل أن ينقلب الناس آنئذ فجأة ، ويتحولوا بين عشية وضحاها عن تعاليمهم القديمة ، وديانتهم وعاداتهم وتقاليدهم إلى الاسلام في عقائده وعباداته وتعاليمه ونظمه .

ويمكننا أن نلخص منهج الرسول ﷺ في تعليم أصحابه في النقاط الآتية :

١ — **التدرج في التعليم** :

لقد تدرج القرآن الكريم في انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة ومحاربة المنكرات التي كان عليها الناس في الجاهلية ، وثبت بالتدرج ايضاً العقائد الصحيحة ، والعبادات ، والأحكام ، ودعا إلى الآداب السامية والأخلاق الفاضلة ، وشجع الذين التفوا حول الرسول ﷺ على الصبر والثبات .

وفي هذا كله كان الرسول الكريم يبين القرآن ، ويفتي الناس ، ويفصل بين الخصوم ويقيم الحدود، ويطبق تعاليم القرآن ، وكل ذلك سنة.

---

١ - والسنة لم تكن قط نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للاسلام في القرنين الاول والثاني كما ادعى المستشرق « جولد تسيهر » ، الذي يرى أن الحديث النبوي ليس وثيقة للاسلام في عهده الاول ، ولكنه أثر من آثار جهود الاسلام في عصر النضوج . كما ذكر المستشرق « غاستون ويت » هذا الرأي لجولد تسيهر في مقالته عن الحديث في « التاريخ العام للديانات » ص ٣٦٦ ج ٤ بالفرنسية ، وذكر واضعوا دائرة المعارف الاسلامية قريباً من هذا القول عن جولد تسيهر في مادة « حديث » . نقلا عن كتابه « دراسات اسلامية » ، ويرى أن السنة من وضع المسلمين . وهذا الرأي غير صحيح ، ولا يقوم على دراسة علمية عميقة شاملة ، وقد ناقشناه وفندناه في كتابنا السنة قبل التدوين .

٢ ــ ميادين التعليم :

كان الرسول ﷺ قد اتخذ دار الأرقم بن عبد مناف بمكة مركزاً للدعوة إلى الإسلام حين كانت الدعوة سرية أول عهدها ، وكانت تسمى « دار الاسلام » فيلتف المسلمون الأوائل حول الرسول ﷺ بعيداً عن المشركين يتلون كتاب الله ، ويتعلمون مباديء الاسلام ، ويحفظون ما يتنزل على الرسول ﷺ من القرآن ، ثم ما لبث أن أصبح منزل الرسول ﷺ في مكة محط أنظار المسلمين ، ومعهدهم الذي يتلقون فيه القرآن الكريم ، وينهلون من الحديث الشريف على يدي رسول الله ﷺ .

وكان الصحابة يستظهرون آيات القرآن ، ويتدارسونها فيما بينهم ، في أي مكان يسنح لهم ، ليثبتوا ما سمعوا من الرسول ﷺ ، ويتذاكرون تفسيره ، وما تفسيره الاشرح رسول الله ﷺ وهو الحديث . فحفظ الحديث كان متمشيا جنباً إلى جنب مع حفظ القرآن الكريم من الأيام الأولى لظهور الإسلام ، وسيتضح هذا أيضاً من خلال البحث .

ثم أصبح المسجد فيما بعد ــ المكان المعهود للعلم والفتوى والقضاء ، إلى جانب العبادات ، وعرض الأمور العامة على المسلمين .

ومع هذا لم تكن ميادين التعليم محصورة في مجال معين ، فلم يقتصر تبليغ الرسول ﷺ على مكان محدود ، ولا على مناسبة معينة ، فقد كان يستفتى في الطريق فيفتي ، ويسأل في المناسبات المختلفة فيجيب ، يبلغ الإسلام في كل فرصه تسنح له ، وفي كل مكان يتسع لذلك . وإلى جانب هذا كانت له مجالس علمية كثيرة يتعهد فيها أصحابه بالموعظة ، فكان اذاجلس جلس إليه أصحابه حلقا حلقا [1]، وعن أنس رضي الله عنه :

---

١ ـ انظر مجمع الزوائد ، ص ١٣٢ ج ١ .

إنما كانوا اذا صلوا الغداة قعدوا حلقا حلقا ، يقرؤون القرآن ،ويتعلمون الفرائض والسنن [1] ، ومن تاريخ الصحابة وحياتهم العلمية نعلم أن الرسول الكريم لم يكن يضن على مسلم بالعلم ، وأنه كان يكثر مجالسة أصحابه يعلمهم ويزكيهم .

٣ – حسن التربية والتعليم :

كان الرسول ﷺ مثال المربي المخلص ، والمعلم المرشد ، وكيف لا يكون كذلك وقد بعثه الله عز وجل ليتمم مكارم الاخلاق ؟ فقد كان يعامل المسلمين جميعا معاملة طيبة كريمة ، فكان لهم أخـــا متواضعاً ، ومعلماً حليماً ، بل كان أباً رحيما ، فإذا ما أراد أن يعلم أصحابه بعض الآداب خاطبهم ألين الخطاب وأحبه إلى نفس المخاطب ، فيقول مثلًا : « انما أنا لكم مثل الوالد اذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها » [2].

وكان اذا تكلم الرسول ﷺ أحسن البيان ، وفصل القول وربما أعاده أكثر من مرة ، فيحفظه من يسمعه ؛ عن السيدة عائشة أنه ﷺ كان لا يسرد الكلام كسردكم ، ولكن كان اذا تكلم تكلم بكلام فصل يحفظه من سمعه [3] ، وفي رواية إنما كان يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه [4] . فكان يبين للناس الأحكام جيداً حتى لا يبقى لسامع سؤال ، ولا لسائل مشكل يقف عنده ، حتى إنه كان يجيب السائل بأكثر مما سأله [5] .

---

١ - انظر مجمع الزوائد : ص ١٣٢ جـ ١ .

٢ - مسند الامام احمد ص ١٠٠ حديث ٧٣٦٢ جـ ٣ ، ونحوه في فتح الباري ص ٢٥٥ جـ ١ .

٣ - انظر الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ٩٦ : ب ، وفتح الباري ص ٣٩٠ جـ ٧ .

٤ - فتح الباري ص ٢٨٩ جـ ٧ .

٥ - انظر فتح الباري ص ٢٤١ جـ ١ .

٤ ـ التنويع والتغيير :

عن عبد الله بن مسعود قال: « كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السآمة علينا » (١) ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يخشى أن يمل أصحابه فيتخولهم بالموعظة بين وقت وآخر ، لأن الاستمرار في التعليم والتوجيه يدخل الملل إلى النفوس ، فتقل الفائدة ، فمن الحكمة سلوك هذا السبيل في التعليم ، وهو الطريق الذي تعتمده اليوم المؤسسات التربوية في مناهجها التعليمية ، وهي خير طريقة لتثبيت مايتلقاه الطالب من المعلومات .

٥ ـ التطبيق العملي :

كان الرسول ﷺ يعلم الصحابة القرآن الكريم ، آيات معدودات ، يبينها لهم : فيتفهمون معناها ، ويتعلمون فقهها ، ويطبقونه على أنفسهم ثم يحفظون غيرها ، وفي هذا يقول أبو عبد الرحمن السلمي : (حدثنا الذين كان يقرئوننا القرآن ـ كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود وغيرهما ـ أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات ، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ... قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً) (٢) .

وروى الاعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود قال :

---

١ ـ فتح الباري : ص١٧٢ و ١٧٣ج ١ ، وقارن بمسند الامام احمد ص٢٠٢ ج ٥ .

٢ ـ مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٦ . وابو عبد الرحمن السلمي هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة ، أحد كبار التابعين ، الذين سمعوا عثمان وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم رضي الله عنهم ، توفي سنة (٧٢ هـ) ، وقال البخاري : وفاته بين سنتي (٧٠ و ٨٠) . انظر طبقات ابن سعد ص١١٩ ج ٦ ، وتهذيب التهذيب ص ١٨٣ ج ٥ .

(كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن) [1] .

واكثر من هذا فان بعضهم كان يقيم عند الرسول ﷺ يتعلم احكام الاسلام وعباداته ثم يعود إلى أهله وقومه يعلمهم ويفقههم ، من هذا ما أخرجه الامام البخاري عن مالك بن الحويرث قال : « أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظنّ أنا اشتقنا أهلنا ، وسألنا عمن تركنا في أهلنا ، فأخبرناه ، وكان رفيقاً رحيماً ، فقال : « ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم ، وصلوا كما رأيتموني أصلي ، وإذا حضرت الصلاة فليؤذّن لكم أحدكم ، ثم ليؤمّكم أكبركم » [2] .

مثل هذه الأخبار تبين لنا جانباً عملياً من تطبيق احكام الشريعة وتعاليمها ، ومن المسلم به أنه اذا رافق العلم التطبيق العملي كان أجدى فائدة ، وأقوى رسوخاً ، واشد ثبوتاً في النفوس ، فما ظننا بصحابة رسول الله ﷺ وهم يتلقون كل هذا بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام ويطبقونه ؟ . ما أجمل هذا التعليم وما أطيبه ، ان مثل هذه الحوادث وما فيها من تعاليم وأحكام وآداب سيذكرها أصحابها ومن يسمع بها ما دامت فيهم نبضة عرق ، أو خفقة قلب .

٦ – مراعاة المستويات المختلفة :

كان الرسول ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم ، فان الكلام الذي لا يبلغ عقول السامعين ولا يفهمونه قد يكون فتنة لهم ، فيأتي بغير المقصود منه .

---

١ - مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية : ص ٤٤ .

٢ - صحيح البخاري بحاشيته السندي : ص ٥٢ ج ٤ .

لقد كان الرسول الكريم يخاطب حضوره بما يدركون ، فيفهم البدوي الجافي بما يناسب جفاءه وقسوته ، ويفهم الحضري بما يلائم حياته وبيئته، كما انه كان يراعي تفاوت المدارك ، وانتباه أصحابه وقدرهم الفطرية والمكتسبة ، فتكفي منه الاشارة إلى الالمعي الذكي ، واللمحة العابرة إلى الحافظ المجيد ، من ذلك : ما رواه أبو هريرة قال : « جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال : « ان امرأتي ولدت غلاماً أسود وانى أنكرته ، فقال له النبي ﷺ : هل لك من ابل » ؟ قال : نعم . قال : « فما ألوانها » ؟ قال : حمر . قال : « هل لك فيها من أورق » ؟ قال : ان فيها لورقاً . قال : « فأنى أتاها ذلك » ؟ قال : عسى أن يكون نَزَعَه عِرقٌ. قال : « وهذا عسى أن يكون نزعه عرق »[1].

لقد كانت الوسيلة الوحيدة لاقناعه بصحة ما أنكره — أن يقيس ذلك على ما اعتاده من حياته العملية وبيئته .

وقد كان يخاطب الاحاسيس والعواطف كما كان يخاطب العقول ، ويحرك المشاعر الانسانية ويهزها كما كان يوقظ النفوس من غفواتها ، ويعالج الامور بحكمة وأناة ، فيضع البلسم الشافي حيث ينبغي أن يوضع .

من ذلك مارواه أبو امامة الباهلي : أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ائذن لي في الزنا ، فأقبل القوم وزجروه فقالوا : مه مه .. فقال : أُدنه فدنا منه قريباً . فقال « أتحبه لأمك » ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال :« ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » قال : « أفتحبه لابنتك » ؟ قال : لا والله يارسول الله جعلني الله فداك . قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » — ثم ذكر له رسول الله أخته وعمته

---

١ ـ انظر صحيح مسلم : ص ١١٣٧ من الحديثين ١٨ و ٢٠ ج ٢ ، والاورق الذي فيه سواد ليس بصاف ، والمراد بالعرق هنا الاصل من النسب .

وخالته ، وفي كل ذلك يقول الفتى مقالته . « لا والله يارسول الله جعلني الله فداك » — قال : فوضع يده عليه وقال: « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه، وحصّن فرجه » . قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شيء .(١)

لقد اتبع رسول الله ﷺ اسلوبا جعل الفتى يدرك أثر الزنا في المجتمع ، وكيف أن الناس جميعاً لايرضونه لأنفسهم وأهليهم ، كما أنه لايرضاه هو لذويه ، مما حمله على الاقتناع بالاقلاع عنه ، وخير الامور ما كان الدافع اليه من قرارة النفس .

٧ — التيسير وعدم التشديد :

سعى الرسول ﷺ لنشر الاسلام وتبليغه سعياً حثيثاً ، وسلك في ذلك أسهل السبل وأبسطها ، واجتهد في تعليم المسلمين أحكام دينهم بأيسر الطرق وأقربها الى النفوس ، فكان يتغيّا التيسير في جميع أموره ، وينهى عن التشديد والتعقيد ، يريد من المسلمين أن يأتوا الرخص كما يأتون بالعزائم وكثيراً ما كان ينهى عن التنطع في العبادة ، والتضييق في الاحكام ، ولا بعد في ذلك كله ، فإنه ناطق بلسان الشريعة السمحة الميسرة . ويتجلى لنا هذا الجانب من منهجه في تتبع سيرته ﷺ ويظهر لنا مع هذا حلمه تارة ، وحبه لأمته تارة اخرى ، وغضبه للحق حيناً ونهيه عن التعقيد أحيانا .

من هذا مارواه أبو هريرة رضي الله عنه . قال : « دخل أعرابي المسجد فصلى ركعتين ، ثم قال : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا . . فالتفت النبي ﷺ (اليه) ، فقال : « لقد تحجرت واسعاً » . . ، ثم لم يلبث أن بال في المسجد . . فأسرع الناس اليه ، فقال

---

١ - انظر مجمع الزوائد : ص ١٢٩ ج ١ .

لهم رسول الله ﷺ : « انما بعثتم ميسّرين ، ولم تبعثوا معسّرين ، أهريقوا عليه دلواً من ماء أو سَجْلاً من ماء » [1] .

وكان يدعو الى التيسير دائماً ، فعن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال : « علموا ويسروا ولا تعسّروا ، واذا غضب أحدكم فليسكت »[2] وعن أنس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال « يسّروا ولا تعسروا وبشّروا ولا تنفروا » [3] .

ولكل هذا كان الرسول ﷺ يحض أصحابه على تفهم أمور دينهم ، ويأمرهم أن يسألوا عما يجهلونه ، وينعهم أن يفتوا من غير علم ، ويظهر لنا هذا فيما رواه عبد الله بن عباس : ان رجلا أصابه جرح في عهد الرسول ﷺ ، قد أصابه احتلام ، فأُمر بالاغتسال فمات ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « قتلوه .. قتلهم الله .. ألم يكن شفـــاء العيّ السؤال ؟ » [4] .

---

١ ـ القسم الثاني من هذا الحديث وهو « بول الاعرابي في المسجد » ذكره البخاري عن انس وعن أبي هريرة . انظر فتح الباري : ص ٣٣٥ و ٣٣٦ ج ١ ، وقصة الدعاء في موضع آخر . والحديث الذي ذكرناه أخرجه الامام أحمد باسناد صحيح في مسنده ص٢٤٤ حديث ٧٢٥٤ ج ١٢ و ص٢٠٩ حديث ٧٧٨٦ ج ١٤ . قوله صلى الله عليه وسلم « تحجرت واسعاً » أي ضيقت ما وسعه الله ، يقال حجرت الارض واحتجرتها إذا ضربت عليها مناراً تمنعها به عن غيرك .

٢ ـ مسند الامام أحمد ص ١٢ حديث ٢١٣٦ وص ١٩١ حديث ٢٥٥٦ ج ٢ .

٣ ـ صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٢٤ ج ١ .

٤ ـ مسند الامام احمد ص ٢٢ حديث ٣٠٥٧ ج ٥ . وأخرج أبو داود بسنده عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ، ثم احتلم ، فسأل اصحابه فقال : هل تجدون لي رخصة في التيمم ؟ فقالوا : مانجد لك رخصة وانت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم واخبر بذلك فقال: « قتلوه قتلهم الله ، ألا سألوا إذا لم يعلموا ، فإنما شفاء العي السؤال. انما كان يكفيه أن يتيمم .. ويعصب .. على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل جسده» سنن أبي داود ص ٨٢ ج ١ .

٨ تعليم النساء :

وكما اعتنى الرسول ﷺ بتعليم الرجال اعتنى بتعليم النساء، فقد جاءه نسوة ، فقلن : يارسول الله ما نقدر عليك في مجلسك من الرجال ، فواعدنا منك يوماً نأتيك فيه ، قال : « موعدكن بيت فلان » ، وأتاهن في ذلك اليوم ولذلك الموعد وعلمهن [١] .

وكان النساء يسألن الرسول ﷺ فيجيبهن عن أمور دينهن ، ولم يكن ذلك صدفة أو نادراً بل خصص لهن أوقاتاً خاصة يجلسن فيها اليه ويتلقين عنه تعاليم الاسلام ، ويفتيهن ، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : (نعم النساء نساء الانصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) [٢] .

وبهذا عرفت المرأة المسلمة طريق النور إلى الحياة العلمية الكريمة ، التي هيأتها لها شريعة الاسلام ، فغدت بهذا مثال المرأة التي كتب لها الخلود ، ولم تأت المرأة المسلمة بعد ذلك العصر بدعاً في تعلمها ، فقد كان لها بأمهات المؤمنين وبالصحابيات الكريمات — رضي الله عنهن جميعاً — خير أسوة ، وهكذا ساهم المسلمون رجالهم ونساؤهم في الحياة العلمية ، وفي الحضارة الاسلامية والانسانية ، يوم كان الظلام يخيم على العالم ، وحين كانت المرأة خادمة الارض رقيقة السادة في أوربا .

هكذا أقبل الرسول ﷺ على تبليغ الدعوة ، وعلى تعليم المسلمين ، بروحه الطيبة ، ونفسه السامية ، وصدره الرحب ، بمنهج تربوي صحيح ، فتعلم الصحابة والمسلمون عامة أحكام الاسلام وتعاليمه وآدابه ، ولم يكن

---

١ ـ انظر مسند الامام أحمد : ص ٨٥ حديث ٧٣٥١ جـ ١٣ ، وفتح الباري ص ٢٠٦ جـ ١ .

٢ ـ فتح الباري ص ٢٣٩ جـ ١ .

بين الرسول الكريم والمسلمين حاجب كالملوك والقياصرة ، بل كان المسجد معهده يعلم فيه المسلمين الشريعة ، وقد يرونه في الطريق فيسألونه ، فيبش لهم ويجيبهم ، وقد يعترضونه في مناسكه وحجه ، أو على راحلته يستفتونه فيفتيهم [1] . والابتسامة لا تفارق ثغره ، وقد تكون اجابته لسائل عن مسألة وحوله قليل أو كثير ، فينقل السامعون ماسمعوه الى اخوانهم وذويهم ، وقد يكون على منبر مسجده يبلغ الناس الاسلام وتعاليمه ويفصل الاحكام ويشرحها ..

من كل ما سبق يتبين لنا أن منهج الرسول ﷺ كان كفيلاً بأن يحقق ما أراده الرسول ﷺ من تعليم أصحابه وتربيتهم وتطبيق أحكام الشريعة ، وكفيلا بأن يثبت تلك الاحكام والتعاليم في نفوسهم .

حـ ـ كيف تلقى الصحابة السنة عن الرسول ﷺ ؟

ما كاد الايمان يخالط قلوب المسلمين صحابة رسول الله ﷺ وينير سبيلهم ـ حتى عرفوا عظمة الاسلام ، فانكبوا ينهلون من القرآن الكريم : ذلك المعين الذي لاينضب ، بعد أن رأوا فيه المعجزة الكبرى ، والهداية العظمى ، وامتلأت قلوبهم حباً لله ورسوله ، فتفانوا في الدفاع عن مبادئهم وحماية قائدهم ومعلمهم ، حتى إن الرجل منهم ليفديه بماله ودمه وولده ، لقد تحولت جميع قواهم الفطرية ، وفضائلهم الطبعية ، وحيوياتهم الدائمة ، وتضافرت للمحافظة على الاسلام ونشره ، وإن التاريخ ليحفظ لنا تلك المفاخر الخالدة من التضحيات العظيمة النادرة .. [2] وبهذه الروح السامية والحيوية الدائمة أقدموا على تلقي العلم عن الرسول ﷺ .

---

١ ـ راجع مسند الامام احمد ص ١٧ حديث ٥٦٢ جـ ٢ ، وفتح الباري ص ١٩١ و ٢٣٣ جـ ١ .

٢ ـ انظر السنة قبل التدوين : ص ٩ ـ ١٤ ، و ص ٥٧ .

ويمكننا أن نوجز طرق تلقي الصحـــابة السنة عن الرسول ﷺ فيما يلي :

١ – مجالس الرسول ﷺ :

كانت جميع مجالس الرسول ﷺ مجـالس علم وفائدة ، وكان قـد خصص الرسول ﷺ – كما أسلفنا – أوقاتا معينة لتعليم أصحابه ، وكان الصحابة يحرصون على حضور هذه المجـالس حرصاً شـديداً ، إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من رعاية وتجارة وغيرها ، وقد يعسر على بعضهم الحضور فيتناوبون مجالسه عليه الصلاة والسلام ، كما كان يفعل ذلك عمر رضي الله عنه ، قال : (كنت أنا وجار لي من الانصار في بني أميـة ابن زيد ، وهي من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ، ينزل يوماً ، وأنزل يوماً ، فاذا نزلت جئته بخـبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك [١] .

وكان الصحابة يتذاكرون دائمـاً ما يسمعون من رسول الله ﷺ ، قال أنس بن مالك : كنا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديث ، فاذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه [٢] .

وإلى جانب هذا كان بعضهم يعمد إلى حفظ الحديث وتكراره بينه وبين نفسه ، من هذا ما رواه الخطيب البغـدادي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : (جزأت الليل ثلاثة أجزاء : ثلثا أصلي ، وثلثـا أنام ، وثلثاً أذكر فيه حديث رسول الله ﷺ) [٣] .

---

١ - فتح الباري : ص ١٩٥ جـ ١ .

٢ - الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع : ص ٤٦ : ب .

٣ - الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع : ص ١٨٠ – ١٨١ ، وانظر ســنن الدارمي ص ٨٢ جـ ١ و « أبو هريرة رواية الاسلام » ص ١٤٨ .

٢ ـ **حوادث تقع للرسول نفسه** ، فيبين حكمها ، وينتشر هذا الحكم بين المسلمين بمن سمعوه منه ، وقد يكون هؤلاء كثرة تمكنهم كثرتهم من اذاعة الخبر بسرعة . وقد يكونون قلة فيبعث الرسول ﷺ من ينادي في الناس بذلك الحكم .

مثال هذا مارواه أبو هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ ، مرّ برجل يبيع طعاماً فسأله كيف تبيع فأخبره ، فأوحي اليه أدخل يدك فيه ، فأدخل يده ، فاذا هو مبلول ، فقال رسول الله ﷺ « ليس منا من غشّ » [١] .

وقد يرى الرسول ﷺ أو يسمع صحابياً يخطىء ، فيصحح له له خطأه ويرشده إلى الصواب [٢] .

٣ ـ **حوادث كانت تقع للمسلمين** ، فيسألون الرسول عنها ، فيفتيهم ويجيبهم ، مبيناً حكم ما سألوه عنه ، من هذه الحوادث ما يتناول خصوصيات السائل نفسه ، ومنها ما يتعلق بغيره ، وجميعها من الوقائع التي تعرض للانسان في حياته ، فنرى الصحابة لا يخجلون في ذلك كله ، بل يسرعون إلى الرسول ﷺ ، ليقفوا على حقيقة تطمئن قلوبهم إليها ، وتثلج صدورهم عندها ، وقد يخجل صحابي من رسول الله ﷺ فيكلف غيره عبء السؤال [٣] .

---

١ ـ مسند الامام احمد : ص ١٨ حديث ٧٢٩٠ ج ١٣ باسناد صحيح .

٢ ـ انظر مسند الامام احمد : ص ٢١٤ حديث ١٢٤ ج ١ ، و ص ٢٤٢ ج ١ منه أيضاً .

٣ ـ من هذا قول الامام علي رضي الله عنه : (كنت رجلا مذاء ، فكنت استحي أن اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكان ابنته ، فأمرت المقداد بن الاسود . فسأله فقال : « يغسل ذكره ويتوضأ » . انظر فتح الباري : ص ٢٩٤ ج ١ وصحيح مسلم ص ٢٤٧ ج ١ ومسند الامام أحمد ص ٣٩ و ٤٦ ج ٢ .

وكان المسلمون يسألونه عن أمورهم وأحوالهم ، لا يحجبهم عنه حاجب ، ولا يمنعهم منه مانع ، لذلك نرى الاعرابي البعيد عنه يسأله كما يسأله الصحابي الملازم له ، كلهم يريدون الحق[1] إن هؤلاء الصحابة الذين يسألون الرسول ﷺ في خصوصياتهم وأمور ذويهم ، كانوا لا يحجبون عن سؤاله في معاملاتهم وعباداتهم وعقائدهم وسائر امورهم ، بل إن بعضهم كان إذا وصله خبر عن رسول الله ﷺ يعود اليه لينهل من معينه ويتزود من علمه[2] .

وقد كانت السيدة عائشة أم المؤمنين لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه الرسول ﷺ حتى تعرفه [3] ، وكذلك كان يفعل كثير من المسلمين والمسلمات[4] .

وقد يختصم اثنان في قضية أو يختلفان في حكم ، فيرجعان الى رسول

---

١ ـ انظر نماذج لذلك في كتابنا السنة قبل التدوين ص ٦٢ و ٦٣ .

٢ ـ من هذا ما حدث لضمام بن ثعلبة وقومه حين جاءهم رسول رسول الله يبلغهم الرسالة، فانطلق ضمام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حوله اصحابه فدخل المسجد على جمل ، قال انس بن مالك : « .. فأناخه في المسجد ، ثم عقله ، ثم قال لهم : أيكم محمد ؟ والنبي متكىء بين ظهرانيهم . فقلنا هذا الرجل الابيض المتكىء فقال له الرجل «ضمام» : ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : قد أجبتك . فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم : اني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك . فقال : سل عما بدا لك . قال : أسألك بربك ورب من قبلك ، آلله ارسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم . قال : انشدك بالله، آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال: اللهم نعم . قال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : اللهم نعم . قال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم نعم فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول مَنْ ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة اخو بني سعد بن بكر » . فتح الباري ص ١٥٩ حـ ١ .

٣ ـ انظر فتح الباري ص ٢٠٧ حـ ١

٤ ـ انظر الرسالة ص ٤ ؛ فقرة ١١٠٩ .

الله ﷺ ليفصل بينهما ويبين وجه الصواب[1] .

إن هذه الأجوبة والفتاوى والأقضية مادة كثيرة في مختلف أبواب كتب السنة ، حتى إنها تؤلف جانباً كبيراً من سنة رسول الله ﷺ ، ويبعد أن ينسى هذه الحوادث من وقعت له وسأل عنها الرسول ﷺ ، لأنها جزء من حياة السائل ، بل واقعة بارزة من وقائع عمره .

٤ ـ **وقائع وحوادث شاهد فيها الصحابة تصرفات الرسول ﷺ ،** وهذه كثيرة جداً : في صلاته وصيامه وحجه وسفره واقامته . . . فنقلوها إلى التابعين الذين بلغوها إلى من بعدهم ، وهي تؤلف جانباً كبيراً من السنة ، وخاصة هديه ﷺ في العبادات والمعاملات وسيرته ، من هذا ما رواه عبد الله بن عمر أنه : رأى رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة[2] . ومن ذلك ما رواه علي بن أبي طالب فقال : كان آخر كلام رسول الله ﷺ : « الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم »[3] .

بعد هذا العرض يمكننا أن نقول ـ ونحن واثقون مطمئنون ـ : **ان السنة في عهد الرسول ﷺ كانت محفوظة عند الصحابة جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم ،** وإن كان نصيب كل صحابي منها يختلف عن نصيب الآخر ، فمنهم المكثر من حفظها ، ومنهم المقل ، ومنهم المتوسط في ذلك ، **ومن ثم نؤكد أنهم قد أحاطوا بالسنة وحفظوها على أحسن وجه ، وتكفلوا بنقلها إلى التابعين .**

---

١ ـ ومثاله اختلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم في القراءة ورجوعها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حيث بين انها على صواب وقال : « ان هذا القرآن أنزل على سبعة احرف ، فاقرؤوا ماتيسر» انظر مسند الامام أحمد ص ٢٧٤ حـ ١ حديث ٢٧٧.

٢ ـ مسند الامام أحمد ص ٢٤٧ ، حديث ٤٥٣٩ حـ ٦ ؛

٣ ـ مسند الامام احمد ص ٢٩ حـ ٢ .

ولا يتصور أن يفوت الصحابة جميعاً شيء من السنة بعد أن رأينا مدى عنايتهم بها ، وحرصهم عليها ، ومنهج الرسول في تعليمهم ، وطرق تلقيهم لها ، لا يتصور أن يفوتهم جميعاً شيء من سننه ﷺ ، وهم الذين لازموه نيفاً وعشرين سنة قبل الهجرة وبعدها ، فحفظوا عنه أقواله وأفعاله ، (ونومه ويقظته ، وحركته وسكونه ، وقيامه وقعوده ، واجتهاده وعبادته ، وسيرته وسراياه ومغازيه ، ومزاحه وزجره ، وخطبه وأكله وشربه ؛ ومعاملته اهله ، وتأديبه فرسه ، وكتبه إلى المسلمين والمشركين ، وعهوده ومواثيقه ، وألحاظه وانفاسه وصفاته ، هذا سوى ماحفظوا عنه من احكام الشريعة ، وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام ، أو تحاكموا فيه اليه)[1] . ونقل أهل الحديث كل هذا بدقة وأمانة[2].

د ـ انتشار الحديث في عهد الرسول ﷺ :

انتشرت السنة مع القرآن الكريم منذ الأيام الأولى للدعوة ، يوم

---

١ ـ المدخل إلى كتاب الاكليل في اصول الحديث ص ٧ ـ ٨ .

٢ ـ قال القاضي أبو محمد عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي في وصف أهل الحديث (... هم الذين حفظوا على الامة هذا الدين ، واخبروا عن أنباء التنزيل ، واثبتوا ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وما عظمه الله عز وجل به من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فنقلوا شرائعه ، ودونوا مشاهده ،وصنفوا اعلامه ودلائله ، وحققوا مناقب عترته ، ومآثر آبائه وعشيرته ، وجاؤوا بسير الانبياء ، ومقامات الاولياء ، واخبار الشهداء والصديقين ، وعبروا عن جميع فعل النبي صلى الله عليه وسلم، في سفره وحضره، وظعنه واقامته ، وسائر أحواله ، من منام ويقظة ، واشارة وتصريح ، وصمت ونطق ، ونهوض وقعود ، ومأكل ومشرب ، وملبس ومركب ، وما كان سبيله في حال الرضا والسخط ، والانكار والقبول ، حتى القلامة من ظفره ما كان يصنع بها ، والنخاعة من فيه أين كانت وجهتها، وما كان يقوله عند كل فعل يحدثه ، ويفعله عند كل موقف ومشهد يشهده ، تعظيماً له صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة بأقدار ماذكر عنه ، واسند اليه) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص ١ ف ١ .

كان المسلمون قلة يجتمعون سراً في (دار الاسلام) ، دار الأرقم بن عبد مناف ، يتلقون تعاليم الدين ويقرؤون القرآن ، ويؤدون العبادات ، وما لبث الرسول ﷺ أن صدع بأمر الله عزوجل ، وكثر المسلمون ، وعم الاسلام الجزيرة العربية ، وكان الرسول الكريم في جميع مراحل الدعوة يبلغ الناس ، ويفتيهم ويقضي بينهم ، ويخطبهم ويسوسهم في السلم والحرب ، وفي الشدة والرخاء ، ويعلمهم فيحفظون الأحكام ويطبقونها ، وقد تضافرت عوامل عدة تكفلت بنشر السنة في الآفاق ، منها :

١ ــ نشاط الرسول عليه الصلاة والسلام ، وجده في تبليغ دعوته ونشر الاسلام ، فلم يترك وسيلة للدعوة إلا استفاد منها ، ولا سبيلاً إلا سلكها[1] ، فعرض نفسه على القبائل ، وتحمل الصعاب وصنوف الأذى ، واتصل بوفود المواسم وعرض عليهم الاسلام .. فلم يأل جهداً في تبليغ الرسالة .. حتى عز الاسلام وقويت دولته .. وفي جميع تلك التطورات كانت السنة تأخذ مكانها في نفوس المسلمين .

٢ ــ طبيعة الاسلام ونظامه الجديد ، الذي جعل الناس يتساءلون عن أحكامه ، وعن رسوله واهدافه ، فكان بعض من يسمع بالدعوة يقبل على رسول الله ﷺ يسأله عن الاسلام فيعلن إسلامه ، وينطلق إلى قومه ليبلغهم ما رأى ويخبرهم ما سمع .

٣ ــ نشاط اصحاب الرسول ﷺ ، واندفاعهم في طلب العلم وحفظه وتبليغه ، وسبق لنا أن تكلمنا مفصلاً عن نشاط الصحابة العلمي حين تناولنا طرق تلقي الصحابة السنة عن الرسول ﷺ .

---

١ ـ راجع منهجه صلى الله عليه وسلم في تعليم المسلمين من هذا الفصل ص ٣٥ وما بعدها .

٤ – أمهات المؤمنين رضي الله عنهن :

كان لأمهات المؤمنين فضل عظيم في تبليغ الدين ونشر السنة بين نساء المسلمين ، فقد كان بعض النساء يخجلن من أن يسألن رسول الله ﷺ عن أمورهن ، فيجدن عند ازواجه ما يشفي غليلهن ، لأنهن على صلة دائمة به ، يتعلمن منه الاحكام ، وينقلن عنه ما لا يتاح لغيرهن نقله ، وقد اشتهرت السيدة عائشة رضي الله عنها بعلمها الغزير ، وحرصها على فهم الاحكام ، فعن ابن ابي مليكه[1] « أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وأن النبي ﷺ قال : « من حوسب عُذّب » ، قالت السيدة عائشة : فقلتُ : أو ليس يقول الله تعالى « فسوف يحاسب حساباً يسيراً » قالت : فقال : « إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يَهلَك[2] » .

وقد عرف المسلمون سمو مكانتها وتعمقها في احكام الاسلام ، فكانت – بعد وفاته ﷺ – محط انظار طلاب العلم والمستفتين ومرجعهم في كثير من امور دينهم .

٥ – الصحابيات :

كان للنساء أثر عظيم في حفظ السنة وتبليغها لايقل عن أثر الصحابة رضي الله عنهم ، وقد رأينا حرصهن على حضور مجالس الرسول ﷺ ، حتى إذا ما رأين الرجال قد غلبوهن على الرسول الكريم طلبن منه ان يعين لهن مجالس خاصة بهن يسألنه فيها عن أمورهن ويتعلمن أحكام الاسلام .. كما انهن كن يشهدن بعض المواسم كصلاة العيد ،

١ – هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ملكية – يقال اسم أبي ملكية زهير التميمي وهو مدني ، ادرك ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثقة فقيه ، توفي سنة (١١٧ هـ) وقد اخرج له أحاديثه اصحاب الكتب الستة .

٢ – فتح الباري ص ٢٠٧ حـ ١ . والآية ٨ : الانشقاق .

ويستمعن إلى أحاديث الرسول ﷺ ، وقد كان لهؤلاء الصحابيات أثر عظيم في حمل أحكام كثيرة تتعلق بالنساء وحياتهن الزوجية – نقلنها إلى خلفهن – كان من الصعب أن يسأل الصحابة عنها رسول الله ﷺ .

٦ – رسله ﷺ وبعوثه وولاته :

اصبحت المدينة بعد الهجرة مركز الدول الاسلامية ، وقاعدة الدعوة : تنبعث منها الهداية الى الآفاق وتتحطم على إثرها اصنام الشرك ، وتتقوض امامها عروش الطغيان ، فمن المدينة انطلق رسل النبي ﷺ الى القبائل المجاورة والنائية ، يدعونهم الى الاسلام ، ويعلمونهم احكامه ونظمه ، عندما كانت قريش تحول بين القبائل المسلمة والنبي عليه الصلاة والسلام ، وكان الرسول ﷺ يوجه رسله ويرشدهم ويعلمهم اصول الدعوة ويأمرهم ان يدعوا الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة . ومن ذلك وصيته لمعاذ بن جبل ولأبي موسى الأشعري عندما وجههما الى اليمن[1] . قال عليه الصلاة والسلام: « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا » ، وقال لمعاذ رضي الله عنه: « إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب ، فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله ، وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم اطاعوا لذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد في فقرائهم ، فإن هم اطاعوا لذلك فإياك وكرائم اموالهم ، واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » [2] .

وقد كانت بعوثه عليه الصلاة والسلام وولاته خير من يحمل الرسالة

---

١ - انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٧٢ ج ٣ .

٢ - صحيح مسلم ص ٥٠ حديث ٢٩ و ٣٠ ج ١ .

ويؤدي الأمانة . وفي السنة السادسة كثرت بعوثه ﷺ ، فقد وجه بعد صلح الحديبية رسله الى الملوك ، يحملون اليهم كتبه ، ففي يوم واحد انطلق ستة نفر الى جهات مختلفة يتكلم كل واحد منهم بلسان القوم الذين بعث إليهم [1] .

فقد اشتهر أنه أرسل رسله الى قيصر الروم [2] ، والى أمير بصرى ، والى الحارث بن ابي شمر امير دمشق من قبل هرقل ، والى المقوقس امير مصر من قبل هرقل ، يدعوهم الى الاسلام ، كما وجه كتبه الى النجاشي ملك الحبشة ، والى كسرى ملك الفرس ، والى المنذر بن ساوى ملك البحرين ، وأرسل كتبه ورسله الى عمان واليمامة وغيرها . وكان الرسل يجيبون عما يسألهم عنه الملوك والأمراء ورؤساء القبائل ، ويبينون لهم الاسلام وغاياته على ضوء ما يزودهم بـــه الرسول ﷺ من التوجيه والإرشاد ، وكان عليه الصلاة والسلام يولي على كل قـوم قبلوا الاسلام كبيرهم ويمدهم بمن يفقههم ويعلمهم [3] .

٧ – غزوة الفتح :

في سنة ثمان من الهجرة نقضت قريش صلح الحديبية ، فدعا رسول الله ﷺ القبائل المسلمة أن تحضر رمضان في المدينة ، وانطلق بعشرة آلاف [4] مجاهد الى مكة وقوض الوثنية وحطم الاصنام ، ثم قام خطيباً في ألوف

---

١ – انظر المصباح المضيء ، ص ٤٠ .

٢ – انظر سيرة ابن هشام ص ٢٧٩ حـ ٤ ، وصحيح مسلم ص ١٣٩٣ و ١٣٩٧ حـ ٣ ، وانظر أخبار الرسل الى الملوك والامراء مفصلة في المصباح المضيء ص ٦٠-١١٤.

٣ – انظر طبقات ابن سعد ص ٧٦ – ٧٧ حـ ٤ قسم ٢ و ص ٧٩ منه ، والبداية والنهاية ص ١١٣ حـ ٨ .

٤ – انظر سيرة ابن هشام ص ١٧ حـ ٤ .

المسلمين والمشركين . فعفا عن أعدائه الذين اضطهدوه وآذوه ، ثم اعلن كثيراً من الأحكام ، منها ألا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها ... ثم اقبل المسلمون يبايعون رسول الله ﷺ .

ومما لا شك فيه أن هذا اللقاء العظيم بين المسلمين جميعا ورسولهم أتاح فرصة واسعة امام كثيرين ممن جاؤوا من مختلف البلاد ، فتيسرلهم عرض امورهم على الرسول ﷺ ، وسؤاله عن الدين ، واسفتائه ومعرفة كل ما يحتاجون إليه من أمور الشريعة ، كما أتاحت هذه الغزوة اللقاء بين جميع المسلمين من مختلف انحاء الجزيرة ، ومثل هـذا اللقاء يسهل تناقل اخبار الدعوة وامورها وأحكامها وكل ما يتعلق بها .

لقد كان الفتح الأعظم ، فتح مكة حدثاً تاريخياً عظيما ، نقلته جموع غفيرة ، ونقلت معه خطبة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام الى الآفاق ، كما نقل المسلمون الجدد ما سمعوا من ارشاد وتوجيه الى أهلهم وذويهم في مكة وغيرها .

٨ – حجة الوداع :

خرج رسول الله ﷺ في شهر ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة ، الى مكة المكرمة وحج بالناس ، وكان معه جمع عظيم يبلغ تسعين ألفا [١] ، ووقف في عرفة في هذه الجموع الكثيرة وخطب خطبة جامعة بين فيها كثيراً من الأحكام ، منها حرمة دماء المسلمين وأموالهم ، وأداء الأمانة ، ووضع ربا الجاهلية وابطاله ، ومنع النسيء تأكيداً لما في كتاب الله ، وبين بعض حقوق الرجال وحقوق النساء وحث على حسن معاملتهن ... ومنع الوصية للوارث ..

١ – انظر نور اليقين ص ٢٥٦ ، وقارن بتلقيح فهوم أهل الاثر ص ٢٧ ؛ ب .

لقد كانت هذه الخطبة الجامعة من أهم العوامل في انتشار جانب من السنة بين القبائل العربية ، لأنه سمعها عدد كبير جداً ، ونقلوها الى الآفاق ، طبقاً لما جاء فيها من قوله ﷺ . « ألاهل بلغت ؟ اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب »[1] .

كما كان لاجتماع المسلمين في موسم الحج بهذا العدد الكبير أثر بعيد في معرفة أحكام الشريعة ونقلها الى انحاء الجزيرة العربية ، فقد يسر لهم هذا اللقاء الاجتماع بالرسول ﷺ واجتماع المسلمين بعضهم ببعض ، وفي كل هذا تتوضح أمور الدين ، ويجاب عن الاسئلة والاستفتاءات ،وتبين الأحكام ، وتتناقل الأخبار ، وتنتشر الشريعة فى مختلف الآفاق . كما أتاح هذا اللقاء لعدد كبير من المسلمين ان يشاهدوا الرسول ﷺ في مناسكه ومواقفه ، ويروا مختلف تصرفاته وأفعاله وحسن هديه وسمته ، فنقلوا كل هذا الى ذويهم ومن خلفهم .

٩ ــ الوفود بعد الفتح الأعظم وحجة الوداع :

بعد فتح مكة أقبلت وفود العرب من سائر اطراف الجزيرة العربية يبايعون الرسول ﷺ ، وينضمون تحت لواء الإسلام ، وتتابعت الوفود وكثرت بعد حجة الوداع ، وكان رسول الله ﷺ يرحب بالوافدين ، ويعلمهم الاسلام ، ويزودهم بنصائحه وارشاداته ، وكانت بعض الوفود تقيم عنده اياماً ثم تعود الى قبائلها تبلغهم الدين الحنيف ، ومن هذه الوفود وفد ضمام بن ثعلبة الذي علمه الرسول ﷺ الاسلام ، فعاد الى قومه ودعاهم فأسلموا ، ووفد عبد القيس ، ووفود بني حنيفة وطيء وكنده وأزدشنوءة ، ووفد رسول ملوك حمير ، الذين اسلموا وأرسلوا

---

١ ــ انظر سيرة ابن هشام ص ٢٧٦ حـ ٤ ، ونحوه في صحيح مسلم ص ١٣٠٦ حـ ٣ .

رسولهم بذلك الى الرسول ﷺ ، فبعث اليهم عليه الصلاة والسلام كتاباً يخبرهم أنه علم بإسلامهم ، ويحثهم على طاعة الله والتمسك بدينه ، وفيه وصيته لهم برسله وببعوثه ، ويوصيهم الخير في الرعية .. كما قدمت وفود همدان ، وتجيب – قبيلة من كنده – ووفودثعلبة وبني سعد من هذيم ووفود كثيرة يضيق المقام عن ذكرها [1] .

لقد كان رسول الله ﷺ يرى في هـذه الوفود الخير ، فيكرمهم ويعلمهم ، وكانوا يسألونه ويجيبهم ، وقد سمعوا حديثه ، وشهدوا بعض مواقفه ، وشاركوه في العبادة ، ورأوا كثيراً من تصرفاتـه . فـكان لهذه الوفود أثر عظيم في نقل السنة وانتشارها .

لقد كانت تلك العوامل الكثيرة كافية لنشر السنة وتبليغها المسلمين في مختلف ارجاء الدولة الاسلامية آنذاك .

تلك لمحة سريعة موجزة عن انتشار السنة في عهد الرسول ﷺ ، وقد حرص الصحابة والمسلمون جميعاً على حفظها وتبليغها ، ولم ينتقل رسول الله ﷺ الى الرفيق الأعلى الا بعد أن انتشر الاسلام في الجزيرة العربية كلها وساد ربوعها وملأ القرآن والسنة صدور أهلها ، مصداقـاً لقوله عز وجل : « اليوم أكملت لـكم دينـكم ، وأتممت عليـكم نعمتي ورضيت لـكم الاسلام دينا » [2] .

---

١ ـ انظر السيرة لابن هشام ص ٢٢١ حـ ٤ .

٢ ـ ٣ : المائدة .

الفصل الرابع

الحديث في عصر الصحابة والتابعين

نتناول في هذا الفصل بحثين هامين لنرى صورة حقيقية واضحة للحديث النبوي في عهد الصحابة والتابعين ، وتكون فكرة عامة حول ذلك ونتبين اهتمام الامة بالحديث والمحافظة عليه .

آ ـ محافظة الصحابة والتابعين على السنة واقتداؤهم بالرسول ﷺ :

كان مصدر التشريع في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كتاب الله وسنة رسوله : ينزل الوحي فيبلغه النبي الكريم الى الناس كافة ، ويبين مقاصده ، ثم يطبق أحكامه ، فكان الرسول ﷺ المرجع الأعلى في جميع أمور الامة ، في القضاء والفتوى ، والتنظيم المالي والسياسي والعسكري ، يعالج الأمور على مرأى من أصحابه رضي الله عنهم . ثم ما لبث أن انتقل الى الرفيق الأعلى ، وانقطع الوحي ، ولم يبق أمام الأمة الا القرآن الكريم والسنة الشريفة ، مصداقاً لقوله ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي »[1] . وتمسك الصحابة والتابعون بسنته عليه الصلاة والسلام استجابة لأوامر الله عز وجل ،

---

١ ـ اخرجه الحاكم في المستدرك .

وطاعة لرسوله عليه الصلاه والسلام [1] .

والاستجابة لرسول الله ﷺ واجبة في حياته وبعد وفاته ، وقد امتثل الصحابة لأوامر الله عز وجل في عهد الرسول ﷺ ، ونفذوها مخلصين ، وحموا الشريعة بالمال والدماء ، وكذلك فعلوا بعد وفاته ، وقوفاً عند وصيته ﷺ : « أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي ، فانه من يعش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[2] .

وقد حقق المسلمون الأوائل قول الله عز وجل : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » [3] ، فتفانوا في اتباع محمد ﷺ ، وساروا على هديه وأخذوا بسنته وتمسكوا بها .

١ – فنرى أبا بكر الصديق يعقد لواء أسامة بن زيد ، بعد وفاة الرسول ﷺ ، ويأبى أن يحتفظ بجيشه وهو في أشد الحاجة اليه ، ويقول : ما كان لي أن أحل لواء عقده رسول الله ﷺ ، ويعقد اللواء لخالد بن الوليد ليقاتل المرتدين ، ويقول : اني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، وسيف من سيوف الله سله الله عز وجل على الكفار والمنافقين » [4] .

---

١ - ذكرنا كثيراً من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة في هذا الصدد في فصل (مكانة السنة من التشريع) في ص ٣٤ وما بعدها من هذا الكتاب ، فلتراجع .

٢ - اخرجه الامام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم انظر الفتح الكبير ص ٤٦٤ حـ ١ ، وذكرناه بطوله في هامش ص ٢٢ من هذا الكتاب فليراجع .

٣ - ٢١ : الاحزاب .

٤ - مسند الامام احمد ص ١٧٣ حـ ١ باسناد صحيح .

٢ ـ عن السائب بن يزيد ابن أخت نمر أن حويطب بن عبد العزى اخبره أن عبد الله بن السعدي اخبره : انه قدم على عمر بن الخطاب في خلافته فقال له عمر : ألم أحدث انك تلي من أعمال الناس اعمالاً ، فاذا اعطيت العمالة كرهتها ؟ قال : فقلت : بلى . فقال عمر : فما تريد إلى ذلك ؟ قال : قلت : ان لي أفراساً وأعبدا وأنا بخير . واريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين ، فقال عمر : فلا تفعل ، فاني قد كنت أردت الذي أردت ، فكان النبي ﷺ يعطيني العطاء فأقول : أعطه أفقر إليه مني ، حتى أعطاني مرة مالا فقلت : اعطه افقر إليه مني ، قال : فقال له النبي ﷺ : « خذه فتموله وتصدق به ، فما جاءك من هذا المال ، وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ، ومالا فلا تتبعه نفسك » (١).

٣ ـ وفي وقعة اليرموك كتب القادة إلى عمر رضي الله عنه : (انه قد جاش إلينا الموت) يستمدونه ، فكان فيما أجابهم : (اني ادلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جنداً ، الله عز وجل ، فاستنصروه، فإن محمداً ﷺ قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم ، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني) (٢) .

٤ ـ كان رسول الله ﷺ قد أمر الصحابة ومن معه يوم الفتح بأن يكشفوا عن مناكبهم ، ويهرولوا في الطواف ، ليرى المشركون قوتهم

---

١ ـ مسند الإمام أحمد ص ١٩٧ حـ ١ باسناد صحيح . قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (ص ٦٦ ـ ٦٧ حـ ٣) في ترجمة حويطب : (روى له الشيخان والنسائي حديثاً واحداً في العمالة ، وهو الذي اجتمع في اسناده اربعة من الصحابة) يريد هذا الحديث ، والصحابة الاربعة هم : السائب ، وحويطب ، وعبد الله بن السعدي وعمر رضي الله عنهم اجمعين . انظر هامش مسند الامام احمد ص١٩٧ حـ ١ . ومعنى (مشرف) في الحديث : متطلع إلى المال .

٢ ـ مسند الامام أحمد ص ٣٠٤ حـ ١ .

وجلدهم ، وقويت دولة الاسلام ، وزال المشركون ، ورأى عمر رضي الله عنه أن هذا الأمر قد ذهبت علته . ولكنه قال : فيم [1] الرملان الآن والكشف عن المناكب ، وقد أطأ الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ؟ ومع ذلك **لاندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم**) [2] .

٥ ـ وهكذا كان جميع الصحابة يتأسون بالرسول الكريم ، ويحافظون على سنته ، سواء أعرفوا علة ذلك أم لم يعرفوا ، وسواء أتوقعوا حكمة لما يفعلون أم لم يتوقعوا ، وقد اشتهر عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بمحافظته الشديدة على سنن رسول الله ﷺ ، فكان الرسول اسوته في كل شيء ، في صلاته وحجه وصيامه ، حتى في قضاء حاجتـــه [3] ، وكان كثيراً مايقول : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)[4] ، وكان إذا سمع من الرسول ﷺ شيئاً ، أو شهد معه مشهداً ، لم يقصر دونه أو أو يعدوه [5] . كان يقف عند الحد الوارد في الحديث أو الفعل النبوي من غير افراط ولا تفريط . عن مجاهد قال كنا مع ابن عمر في سفر ، فمر بمكان فحاد عنه ، فسئل : لم فعلت ؟ فقال : رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت [6] ، وكان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقيل تحتها ، ويخبر أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك .

---

١ ـ في الاصل (فيا) وهي استفهامية ، وظاهر كلام النحويين وجوب حذف الفها إذا دخل عليها حرف الجر ، ولكن قرأ عبد الله وأبي وعكرمة وعيسى (عما يتساءلون) بالالف . عن هامش مسند الامام أحمد ص ٢٩٣ حديث ٣١٧ حـ ١ .

٢ ـ مسند الإمام أحمد ص ٢٩٣ حديث ٣١٧ حـ ١ . أطأ : ثبت وأرسى والهمزة فيه بدل واو (وطأ) .

٣ ـ انظر مسند الإمام أحمد ص ١٩١ حديث ٦٣٩١ و ٦١٥١ حـ ٩ .

٤ ـ ٢١ : الأحزاب .

٥ ـ انظر مسند الإمام أحمد ص ٢٩٧ حديث ٥٥٤٦ حـ ٧ وسنن ابن ماجـــه ص ٣ حـ ١ .

٦ ـ مسند الإمام أحمد ص ٥٤ حديث ٤٨٧٠ حـ ٧ .

٦ ـ عن الزبير بن عربي قال : سمعت رجلًا يسأل ابن عمر عن الحجر قال : رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله ، فقال رجل : أرأيت إن زحمت ؟ فقال ابن عمر : اجعل (**أرأيت**) باليمن .. رأيت رسول الله يستلمه ويقبله [١] .

٧ ـ غزا عبادة بن الصامت الأنصاري ، النقيب صاحب رسول الله ﷺ مع معاوية أرض الروم ، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسر الذهب بالدنانير وكسر الفضة بالدراهم ، فقال : يا أيها الناس ، إنكم تأكلون الربا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لاتبتاعوا الذهب بالذهب إلا مثلًا بمثل ، لا زيادة بينها ، ولا نَظِرة) ، فقال له معاوية : يا أبا الوليد لا أرى الربا في هذا إلا ما كان من نظرة ، فقال عبادة : احدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك ، لئن اخرجني الله لأساكنك بأرض لك علي فيها امرة ، فلما قفل لحق بالمدينة ، فقال له عمر بن الخطاب : ماأقدمك ياأبا الوليد فقص عليه القصة ، وما قال من مساكنته ، فقال : ارجع ياأبا الوليد إلى أرضك قبح الله أرضا لست فيها وأمثالك ، وكتب إلى معاوية ، لا إمرة لك عليه ، واحمل الناس على ماقال ، فانه هو الأمر [٢] .

أولئك أصحاب رسول الله ﷺ ، الذين حفظوا سنته ، ووجهوا الأمة إلى السبيل القويم ، وحملوا الرعاة والرعية على تطبيق أحكام الشريعة

---

١ ـ مسند الإمام أحمد ١٩٤ حـ ٩ ، وقد اخرجه الإمام البخاري ، ومن الخطأ أن يظن ظان من قول ابن عمر ان اليمن كانت تعتمد على الرأي ، انما ضرب اليمن مثلا لجهة قاصية يرمي اليها هذا الاعتراض أدبا مع السنة النبوية ، مبينا انه لامجال للسؤال والجواب إذا ما وجدت السنة في أمر ما ، ويدل على ذلك رواية الطيالسي وفيها اجعل (أرأيت) مع هذا الكوكب .

٢ ـ سنن ابن ماجه ص ٧ حـ ١ . كسرة الذهب كالقطعة لفظاً ومعنى ، وجمعها كسر كقطع . ونظرة : انتظار أي أجل .

وأبو أن يماروا في دين الله صادعين بالحق ، لايخافون فيه لومة لائم .

وعلى هذا النهج سار التابعون وأهل العلم من بعدهم في المحافظة على السنة والتمسك بها ، وقد اسلفنا كثيراً من أخبارهم حين تكلمنا عن مكانة السنة من التشريع ، ونكتفي بهذا القدر في هذا المقام [1] .

ب ـ منهج الصحابة والتابعين في المحافظة على السنة :

رأينا حرص الصحابة والتابعين على التمسك بالسنة الطاهرة ، وحسن اقتدائهم بالرسول ﷺ ، وتتبعهم آثاره ، ووقوفهم عند أحكامه عليه الصلاة والسلام متى ثبتت عندهم ، وقد نهج الصحابة والتابعون سبيلاً قويماً للمحافظة على الحديث النبوي ، ويتضح هذا المنهج في احتياطهم في رواية الحديث ، وفي تثبتهم في قبول الأخبار ، هذا إلى جانب ماعرضناه من تمسكهم بالسنة وحرصهم على التأسي والإقتداء بالرسول ﷺ .

١ ـ احتياط الصحابة والتابعين في رواية الحديث :

احتاط الصحابة في رواية الحديث عن الرسول ﷺ خشية الوقوع في الخطأ ، وخوفاً من أن يتسرب إلى السنة بعض التحريف ، وهي المصدر التشريعي الأول بعد القرآن الكريم ، ولهذا اتبعوا كل سبيل يحفظ على الحديث نوره ، فحملهم ورعهم وتقواهم على الاعتدال في الرواية عن الرسول ﷺ ، وحتى إن بعضهم آثر الإقلال منها إحتراماً للحديث لازهدا فيه ، واشتهر من بين الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ بشدة إنكاره على من يكثر رواية الحديث ، والتزم الصحابة هذا المنهج ، **فلم يرووا الأحاديث إلا حين الحاجة** ، وكانوا حين يروونها يتحرون الدقة

---

١ ـ انظر ص ٤١ من هذا الكتاب وما بعدها .

في أدائها ، وكثيراً ما كان يقول بعضهم بعد رواية الحديث (نحو هذا أو كما قال ، أو شبيهاً بذلك) [1] .

ونرى من الصحابة من تأخذه الرعدة ، ويقشعر جلده ، ويتغير لونه حين يروى شيئاً عن الرسول ﷺ ، ورعا واحتراماً لحديثه عليه الصلاة والسلام . من هذا مارواه عمرو بن ميمون قال : ماأخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه قال : فما سمعته يقول بشيء قط : (قال رسول الله ﷺ) فلما كان ذات عشية قال : (قال رسول الله ﷺ ، قال : فنكس ، قال فنظرت إليه ، فهو قائم محللة أزرار قميصه ، قد اغرورقت عيناه ، وانتفخت أوداجه . قال : أودون ذلك ، أو فوق ذلك ، أو قريباً من ذلك أو شبيهاً بذلك) [2] .

قال عبد الرحمن بن أبي ليلي : (ادركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب محمد ﷺ ، ما منهم أحد يحدث بحديث إلا وَدَّ أن أخاه كفاه إياه ، ولا يستفتى عن شيء إلا ود ان أخاه كفاه اياه) وفي رواية : (يسأل أحدهم المسألة فيردها هذا الى هذا حتى ترجع إلى الأول) [3].

ولم ينهج الصحابة هذا السبيل لقلة ما لديهم من الحديث ، بل فعلوا ذلك كله حرصاً على السنة وصيانة لها ، واحتياطاً للدين ورعاية لمصلحة المسلمين ، لا زهداً في الحديث النبوي ولا تعطيلاً له . وقد ثبت عن الصحابة جميعاً تمسكهم بالحديث الشريف واجلالهم إياه ، وأخذهم به ، وقد تواتر خبر اجتهاد الصحابة إذا وقعت لهم حادثة

---

١ ـ انظر أمثلة لهذا في سنن ابن ماجه ص ٨ حـ ١ ، ومسند الإمام أحمد ص ٤٦ حـ ٦ ، وسنن الدارمي ص ٧٧ و ٨٤ حـ ١ ، وسنن البيهقي ص ١١ حـ ١ ، والجامع لأخلاق الراوي ص ٩٨ : آ .

٢ ـ سنن ابن ماجه ص ٨ حـ ١ ، نكس أي طأطأ رأسه وخفضه .

٣ ـ مختصر كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الاول ص ١٣ .

شرعية من حلال أو حرام ، وفزعهم إلى كتاب الله تعالى ، فان وجدوا فيه ما يريدون تمسكوا به ، وأجروا (حكم الحادثة) على مقتضاه ، وان لم يجدوا مايطلبون فزعوا الى (السنة) ، فإن روي لهم خبر أخذوا به ، ونزلوا على حكمه ، وان لم يجدوا الخبر فزعوا الى الاجتهاد بالرأي[1] .

وطريقة أبي بكر وعمر في الحكم مشهورة : كان أبو بكر الصديق اذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى ، فان وجد فيه ما يقضي به قضى به ، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله ﷺ ، فإن وجد فيها ما يقضي به قضى به ، فإن أعياه ذلك سأل الناس : هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء ، فربما قام اليه القوم فيقولون.. قضى فيه بكذا وكذا ، فان لم يجد سنة سنها النبي ﷺ جمع رؤساء الناس فاستشارهم[2] .. وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك .

ورأى الصحابة في منهج عمر رضي الله عنه حفظ السنة ، وحمل الناس على التثبت مما يسمعون ، والتروي فيما يؤدون ، فالتزموه من غير افراط ولا تفريط ، ولم يكثروا من الرواية مخافة رفع التدبر والتفقه ، فالتزموا الاعتدال فيها ، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (ليس العلم كثرة الحديث ، ولكن العلم الخشية)[3] .

ثم إن كثرة الرواية مظنة الوقوع في الخطأ ، وبخاصة أنه ورد النهي عن التحديث بكل ما يسمعه المرء ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع »[4] .

---

١ ـ انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ٤٦٦ ـ ٤٤٧ .
٢ ـ انظر إعلام الموقعين ص ٦٢ ح ١ .
٣ ـ مختصر كتاب المؤمل في الرد إلى الأمر الاول ص ٦ .
٤ ـ صحيح مسلم ص ١٠ ح ١ .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع)[1] .

فاذا طلب الصحابة الاقلال من الرواية فانما طلبوه من باب الاحتياط لحفظ السنن والترهيب في الرواية[2] ، وتدبر المروي ، وحفظه وضبطه ، وكل ما روي عن الصحابة في هذا الباب يدل على محافظتهم على السنة ونشرها وتبليغها صحيحة ولا يتيسر نشرها صحيحة ما لم يتثبت حاملوها من مروياتهم ، ولا أدل على ذلك من أن عمر وبعض الصحابة رضي الله عنهم عرفوا اتقان بعض الصحابة وحفظهم الجيد فلم ينكروا عليهم كثرة روايتهم ، وقد أسلفت بسط القول في هذا في كتاب السنة قبل التدوين[3] .

وسار التابعون واتباعهم على منهج الصحابة ، فاحتاطوا في رواية الحديث ، وعابوا الاكثار منها مخافة أن يرتفع تدبر الحديث وفهمه ، قال محمد بن المنكدر : (الذي يحدث الناس انما يدخل بين الله وبين عباده فلينظر بما يدخل)[4] .

وحرص بعضهم على ألا يحدث في المجلس بأكثر من ثلاثة او اربعة احاديث كي يفهمها الطلاب ويحفظوها ، والأخبار في هذا كثيرة[5] .

---

١ - صحيح مسلم ص ١١ حـ ١ .

٢ - يقول الخطيب البغدادي في منهج عمر : (... وفي تشديد عمر أيضاً على الصحابة في رواياتهم - حفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وترهيب لمن لم يكن من الصحابة أن يدخل في السنن ماليس منها ، لأنه إذا رأى الصحابي المقبول القول، المشهور بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، قد تشدد عليه في روايته ، كان هو أجدر أن يكون للرواية أهيب) . شرف أصحاب الحديث ص ٩٨ : آ - ب .

٣ - انظر ص ٩٢ - ١١١ منه .

٤ - الكفاية ص ١٦٨ .

٥ - انظر المحدث الفاصل فقرة (٨١٩ - ٨٢١) ، وجامع بيان العلم وفضله ص ١٣٠ حـ ٢ ، والجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص٣٧ : ب و ص ٤٥ آ - ب. والسنة قبل التدوين ص ١١٠ - ١١١ .

٢ ـ تثبت الصحابة والتابعين في قبول الحديث .

امر الاسلام بالتثبت في قبول الأخبار ، ونهى عن الكذب ، وامر بقول الحق ، نزل بهذا الوحي الأمين ، ونطق به الرسول الكريم ، وعمل بذلك الصحابة أجمعون ، وسار على ذلك المتقدمون والمتأخرون ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »[١] ، وقال عز من قائل : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً »[٢] . وقال : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى »[٣] ، و « ... واجتنبوا قول الزور »[٤] .

وقال ﷺ : « من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار »[٥] . وقال : « ان كذبا علي ليس ككذب على أحد فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[٦] .

هكذا أُمر المسلمون بالصدق في كل شيء ، وبالامانة والعدل وبتحرى الحق واجتناب الباطل ، ولهذا فقد احتاط رجال الحديث ونقاده في قبول الحديث ، وتثبتوا وتأكدوا من الأخبار التي يرويها المسلمون ، وقد نهج هذا السبيل الصحابه والتابعون ، ومن جاء بعدهم ، وحاولوا التثبت بكل وسيلة تضمن لهم صحة المروى وضبط ناقله ، بطلب الحديث من راو

---

١ ـ ٦ : الحجرات .
٢ ـ ٧٠ ، ٧١ : الاحزاب .
٣ ـ ١٥٢ : الأنعام .
٤ ـ ٣٠ : الحج .
٥ ـ فتح الباري ص ٢١٠ حـ ١ .
٦ ـ صحيح مسلم ص ١٠ حـ ١ .

آخر ، وجمع طرقه تارة ، وبالرجوع إلى أئمة هذا الشأن تارة اخرى .

وحق للأمة الاسلامية أن تتثبت في حديث رسول الله ﷺ وتستوثق له — وهو المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم ، فكما احتـــاط الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم في رواية الحديث ، احتاطوا وتثبتوا في قبول الأخبار عن رسول الله ﷺ ، وأمثلة تثبت الصحابة والتابعين ومن خلفهم أكثر من أن تحصى ، وسنكتفي بذكر بعضها فيما يلي :

١ — قال الحافظ الذهبي : كان ابو بكر رضي الله عنه ، أول من احتاط في قبول الاخبار ، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت الى ابي بكر تلتمس أن تورث ، فقال : ما أجد لك في كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً ، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال : سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس ، فقال له : هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها ابو بكر رضي الله عنه[1] .

٢ — روى الامام البخاري عن ابي سعيد الخدري قال : كنت في مجلس من مجالس الانصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور ، فقال : استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي ، فرجعت فقال : ما منعك ؟ قلت : استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت ، وقال رسول الله ﷺ : « اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » . فقال : والله لتقيمن عليه ببينة[2] أمنكم احد سمعه من النبي ﷺ ؟ فقال أبي بن كعب : والله لايقوم

---

١ ـ تذكرة الحفاظ ص ٣ ح ١ ،وقد اخرجه الامام مالك في الموطأ ص ٥١٣ ح ٢، كما اخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه .

٢ ـ وفي رواية مسلم : فقال عمر : اقم عليه البينة ، وإلا اوجعتك .

معك الا اصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك[1]. فقال عمر لأبي موسى: أمَا إني لم اتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ [2].

٣ — عن بسر بن سعيد قال: أتى عثمان المقاعد، فدعا بوضوء فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا، ويديه ثلاثا ثلاثا، ثم مسح برأسه ورجليه ثلاثا ثلاثا، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ هكذا يتوضأ، يا هؤلاء أكذاك؟ قالوا نعم، لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ عنده [3].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كنت اذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعني الله بما شاء منه، واذا حدثني غيره استحلفته فاذا حلف لي صدقته، وإن ابا بكر حدثني - وصدق ابو بكر - أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام قال: «ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل الا غفر له».[4]

٤ — عن قتادة عن الحسن البصري أن سمرةَ بن جندب وعمران بن حصين تذاكرا، فحدث سمرة بن جندب أنه حفظ عن رسول الله ﷺ سكتتين: سكتة اذا كبر، وسكتة اذا فرغ من قراءة «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فحفظ ذلك سمرة، وأنكر عليه عمران بن حصين فكتبا في ذلك إلى أبي بن كعب (بالمدينة)، فكان في كتابه اليهما

---

١ - صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٨٨ ح ٤، واخرجه الإمام مسلم في صحيحه ص ١٦٩٤ ح ٣، كما اخرجه الإمام مالك في الموطأ ص ٩٦٤ ح ٢، وانظره موجزاً في الرسالة للامام الشافعي ص ٤٣٥.

٢ - الموطأ ص ٩٦٤ ح ٢، والرسالة ص ٤٣٥.

٣ - مسند الإمام أحمد ص ٣٧٢ ح ١ باسناد صحيح.

٤ - مسند الإمام أحمد ص ١٥٤ و ١٧٤ و ١٧٨ ح ١، وانظر سنن الترمذي ص ٢٥٧ ح ٢.

أو في رده عليها ، أن سمرة قد حفظ [1] .

تلك آثار [2] تبين منهج الصحابة في التثبت والتأكد من الاخبار ، وهذا لا يعني ابداً أن الصحابة اشترطوا لقبول الحديث ، أن يرويه راويان فأكثر ، أو أن يشهد الناس على الراوي أو أن يستحلف ،فاذا لم يحصل شيء من هذا رد خبره .. بل كان الصحابة يتثبتون في قبول الاخبار . ويتبعون الطريقة التي ترتاح اليها ضمائرهم ، وجميع ما ذكرناه مظهر من مظاهر التثبت والاستيثاق ، مخافة الخطأ في الرواية ، وحرصا على الضبط والاتقان حين التحديث . فأحيانا يطلب عمر رضي الله عنه سماع آخر ، واحيانا يقبل الخبر من غير ذلك ، ولا يقصد من وراء عمله الا حمل المسلمين على جادة التثبت العلمي ، والتحفظ في دين الله حتى لا يتقول أحد على الرسول ﷺ ما لم يقل ، ويتضح هذا في قول عمر رضي الله عنه عندما رجع ابو موسى الاشعري مع أبي سعيد الخدري وشهد له - « أما إني لم اتهمك ، ولكني خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ » [3] .

ويتضح هذا ايضاً في قول الامام الذهبي بعد ايراد طريقة الصديق رضي الله عنه في التثبت : (إن مراد الصديق التثبت في الاخبار والتحري لا سد باب الرواية) [4] .

---

١ - سنن أبي داود ص ٢٨٨ ح ١، وعند الترمذي عن سعيد ، عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال : (سكتتان حفظتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنكر ذلك عمران بن حصين ، وقال : حفظنا سكتة ، فكتبنا إلى أبي بن كعب بالمدينة فكتب ، أبي : أن حفظ سمرة). قال سعيد: فقلنا لقتادة : ماهاتان السكتتان ؟ قال : إذا دخل في صلاته، وإذا فرغ من القراءة ، ثم قال بعد ذلك : وإذا قرأ(ولا الضالين) قال : وكان يعجبه إذا فرغ من القراءة أن يسكت حتى يترادا اليه نفسه . سنن الترمذي ص ٣٠ - ٣١ ح٢ واخرجه ابن ماجة في سننه ص ٢٧٥ ح ١ .

٢ - انظر مزيداً من ذلك في كتابنا السنة قبل التدوين ص ١١٢ وما بعدها .

٣ - الموطأ ص ٩٦٤ ح ٢ .

٤ - تذكرة الحفاظ ص ٦ - ٧ ح ١ .

وكما طلب الصحابة من الراوي شهادة غيره احيانا ، قبلوا أحاديث أحاديث كثيرة برواية الآحاد احيانا أخرى – لاطمئنانهم وثقتهم بضبط الناقلين – وبنوا عليها أحكامهم .

وهكذا يتبين لنا أن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين حرصوا حرصاً شديداً على الحديث النبوي وصانوه من كل تحريف وتغيير – باحتياطهم في روايته ، وتثبتهم واستيثاقهم في قبوله . وأن تثبتهم في بعض الاحاديث بطلب راويين للخبر لم يكن شرطاً لقبول جميع المرويات ، بل إن قبولهم اخباراً كثيرة عن مخبر واحد – توفرت فيه جميع شروط العدالة والحفظ والضبط – يدل على أنهم رضي الله عنهم كانوا يطلبون الراوي الثاني لمجرد التثبت والتأكد ، لا لأن الخبر لا يثبت عندهم الا براويين ؛ والاخبار التي قبلها الخلفاء الاربعة وغيرهم برواية آحاد أكثر بكثير من الاخبار التي طلبوا فيها راويين [1] .

ولم يكن التابعون وأتباعهم أقل اهتماماً من الصحابة بالاحتياط لقبول الحديث فكانوا يتثبتون من الراوي بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم ، وإن من يتتبع تاريخ الرواة ، وكيفية تحملهم الحديث الشريف ، ليدرك تماما جهود التابعين وأتباعهم ، تلك الجهود التي بذلوها لنقل السنة إلى خلفهم ، وإليكم بعض اخبارهم في هذا الموضوع .

١ – عن عبادة بن سعيد التجيبي أن عقبة بن نافع الفهري (١ ق هـ – ٦٣هـ) أوصى بنيه فقال : (يابني لاتقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا من ثقة) [2] .

٢ – وكانوا يرون الأمانة في الذهب والفضة أيسر من الأمانة في

---

١ – انظر السنة قبل التدوين ص ١١٩ – ١٢٣ .

٢ – الجرح والتعديل ص ٢٩ قسم ١ حـ ١ .

الحديث [1] ، فنسمع عن سليمان بن موسى انه لقى طاوساً (ـ ١٠٦ هـ) فقال له : (حدثني فلان كَيْت وكَيْت . قال : إن كان صاحبك ملياً فخذ عنه) [2] .

٣ ـ وقال سعد بن ابراهيم (٥٣ ـ ١٢٥ هـ) : (لايحدث عن رسول الله ﷺ إلا الثقات) [3] .

٤ ـ وكان يزيد بن أبي حبيب (ـ ١٢٨ هـ) محدث الديار المصرية يقول : (إذا سمعت الحديث فانشده كما تنشد الضالة ، فإن عرف فخذه وإلا فدعه) [4] .

٥ ـ قال أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي (ـ ١٣٠ هـ) : (أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون ، مايؤخذ عنهم الحديث ، يقال ليس من أهله) [5] . فهو يؤكد بقوله هذا أن الصلاح والأمانة لايكفيان في راوي الحديث إذا لم ينضم إليهما الحفظ والضبط والاتقان ، وهذا معنى قوله ليس من أهلة .

٦ ـ ويؤكد ماأسلفنا في الفقرة السابقة قول كثير من العلماء كعبد الله بن عون (ـ ١٥٠ هـ) وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر (المتوفي نحو سنة ١٥٣ هـ) وشعبة بن الحجاج (٨٢ ـ ١٦٠ هـ) ، وسفيان الثوري (٩٧ ـ ١٦١ هـ) وغيرهم ـ : (خذوا العلم من المشهورين) [6] ، و (لايؤخذ هذا العلم إلا عمن شهد له بالطلب) [7] .

---

١ ـ انظر الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٠ : آ .
٢ ـ انظر صحيح مسلم ص ١٥ حـ ١ ، والجرح والتعديل ص ٢٧ قسم ١ حـ ١ .
٣ ـ انظر صحيح مسلم ص ١٥ حـ ١ ، وسنن الدارمي ص ١١٢ حـ ١ .
٤ ـ الجرح والتعديل ص ١٩ حـ ١ .
٥ ـ صحيح مسلم ص ١٥ حـ ١ .
٦ و ٧ ـ انظر المحدث الفاصل بين الراوي والواعي فقرة (٤٢٠) ، والجرح والتعديل ص ٢٨ قسم ١ حـ ١ .

٧ – قيل لمسعر بن كدام (– ١٥٢ هـ) : ماأكثر تشكك ؟ قال : (تلك محاماة عن اليقين) [١] .

٨ – واهتم التابعون واتباعهم وأهل العلم من بعدهم إهتماماً عظيماً بالسنة وحرصوا عليها ، واستوثقوا لها ، وحفظوها ، وتثبتوا في قبول الأخبار بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم ، لما يترتب على ثبوت الحديث من أحكام ترتبط بها أمور الدين والدنيا ، لهذا كثيراً ما كانت تتردد على ألسنة الصحابة والتابعين ومن بعدهم عبارة : (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) [٢] .

٩ – وهكذا اجتهد التابعون ومن بعدهم في التثبت للحديث النبوي وسلكوا سبيل الصحابة في ذلك ، فتارة كانوا يحلفون الراوي على سماعه ، وتارة يطلبون الخبر من طريق آخر ، واخرى يرحلون في طلب الحديث ليسمعوه من معينه وأصله ، كما كان يفعل أبو العالية وغيره ، قال أبو العالية : (كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم) [٣] .

---

١ - انحدث الفاصل بين الراوي والواعي فقرة (٧٤٢)

٢ - انظر الكامل ص ٥٨ : آ – ب ، وانظر مقدمة التمهيد ص ١٢ : ب .

٣ - الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٨ : ب والكفاية ص ٤٠٢ . وانظر مزيداً من هذه الاخبار في تقدمة الجرح والتعديل ص ١٦٩ ، وصحيح مسلم ص ١٦ حـ ١ ، ومقدمة التمهيد ص ١٣ : آ – ب . والسنة قبل التدوين ص ١٢٥ .

الفصل الخامس

النشاط العلمي في عصر الصحابة والتابعين

شعر الصحابة بالتبعة الملقاة على عاتقهم لحفظ الشريعة وتطبيقها ، فسارعوا إلى صيانة مصادرها الاولى خشية ضياع القرآن الكريم من صدور القراء (الحفاظ) ، إثر حروب الردة ، ومن ثم جمعوه في مصحف على عهد الصديق ، وخافوا عاقبة الاختلاف في القراءات في الامصار المختلفة ، فنسخوه في مصاحف وزعت على الاقاليم الاسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه وكانوا في أحكامهم يرجعون إلى الكتاب الكريم ثم إلى السنة ، يسألون عن حكم مأثور عن الرسول فيما يجد لهم من قضايا ، فاذا ماثبت عندهم شيء عن رسول الله ﷺ تمسكوا به وطبقوه ، وقد ذكرت طريقة اجتهادهم فيما سبق .

وقد وجد الصحابة الضرورة تلح لحفظ السنة ، فحاول الصديق ثم الفاروق حفظها كتابة — وما منعهم من ذلك إلا حرصهم على القرآن والسنة كما سيتبين لنا هذا في بحث تدوين السنة — فما كان منهم إلا أن أكبوا على دراستها والسؤال عنها والبحث عن الحديث عند حفاظه ، ويكفينا مثالاً لهذا ما كان يفعله ابن عباس بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فقد روى عكرمة عن ابن عباس انه قال : (لما قبض رسول الله ﷺ

قلت لرجل من الانصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ، فانهم اليوم كثير ، قال : واعجبا لك يابن عباس .. أترى الناس يفتقرون اليك ، وفي الناس من أصحاب رسول الله من فيهم ؟ قال : فـــترك ذاك ، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله عن الحـديث ، فانه كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل[1] ، فأتوسد ردائي على بابه ، تسفى الريح عليَّ من الـــتراب ، فيخرج فيقول : يابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت الي فآتيك ؟ فأقول : أنا احق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث)[2] .

وكانت رغبة الصحابة في سماع حديث رسول الله ﷺ عظيمة ، وهل أحب الى المرء من ان يسمع حكم مربيه واحكامه وتشريعاته ؟ وهل من شيء أعز على المسلم من أن يحيي آثار منقذه من الضلال ورائده الى الخير ؟ لقد كان الصحابة مندفعين باخلاص الى سماع حوادث رسول الله ﷺ وسيرته وحديثه ، فهذا ابو بكر الصديق يقف عند عازب والد الـــبراء فيشترى منه رحلا وهو للناقة كالسرج للفرس ، ثم يقول له : (مر البراء فليحمله الى منزلي ، فيقول : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه . فقص عليه خبر الهجرة)[3] .

وهذا على أمير المؤمنين يلتقي بكعب الاحبـار فيقول له كعب : يا علي أسمعت رسول الله ﷺ يقول في المنجيات ؟ قال : لا . ولكن سمعته يقول في الموبقات ، فقال كعب لعلي : حدثني بالموبقـات حتى

---

١ ـ أي وهو في نوم الظهيرة من القيلولة والقائلة.

٢ ـ الجامع لاخلاق الراوى واداب السامع ص ٢٤ : آ وانظر ص ٢٤ : ب منه وتذكرة الحفاظ ص ٣٨ ج ١ .

٣ ـ مسند الإمام أحمد ١٥٤ ـ ١٥٦ ج ١ وانظر فتح الباري ص ٤٣٥ ج ٧ .

احدثك بالمنجيات ، فقال علي : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الموبقات: ترك السنة ونكث البيعة ، وفراق الجماعة ». فقال كعب لعلي : المنجيات : كف لسانك وجلوس في بيتك ، وبكاؤك على خطيئتك [1] .

وقد روى بعض الصحابة عن بعض كثيراً سواء في حياته عليه الصلاة والسلام أو بعد وفاته ، من ذلك رواية الفاروق عمر عن الصديق رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ حديث (لانورث ما تركناه صدقه) وهو حديث صحيح أخرجه مسلم ، ومنها رواية عثمان رضي الله عنه عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (اني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً إلا حرم على النار : لا إله إلا الله) أخرجه مسلم في صحيحه ، ورواية أبي بكر عن بلال رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : (يا بلال أصبحوا بالصبح فانه خير لكم) . ورواية عبد الرحمن بن عوف عن الفاروق رضي الله عنهما قال : رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده . وما رواه بجالة بن عبدة . قال : كنت كاتباً لجرير بن معاوية على مناذر [2] ، فجاءنا كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انظر مجوس هجر من قبلك ، فخذ منهم الجزية ، فان عبد الرحمن بن عوف أخبرني أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس أهل هجر ، وروت عائشة عن الصديق كما روى عنها ، وروى ابن عمر عن ابن عباس ، وابن عباس عن ابن عمر ، كما روت عائشة عنه ، وروى ابن عباس عنها وروى جابر بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري كما روى أبو سعيد عن جابر ، وأنس عن جابر وجابر عن أنس ، وروى ابن عباس عن جابر بن عبد الله كما روى جابر

---

١ - المحدث الفاصل ص ١٤٩ : آ .

٢ - مناذر هما بلدتان بنواحي خوزستان ، مناذر الكبرى ومناذر الصغرى ، وهما من كور الاهواز وقد فتحتا سنة (١٨ هـ) انظر معجم البلدان ص ١٦٠ ج ٨ .

عنه ، وروى أبو سعيد الخدري عن ابن عباس كما روى ابن عباس عنه [1] . ومن يراجع كتب السنن وتراجم الرواة يجد كثيراً من روايات بعض الصحابة عن بعض ، وهذا دليل واضح على النشاط العلمي الذي كان بينهم يتبادلون الأحاديث ويسمعون ويسمع منهم ويروون ويروى عنهم . كل هذا في سبيل معرفة الحق وحفظ السنة المطهرة .

ولم يكتف الصحابة بدراسة الحديث فيما بينهم ، بل حثوا على طلبه وحفظه وحضوا التابعين على مجالسة أهل العلم والاخذ عنهم ، ولم يتركوا وسيلة لذلك إلا أفادوا منها . من هذا ماروى عن عمر رضي الله عنه قال : (تفقهوا قبل أن تسودوا) [2] وقال أيضاً . (تعلموا الفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن) [3] وكان أبو ذر مثلا رائعاً لنشر الحق وتبليغ سنة رسول الله ﷺ ، يروى عنه انه قال : (لو وضعتم الصمصامة – السيف الصارم – على هذه ، واشار إلى قفاه ، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها [4]) . وما كان أبو ذر بدعاً في الصحابه ، إنما كان أحد الألوف الذين ساهموا في حفظ السنة .

عن أبي قلابه قال : (قال ابن مسعود : عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله . .) [5] وكان ينهي عن البدع ويأمر باتباع السنة فيقول (الاقتصاد في السنة أفضل من الاجتهاد في البدعة) [6] .

---

١ – انظر اللطائف في دقائق المعارف من علوم الحفاظ الاعارف مخطوطة الظاهرية ص ١ : آ – ٣ : ب .

٢ – فتح الباري ص ١٧٥ جـ ١ .

٣ – جامع بيان العلم وفضله ص ٣٤ جـ ٢ .

٤ – فتح الباري ص ١٧٠ جـ ١ .

٥ و ٦ – تذكرة الحفاظ ص ١٥ جـ ١ ومجمع الزوائد ص ١٢٥ جـ ١ وانظر حضه على مذاكرة الحديث في معرفة علوم الحديث ص ١٤١ .

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : (تزاوروا وتذاكروا الحديث فانكم إلا تفعلوا يدرس) [1] .

ووقف عمرو بن العاص على حلقة من قريش فقال : (مالكم قد طرحتم هذه الاغيلمة ؟ لا تفعلوا ، واوسعوا لهم في المجلس ، واسمعوهم الحديث ، وافهموهم إياه ، فانهم صغار قوم أوشك أن يكونوا كبار قوم وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبار قوم) [2] .

وكان ابن عباس يحض طلابه على مذاكرة الحديث ، فيقول : تذاكروا هذا الحديث لا ينفلت منكم ، فانه ليس بمنزلة القرآن ، القرآن مجموع محفوظ ، وانكم إن لم تذاكروا هذا الحديث تفلت منكم ، ولا يقل أحدكم حدثت أمس لا أحدث اليوم ، بل حدث أمس ، وحدث اليوم ، وحدث غدا . . كما كان يقول : إذا سمعتم منا شيئاً فتذاكروه بينكم) [3] .

وكان أبو سعيد الخدري يحب طلاب العلم ويفسح لهم المجالس ، وكثيراً ما كان يقول : تحدثوا ، فان الحديث يذكر بعضه بعضا [4] .

ومما يروى ن أبي أمامة الباهلي أنه قال لطلابه : (ان هذا المجلس من بلاغ الله اياكم ، وان رسول الله ﷺ قد بلغ ما أرسل به ، وأنتم فبلغوا عنا أحسن ما تسمعون . وفي رواية كان يحدثهم حديثاً كثيراً عن رسول الله ﷺ ، فاذا سكت قال : اعقلوا بلغوا عنا كما بلغناكم) [5] .

---

١ – شرف اصحاب الحديث ص ٩٩ . وانظر أيضاً معرفة علوم الحديث ص ٦٠ و ١٤١ .

٢ – شرف أصحاب الحديث ص ٨٩ : ب .

٣ – شرف اصحاب الحديث ص ٩٩ : آ وانظر نحوه في الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع نسخة الظاهرية ص ٤٨ : ب .

٤ – شرف أصحاب الحديث ص ١٠٠ : آ .

٥ – شرف أصحاب الحديث ص ١٠٠ : آ .

وهكذا كان الصحابة الكرام يتواصون بحفظ الحديث ومذاكراته ويحضون طلابهم على ذلك ، ويحثونهم على تبليغ ما يسمعون منهم .

وقد سار التابعون واتباعهم على نهج الصحابة ، فكانوا يوصون أولادهم وتلاميذهم بحفظ السنة وحضور مجالس العلم ، فقد أوصى عروة بنيه بهذا كما أوصى طلابه [1] ، وكان علقمة يشجع طلابه على مذاكرة الحديث ودراسته ،[2] كما كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول : إحياء الحديث مذاكرته فتذاكروه [3] . واشتهرت بين العلماء عبارة (تذاكروا الحديث فان الحديث يهيج الحديث) [4] .

وأكثر من هذا ، كان بعض الآباء يشجعون أبناءهم على حفظ الحديث ويقدمون اليهم جوائز كلما حفظوا شيئاً منه ، من هذا مارواه النضر ابن الحرث قال : سمعت ابراهيم بن أدهم يقول : قال لي أبي : يابني ، اطلب الحديث ، فكلما سمعت حديثاً وحفظته فلك درهم . فطلبت الحديث على هذا [5] .

ومهما يكن موقف المربين في هـــذا العصر من هذا التشجيع فإنه وسيلة مبدئية لحفظ الحديث ودراسته . وان كانت في نظر الطفل هي الغاية فانها لا تلبث أن تصبح وسيلة ، فاذا ما ألف حفظ الحديث ، وتعطشت نفسه اليه تجسمت الغاية الأصلية أمامه ، وعرف قيمتها ،

---

١ – انظر طبقات ابن سعد ص ١٣٤ – ١٣٥ قسم ٢ ج ٢ وانظر المحدث الفاصل نسخة : دمشق ص ١٥ : ب ، ج ١ .

٢ و ٣ و ٤ – انظر شرف اصحاب الحديث ص ١٠٠ : ب ، وانظر كتاب العلم لزهير بن حرب فان فيه بعض هذا ص ١٨٩ : ب وكذلك في الجامـــع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ٤٦ : ب والمحدث الفاصل ص ١٢٩ : ب ـ ١٣٠ : ب .

٥ – شرف أصحاب الحديث ص ٩٠ ، وابراهيم بن أدهم عاصر الثوري ويغلب أن وفاته سنة (١٦١) كان ورعاً مجاهداً ، انظر البداية والنهاية ص ١٣٥ ج ١٠ .

وقدر نفع الحديث ، وعرف معناه ، وأصبح من عشاقه ، سواء انقطعت تلك الجوائز أم لم تنقطع .

وان التاريخ ليحفظ لنا أخباراً كثيرة تثبت اقبال طلاب العلم على طلب الحديث اقبالاً لا مثيل له ، بدافع ذاتي ، وميل نفسي ، حتى إن بعض طلاب العلم المتفانين في حب الحديث كانوا يؤدون بعض الخدمات من أجل سماع حديث أو حديثين[1] .

وقد كانت المنافسة العلمية المحببة قائمة بين طلاب الحديث في ذلك العصر ، فالذكي من تمكن من حفظ أحاديث في باب كذا وباب كذا ، والمجد من أسرع إلى صحابي وأخذ عنه قبل وفاته ، والمفلح من حظي بحب شيخه ، وتمكن من الإنفراد به ، والكتابة عنه ، والقراءة عليه ثم العرض والتصحيح بين يديه ...

لكل هذا رأينا أصحاب الحديث يجدون في طلب العلم الشريف ، ويتبارون في تحصيله[2] ، وكثر طلاب العلم كثرة تثلج لها الصدور ، وتشرق بها النفوس حتى إن أحد الصحابة كان يحدث الناس ، فيكثرون

---

١ – روى سفيان بن عيينة قال : كان أبي صيرفيا بالكوفة فركبه الدين فحملنا إلى مكة فلما رجعنا إلى المسجد لصلاة الظهر ، وصرت إلى باب المسجد إذا شيخ على حمار فقال لي يا غلام أمسك علي هذا الحمار حتى ادخل المسجد فأركع فقلت : ما أنا بفاعل او تحدثني قال : وما تصنع أنت بالحديث ؟ واستصغرني ، فقلت : حدثني . فقال : حدثني جابر عن عبد الله وحدثنا ابن عباس فحدثني بثمانية أحاديث فأمسكت حماره ، وجعلت احفظ ما حدثني به فلما صلى وخرج قال: ما نفعك ماحدثتك به ، حبستني؟ فقلت حدثني بكذا وحدثني بكذا فرددت عليه جميع ما حدثني به فقال: بارك الله فيك تعال غدا إلى المجلس، فاذا هو عمرو بن دينار (٤٨ – ١٢٦ هـ) انظر المحدث الفاصل مخطوطة دمشق ص ١٦: ب – ١٧ : آ ج ١ .

٢ – انظر المحدث الفاصل ص ١٤٣ : ب فيما أخبار عن ذلك .

عليه ، فيصعد فوق بيت ويحدثهم[1] . قال أنس بن سيرين : قدمت الكوفة قبل الجماجم ، فرأيت بها أربعة آلاف يطلبون الحديث[2] ، وفي رواية زاد : فقال : وأربعمائة قد فقهوا[3] . فقبل بداية الربع الأخير من القرن الأول أضحت الكوفة محط أنظار أهل الحديث ، ولم يقتصر هذا النشاط على قطر دون آخر ، بل كان عاماً شاملاً . فحلقات العلم كانت تعقد في كل مكان ، ففي جامع دمشق حلقات أبي الدرداء التي تضم نيفاً وخمسمائة وألف طالب[4] إلى جانب حلقات غيره من شيوخ دمشق ، التي كان يكتب فيها الطلاب[5] ، كما كانت تعقد في حمص وحلب والفسطاط والبصرة والكوفة واليمن الى جانب حلقات ينبوع الاسلام في مكة والمدينة ، فقد كانت في المدينة كالروضة يختار منها طالب العلم ما يشاء[6] .

وفي عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الاموي ، كان المسجد الحرام يغص بطلاب العلم ، حتى إن الخليفة أعجب بهم عندما زاره فوجد فيه خلقاً لا يحصى ، تضم أبناء المسلمين وطلاب العلم ، فسأل عن شيوخ هذه الحلقات ، فكان فيها عطاء ، وسعيد بن جبير ، وميمون بن مهران ، ومكحول ، ومجاهد ، وغيرهم ، فحث أبناء قريش على طلب العلم والمحافظة عليه[7] .

---

١ – انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٢ .

٢ – المحدث الفاصل ٨١ : آ وكانت دير الجماجم وقعة مشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الاشعث سنة (٨٢ هـ) وفيها قتل عبد الرحمن بن الاشعث وكثير من القراء انظر تاريخ الطبري ص ١٥٧ ج ٥ . ودير الجماجم بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر للسالك إلى البصرة : معجم البلدان ص ١٣١ ج ٤ .

٣ – المحدث الفاصل ص ١٣٥ : ب .

٤ و ٥ – انظر التاريخ الكبير لابن عساكر ص ٦٩ ج ١ .

٦ – انظر المحدث الفاصل ص ٩ : ب .

٧ – انظر المرجع السابق ص ٣٥ : ب – ٣٦ .

وسيتجلى لنا نشاط المراكز العلمية في الدولة الاسلامية عندما نتكلم عن انتشار العلم في عهد الصحابة والتابعين .

وقد قيض الله لهذه الأمة أساتذة أوتوا العلم والأدب وأصول التربية ترعرعوا بين يدي رسول الله ﷺ ويدي أصحابه الكرام ، واجتهد القائمون على التعليم منهم في ذلك العصر في تعليم تلاميذهم وجلسائهم ، واعتنوا عناية عظيمة بالنشىء الجديد ، فنرى اسماعيل بن رجاء — من أقران الأعمش — يجمع الصبيان ويحدثهم[1] . ومر رجل بالأعمش — سليمان بن مهران — وهو يحدث فقال له : تحدث هؤلاء الصبيان ؟ فقال الأعمش : هؤلاء الصبيان يحفظون عليك دينك[2] . وكان مطرف بن عبد الله يقول: لأنتم أحب الي مجالسة من أهلي[3] . وكان سفيان الثوري يقول : لو لم يأتوني — (يعني طلاب الحديث) — لأتيتهم في بيوتهم[4] .

وكان بعض الشيوخ يفعلون هذا فيذهبون الى طلابهم ويحدثونهم ، من هذا ما يروى عن وكيع أنه كان يمضي في الحر وقت القيلولة الى قوم سقائين يحدثهم ، ويقول : هؤلاء قوم لهم معاش لا يقدرون يأتوني فيحدثهم بتواضع[5] .

وكان الوليد بن عتبة يقرأ في مسجد باب الجابية مصنفات الوليد بن مسلم وكان رجل يأتيه بعد فوات ربع المجلس أو ثلثه فيعيده عليه ، ولما تكرر هذا منه سأله الوليد بن عتبة عن تأخره فقال له (أنا رجل

---

١ — انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٠ .

٢ — شرف اصحاب الحديث ص ٨٩ : وانظر المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ١٥ ج ١ .

٣ — شرف أصحاب الحديث ص ١٠٢ : ب .

٤ — شرف أصحاب الحديث ص ١٠٣ : ب واشتهر عن عروة بن الزبير أنه كان يتألف الناس على حديثه انظر كتاب العلم لابن حرب ص ١٨٧ .

٥ — انظر الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ٣٦ : آ .

معيل ولي دكان في (بيت لهيا)[1] ، فان لم اشتر حويجاتها من غدوة ثم أغلق وأجيء أعدو والا خشيت أن يفوتني معاشي ، فقال له الوليد ابن عتبة لا أراك هاهنا مرة أخرى) فكان الوليد يقرأ المجلس ويأخذ الكتاب ويمر الى (بيت لهيا) حتى يقرأ عليه المجلس في دكانه[2] .

وكانوا يعلمونهم الحديث والأدب فيه ، واحترامه واجلاله[3] ، وكانت لحلقات العلم مكانة جليلة ، وكان طلاب الحديث يوقرون اساتذتهم ، ويفخرون بخدمتهم ، والأخذ عنهم ، وكان سلوكهم مع اساتذتهم في غاية الأدب والاحترام ، سواء أكان هذا في التلقي عنهم أم في مناقشتهم ؛ ويؤثر عن كثير من الصحابة والتابعين نصائح لطلاب العلم في هذا الصدد[4] .

وأما حلقات العلم وشيوخها وطريقة تعليمهم فانها تحتاج الى بحث كبير قائم بذاته ، وإن لدينا من الأخبار ما يملأ أكثر من مجلد في هذا . ولكن المقام يضيق بايرادها ، ويكفينا أن نذكر شيئاً موجزاً عن الصحابة والتابعين يتناول طريقة تعليمهم .

وأول ما يسترعي انتباهنا في هذا خطوط كبرى تعتبر من الاسس الهامة في التربية الحديثة ، من هذه الأسس :

١ — مراعاة أحوال المحدثين :

فقد لاحظ الصحابة والتابعون احوال طلابهم ملاحظة دقيقة ، فكانوا

---

١ ـ بيت لهيا بكسر اللام وسكون الهاء وياء وألف، كذا يتلفظ بها والصحيح بيت الآلهة بفتح اللام والهاء وهي قرية مشهورة بغوطة دمشق ، والنسبة اليها بتلهي بفتح الباء والتاء وسكون اللام وقد نسب اليها خلق كثير من أهل الرواية ، منهم يحيى بن محمد بن عبد الحميد السكسكي البتلهي . انظر معجم البلدان ص ٧٨٠ حـ ١ . طبع ليبزيغ سنة ١٨٦٦ .

٢ ـ انظر الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ٣٦ : ب .

٣ ـ انظر طبقات ابن سعد ص ٣٤٥ جـ ٥ .

٤ ـ انظر العقد الفريد ص ٧٨ جـ ٢ .

لا يحدثونهم الا بما يناسب مداركهم ، ويشرحون الاحاديث ، ويبينون مناسباتها حتى يدرك الطلاب ما يرويه شيوخهم ، يروى عن ابن مسعود أنه قال : (ان الرجل ليحدث بالحديث فيسمعه من لا يبلغ عقله فهم ذلك الحديث ، فيكون عليه فتنة)[1] وفي رواية عنه (ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم)[2] ، وعن حماد بن زيد قال : قال أيوب : لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون فتضروهم [3] .

٢ ـ الحديث لمن هو أهل له :

وكما حرص الصحابة والتـــابعون على مراعاة احوال الرواة ،حرصوا على نشر الحديث بين اهله وطلابه ، ورفعه عـن السفهاء وأهل الغايات والأهواء ، فـكانوا يحاولون جهدهم ألا يحضر مجالسهم إلا طلاب العلم ، وفي هذا كان يقول الزهري : (... وهجنته (أي الحديث) نشره عند غير أهله) [4]، وكان الأعمش يرى أن إضاعة الحديث التحديث به عند غير أهله[5] وكثيراً ما كان يقول : (لا تنشروا اللؤلؤ على اظلاف الخنازير يعـني الحديث)[6]، أي لا تحدثوا الحديث لغير أهلة .

ورأى الأعمش شعبة بن الحجاج يحدث قوما ، فقال له : ويحك يا شعبة .. تعلق الدر في أعناق الخنازير [7] ؟ قـال مجالد بن سعيد : حدثني الشعبي بحديث .. فرويته عنه ، فأتاه قوم فسألوه عنه : فقال :

---

١ ـ الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٢٩ : ب .

٢ ـ تذكرة الحفاظ ص ١٥ ج ١ وروى نحو هذا عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة انظر المحدث الفاصل ص ١٤٣ : ب .

٣ ـ الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٢٩ : ب .

٤ ـ المحدث الفاصل ص ١٤١ : آ والهجنة والتهجين للامر تقبيحه .

٥ و ٦ ـ المحدث الفاصل ص ١٤١ : آ .

٧ ـ المحدث الفاصل ص ١٤٣ : آ .

ما حدثت بهذا الحديث قط ، فأتوني ، فأتيته ، فقلت : أو ما حدثتني ؟ قال : احدثك بحديث الحكماء ، وتحدث به السفهاء !؟ [1] وكان يقول : إنما كان يطلب هذا العلم من جمع النسك والعقل فان كان عاقلا بلا نسك قيل : هذا لا يناله ، وإن كان ناسكاً بلا عقل قيل : هذا أمر لا يناله إلا العقلاء [2] .

واختتم هذه الفقرة بذكر شيء من أساليب الحيطة ، التي كان يفعلها زائدة بن قدامة [3] مع من يأتيه طالباً الحديث ، حرصا منه على صيانة السنة المطهرة وحفظها . روى عمرو بن المهلب الأزدى قال : (كان زائدة لا يحدث أحدا حتي يمتحنه ، فان كان غريباً قال له : من أين أنت ؟ وان كان من اهل البلد قال : أين مصلاك ؟ ويسأل كما يسأل القاضي عن البينة . فإذا قال له سأل عنه ، فان كان صاحب بدعة قال : لا تعودن إلى هذا المجلس ، فان بلغه عنه خير أدناه وحدثه ، فقيل له : يا أبا الصلت لم تفعل هذا ؟ قال : أكره أن يكون العلم عندهم ، فيصيروا أئمة يحتاج إليهم ، فيبدلوا كيف شاؤوا [4] .

قد يظن أن في تشدد زائدة منعا للعلم ونشره ، وان طريقته هذه تتنافى مع رسالة المعلمين المرشدين الهادين ، والحقيقة أن منهجه هذا كان من وسائل المحافظه على السنة ، كما كان حائلا دون أهل البدع والاهواء من أن يستغلوا الحديث الشريف أو يحرفوه تبعا لأهوائهم .

---

١ - المحدث الفاصل ص ١٤١ : ب ، ولعل الشعبي انكر ذلك لانه خشى من القوم السفهاء أن يتخذوا ما حدث به ذريعة إلى اهوائهم .

٢ - تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١ .

٣ - انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ص١٩٤ ج١ وهو أمام حجة توفي سنة ١٦١هـ.

٤ - المحدث الفاصل ص ١٤٢ : ب .

٣ ـ طلب الحديث بعد القرآن الكريم :

من البدهي أن يهتم المسلمون بكتاب الله تعالى وحفظه ودراسته وتلاوته ، وفهمه وتفسيره . وقد اجمع المحدثون على أنه لا ينبغي أن يطلب المرء الحديث الا بعد قراءته القرآن وحفظه كله أو أكثره ، ثم يبدأ سماع الحديث وكتابته عن الشيوخ ، وكان كثير من المحدثين لا يقبلون الطلاب في حلقاتهم الا اذا وثقوا من دراستهم القرآن الكريم وحفظ بعضه على الاقل وفي هذا قال حفص بن غياث : أتيت الأعمش فقلت : حدثني : قال : أتحفظ القرآن ؟ قلت لا قال : اذهب فاحفظ القرآن ، ثم هلم احدثك . قال : فذهبت فحفظت القرآن ، ثم جئته فاستقرأني فقرأته ، فحدثني [١] .

٤ ـ عدم تتبع المنكر من الحديث :

خشي الصحابة والتابعون من بث بعض الاحاديث الواهية والضعيفة ، فنهوا عن روايتها وطلبوا التثبت في الرواية كما سبق أن ذكرنا ، وحثوا على رواية الاحاديث المعروفة ونشرها بين طلاب العلم وخاصة الجدد منهم وفي هذا يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : (حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون .. أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[٢] قال الامام الذهبي : (فقد زجر الامام علي رضي الله عنه عن رواية المنكر ، وحث على التحديث بالمشهور ، وهذا اصل كبير في الكف عن بث الاشياء الواهية ، والمنكره من الاحاديث في الفضائل والعقائد ، والرقائق ، ولا سبيل إلى معرفة هذا من هذا إلا بالامعان في معرفة الرجال) [٣] .

---

١ ـ المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ١٩ ج ١ .

٢ ـ تذكرة الحفاظ ص ١٢ ـ ١٣ ج ١ وفتح الباري ص ٢٣٥ ج ١ .

٣ ـ تذكرة الحفاظ ص ١٢ - ١٣ ج ١ .

وأما الاحاديث المنكرة والشاذة وطرقها ، والاحاديث الموضوعة — فقد كان يحفظها الشيوخ حتى اذا ذكر لهم حديث منها بينوه ، وكانوا يروون منها لطلابهم بعد بيان عللها ، وبعد ان يقطع الطلاب مرحلة جيدة في دراساتهم . وسنبين هذا عندما نتكلم عن الحديث الموضوع .

٥ — التنويع والتغيير دفعاً للملل :

عرف الصحابة والتابعون ما يجدد نشاط طلابهم ، فعملوا به ، وأفادوا منه لتتحقق الغاية من دروسهم وحلقاتهم ، فكانوا يتناولون دراسة الاحاديث المختلفة حينا ، ويتكلمون في الرجال أحيانا ، وينتقلون الى سيرة الرسول ﷺ تارة ، ويذكرون أسباب ورود الحديث ومناسبته تارة أخرى .

فكانت دراسة الحديث شيقة ، تجذب الطالب اليها لتعدد موضوعاتها وتناولها كثيرا من الامور التي تتعلق بدينه ودنياه . ومع هذا كان شيوخ الحلقات يخشون ادخال السآمة الى نفوس تلاميذهم ، فكانوا يتخولونهم بالموعظة كما كان يفعل رسول الله ﷺ ، وكما فعل الصحابة من بعده [١] وكانت السيدة عائشة توصي التابعين بهذا ، فقد قالت لعبيد ابن عمير . اياك واملال الناس وتقنيطهم [٢] . ولهذا كانوا لا يطيلون المجلس حتى لا تضيع الفائدة عليهم ، وفي هذا يقول الامام الزهري : « اذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب [٣] » ويروى عن ابن عباس

---

١ ـ انظر هذا عن عبد الله بن مسعود في مسند الامام أحمد ص ٢٠٢ حديث ٣٥٨١ ج ٥ وجامع بيان العلم ١٠٥ ج ١ .

٢ ـ الجامع الراوي وآداب السامع ص ١٣٦ : آ .

٣ ـ الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٣٦ : آ .

رضي الله عنهما انه كان يقول – اذا فاض مَنْ عنده بالحديث بعد القرآن والتفسير – : احمضوا . أي خوضوا في الشعر وغيره .. وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال : اني لاستجم قلبي بالشيء من اللهو ، لأقوى به على الحق [1] .

وقد كان الصحابة أحياناً يتناولون في مجالسهم بعض الشعر وايام الجاهلية ليسروا عن أنفسهم ، فيبدلوا الموضوع ليستعيدوا نشاطهم، فعن أبي خالد الوالي قال : (كنا نجالس اصحاب النبي ﷺ ، فيتناشدون الاشعار ويتذاكرون ايامهم في الجاهلية) [2] ، وكان الزهري يحدث ثم يقول : (هاتوا من اشعاركم ، هاتوا من احاديثكم ، فان الاذن مجاجة ، وان للنفس حمضة [3]) . وكان يقول : روحوا القلوب ساعة وساعة [4] .

٦ – احترام حديث رسول الله ﷺ وتوقيره :

ذكرت تمسك الصحابة والتابعين بالسنة ، وتقديمها على كل شيء بعد القرآن ، فقد كانوا لا يقبلون رأيا مع السنة مهما يكن شأنه ، ومهما تكن منزلة صاحبه ، وكما تمسكوا بالسنة ، احترموا مجالس الحديث ، ووقروا حفاظه ، وتأدب الناس مع حديث رسول الله ﷺ شيوخا وطلابا .

---

١ – الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٤١ واللهو المقصود هنا اللهو المشروع مما يروح القلب ويجدد النشاط .

٢ – جامع بيان العلم ص ١٠٥ ج ١ .

٣ – جامع بيان العلم ص ١٠٤ ج ١ مج الشراب من فيه رمى به ، ومج الحديث طرحه ومل منه . والحمضة الشهوة للشيء ، وحمضت الابل عن الحمض كرهته وبه اشتهته . انظر القاموس المحيط .

٤ – جامع بيان العلم ص ١٠٥ ج ١ .

عن الأعمش عن ضرار بن مرة قال : كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول الله ﷺ وهم على غير وضوء [1] وكان الأعمش اذا اراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم [2] . وقال قتادة : لقد كان يستحب أن لا تقرأ الاحاديث التي عن رسول الله ﷺ الا على طهور ، وفي رواية الا على وضوء [3] ، وروي هذا عن كثير من العلماء .

ويذكر سعيد بن المسيب – وهو على فراش المرض – حديثا عن رسول الله ﷺ ، فيقول : أجلسوني ، فإني أكره أن احدث حديث رسول الله ﷺ وأنا مضطجع [4] .

قال الرامهرمزي : كان أكثرهم يتطهرون عندما يتصدرون للتحديث فيلبس العالم احسن ثيابه ، ويتوضأ وضوءه للصلاة ، ومن ذلك قول ابي العالية : « اذا حدثت عن رسول الله ﷺ حديثا فازدهر » ، وكان مالك رضي الله عنه اذا اراد أن يخرج يحدث توضأ وضوءه للصلاة . ولبس احسن ثيابه ، ولبس قلنسوة ، ومشط لحيته ، فقيل له في ذلك فقال : اوقر حديث رسول الله ﷺ [5] . وكان مالك أحياناً يحدث ابناء كل قطر حتى ليزداد الازدحام في داره ، فكان مناد على بابه ينادي : ليدخل اهل الحجاز ، فلا يدخل غيرهم [6]، ثم يخرج فينادي اهل

---

١ ـ جامع بيان العلم وفضله ص ١٩٨ ج ٢ والمحدث الفاصل ص ١٤٧ : آ .

٢ ـ جامع بيان العلم وفضله ص ١٩٩ ج ٢ .

٣ و ٤ ـ جامع بيان العلم وفضله ص ١٩٩ ج ٢

٥ ـ انظر المحدث الفاصل ١٤٦ : ب .

٦ ـ انظر المرجع السابق ص ١٤٧ : ١ .

الشام .. يفعل هذا حتى لا يكثر الطلاب ، فيكثر السؤال ، وتفوت الفائدة جل الحاضرين .

وهناك آداب كثيرة ، وأصول متبعة للسؤال والقراءة والعرض على المحدث والجلوس بين يديه ، وحضور حلقات العلم ، تكفلت بذكرها كتب خاصة [1] ، وافردت لها ابواب في اكثر كتب مصطلح الحديث وعلومه .

٧ ـ مذاكرة الحديث :

لم يكن طلاب العلم يكتفون بحضور مجلس الحديث ثم ينصرفون الى أعمالهم حتى يحين المجلس القادم ، من غير أن يذاكروا مايسمعونه . ولم يكن حضور حلقات العلم للتسلية وشغل أوقات الفراغ . . ، متى شاء الطالب حضر ومتى أحب انصرف منها ، كلا ، بل كان الطلاب يحضرون في أوقات معينة يخصصها لهم استاذهم بعد صلاة الفجر مثلاً حتى الضحى ، أو بين الظهر والعصر ، فيتسابق الطلاب الى الحلقة قبل انعقادها ، ليتخذوا اماكنهم [2] ، حتى اذا ماحضر الاستاذ كان جميع الطلاب على استعداد لتلقي الحديث عنه . وقد يغيب عن الحلقة طالب ، فيسأل عنه الشيخ ويعرف سبب غيابه ، وقد يكلف بعض اخوانه السؤال عنه ، فالحلقات في العصور الماضية كانت كالفصول النظامية في مدارسنا الحديثة .

---

١ ـ فقد الف الخطيب كتاباً كبيراً في هذا سماه (الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع) تعرض فيه لجميع ما يتعلق بطلاب الحديث واساتذتهم ودروسهم ومذاكراتهم.. الخ ، ولا يزال هذا المؤلف مخطوطاً : ومنه نسخة كاملة في دار الكتب في الاسكندرية ، صورت عنها نسخة ونقلت إلى دار الكتب المصرية في (١٩٦) لوحة ، كل لوحة فوتوغرافيه صفحتان من النسخة الاصلية ، وقد باشرت تحقيقه مع بعض اخواني ،ارجو أن نوفق لنشره فينتفع المسلمون به .

٢ ـ انظر انعقاد المجالس في الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ، حيث بسط القول في هذا .

لهذا كان أصحاب الحديث يحرصون على حضور مجالسه ، ويحفظون مايسمعونه ، ويذاكرونه .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون هذا في عهد رسول الله ﷺ فعن أنس بن مالك قال : (كنا نكون عند النبي ﷺ ، فنسمع منه الحديث ، فاذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه) [1]

وكان التابعون واتباعهم يذاكرون حديث رسول الله ﷺ جماعات وافرادا ، عن أبي صالح السمان [2] قال حدثنا ابن عباس يوما بحديث فلم نحفظه ، فتذاكرناه بيننا حتى حفظناه [3] . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عطاء قال : (كنا نكون عند جابر بن عبد الله فيحدثنا ، فاذا خرجنا من عنده تذاكرنا حديثه) [4] . ، ، وعن مسلم البطين قال : (رأيت أبا يحيى الاعرج – وكان عالماً بحديث ابن عباس – اجتمع هو وسعيد بن جبير في مسجد الكوفة فتذاكرا حديث ابن عباس) [5] . وقال مرة عبد الرحمن بن أبي ليلى : (إحياء الحديث مذاكرته ، فتذاكروه ، فقال عبد الله بن شداد يرحمك الله . . كم من حديث احييته من صدري قد كان مات) [6] .

وقد تطول مجالس المذاكرة من أول الليل حتى نداء الفجر [7] ، وكان من طلاب العلم من ينتظر انصرام الليل ليلقى اخوانه فيذاكرهم ،

---

١ ـ الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ٤٦ : ب وانظر غير ذلك في الالماع ص ٢٧ : ب .

٢ ـ لم يذكر الحاكم لقبه وهو من أصحاب أبي هريرة وقد سمع من ابن عباس وهو ذكوان المدني انظر تهذيب التهذيب ص ١٣٢ ج ١٢ .

٣ ـ معرفة علوم الحديث ص ١٤١ .

٤ ـ كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٠ : آ .

٥ ـ الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٨٤ : آ .

٦ ـ كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٠ : آ .

٧ ـ انظر المرجع السابق ص ١٩١ : ب .

وكان ابراهيم النخعي يقول : انه ليطول عليّ الليل حتى ألقى اصحابي فأذاكرهم [1] . ومما يروي عن شعبه بن الحجاج انه خرج من عند عبد الله بن عون ، وقد عقد بيديه جميعا فكلمه بعض اخوانه ، فقال : (لا تكلمني فاني قد حفظت عن ابن عون عشرة أحاديث أخاف أن انساها) [2] .

قال علقمة بن قيس النخعي : (أطيلو ذكر الحديث لايدرس [3]) ، وقال سفيان : (اجعلوا الحديث حديث انفسكم وفكر قلوبكم تحفظوه) [4] .

هكذا كان يذاكر أصحاب الحديث حديث رسول الله ﷺ ، حتى يثبت في صدورهم ولا ينسوه .

وكان بعضهم يتخذ التحديث بما سمع وسيلة إلى حفظه ، فاذا لم يجد من يحدثه حدث خادمه او بنيه ، وفي هذا يروى عن الامام الزهري أنه كان يبتغي العلم من عروة وغيره ، فيأتي جارية له نائمة فيوقظها فيقول لها : حدثني فلان بكذا ، وفلان بكذا فتقول : مالي ولهذا ، فيقول : قد علمت انك لا تنتفعين به ، ولكن سمعت الآن ، فأردت أن استذكره [5] ، ولا يجد اسماعيل بن رجاء من يذاكر الحديث معه فيجمع غلمان المكاتب ويحدثهم كيلا ينسى حديثه [6] .

---

١ - الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٨٢ : ب .
٢ - الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ٤٧ : آ .
٣ و ٤ - الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٨٢ : ب .
٥ - تاريخ الاسلام للذهبي ص ١٤٨ ج ٥ .
٦ - انظر المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ١٥ : ب ، وانظر عيون الاخبار ص ١٣٤ ج ٢ وتهذيب التهذيب ص ٢٩٦ ج ١ .

وكثيراً ما كانت تعقد مجالس المذاكرة وتقام المناظرات بين أصحاب الحديث لتعرف طرقه ، ويكشف عن القوي والضعيف منها ، وفي هذا يقول يزيد بن هارون : ادركت الناس يكتبون عن كل – من المشايخ الاقوياء والضعفاء – فاذا وقعت المناظرة حصّلوا [1] .

مما سبق يتبين لنا اهتمام الصحابة والتابعين واتباعهم بالسنة المطهرة ، وحرصهم على الحديث النبوي الشريف ، فعرفنا كيف كانوا يحدثون طلابهم ، وكيف كانوا يعتنون بصغارهم ، ويحرصون على تربيتهم التربية الصالحة ، على هدى محمد ﷺ ، كما عرفنا آدابهم في الحديث وطلبه ، واحترامهم لعلمائهم ، وحرص الطلاب على دراسة السنة وحفظها ومذاكرتها وتثبيتها في صدورهم والعمل بها ، كل ذلك يعطينا صورة حية عن النشاط الحديثي في ذلك العصر ، صورة مخطوطة عن الحركة العلمية القوية التي كانت في عصر الصحابة والتابعين ، تلك الحركة التي كان لها الفضل العظيم في حفظ السنة .

وان ما قدمناه لا يعدو الخطوط العريضة لتلك الحركة الواسعة ، التي كانت في الصدر الاول وقد أغفلنا كثيراً من التفصيلات التي تتعلق بسن السماع وطريقة الرواية والتلقي ، وكيفية القراءة على المحدث ، وكل ما يتعلق بدرجات تحمل الحديث وأدائه ، مما تكفلت بشرحه كتب مصطلح الحديث وعلومه [2] .

وهكذا خرجنا من هذا البحث بخلاصة هامة ، هي ان الحديث الشريف لقي عناية وحفظاً واهتماماً عظيماً من أبناء ذلك العصر ، الذين تولوا نقله بأمانة واخلاص إلى الجيل الذي تلاهم ، ثم أدت الاجيال المتعاقبة هذه الأمانة حتى وصلت الينا في أمهات الكتب الصحيحة .

---

١ ـ المحدث الفاصل ص ٨٣ : ب ، والجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٧ : آ .

٢ ـ سنذكر هذا في الفصل الأول من الباب الثالث .

انتشار الحديث في عصر الصحابة والتابعين

انتقل رسول الله ﷺ الى الرفيق الأعلى ، بعـــد أن عم الاسلام الجزيرة العربية كلها ، وأصبحت هذه البلاد قلعة حصينة للاسلام ، وقاعدة تنبعث منها أضواء الهداية في العالم ، وقد عقد رسول الله ﷺ قبل وفاته لواء جيش أسامة لفتح الشام ، ولكن المنية اخترمته قبل انفاذه ، وخلفه الصديق فوجه جيش الرسول ﷺ إلى بلاد الشام ، واتسعت الفتوحات الإسلامية ، وامتدت الدولة الإسلامية حول الجزيرة العربية ، ففتحت بلاد الشام كلها (فلسطين والأردن وسوريا ولبنان) والعراق جميعها في سنة سبع عشرة هجرية [١] ، وفتحت مصر سنة عشرين من الهجرة [٢] ، ووصل المسلمون إلى ماوراء النهر في خلافة عثمان بعد أن فتحوا (فارس) سنة احدى وعشرين ، ووصلوا سمرقند سنة ست وخمسين [٣] ، ومـــا لبثت الرايات الاسلامية أن خفقت في ربوع الأندلس غرباً سنة ثلاث وتسعين [٤] وارتفعت بنود الاسلام وأعلامه على ذرا جبـال البرانس [٥] سنة وست وتسعين ، وعلى حدود الصين شرقاً سنة ست وتسعين أيضاً [٦] .

١ ـ انظر تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٢٩٩ ج ١ وما بعدها .
٢ ـ انظر المرجع السابق ص ٢٣٦ ج ١ .
٣ ـ انظر المرجع السابق ص ٢٧٩ وما بعدها ج ١ .
٤ ـ انظر المرجع السابق ص ٣١٣ ج ١ .
٥ ـ انظر الموجع السابق ٣١٨ وما بعدها ج ١ .
٦ ـ انظر المرجع السابق ص ٣٠٥ ج ١ .

كان في طليعة الجيوش الاسلاميه صحابة رسول الله ﷺ وكانوا كلما دخلوا بلداً أقاموا فيه المساجد [1] ، ومكث فيه بعض الصحابة والتابعين يدبرون أموره ، وينشرون فيه الاسلام ، ويعلمون ابناءه القرآن الكريم وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكان الخلفاء يمدون البلاد الجديدة بالعلماء ، وقد استوطن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم تلك الأمصار ، يرشدون أهلها ، ويعلمون ابناءها . وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً ، والتفوا حول أصحاب الرسول ﷺ ، ينهلون من الينابيع التي أخذت عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وتخرج في حلقاتهم التابعون الذين حملوا لواء العلم بعدهم ، وحفظوا السنة الشريفة ، وهكذا أصبحت في الأقاليم والأمصار الاسلامية مراكز علمية عظيمة ، تشع منها أنوار الاسلام وعلومه ، إلى جانب مراكز الاشعاع الاولى التي أمدت هذه الأقطار بالاساتذة الاول .

ويجدر بنا أن نذكر لمحة موجزة عن مراكز التعليم هذه فيما يخص بحثنا ، فنتناول أهم تلك المراكز العلمية والقائمين عليها في الأمصار الإسلامية :

١ ـ المدينة المنورة :

هي دار الهجرة ، وحاضرة الدولة الإسلامية ، التي آوت الرسول الكريم بعد هجرته ومعه الصحابة رضوان الله عليهم ، وشهدت الجانب التشريعي الاول في صدر الاسلام ، وفي مساجدها التف المسلمون حول محمد عليه الصلاة والسلام ، يتلقون القرآن العظيم ، ويسمعون الحديث الشريف ، وفيها شاهدوا قضاءه وقسمته للغنائم ، واستنفاره للجيوش ، وموادعته

---

١ ـ انظر الخطط للمقريزي ص ٢٤٦ ج ٢ ،

لخصومه ، واليها التجأ المسلمون المهاجرون بدينهم ، تحت ضغط قريش والقبائل الاخرى في أطراف الجزيرة العربية ، وتعلقت بها الانظار ، وعقدت عليها الآمال ، حتى كان صلح الحديبية ثم الفتح الأعظم ، فأصبحت مركز الحجاز السياسي ، وعاصمة الدولة الاسلامية إلى أوائل خلافة علي رضي الله عنه .

وقد يخطر ببالنا أن المهاجرين عادوا إلى مكة بعد وفاته ﷺ ، ولكن التاريخ يؤكد لنا أن الصحابة والخلفاء آثروا أن يجاوروا رسول الله ﷺ [1] ، ويقيموا حيث أقام . لذلك نرى في المدينة كبار الصحابة الذين رسخو في العلم ، وكانت لهم مكانة عظيمة في الحديث ، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين ، وعبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري ، وزيد بن ثابت الذي اشتهر بفهم القرآن والحديث والفرائض خاصة ، وكانت له مكانة رفيعة عند الخلفاء الراشدين حتى إنهم ما كانوا يقدمون عليه أحداً في القضاء أو الفتوى والفرائض والقراءة [2] .

وقد تخرج في المدينة كبار التابعين ، ومنهم سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير وابن شهاب الزهري ، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، ومحمد بن المنكدر وغير هؤلاء ممن كانوا مرجع الأمة في السنة والقضاء والفتوى .

٢ ـ مكة المكرمة :

لما فتح رسول الله ﷺ مكة ، خلف فيها معاذاً يعلم أهلها الحلال

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ص ٣٢٨ ج ٥ وفيه كان يكره المسلمون المهاجرون أن يعود أحدهم إلى مكة بعد أن فارق الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة .

٢ ـ انظر تاريخ دمشق ص ٢٨٤ ج ٦ وسير أعلام النبلاء ص ٢١٥ ج ١ وتذكرة الحفاظ ص ٣٠ ج ١ .

والحرام ، ويفقههم في الدين ، ويقرئهم القرآن الكريم ، وكان معاذ من أفضل شباب الأنصار علماً وحلماً وسخاء ، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ، وكان يعد من أعلم الصحابة بالحلال والحرام . قال رسول الله ﷺ فيه : « معاذ بن جبل أعلم الناس بحرام الله وحلاله » [1] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود ، وأبي ، ومعاذ ابن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة » [2] وقد روى عنه عدد كبير من الصحابة ، منهم عبد الله بن عباس ، الذي كانت له الصدارة بعد أن عاد من البصرة إلى مكة المكرمه ، كما كان في مكة عتاب ابن أسيد الذي أمره رسول الله ﷺ للصلاة في أهلها [3] ، وأخوه خالد بن أسيد ، والحكم بن أبي العاص ، وعثمان بن أبي طلحة وغيرهم [4] .

وقد تخرج في مكة على أيدي الصحابة مجاهد بن جبر ، وعطاء بن أبي رباح وطاوس بن كيسان ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وغيرهم [5] . ولا بد أن نذكر هنا علو منزلة مكة المكرمة ، واثرها في تبادل الثقافة ونشر الحديث النبوي في مواسم الحج ، حيث يلتقي فيها المسلمون ويجتمع أكثرهم بصحابة رسول الله ﷺ وبالتابعين ، يحملون معهم الكثير الطيب من حديثه عليه الصلاه والسلام إلى بلادهم ، ولا تزال لمكة والمدينة هذه المكانة إلى يومنا هذا ، وستبقى ما بقي الاسلام إلى يوم الدين .

---

١ ـ سير أعلام النبلاء ص ٣٢٠ ج ١ .
٢ ـ سير أعلام النبلاء ص ٣١٩ ج ١ .
٣ ـ المرجع السابق ص ٣٢١ ج ١ .
٤ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٢ .
٥ ـ انظر فجر الاسلام ص ١٧٤ .

٣ ـ الكوفة :

لقد نزل في الكوفة عدد كبير من أصحاب رسول الله ﷺ ، في عهد عمر رضي الله عنه ، حين فتحت العراق للمسلمين ، وأصبحت الكوفة والبصرة قاعدتي الفتح الاسلامي في خراسان وفارس والهند ، فقد هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة ، وسبعون من أهل بدر[١] من أشهرهم علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم[٢] . وكان لعبد الله بن مسعود أثر كبير في رفع اسم الكوفة ، لما بذله في سبيل تعليم ابنائها ، وقد تخرج في هذه المدرسه كبار التابعين الذين حفظوا الشريعة وحافظوا على السنة المطهرة ، فقد كان في الكوفة ستون شيخاً من أصحاب عبد الله بن مسعود ، وكان في بني ثور الذين نزلوا الكوفة ثلاثون رجلًا ، ما فيهم رجل دون الربيع بن خثيم[٣] المشهور بعبادته وورعه وعلو مكانته في الحديث ، وكان فيها كميل بن زيد النخعي ، وعامر بن شراحيل الشعبي ، وسعيد بن جبير الأسدي ، وابراهيم النخعي ، وأبو اسحاق السبيعي ، وعبد الملك بن عمير[٤] وغيرهم .

٤ ـ البصرة :

ونزل البصرة من الصحابة رضوان الله عليهم أنس بن مالك ، وكان امام البصرة في الحديث ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن عباس الذي ولى إمرتها لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونزل فيها

---

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ص ٤ ج ٦ .
٢ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩١ .
٣ ـ انظر طبقات ابن سعد ص ٤ ج ٦ .
٤ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٤٣ ـ ٢٤٨ .

غير هؤلاء عتبة بن غزوان ، وعمران بن حصين ، وأبو برزة الاسلمي ، ومعقل بن يسار ، وعبد الرحمن بن سمرة ، وابو زيد الأنصاري ،وعبد الله بن الشخير ، والحكم وعثمان بنا أبي العاص وغيرهم [١] .

وأشهر من تخرج في مدرسة البصرة الحسن البصري الذي أدرك خمسمائة من الصحابة ، ومحمد بن سيرين ، وأيوب السختياني ، وبهـــز بن حكيم القشيري ، ويونس بن عبيد ، وخالد بن مهران الحذاء ، وعبد الله بن عون ، وعاصم بن سليمان الأحول ، وقتادة بن دعامة السدوسي ،وهشام ابن حسان [٢] وغيرهم .

وأما **بغداد** فلم تشتهر إلا منذ عهد المنصور العباسي .

٥ ـ الشام :

نزل الشام من الصحابة عدد كبير كانوا في جيش الفتح الاسلامي ، وقد استوطن أكثرهم المدن الكبرى بادىء الأمر ، ثم مالبث سكان القرى أن تمسكوا ببعضهم عندما شعروا بالفائدة العلمية الكبرى التي حملها اليهم المسلمون ، ومن الصعب حصر عدد الصحابة الذين حلوا في بلاد الشام ، ولكن الوليد بن مسلم يقرب هـذا لنا فيقول : (دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول ﷺ) [٣] ، وكان يزيد بن أبي سفيان قد كتب إلى عمر بن الخطاب ليعينه بالعلماء ، ليفقهوا أهل الشام [٤] فأرسل إليه معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء ـ الذين توزعوا في بلاد

---

١ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٢ .
٢ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٤٨ .
٣ ـ التاريخ الكبير ص ١٦٩ ج ١ .
٤ ـ انظر غوطة دمشق ص ١٣١ .

الشام فأقام عبادة في حمص ، وابو الدرداء في دمشق ، ومعاذ في فلسطين ثم أرسل عمر بعد هؤلاء عبد الرحمن بن غَنْم [1] .

ونشطت الحركة العلمية في بلاد الشام وخاصة في دمشق أيام الأمويين، وما مازال بها فقهاء ومحدثون ومقرئون [2] ، وانتشر فيها العلماء حتى أضحت قرية داريا حاضرة العلم والأدب في غوطة دمشق ، ويقول السمعاني : انه كان في داريا جماعة كثيرة من العلماء المحدثين قديماً وحديثاً ، وممن نبغ فيها من الصحابة عبد الرحمن بن يزيد الازدي الداراني ، ويعد في الطبقة الثانية من فقهاء الشام [3] .

وقد نزل بلاد الشام غير الصحابة المذكورين أبو عبيدة بن الجراح ، وبلال بن رباح وشرحبيل بن حسنة ، وخالد بن الوليد ، وعياض بن غنم والفضل بن العباس بن عبد المطلب -- وهو مدفون بالأردن — ، وعوف ابن مالك الاشجعي ؛ والعرباض بن سارية [4] وغيرهم .

وتخرج على أيدي الصحابة في هذه المدرسة كبار علماء الشام من التابعين منهم سالم بن عبد الله المحاربي قاضي دمشق ، وأبو إدريس الخولاني (عائذ بن عبد الله) الذي تولى القضاء بدمشق لمعاوية وابنه يزيد ، ومنهم أبو سليمان الداراني ، قاضي دمشق لعمر بن عبد العزيز ، وليزيد وهشام ابني عبد الملك ، قضى لهم ثلاثين سنة ، ومنهم عمير بن هانيء العنسي الداراني المحدث [5] .

---

١ ـ انظر فجر الاسلام ص ١٨٨ — ١٨٩ .

٢ ـ انظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٣٨ .

٣ ـ انظر غوطة دمشق ص ١٣٤ .

٤ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٣ .

٥ ـ انظر غوطة دمشق ص ١٣٤ — ١٣٥ وانظر تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني ٢٩ — ٧٢ .

وتخرج في هذه المدرسة عبد الرحمن بن عمر الاوزاعي ، الذي يقرن بمالك وأبي حنيفة ويلقب بامام أهل الشام ، ومكحول الدمشقي ، وعمر بن عبد العزيز ، ورجاء بن حيوة [1] ، وبحير بن سعيد الكلاعي ،وثور بن يزيد الكلاعي ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر [2] وغيرهم .

٦ – مصر :

دخل المسلمون مصر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بامرة عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وكان معه من الصحابة عدد كبير منهم الزبير بن العوام ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، والمقداد بن الأسود ، كانوا على رأس المدد الذي ارسله عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص [3] ، كما كان معه عبد الله بن عمرو : أحد الصحابة المكثرين عن رسول الله ﷺ ، والذي كان يدون الحديث بين يدي رسول ﷺ، فقد مكث بمصر إلى مابعد وفاة والده ، وعنه روى كثير من محدثيها .

ونزل مصر من الصحابة عقبة بن عامر الجهني ، وخارجة بن حذافة وعبد الله بن سعد ابن أبي سرح ، ومحمية بن جزء ، وعبد الله بن الحارث بن جزء ، وأبو بصرة الغفاري ، وأبو سعد الخير ، ومعاذ بن أنس الجهني ومعاوية بن حُديج ، وزياد بن الحارث الصدائي وغيرهم [4] .

وتخرج على أيدي هؤلاء في هذه المدرسة ، يزيد بن أبي حبيب محدث الديار المصرية وعمر بن الحارث ، وخير بن نعيم الحضرمي ، وعبد الله بن سليمان الطويل ، وعبد الرحمن بن شريح الغافقي ، وحيوة بن شريح التجيبي ،

---

١ ـ انظر فجر الاسلام ص ١٨٩ .

٢ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٤٢ .

٣ ـ انظر تاريخ الاسلام السياسي ص ٢٣٦ ج ١ .

٤ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٣ وانظر فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٢٤٨ – ٣١٩ ؛ وانظر حسن المحاضرة ص ٧٢ وما بعدها ج ١ .

وغيرهم ، وقد كان ليزيد بن ابي حبيب أثر بعيد في نشر الحديث في مصر ، فقد تتلمذ عليه الليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة [1] اللذان تتلمذ عليهما خلق كثير ، وكانا في عصرهما محدثي الديار المصرية .

٧ – المغرب والأندلس :

كان عمرو بن العاص قد وصل إلى برقة وطرابلس سنة (٢١ هـ) في عهد عمر بن الخطاب ، فاستأذن عمرو الخليفة بفتح افريقية فلم يأذن له ، فاستجاب لأمر أمير المؤمنين وعاد الى مصر ، فكان عمرو وأصحابه أول المسلمين الذين دخلوا أطراف المغرب ، وعندما تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة أذن لأمير مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بغزو أفريقية ، وكان ذلك سنة (٢٥ هـ) ثم أمده بجيش من المدينة فيه جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن جعفر ، والحسن والحسين ، وعبد الله بن الزبير ولقيهم عقبة بن نافع ببرقة ، فتابعوا فتح البلاد [2] ، ثم خرج لفتح المغرب معاوية ابن حديج سنة (٣٤ هـ) وكان في غزاته هذه جماعة من المهاجرين والأنصار [3] ، وقال سليمان بن يسار : (غزونا افرقية مع أبن حديج ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير) [4] . ثم ولى عقبة بن نافع المغرب ، وكان في جيشه كثير من الصحابة والتابعين وهو الذي فتح المغرب الأقصى ووطد أركان الإسلام في شمال افريقية [5] . وقد نزل افريقية من الصحابة غير الذين ذكرناهم مسعود بن الأسود البلوي أحد الصحابة الذين بايعوا الرسول ﷺ

---

١ – انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٤١ .

٢ – انظر الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى ص ٦٧ – ٧٠ ج ١ .

٣ و ٤ – فتوح مصر واخبارها لابن عبد الحكم ص ١٩٣ .

٥ – انظر فتوح مصر وأخبارها ص ١٩٣ وما بعدها . والاستقصا ص ٦٩ – ٧٠ ج ١ .

تحت الشجرة ، والمِسْوَر بن مَخْرمة ، والمقداد بن الأسود الكندي أحد الصحابة السابقين [1] ، وبلال بن حارث بن عاصم المزني صاحب لواء مزينة يوم الفتـــح ، وجبلة بن عمرو بن ثعلبة اخو أبي مسعود البدري ، كان فاضلًا من فقهاء الصحابة ، وسلمة بن الاكوع الصحابي المشهور وغيرهم كثير[2].

ودخـــل افريقية من التابعين خلق كثير منهم السائب بن عـامر ابن هشام ، ومعبد اخو عبد الله بن عباس . وعبد الرحمن بن الأسود ، وعاصم ابن عمر بن الخطاب ، وعبد الملك بن مروان ، وعبـــد الرحمن بن زيد ابن الخطاب ، وسليمان بن يسار فقيه المدينة ، وعكرمة مولى ابن عباس [3] . وابو منصور والد يزيد بن منصور من كبار التابعين ، كما أرسل عمر بن العزيز عشرة من التابعين يفقهون أهل افريقية منهم : حبان بن أبي جبلة ، واسماعيل بن عبد الله الاعور ، واسماعيل بن عبيد [4] ، وعبد الرحمن ابن رافع التنوخي الذي ولي قضاء افريقية ، وسعيد بن مسعود التجيبي وغيرهم [5] ممن ساهموا في نشر الاسلام وتعليم أبناء البلاد وتفقيههم .

وقد تخرج على أيدي هؤلاء من اهل افريقية خلق كثير منهم : زياد بن أنعم المعافري ، وعبد الرحمن بن زياد ، ويزيد بن ابي منصور ، والمغيرة بن أبي بردة ،ورفاعة بن رافع ، وعمرو بن راشدبن مسلم الكناني ، وعمران بن عبد

---

١ ـ انظر الاستقصا ص ٧٥ ـ ٨٠ ج ١ .

٢ ـ انظر فتوح مصر وأخبارها ص ٢٤٨ ـ ٣١٩ . وطبقات علماء افريقية ص ١٦ ـ ١٧ .

٣ ـ لم يدخل عكرمة غازياً ، وكان له مجلس في مؤخر مسجد الجـامع في غربي المنارة ، الموضع الذي يسمى بالركيبية . انظر طبقات علماء افريقية ص ١٩ .

٤ ـ هو صاحب سوق مسجد اسماعيل والاحباس ، وهو الذي يقـال له تاجر الله انظر طبقات علماء افريقية ص ٢٠ .

٥ ـ انظر طبقات علماء افريقية ص ١٩ ـ ٢١ .

المعافري ، والمغيرة بن سلمة ، ومسلم بن بن يسار الافريقي ، وغيرهم ممن حمل لواء العلم [1] .

وما لبثت مدينة القيروان أن اضحت محط انظار أهل المغرب فكان فيها سحنون بن سعيد ، وسعيد بن محمد الحداد [2] . كما لمعت قرطبة واشبيلية وغرناطة وبلنسية ، من بلدان الاندلس في مطلع القرن الثالث الهجري بيحيى بن يحيي ، وابن حبيب وببقى بن مخلد وغيرهم [3] .

٨ – اليمن :

كان رسول الله ﷺ قد وجه معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن ، كما نزل غيرهما من الصحابة فيها ، وتخرج في اليمن علماء من ألمع التابعين ، منهم همام ووهب بنا منبه ، وطاوس وابنه ، ثم معمر بن راشد ، ثم عبد الرزاق بن همام واصحابه [4] .

٩ – جرجان :

فتحت جرجان في عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح نهاوند وذلك سنة ثماني عشرة [5] ، ونزل بجرجان عدد من الصحابة ، منهم ابو عبد الله الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وحذيفة ابن اليمان ، وسعيد بن العاص ، وسويد بن مُقرِّن ، وعبد الله بن ابي اوفى ، وابو هريرة ، وعبد الله بن الزبير ، وقيل نزل بها ايضاً الحسن

---

١ – انظر طبقات علماء افريقية ص ٢١ – ٢٤ .

٢ – انظر إعلام الموقعين ص ٢٧ ج ١ .

٣ – انظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٤٠ ، وانظر إعلام الموقعين ص ٢٧ ج ١ .

٤ – انظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٣٩ – ١٤٠ .

٥ – انظر تاريخ جرجان للسهمي ص ٤ – ٩ .

ابن علي ، وسواد بن قطبة ، وسماك بن مخرمة ، وهند بن عمرو ، وعتيبة ابن نهاس [1] .

١٠ – قزوين :

ونزل قزوين جم غفير من الصحابة والتابعين ، فمن الصحابة : البراء ابن عازب ، وسعيد بن العاص ، ونزل عبد الله بن عمرو بن العاص حامووران ، وسعيد بن العاص شيروان ، وعبد الله بن عباس فيروزورام وكانوا يتزاورون ، وكان لسعيد بنون : عمرو ويحيى وعنبسه ، كما نزلها سلمان الفارسي ، وابو هريرة الدوسي .

واما التابعون فمنهم ابراهيم بن يزيد النخعي ، وسعيد بن جبير ، وشمر ابن عطية بن عبد الرحمن ، وشهر بن حوشب ، وطليحة بن خويلد الأسدي [2] . فعمروا الديار بالعلم والمساجد والبنيان ، وتخرج من تلك الديار كثير من أهل الحديث منهم الامام ابن ماجه القزويني .

١١ – خراسان :

نزل خراسان من الصحابة وتوفي بها بريدة بن حصيب الاسلمي وهو مدفون بمرو ، وابو برزة الاسلمي ، والحكم بن عمرو الغفارى ، وعبد الله بن خازم المدفون بنيسابور ، وقثم بن العباس المدفون بسمرقند [3] ، وفي هذه البلاد ظهر كبار المحدثين .

---

١ – انظر المرجع السابق ص ٦ ، ولما ولي يزيد بن المهلب بن أبي صفرة العراق ثم خراسان لسليمان بن عبد الملك اختط بها مساجد نحو أمن اربعين مسجداً ، وهي معروفة بجرجان انظر ص ١٦ من تاريخ جرجان .

٢ – انظر التدوين في ذكر أخبار قزوين ص ١٣ – ٢٩ حـ ١ و ص ٣٠ – ٣٥ حـ ١ .

٣ – انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٤ .

ففي (**بخارى**) كان عيسى بن موسى غنجار ، وأحمد بن حفص الفقيه ، ومحمد بن سلام البيكندي ، وعبد الله بن محمد السندي ، ثم ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري .

وفي (**سمرقند**) ابو عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، ثم محمد بن نصر المروزي كما ظهر في الشاس فيما بعد الحسن بن الحاجب والهيثم بن كليب .

وفي (**فرياب**) تخرج جماعة من العلماء اقدمهم محمد بن يوسف الفريابي صاحب الثوري ، ثم القاضي جعفر بن محمد الفريابي صاحب التصانيف المتوفى سنة (٣٢٦ هـ) [١] .

من كل ما تقدم يتبين لنا أن المسلمين عندما ساروا إلى البلاد المجاورة لم يسيروا وراء دنيا يصيبونها ، ولا خلف تجارة يربحون منها ، وانما انطلقوا ليحرروا الامم من الظلم والطغيان ، وينشروا بين ابناء البلاد الجديدة تعاليم الاسلام ، ويأخذوا بأيديهم إلى جادة الصواب ، ويفتحوا عيونهم على نور الهداية والحق . وبهذا ، تتميز الفتوحات الاسلامية عن جميع الفتوحات التي عرفها التاريخ ، إلى جانب ميزات كثيرة يضيق المقام بذكرها ، ومن اجل تحقيق تلك الغاية المذكورة ، استقر علماء الصحابة في الاقطار المختلفة ، وأمد الخلفاء الامصار بالعلماء ليسرعوا في حركة التحرير والهداية والتعليم ، وقد التف المسلمون الجدد حول من عندهم من الصحابة .

وكان الصحابة يتفاوتون في العلم ، ولم يكن عند كل واحد منهم جميع ما قاله الرسول ﷺ وشرعه ، ولهذا بدأت الرحلات العلمية في

---

١ - انظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٤٣ .

سبيل جمع الحديث وتلقيه ، وقد ظهرت هذه ايضاً بين الصحابة ، وكثرت الرحلات من التابعين وأتباعهم ليسمعوا مافاتهم ، أو ليتأكدوا مما سمعوا ، ولهذا نرى كثيراً من التابعين يقصدون الصحابة في اقاصي البلاد يسافرون الليالي والايام في طلب حديث أو حديثين كما سيظهر لنا بعد قليل . وقد رأينا بروز بعض الصحابة ولمعانهم في الاقطار المختلفة ، فانطبع تلامذتهم بطابعهم وساروا على نهجهم ، ثم حلوا محلهم وحملوا لواء العلم ونشره .

الرحلة في طلب الحديث

كانت الرحلة في طلب الحديث قائمة في عهده ﷺ ، فكان بعض من يسمع بالرسالة الجديدة ، يسافر الى الرسول عليه الصلاة والسلام ليسمع القرآن الكريم ، ويتفهم تعاليم الاسلام ، ثم ينصرف الى قومه بعد ان يعلن اسلامه كما فعل ضمام بن ثعلبة .

فالرحلة في عهد الرسول كانت عامة من اجل معرفة تعاليم الدين الجديد . واما في عهد الصحابة والتابعين واتباعهم فقد تمت رحلات كثيرة من العلماء في طلب الحديث خاصة ، وكثيرا ما كانوا يقطعون المسافات الطويلة لسماع حديث أو التأكد من حديث وضبطه ، او للالتقاء بصحابي وملازمته ، للأخذ عنه ، لان الصحابة في عهد التابعين توزعوا في البلدان ونقلوا في صدورهم الحديث النبوي ، فكان لا بد لمن اراد أن يجمع حديث محمد ﷺ من أن ينتقل من بلد الى آخر ، وراء الصحابة الذين سمعوا منه ورأوه وأخذوا الاحكام عنه ، ثم رحل اتباع التابعين الى التابعين ولازموهم وأخذوا عنهم ، حتى تم جمع الحديث في مراجعه الكبرى ، ومع هذا لم تنقطع رحلة العلماء في سبيل المذاكرة والعرض على الشيوخ المشهورين .

ومما يروى في رحلة الصحابة ما حدث به عطاء بن أبي رباح قال : (خرج ابو ايوب الانصاري الى عقبة بن عامر ، يسأله عن حديث سمعه

من رسول الله ﷺ ، ولم يبق احد سمعه من رسول الله ﷺ ، غيره وغير عقبه ، فلما قدم الى منزل مسلمة بن مخلد الانصاري — وهو امير مصر — فأخبره فعجل عليه ، فخرج اليه فعانقه ، ثم قال له : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال : حديث سمعته من رسول ﷺ ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغير عقبة ، فابعث من يدلني على منزله ، قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة ، فأخبر عقبة ، فعجل فخرج اليه فعانقه ، فقال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغيرك في ستر المؤمن ، قال عقبة : نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ستر مؤمناً في الدنيا على خزية [1] ستره الله يوم القيامة » . فقال له أبو أيوب : صدقت . ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته ، فركبها راجعاً إلى المدينة ، فما ادركته جائزة مسلمة بن مخلد الا بعريش مصر) [2] .

لقد خشي أبو أيوب أن يكون نسي شيئاً من حديث (ستر المؤمن) ، فأحب أن يتأكد من ذلك ، ويتثبت من صحة ما يحفظه عن الرسول الكريم ، فرحل من الحجاز إلى مصر ، يقطع الفيافي والقفار في سبيل ذلك . .

وعن ابن عقيل أن جابر بن عبد الله حدثه : انه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : (فابتعت بعيرا ، فشددت اليه رحلي شهراً حتى قدمت الشام ، فإذا عبد الله بن انيس ، فبعثت اليه أن

---

١ ـ الخزية هو الشيء الذي يستحيا منه . وانظر لسان العرب ص ٢٤٧ ج ١٨ .

٢ ـ معرفة علوم الحديث ص ٨ وجامع بيان العلم وفضله ص ٩٣ — ٩٤ ج ١ وذكره زهير بن حرب في كتابه (العلم) عن رجل ولم يذكر أبا أيوب الأنصاري انظر ص ١٨٧ ب كما ذكر الخطيب مثله في الجامع لاخلاق الراوي ص ١٦٨ : ب — ١٦٩ : آ .

جابراً بالباب ، فرجع الرسول فقال : جابر بن عبد الله ؟ فقلت : نعم فخرج فاعتنقني . قلت : حديث بلغني لم اسمعه ، خشيت أن أموت أو تموت ، قال : سمعت النبي ﷺ : يقول « يحشر الله العباد — أو الناس عراة غرلا [1] بُهما » قلنا : ما بهما ؟ قال : ليس معهم شيء ، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ — احسبه قال : — كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، لاينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار ، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة ، قلت : وكيف؟ وانما نأتي الله عراة بهما ؟ قال : « بالحسنات والسيئات » [2].

وتنشط الرحلات في طلب الحديث بين التابعين وأتباعهم ، حتى لقد كان أحدهم يخرج وما يخرّجه الا حديث عند صحابي يريد أن يسمعه منه لأنه سمعه من رسول الله ﷺ ، وفي هذا يروى عن أبي العالية قوله : (كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة ، فلم نرض حتى ركبنا الى المدينة فسمعناها من أفواههم) [3] .

وخرج الشعبي في ثلاثة أحاديث ذكرت له ، فقال لعلّي : ألقى رجلًا لقي رسول الله ﷺ [4] ، وروى الزهري عن سعيد بن المسيب قال : إن كنت لاسير ثلاثاً في الحديث الواحد [5] . وأقام أبو قلابة

---

١ ـ غرلا جمع (أغرل) وهو الذي لم يُختن .

٢ ـ الأدب المفرد ص ٣٣٧ وجامع بيان العلم وفضله ص ٩٣ ج ١ والجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٨ : ب .

٣ ـ الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٨ : ب والكفاية ص ٤٠٢ .

٤ ـ انظر المحدث الفاصل ص ٢٩ : آ .

٥ ـ انظر المحدث الفاصل ص ٢٨ : ب والجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٩ : ب وتذكرة الحفاظ ص ٥٢ ج ١ وجامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١ .

بالمدينة وليس له بها حاجة الا رجل عنده حديث واحد ليسمعه منه [1].
ويروى أن (مسروقا) رحل في حرف [2] ، ويظهر أن مسروقا [3] كان كثير الترحال ، ولذلك قال عامر الشعبي : ما علمت أن أحداً من الناس كان أطلب لعلم في أفق من الآفاق من مسروق [4] . ويروى عن الشعبي انه حدث بحديث ثم قال لمن حدثه : (اعطيتكه بغير شيء ، وان كان الراكب ليركب الى المدينة فيما دونه) [5] .

وكان الصحابة الكرام يشجعون على طلب العلم ، وعلى الرحلة من أجله ، من هذا ما روى عن عبد الله بن مسعود انه قال : (لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله تعالى مني تبلغه الابل لأتيته) [6] وكانوا يرحبون بطلاب العلم كما سبق أن ذكرنا ، وكل هذا حبب إلى التابعين الرحلة ، حتى إن عامراً الشعبي قال : (لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ، ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع) [7] ، وفعلا كانوا يرحلون إلى الصحابة ولا يرون أن سفرهم قد ضاع .

---

١ - انظر المحدث الفاصل ص ٢٨ : ب .

٢ - جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١ .

٣ - ومسروق هو ابن الاجدع الهمداني أبو عائشة تابعي ثقة يمني الاصل ، رحل إلى المدينة أيام أبي بكر ثم سكن الكوفة وشهد حروب علي وكان يفتي توفي سنة (٦٢ هـ) انظر تهذيب التهذيب ص ١٠٩ ج ١٠ .

٤ - جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١ والمحدث الفاصل ص ٢٩ : آ .

٥ - جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١ ، ومعرفة علوم الحديث : ٧ وقد اخرج الشيخان نحوه انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ص ١٧١ ج ٢ وانظر الادب المفرد ص ٨١ ، وصحيح مسلم ص ١٣٥ ج ١ ، كما اخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

٦ - الكفاية ص ٤٠٢ .

٧ - جامع بيان العلم وفضله ص ٩٥ ج ١ ، والرحلة الحجازية والرياض الانسية ص ١٤ .

عن كثير بن قيس قال : كنت جالساً عند أبي الدرداء في مسجد دمشق ، فأتاه رجل ، فقال : يا أبا الدرداء .. أتيتك من المدينة ، مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني انك تحدث به عن النبي ﷺ . قال : فما جاء بك تجارة ؟ قال : لا . قال : ولا جاء بك غيره ؟ قال : لا . قال : فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم ، وان طالب العلم يستغفر له من في السماء والارض ، حتى الحيتان في الماء ، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . إن العلماء ورثة الانبياء ، إن الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[1] .

وعن زرٍّ بن حبيش[2] قال : أتيت صفوان بن عسال المرادي ، فقال : ما جاء بك ؟ قلت : انبط العلم . قال : فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة أجنحتها ، رضا بما يصنع »[3] .

واخبار العلماء ورحلاتهم كثيرة يضيق المقام بذكرها ، ويكفينا أن نذكر شيئاً منها ، فقد رحل ابن شهاب الى الشام ليلقى عطاء بن يزيد وابن محيريز وابن حيوة ، ورحل يحيى ابن أبي كثير الى المدينة للقاء من بها من

---

١ - سنن البيهقي ص ٨١ ج ١ ، والجرح والتعديل ص ١٢ج ١ وقد رواه ابن ماجه في سننه ص ٨١ ج ١ .

٢ - زربزاي مكسورة فراء مشددة بوزن هر .

٣ - سنن ابن ماجة ص ٨٢ حديث ٢٢٦ ج ١ طبعة عيسى البابي الحلبي وانظر مجمع الزوائد ص ١٣١ ج١ ، والجرح والتعديل ص ١٣ ج١ وانبط العلم أي أطلبه واستخرجه من عند أهله .

أولاد الصحابة ، ورحل محمد بن سيرين الى الكوفة فلقي بها عبيدة وعلقمة وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، ورحل الاوزاعي الى يحيى بن أبي كثير باليمامة ودخل البصرة ، ورحل سفيان الثوري الى اليمن ثم دخل البصرة ،ورحل عيسى بن يونس الى الاوزاعي بالشام .. ورحل شعيب بن أبي حمزة الى الزهري وهو يومئذ بالشام . وأما رحلة العلماء من بلد الى بلد في الاقليم الواحد ، فكثيرة كثرة تفوق الحصر [1] .

وكان لرحلات العلماء في طلب الحديث أثر بعيد في انتشار السنة ، فما لاشك فيه ان الراوي يرى من يروى عنه ، ويقف على سيرته ، ويسأل أهل بلده عنه ، وكثيراً ما كانوا يتشددون في السؤال عن الراوي حتى يقال لهم أتريدون أن تزوجوه ؟

كذلك كانت للرحلات فائدة عظيمة في معرفة طرق كثيرة للحديث الواحد ، فقد يسمع الراوي من علماء المصر الذي رحل اليه زيادات لم يسمعها من علماء مصره وكثيراً ما يجد عندهم مالم يجده عند شيوخه ، وقد تقع مناظرات بين علماء الأمصار ، تعارض فيها طرق الحديث الواحد ، فيُحصّل فيها القوى ويعرف الضعيف ، ويزداد طلاب العلم معرفة لأسباب ورود الاحاديث ، حين يلقون من سمع من رسول الله ﷺ أو أفتاه أو قضى له .

ويكفي الرحلة فائدة أن تساعد على نشر الحديث وجمعه ، وتمحيصه والتثبت فيه ، فكان لرحلات الصحابة والتابعين وأتباعهم أثر جليل في المحافظة على السنة وجمعها وتدلنا تراجم الرواة على الصعاب التي كانوا يستعذبونها في سبيل حفظ السنه ، وسماع أحاديث رسول الله ﷺ من

---

١ ـ انظر المحدث الفاصل ص ٣١ : ب و ٣٢ : ب وراجع جامع بيان العلم ص ٩٤ و ٩٥ ج ١ .

منابعها الصحيحة ، ويكفينا أن نقرأ في ترجمة أحدهم ، هو فلان اليمني ، ثم المكي ، ثم المدني ، ثم الشامي ، ثم الكوفي ، ثم البصري ، ثم المصري ، لنعرف مقدار ما قاسى في قطع الفيافي والبعد عن الأهل والاوطان ، وما تحمله من مشاق حتى أصبح من رجال الحديث في عصره. فلم يصلنا الحديث النبوي في مصنفاته وكتبه ، مرتباً بأسانيده ، وعلى أبواب جامعة كل منها في موضوع خاص ، الا بعد أن خدمه الصحابة ، والتابعون واتباعهم ، والعلماء من بعدهم ووقفوا عليه حياتهم ، فجزاهم الله عنا خير الجزاء ، وأسكنهم فسيح جنانه .

لانشك في أن الحديث النبوي قد انتشر جنباً الى جنب مع القرآن الكريم ، ووصل الى الاقاليم الاسلامية الجديدة ، ولا نشك في أن العلم لم يبق مقصوراً على مكة والمدينة ، بل تعددت مراكزه ومجالسه ، وشهدت الامصار البعيدة ما شهدته حواضر العالم الاسلامي ، من نشاط علمي على يدي الصحابة رضوان الله عليهم ، ويمكننا أن نتصور مدارس متنقلة في مختلف الامصار ، روادها الصحابة وكبار التابعين ، اذ كان يكفي لأهل خراسان مثلا أن يحل بينهم صحابي حتى يسرعوا اليه ، ويلتفوا حوله ويسألوه ويستقرئوه القرآن ويسمعوا منه حديث الرسول ﷺ .

الباب الثاني

تَدوينُ الحَديثِ

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : حول تدوين الحديث .

الفصل الثاني : مادون في صدر الاسلام .

الفصل الثالث : آراء في تدوين الحديث .

الفصل الأول

حول تدوين الحديث

١ ـ الكتابة عند العرب قبيل الاسلام :

تدل الدراسات العلمية على أن العرب كانوا يعرفون الكتابة قبل الاسلام ، فكانوا يؤرخون أهم حوادثهم على الحجارة ، وقد اثبتت الابحاث الاثرية ذلك بأدلة قاطعة ، تعود الى القرن الثالث الميلادي ، وأكثر الآثار التي تحمل كتابات العرب كانت في الاطراف الشمالية للجزيرة العربية [١] حيث كان الاتصال وثيقاً بالحضارة الفارسية والرومية ، ومما يذكر أن عدي بن زيد العبادي (ـ ٣٥ ق ه) حين نما وايفع طرحه أبوه في الكتاب حتى حذق العربية ، ثم دخل ديوان كسرى ، وهو اول من كتب بالعربية في ديوان كسرى [٢] . وهذا يدل على وجود بعض الكتاتيب في الجاهلية ، يتعلم فيها الصبيان الكتابة والشعر وأيام العرب ، ويشرف على هذه الكتاتيب معلمون ذوو مكانة رفيعة ، امثال أبي سفيان ابن أمية بن عبد شمس ، وبشر بن عبد الملك السكوني ، وأبي قيس [٣]

---

١ ـ انظر مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص ٢٤ ـ ٣٢ وقد فصل القول في هذا .

٢ ـ انظر الاغاني ص ١٠١ ـ ١٠٢ ج ٢ .

٣ ـ انظر كتاب المُحبر ص ٤٧٥ وقد ذكرهم تحت عنوان اشراف المعلمين .

ابن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن زرارة المسمى بـ (الكاتب) وغيرهم ، وقد استقدمَ أبو جفينة الى المدينة ليعلم الكتابة [1] ، (وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان يعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الاول ، فجاء الاسلام وفي الاوس والخزرج عدة يكتبون) [2].

وكان العرب يطلقون اسم (الكامل) على كل رجل يكتب ، ويحسن الرمي ، ويجيد السباحة [3] ، ولكن كثيراً من الشعراء كانوا يفخرون بحفظهم وقوة ذاكرتهم ، بل إن بعضهم كان يخفي على الناس معرفته بالكتابة ويخشى أن يكشف أحد أمره ، واذا ما كشف امر احدهم قال : (اكتم عليّ فانه عندنا عيب) [4] .

بعد هذا نستبعد أن يكون قول بعض المؤرخين : (دخل الاسلام وبمكة بضعةعشر رجلا يكتب)[5]ـ صورة دقيقة لحقيقة معرفة العرب بالكتابة قبيل الاسلام ، ونستبعد أن يكون هذا على وجه الاحصاء والضبط ، ومع هذا لايباح لنا أن نغالي في معرفة العرب للكتابة ، ونذهب مذهب من ادعى كثرة الكتابة عند العرب في الجاهلية وكثرة الكاتبين القارئين ، وقد حاول بعض المستشرقين وبعض الكاتبين العرب أن يدعموا رأيهم هذا بتأويل وصف الله تعالى للعرب (بالاميين) — في قوله عز وجل : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة

---

١ ـ انظر تاريخ الامم والملوك للطبري ص ٤٢ ج ٥ .

٢ ـ فتوح البلدان ص ٤٥٩ .

٣ ـ انظر طبقات ابن سعد ص ١٣٦ قسم ٢ ـ ٣ وعيون الاخبار ص ١٦٨ ج ٢ وفتوح البلدان ص ٤٥٩ .

٤ ـ الاغاني ص ١١٦ ج ١٦ هذا ماروى عن ذي الرمة .

٥ ـ انظر مثالاعلى هذا ما جاءفي قبول الاخبار ص ٦٤ ، وانظر عبارة المؤرخين التي يترددونها : (وكانت الكتابة في العرب قليلة) ومثال هذا في طبقات ابن سعد ص ٨٣ قسم ٢ ج ٣ و ص ٧٧ قسم ٢ ج ٣ .

وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين »[1] ـ بأنه (لا يعني الامية الكتابية ولا العلمية ، وإنما يعني الامية الدينية ، أي أنه لم يكن لهم من قبل القرآن الكريم كتاب ديني ، ومن هنا كانوا أميين دينياً ، ولم يكونوا مثل (أهل الكتاب) من اليهود والنصاري الذين كان لهم التوراة والانجيل)[2] . وحملُ هذا اللفظ على هذا المعنى من غير قرينة لا مسوغ له ، لانه يقتضي التفريق بين تفسير الاميين وهم العرب (جهلة الشريعة) وتفسير ما وصف الرسول ﷺ من الامية ـ في قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول الامي »[3] بأنه الذي لا يعرف القراءة والكتابة ، ولا داعي لهذا التفريق في المعنى ، ولا مؤيد له فلا بد من حمل اللفظ على أحد المعنيين ، والاصل فيه عدم معرفة القراءة والكتابة[4] ، على أن الرسول الكريم ﷺ بين الأمية المعنية بما لا يرقى اليه الشك ، فقد أخرج الشيخان وأصحاب السنن عن رسول ﷺ انه قال : « إنا امة امية لا نكتب ولا نحسب . الشهر هكذا .. »[5] .

---

١ ـ ٢ : الجمعة .

٢ ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص ٤٥ .

٣ ـ ١٥٧ : الاعراف .

٤ ـ لقد اختار الدكتور ناصر الدين الاسد تفسير (الاميين) بمعنى جهلة الشريعة ، أي الامية الدينية لا الأمية المتعلقة بالقراءة والكتابة ، ودعم رأيه هذا بشواهد فصل فيها انظر ذلك في كتابه مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص ٤٥ . وتعرض الدكتور صبحي الصالح في كتابه (علوم الحديث ومصطلحه) لهذا التفسير الذي اعتمد عليه المستشرقون في زعمهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان كاتباً قارئاً ، وان وصفه بالامية ـ كوصف العرب بها ـ لاينافي معرفة القراءة والكتابة . انظر كتابه الصفحة ٢ ـ ٤ وهوامشها ، وقد رد عليهم رداً جليلاً .

٥ ـ وتتمة الحديث (وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين) انظر فتح الباري ص ٢٨ ـ ٢٩ ج ٥ وصحيح مسلم ص ٧٦١ حديث ١٥ ج ٢ وقد روى من =

٢ – الكتابة في العصر النبوي وصدر الاسلام :

مما لا شك فيه ان الكتابة انتشرت في عهد النبي ﷺ على نطاق اوسع مما كانت عليه في الجاهلية ، فقد حث القرآن الكريم على التعلم ، وحض الرسول ﷺ على ذلك ايضاً ، واقتضت طبيعة الرسالة أن يكثر المتعلمون ، القارئون ، الكاتبون ، فالوحي يحتاج الى كتاب ، وأمور الدولة من مراسلات وعهود ومواثيق تحتاج الى كتاب ايضا ، وقد كثر الكاتبون بعد الاسلام فعلا ليسدوا حاجات الدولة الجديدة ، فكان للرسول كتاب للوحي بلغ عددهم أربعين كاتباً ، وكتاب للصدقة ، وكتاب للمداينات والمعاملات ، وكتاب للرسائل يكتبون باللغات المختلفة [١] . وان ما ذكره المؤرخون من اسماء كتاب رسول الله ﷺ لم يكن على سبيل الحصر ، بل ذكروا من داوم على الكتابة بين يديه ، ويظهر هذا واضحاً في قول المسعودي (انما ذكرنا من اسماء كتابه ﷺ من ثبت على كتابته واتصلت ايامه فيها ، وطالت مدته . وصحت الرواية على دلك من أمره دون من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة ، اذ كان لا يستحق بذلك ان يسمى كاتبا ، ويضاف الى جملة كتابه) [٢] .

=طرق كثيرة قال هذا صلى الله عليه وسلم بمناسبة رؤية هلال رمضان، ورأى جمهور المحدثين على أن المراد بالأمة الأمة العربية آنذاك ، والمراد من الامية ، أمية القراءة والكتابة ، وقد قيل للعرب أميون لأن الكتابة كانت فيهم قليلة قال تعالى : « هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم » ، ولا يرد على ذلك انه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة كانت فيهم قليلة ونادرة آنذاك . والمراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضاً إلا اليسير. انظر تفصيل هذا في فتح الباري ص ٢٨ – ٢٩ ج٥ .

١ – راجع المصباح المضيء في كتاب النبي الامي ورسله إلى ملوك الارض من عرب وعجم لمحمد بن علي بن حديد الانصاري . مخطوط مكتبة الاوقاف بحلب ، تحت رقم (٢٧٠) وقد فصل القول في ذلك في ص ١٦ – ٤٠ .

٢ – التنبيه والاشراف ص ٢٤٦ .

وقد كثر الكاتبون بعد الهجرة عندما استقرت الدولة الاسلامية ، فكانت مساجد المدينة التسعة الى جانب مسجد رسول الله ﷺ [1] محط انظار المسلمين ، يتعلمون فيها القرآن الكريم ، وتعاليم الاسلام ، والقراءة والكتابة ، وقد تبرع المسلمون الذين يعرفون الكتابة والقراءة بتعليم اخوانهم ، وأرجح انه كان من اوائل هؤلاء المعلمين سعد بن الربيع الخزرجي احد النقباء الاثني عشر[2] ، وبشير بن سعد بن ثعلبة [3]، وأبان بن سعيد بن العاص [4]، وغيرهم رضوان الله عليهم .

وكان الى جانب هذه المساجد كتاتيب يتعلم فيها الصبيان الكتابة والقراءة ، الى جانب القرآن الكريم[5] . ولا يفوتنا أن نذكر أثر

---

١ ـ انظر مسالك الابصار في ممالك الامصار ص ١٣١ .

٢ ـ المتوفي سنة (٣) هـ انظر طبقات ابن سعد ص ٧٧ و ١٤١ قسم ٢ ج ٣ .

٣ ـ المتوفي سنة (١٢) هـ انظر طبقات ابن سعد ص ٨٣ قسم ٢ ج ٣ وتهذيب التهذيب ص ٤٦٤ ج ١ والاصابة ص ٦٣ ج ١ .

٤ ـ انظر الاصابة ص ١٠ ـ ١١ ج ١ والمصباح المضيء ص ١٦ وقد اختلف في وفاة ابان بن سعيد ، فقيل توفي سنة (١٣) هـ وقيل سنة (١٥) هـ ، وقيل غير ذلك، والصواب انه عاش إلى خلافة عثمان ، وأناأرجح هذا لانه كان أحد الصحابة الذين نسخوا المصاحف مع زيد بن ثابت في عهد عثمان رضي الله عنهم جميعاً ، انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ج ٣ وكتابنا (زيد بن ثابت الانصاري) ص ٣٥ .

٥ ـ كتب جولد تسيهر مقالاً هاماً في دائرة معارف الاديان والاخلاق عن التعليم الاولي عند المسلمين ،وقد حاول أن يثبت أن كتاب تعليم القرآن ومبادىء الدين الاسلامي قد انشىء في عهد مبكر ، وانه يرجع إلى صدر الاسلام ، وقد دعم رأيه بالاسانيد الآتية .

آ ـ ارسلت أم سلمة احدى زوجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) مرة إلى معلم كتاب تطلب منه أن يرسل لها بعض تلاميذ كتابه ليساعدوها في ندف الصوف وغزله .

ب ـ كان عمر بن ميمون يحفظ الصيغة التي تقي الانسان شر العين ، وقد أسندها إلى سعد بن أبي وقاص الذي كان يعلمها أولاده ، ويكتبها لهم كما يفعل المدرس مع تلاميذه.

جـ ـ مر (ابن عمر) و (أبو أسيد) في مناسبة ما بكتاب ، فلفتا اليهم انظار التلاميذ . =

غزوة (بدر) في تعليم صبيان المدينة ، حينما اذن رسول ﷺ لأسرى بدر بأن يفدي كل كاتب منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المدينة الكتابة والقراءة [1] ، ولم يقتصر تعليم الكتابة والقراءة على الذكور فقط ، بل كانت الاناث تتعلمن هذا في بيوتهن فقد روى ابو بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن الشفاء بنت عبد الله انها قالت : (دخل علي رسول الله ﷺ ، وانا عند حفصة ، فقال لي : « ألا تعلمين هذه رُقْيَةَ النَّمْلةِ كما علمتيها الكتابة ؟ »)[2] .

ثم اتسع نطاق التعليم ، وانتشر في الآفاق الاسلامية بانتشار الصحابة رضوان الله عليهم ، وكثرت حلقات العلم ، وانتظمت في المساجد [3] ، واضحت بعض الحلقات تضم نيفا والفا من طلاب

= د - كان اللوح المخصص للكتابة موجوداً في وقت مبكر جداً فلقد روى عن أم الدرداء أنها كتبت على لوح من هذا النوع عبارات في الحكمة ، ليقلدها تلميذ كانت تعلمه الكتابة والقراءة) انظر تاريخ التربية الاسلامية للدكتور أحمد شلبي طبعة بيروت سنة ٩٥٤ ص ٢٦ . ونضيف إلى هذا - مما يؤكد وجود الكتاتيب - ما رواه عثمان بن عبيد الله قال : رأيت أبا هريرة يصفر لحيته ونحن في الكتاب . انظر طبقات ابن سعد ص ٥٩ قسم ٢ ج ٤ وقد تعلم زيد بن ثابت في أحد هذه الكتاتيب . انظر مسند الامام أحمد ص ٢٥٩ ج ٥ .

١ - انظر طبقات ابن سعد ص ١٤ قسم ١ ج ٢ .

٢ - سنن أبي داود ص ٣٣٧ ج ٢ . والنملة هي قروح تخرج في الجنب . وفي الحديث عن أنس قال : (رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين والحمة والنملة). والحمة - بضم الحاء وفتح الميم - هي السم انظر صحيح مسلم ص ١٧٢٥ حديث ٥٨ ج ٤ .

٣ - مما يذكر عن النشاط العلمي وانتظام الحلقات أن أبا الدرداء رضي الله عنه (- ٣٢ هـ) كان إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرة عشرة ، وعلى كل عشرة عريفاً ، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره ، فاذا غلط أحدهم ، رجع إلى عريفهم وإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء فسأله عن ذلك) انظر غاية النهاية في طبقات القراء ص ٦٠٦ ج ١ ، وتهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ص ٦٩ ج ١ .

العلم[1] وكثر المعلمون[2] وانتشرت الكتاتيب في مختلف انحاء الدولة الاسلامية وغصت بالصبيان ، وضاقت بهم حتى اضطر الضحاك بن مزاحم معلم الصبيان ومؤدبهم الى أن يطوف على حمار ليشرف على طلاب مكتبه ، الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف صبي [3] ، وكان لا يأخذ أجراً على عمله[4].

وقد ازدادت الحركة العلمية في أواخر القرن الاول ، وظهرت الندوات التي تدل على آثار النهضة العلمية ، فقد كان (الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتاً ، فجعل فيه شطرنجات ، ونردات ، وقرقات [5] ، ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار اوتادا ، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها . ثم جر دفتراً فقرأه ، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم) [6] .

---

١ - قال مسلم بن مشكم (قال لي أبو الدرداء : اعدد من يقرأ عندي القرآن ، فعددتهم بأمره الفا وستمائة ونيفاً ، وكان لكل عشرة منهم مقرىء ، وأبو الدرداء يكون عليهم قائماً إذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء). انظر غاية النهاية في طبقات القراء ص ٦٠٧ ج ١ ونحوه في تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ص ٦٩ ج ١ .

وقد بلغت حلقات العلم في عهد عبد الملك بن مروان درجة عظيمة ، فقد رأى في المسجد الحرام حلقات كثيرة لعطاء ولسعيد بن جبير ولميمون بن مهران ولمكحول ولغيرهم ، فاعجب بهم ، وحث أحياء قريش على المحافظة على العلم . انظر تفصيل هذا في المحدث الفاصل ص ٣٥ — ٣٦ .

٢ - ذكر أبو علي أحمد بن عمر بن رستة كثيراً من المعلمين في هذا العصر ، انظر الاعلاق النفيسة المجلد السابع صفحة ٢١٦ — ٢١٧ وقد ذكرهم تحت عنوان صناعات الاشراف ... وانظر كتاب المحبر حيث ذكر كثيراً من المسلمين وبينهم بالتفصيل في الصفحات : ٣٧٩ والصفحات ٤٧٥ - ٤٧٧ .

٣ - انظر معجم الادباء طبعة مصر ص ١٦ ج ١٢ ، وقد توفي الضحاك بن مزاحم سنة ١٠٥ هـ .

٤ - انظر الاعلاق النفيسة ص ٢١٦ .

٥ - النردات : جمع نرد ، ما يعرف اليوم بالطاولة . وقرقات : جمع قرق وهي لعبة للصبيان .

٦ - الأغاني ص ٢٥٣ ج ٤ .

فاذا رأينا ـ بعد ذلك ـ ان الحديث الشريف لم يدون تدوينا رسميا في عهد الرسول ﷺ ، كما دون القرآن الكريم ـ فلا بد لنا من البحث عن السبب الذي أدى إلى عدم تدوينه في عصره ﷺ .

ونحن في بحثنا هذا لا يمكننا أن نستسلم لتلك الاسباب التقليدية التي اعتاد الكاتبون أن يعللوا بها عدم التدوين ، ولا نستطيع أن نوافقهم على ما قالوه من أن قلة التدوين في عهده ﷺ ، تعود قبل كل شيء الى ندرة وسائل الكتابة ، وقلة الكتاب ، وسوء كتابتهم[1] ـ لا يمكننا أن نسلم بهذا بعد أن رأينا نيفا وثلاثين كاتبا يتولون كتابة الوحي للرسول الكريم ﷺ وغيرهم يتولون أموره الكتابية الاخرى ، ولايمكننا أن نعتد بقلة الكتاب ، وعدم اتقانهم لها ، وفيهم المحسنون المتقنون امثال زيد بن ثابت وعبد الله عمرو بن العاص ، ولو قبلنا جدلا ما ادعوه من ندرة وسائل الكتابة وصعوبة تأمينها ، لكفى في الرد عليهم أن المسلمين دونوا القران الكريم ولم يجدوا في ذلك صعوبة ، فلو أرادوا أن يدونوا الحديث ما شق عليهم تحقيق تلك الوسائل كما لم يشق هذا على من كتب الحديث باذن رسول الله ﷺ ، فلا بد من أسباب أخرى ، وإنا لنرى تلك الاسباب من خلال تلك الآثار الثابتة عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين **وسنرى ان تدوين الحديث مر بمراحل منتظمة حققت حفظه ، وصانته من العبث ، وقد تضامنت الذاكرة والاقلام ، وكانا جنبا الى جنب في خدمة الحديث الشريف** ، ونستعرض الآن تلك الآثار التي تلقي بعض الضوء على حقيقة تدوين السنة .

---

١ ـ انظر تأويل مختلف الحديث قال : (وكان غيره ـ ابن عمرو بن العاص ـ من الصحابة أميين لايكتب منهم إلا الواحد والاثنان وإذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجي) ص ٣٦٦ . ان هذا يتنافى مع ما بيناه من تعليم المسلمين للكتابة ، فتعميم ابن قتيبة هذا لايستند إلى دليل . وانظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٣ .

اولا : ما روى عن رسول الله ﷺ في الكتابة :

آ ـ ما روي من كراهة الكتابة :

١ ـ روى ابو سعيد الخدري أن رسول ﷺ قال : « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه »[١] وهذا الحديث اصح ما ورد عن رسول الله ﷺ في هذا الباب .

٢ ـ وقال ابو سعيد الخدري (جهدنا بالنبي ﷺ أن يأذن لنا في الكتاب فأبى) وفي رواية عنه قال : (استأذنا النبي ﷺ في الكتابة فلم يأذن لنا)[٢] .

٣ ـ روي عن أبي هريرة أنه قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن نكتب الاحاديث ، فقال : « ما هذا الذي تكتبون » ؟ قلنا احاديث نسمعها منك . قال : « كتاب غير كتاب الله ؟ أتدرون ؟ ما ضل الامم قبلكم الا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى »[٣] .

ب ـ ما روي من اباحة الكتابة :

١ ـ قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : كنت اكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ ، اريد حفظه فنهتني قريش وقالوا : تكتب كل شيء سمعته عن رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول

---

١ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٢٩ ج ١٨ وجامع بيان العلم وفضله ص ٦٣ ج ١ .

٢ ـ المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٥ ج ٤ والالماع ص ٢٨ ونحوه في تقييد العلم ص ٣٢ ـ ٣٣ .

٣ ـ تقييد العلم ص ٣٤.

الله ﷺ ، فأومأ باصبعه الى فيه وقال : « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه الا حق »[1].

٢ – قال ابو هريرة رضي الله عنه : (ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثا عنه مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فانه كان يكتب ولا أكتب)[2] .

٣ – روي عن أبي هريرة أن رجلا من الانصار كان يشهد حديث رسول الله ﷺ فلا يحفظه ، فيسأل أبا هريرة فيحدثه ، ثم شكا قلة حفظه الى الرسول ﷺ ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : « استعن على حفظك بيمينك »[3].

٤ – روي عن رافع بن خديج انه قال : قلنا : يا رسول الله ، انا نسمع منك أشياء ، أفنكتبها ؟ قال : « اكتبوا ولا حرج »[4].

٥ – روي عن أنس بن مالك أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قيدوا العلم بالكتاب »[5] .

---

١ - سنن الدارمي ص ١٢٥ ج ١ ونحوه في ص ١٢٦ ج ١ ونحوه في تقييد العلم بطرق كثيرة ص ٧٤ – ٨٣ . وفي جامع بيان العلم ص ٧١ ج ١ والالماع ص ٢٧ : ب.

٢ - فتح الباري ص ٢١٧ ج ١ .

٣ - تقييد العلم ص ٦٥ و ٦٦ وفي الجامع لاخلاق الراوي ص ٥٠ : آ وقد اخرجه الترمذي أيضاً من طريق أبي هريرة انظر توضيح الافكار ص ٣٥٣ ج ٢ .

٤ - تقييد العلم ص ٧٢ – ٧٣ ، والمحدث الفاصل ص ٣ : ب ج ٤ مخطوطة دمشق وانظر توضيح الافكار ص ٣٥٣ ج ٢ . وقد ضعف (السيد رشيد رضا) صاحب المنار هذا الحديث انظر مجلة المنار : ٧٦٣/١٠ وله رأى في الأحاديث التي تسمح بالكتابة انظر ص ٧٦٥ و ص ٧٦٦ ج ١٠ من المجلة .

٥ - الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ٤٤ : آ ، وتقييد العلم ص ٦٩ ، وجامع بيان العلم ص ٧٢ ج ١ ، وقد ضعف السيد محمد رشيد رضا هذا الحديث لأن في سنده عبد الحميد بن سليمان وقد تكلم فيه الذهبي . كما ضعفه من طريق عبد الله بن المؤمل الذي قال فيه الامام أحمد (أحاديثه مناكير) . انظر مجمع الزوائد ص ١٥٢ ح ١ ،أقول إلا أن هذا الحديث روى من طريق اسماعيل بن يحيى عن ابن أبي ذؤيب عن عمرو بن =

٦ – روي عن رسول الله ﷺ أنه كتب كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره [١] .

٧ – روي عن أبي هريرة انه لما فتح الله على رسوله ﷺ مكة قام الرسول ﷺ وخطب في الناس ، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه ، فقال : يا رسول الله ، اكتبوا لي ، فقال : اكتبوا له [٢] قال أبو عبد الرحمن (عبد الله بن احمد) : ليس يروى في كتابة الحديث شيء أصح من هذا الحديث ، لان النبي ﷺ امرهم : قال : (اكتبوا لابي شاه)[٣] .

٨ – قال ابن عباس رضي الله عنه : لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال : « ايتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا من بعده » قال عمر : ان النبي ﷺ غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا . فاختلفوا وكثر اللغط . قال : « قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع ».[٤] ان طلب رسول الله هذا واضح في أنه أراد أن يكتب شيئا غير القرآن ، وما كان سيكتبه هو من السنة ، وان عدم كتابته لمرضه لا ينسخ انه فد هم به ، وكان في آخر ايام حياته عليه الصلاة والسلام ، فيفهم من

= شعيب عن أبيه عن جده ولا يطعن فيه تفرده به انظر تقييد العلم ص ٦٩ ، والسيد رشيد رضا ضعف الحديث من طريقيه الاولين فلا يطعن برواية اسماعيل بن يحيى هذه . انظر مجلة المنار ص ٧٦٣ – ٧٦٦ ج ١٠ .

١ ـ انظر جامع بيان العلم وفضله : ص ٧١ ج ١ .

٢ ـ مسند الامام أحمد ص ٢٣٢ ج ١٢ وفتح الباري ص ٢١٧ ج ١ ، وجامع بيان العلم ص ٧٠ ج ١ وتقييد العلم ص ٨٦ .

٣ ـ مسند الامام أحمد ص ٢٣٥ ج ١٢ .

٤ ـ فتح الباري ص ٢١٨ ج ١ وصحيح الامام مسلم ص ١٢٥٧ و ١٢٥٩ ج ٣ وفي طبقات ابن سعد ص ٣٦ و ٣٧ ج ٢ .

هذا اباحته عليه الصلاة والسلام الكتابة في أوقات مختلفة ، ولمواضيع كثيرة ، في مناسبات عدة ، خاصة وعامة .

واذا كانت الاخبار الدالة على اباحة الكتابة منها خاص كخبر ابي شاه ، فان منها ايضا ما هو عام لا سبيل الى تخصيصه ، كسماحه لعبد الله بن عمرو بالكتابة وللرجل الانصاري الذي شكا سوء حفظه . ويمكن ان نستشهد في هذا المجال بخبر أنس ورافع بن خديج وان تكلم فيهما ، لأن طرقها كثيرة يقوي بعضها بعضا ، وللعلماء مع هذا آراء في هذه الاخبار سأوجزها فيما يلي :

حاول العلماء أن يوفقوا بين ما ورد من نهي عن الكتابة وما ورد من اباحة لها ، وترجع آراؤهم الى أربعة أقوال :

الاول : قال بعضهم إن حديث أبي سعيد الخدري موقوف عليه فلا يصلح للاحتجاج به . ويروى هذا الرأي عن البخاري وغيره [1] ، الا اننا لا نسلم بهذا لانه ثبت عند الامام مسلم ، فهو صحيح ، ويؤيد صحته ويعضده ما رويناه عن أبي سعيد رضي الله عنه : (استأذنت النبي ﷺ أن أكتب الحديث فأبى أن يأذن لي) [2] .

الثاني : أن النهي عن الكتابة انما كان في أول الاسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن ، فلما كثر عدد المسلمين ، وعرفوا القرآن معرفة رافعة للجهالة ، وميزوه من الحديث — زال هذا الخوف عنهم ، فنسخ الحكم الذي كان مترتبا عليه ، وصار الامر الى الجواز [3] . وفي

١ - انظر فتح الباري ص ٢١٨ ج ١ ، وانظر الباعث الحثيث ص ١٤٨ ، وتوضيح الافكار ص ٣٥٣ ج ٢ وتدريب الراوي ص ٢٨٧ ومنهن ذوي النظر ص ١٤٢ .

٢ - تقييد العلم ص ٣٢ — ٣٣ .

٣ - انظر توضيح الافكار ص ٣٥٣ — ٣٥٤ ج ٢ .

هذا قال الرامهرمزي : (وحديث أبي سعيد « حرصنا أن يأذن لنا النبي ﷺ في الكتاب فأبى » أحسب[1] أنه كان محفوظاً في أول الهجرة ، وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن)[2] . والقول بالنسخ أحد المعنيين اللذين فهمها ابن قتيبة من تلك الاخبار . فقال : (أحدهما : أن يكون من منسوخ السنة بالسنة كأنه نهى في أول الأمر أن يكتب قوله ، ثم رأى بعد لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ — أن تكتب وتقيد)[3] ، ورأى هذا الرأي كثير من العلماء ، وذهب اليه العلامة المحقق الأستاذ أحمد محمد شاكر[4]، فبعد أن دعم رأيه بالاخبار التي تبيح الكتابة قال : (هذا ما يدل على أن حديث أبي سعيد — « لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه » — منسوخ ، وانه كان في أول الامر ، حين خيف اشتغالهم عن القرآن ، وحين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن ، وحديث أبي شاه في أواخر حياة النبي ﷺ ، وكذلك أخبار أبي هريرة — وهو متأخر الاسلام — ان عبد الله بن عمرو كان يكتب ، وانه هو لم يكن يكتب : يدل على أن عبد الله كان يكتب بعد اسلام أبي هريرة ، ولو كان حديث أبي سعيد في النهي متأخرا عن هذه الاحاديث في الاذن والجواز لعرف ذلك عند الصحابة يقينا صريحاً)[5] .

ويمكن أن نلحق هنا الرأي الذي يقول : ان النهي انما كان عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة ، لانهم كانوا يسمعون

---

١ - في الاصل (فأحبسه) وما اثبتناه أصح لغة .
٢ - المحدث الفاصل ص ٧١ : آ .
٣ - تأويل مختلف الحديث ص ٣٦٥ .
٤ - انظر الباعث الحثيث ص ١٤٨ .
٥ - المرجع السابق ص ١٤٩ .

تأويل الآية ، فربما كتبوه معه ، فنهوا عن ذلك لخوف الاشتباه [1] .

الثالث : ان النهي في حق من وثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة ، والاذن في حق من لا يوثق بحفظه كأبي شاه [2] .

الرابع : أن يكون النهي عاماً وخص بالسماح له من كان قارئاً كاتباً مجيدا لا يخطىء في كتابته ، ولا يخشى عليه الغلط ، كعبد الله بن عمرو الذي أمن عليه ﷺ كل هذا ، فأذن له [3] . وهذا هو المعنى الآخر الذي فهمه ابن قتيبة من تلك الاخبار .

ورأينا في هذه الأخبار هو صحة ما روي عن أبي سعيد من النهي، وصحة ما ورد عن غيره من اباحة الكتابة ، فنحن لا نقول بوقف خبر أبي سعيد عليه . فالرأي الاول مردود ، ويمكن أن تكون جميع هذه الآراء الثلاثة صواباً ، فنهى عيله الصلاة والسلام عن كتابة الحديث الشريف مع القرآن في صحيفة واحدة خوف الالتباس ، وربما يكون نهيه عن كتابة الحديث على الصحف اول الاسلام حتى لايشغل المسلمون بالحديث عن القرآن الكريم ، وأراد أن يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم وعلى الالواح والصحف والعظام توكيدا لحفظه ، وترك الحديث للممارسة العملية ، لأنهم كانوا يطبقونه : يرون الرسول فيقلدونه ، ويسمعون منه فيتبعونه ، والى جانب هذا سمح لمن لا يختاط عليه القرآن بالسنة أن يدون السنة كعبد الله بن عمرو ، وأباح لمن يصعب عليه الحفظ أن يستعين بيده ، حتى اذا حفظ المسلمون قرآنهم وميزوه عن الحديث جاء نسخ النهي بالاباحة عامة ، وإن وجود علة من علل النهي السابقة

---

١ - انظر فتح المغيث ص ١٨ ج ٣ وانظر توضيح الافكار ص ٣٥٤ ج ٢ .
٢ - انظر فتح المغيث ص ١٨ ج ٣ ، وتوضيح الافكار ص ٣٥٤ ج ٢ .
٣ - انظر تأويل مختلف الحديث ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

لا ينفي تخصيص هذا النهي بالسماح لبعض من لا تتحقق فيهم هذه العلة . فالنهي لم يكن عاماً ، والاباحة لم تكن عامة في اول الاسلام ، فحيثما تحققت علة النهي منعت الكتابة ، وحيثما زالت ابيحت الكتابة .

وأرى في حديث أبي شاه وفي حديث ابن عباس : (ايتوني بكتاب ...) اذنا عاما ، واباحة مطلقة للكتابة ، وعلى هذا لا تعارض بين جميع تلك الروايات ، فقد سهل التوفيق بينها وتبين وجه الصواب . وانتهى امر رسول ﷺ باباحة الكتابة ، وسنرى فيما بعد بعض ما دون في عهده ﷺ .

ثانيا ـ كتابة الحديث في عصر الصحابة :

مع ما روي عن النبي ﷺ من اباحة للكتابة ، ومع ما كتب في عهده من الاحاديث على يدي من سمح لهم بالكتابة ـ نرى الصحابة يحجمون عن الكتابة ، ولا يقدمون عليها في عهد الخلافة الراشدة ، حرصا منهم على سلامة القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فنجد بينهم رضوان الله عليهم من كره كتابة السنة ، ومن اباحها ، ثم مالبث الأمر أن كثر المجيزون للكتابة ، بل روي عن بعض من كره الكتابة أولا اباحته لها آخراً ، وذلك حين زالت علة الكراهة .

روى الحاكم بسنده عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : جمع ابي الحديث عن رسول الله ﷺ ، وكان [1] خمسمائة حديث ، فبات ليلة يتقلب كثيراً ... فلما اصبح قال : (أي بنية ، هلمي الاحاديث التي عندك ، فجئته بها ، فدعا بنار فحرقها) [2] .

---

١ ـ في الأصل (كانت) وما اثبتناه أصح لتستقيم العبارة .

٢ ـ تذكرة الحفاظ ص ٥ ج ١ .

وهذا عمر بن الخطاب يفكر في جمع السنة ، ثم لا يلبث أن يعدل عن ذلك : (عن عروة – بن الزبير – أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اراد أن يكتب السنن فاستفتى اصحاب النبي ﷺ في ذلك ، فأشاروا عليه بأن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ، ثم اصبح يوماً وقد عزم الله له ، فقال : اني كنت اريد أن اكتب السنن ، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً ، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، واني والله لا أشوب كتاب الله بشيء ابداً) [1] ، وفي رواية عن طريق مالك بن انس ان عمر قال عندما عدل عن كتابة السنة : (لا كتاب مع كتاب الله) [2] .

وكان خوف عمر من اقدامه على كتابة السنة أن ينكب المسلمون على دراسة غير القرآن ويهملوا كتاب الله عز وجل [3] ، ولذلك نرى عمر رضي الله عنه يمنع الناس من ان يتخذوا كتاباً مع كتاب الله ، وينكر انكاراً شديداً على من نسخ كتاب (دانيال) ويضربه ويقول له : (انطلق فامحه .. ثم لا تقرأه ولا تقرئه أحداً من الناس ، فلئن بلغني عنك انك قرأته أو أقرأته احداً من الناس ، لأنهكنك عقوبة) [4] . ولهذا نراه يخطب في الناس قائلًا : (ايها الناس ، انه قد بلغني أنه قد ظهرت في ايديكم كتب ، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها ، فلا يبقين احد عنده كتاب الا اتاني به ، فأرى فيه رأيي – قال – فظنوا أنه يريد أن [5]

---

١ – جامع بيان العلم وفضله ص ٦٤ ج ١ ، ونحوه في تقييد العلم ص ٥٠ ، وطبقات ابن سعد ص ٢٠٦ قسم ١ ج ٣ .

٢ – جامع بيان العلم وفضله ص ٦٤ ج ١ .

٣ – انظر تقييد العلم ص ٥٠ .

٤ – تقييد العلم ص ٥٢ ونحوه مختصراً في جامع بيان العلم ص ٤٢ ج ٢ ، وفي الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٤٦ : ب .

٥ – زدنا (أن) على الاصل لتقسيم العبارة .

ينظر فيها ، ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف ، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار ثم قال : (أمنية كأمنية أهل الكتاب) ،[1] كما انه كتب إلى الامصار (من كان عنده منها شيء فليمحه)[2] .

كل هذا يدل على خشية عمر من ان يهمل كتاب الله او ان يضاهى به كتاب غيره ، ونحن نرى عمر نفسه يأبى ان يبقى رأيه مكتوباً ويأبى إلا أن يمحوه ، فعندما طعن استدعي طبيباً ، فعرف دنو اجله ، فنادى ابنه قائلاً . (ياعبد الله بن عمر ، ناولني الكتف ، فلو أراد الله ان يمضي ما فيه أمضاه ، فقال له ابن عمر : أنا أكفيك محوها ، فقال : لا والله ، لا يمحوها أحد غيري) ، فمحاها عمر بيده ، وكان فيها فريضة الجد[3] .

ونرى عمر نفسه حين يأمن حفظ القرآن ، يكتب بشيء من السنة إلى بعض عماله وأصحابه ، عن أبي عثمان النهدي قال : (كنا مع عتبة بن فرقد ، فكتب اليه عمر بأشياء يحدثه عن النبي ﷺ ، فكان فيما كتب اليه : ان رسول الله ﷺ قال : لا يلبس الحرير في الدنيا الا من ليس له في الاخرة منه شيء الا هكذا ، وقال باصبعيه السبابة والوسطى . قال أبو عثمان : فرأيت انها ازرار الطيالسة حين رأينا الطيالسة)[4] .

وروي عن عبد الله بن مسعود كراهيته لكتابة الحديث الشريف : عن عبد الرحمن بن الاسود عن ابيه قال : (جاء علقمة بكتاب من مكة او اليمن ، صحيفة فيها احاديث في أهل البيت : بيت النبي ﷺ ، فاستأذنا على عبد الله ، فدخلنا عليه ، قال : فدفعنا اليه الصحيفة ، قال : فدعا الجارية ، ثم دعا بطست فيه ماء ، فقلنا له يا أبا عبد الرحمن ، انظر

---

١ ـ تقييد العلم ص ٥٢ ، راوه محمد بن القاسم .
٢ ـ تقييد العلم ص ٥٣ وجامع بيان العلم وفضله ص ٦٥ ج ١ .
٣ ـ طبقات ابن سعد ص ٢٤٧ قسم ٢ ج ٣ .
٤ ـ مسند الامام أحمد ص ٢٦١ ج ١ .

فإن فيها أحاديث حسانا، قال: فجعل يميثها [1] فيها ويقول : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن) ، القلوب اوعية ، فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها بما سواه) [2] .

إلا ان هناك رواية تنص على ان ما في الصحيفة كان من كلام ابي الدرداء وقصصه [3] ، وفي رواية قال احد الرواة : (يرى ان هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب ، فلهذا كره عبد الله النظر فيها) ، [4] ولا يمكننا أن نجزم بأن ما في تلك الصحيفة كان من القصص او مما أخذ عن أهل الكتاب ، لأنه ثبت عن الاسود بن هلال انه قال : (أُتي عبد الله بصحيفة فيها حديث ، فدعا بماء فمحاها ، ثم غسلها ، ثم أمر بها فأحرقت ، ثم قال : اذكر الله رجلاً يعلمها عند احد الا اعلمني به ، والله لو اعلم انها بدير هند لبلغتها ، بهذا اهلك اهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون) [5] ، ان تصرف ابن مسعود يدل على انه خشي أن يشتغل الناس بكتابة السنة ويدعوا القرآن، أو ان يشتغلوا بغير القرآن الكريم ، ونراه يكتب بعض السنة بيده حين زالت علة المنع ، فعن مسعر عن معن قال : (اخرج الى عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لي انه خط ابيه بيده) [6] .

---

١ ـ مائه : مرسه ، أي فركه ليذوب في الماء وتتفرق أجزاؤه .

٢ ـ تقييد العلم ص ٥٤ وورد عنه النهي عن كتابة ما سوى القرآن عندما علم أن بعضهم يكتب كلامه انظر سنن الدارمي ص ١٢٥ ج ١ والآية هي : ٣ يوسف .

٣ ـ انظر تقييد العلم ص ٥٤ ـ ٥٥ .

٤ ـ جامع بيان العلم وفضله ص ٦٦ ج ١ ونحو هذا في سنن الدارمي ص ١٢٤ ج ١.

٥ ـ المرجع السابق ص ٦٥ ج ١ ، ونحوه في سنن الدرامي وفيه لو أنها (بدار الهندارية) يعني مكاناً بعيداً بالكوفة ـ إلا اتيته ولو مشيا ص ١٢٤ ج ١ .

٦ ـ جامع بيان العلم وفضله ص ٧٢ ج ١ .

وهذا علي رضي الله عنه يخطب في الناس قائلا : (اعزم على كل من كان عنده كتاب إلا رجع فمحاه ، فانما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم) [1] .

وأبى زيد بن ثابت ان يكتب عنه مروان بن الحكم [2] وقال : (لعل كل شيء حدثتكم به ليس كما حدثتكم) [3] وفي رواية قال : (ان رسول الله ﷺ امرنا الا نكتب شيئاً من حديثه) [4] .

وكذلك ابى أبو هريرة أن يكتب عنه كاتب مروان بن الحكم [5] . وكان احياناً يقول : إن أبا هريرة لا يكتم ولا يكتب [6] ، وفي رواية (نحن لا نكتب ولا نكتب) [7] .

وقال ابن عباس : (إنا لا نكتب العلم ولا نكتبه) [8] ، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان ينهى عن كتابة العلم ، وقال : (إنما ضل من كان قبلكم بالكتب) [9] .

وقد تمسك أبو سعيد الخدري بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه في النهى عن كتابة غير القرآن . وأبى أن يكتب أبا نضرة حين قال له هذا : ألا تكتبنا فإنا لا نحفظ ؟ فقال أبو سعيد : لا إنا لن نكتبكم ،

---

١ - المرجع السابق ص ٦٣ ج ١ .
٢ - انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٣ ج ١ .
٣ - المرجع السابق ص ٦٥ ج ١ .
٤ - تقييد العلم ص ٣٥ .
٥ - انظر تقييد العلم ص ٤١ والاصابة ص ٢٠٢ ج ٧ .
٦ - انظر طبقات ابن سعد ص ١١٩ قسم ٢ ج ٢ ونحوه في تقييد العلم ص ٤٢ .
٧ - جامع بيان العلم ص ٦٦ ج ١ وقارن بسنن الدارمي ص ١٢٢ ج ١ .
٨ - جامع بيان العلم ص ٦٥ ج ١ ونحوه في تقييد العلم ص ٤٢ .
٩ - جامع بيان العلم ص ٦٥ ج ١ ، وتقييد العلم ص ٤٣ .

ولن نجعله قرآنا ، ولكن احفظوا عنا كما حفظنا نحن عن رسول الله ﷺ [1] .

ويروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه كان يكره كتابة الحديث ، روى عن سعيد بن جبير أنه قال : (كنا نختلف في أشياء فنكتبها في كتاب ، ثم أتيت بها ابن عمر اسأله عنها خفياً [2] ، فلو علم بها كانت الفيصل بيني وبينه) [3] .

وكره أبو موسى أن يكتب ابنه عنه مخافة أن يزيد أو ينقص ، ومحا ما كتبه بالماء [4] وفي رواية قال : (احفظوا عنا كما حفظنا) [5] وفي رواية عنه أنه قال : (إن بني اسرائيل كتبوا كتاباً واتبعوه . وتركوا التوراة) [6] .

هؤلاء معظم الذين كرهوا كتابة الحديث في الصدر الأول ، حاولت أن أثبت رأى كل منهم إلى جانب وجهة نظره فيما ذهب اليه من المنع والكراهة ، لأتمكن من استنتاج أسباب هذه الكراهة ، فوجدت كما قال الخطيب البغدادي : (ان كراهة الكتاب في الصدر الأول إنما

---

١ ـ سنن الدارمي ص ١٢٢ ج ١ ، وانظر تقييد العلم فيه روايات مختلفة عنه ص ٣٦ ـ ٣٨ وكذلك في جامع بيان العلم وفضله ص ٦٤ ج ١ ، وفي رواية عن أبي سعيد قال : (اتريدون أن تجعلوها مصاحف ، إن نبيكم صلى الله عليه وسلم كان يحدثنا فنحفظ فاحفظوها كما كنا نحفظ) انظر جامع بيان العلم ص ٦٤ ج ١ وانظر كتاب العلم لزهير ابن حرب ص ١٩١ .

٢ ـ يريد خفية . أي ينظر إلى الكتاب من غير أن يشعر ابن عمر بذلك .

٣ ـ جامع بيان العلم ص ٦٦ ج ١ وتقييد العلم ص ٤٤ .

٤ ـ انظر المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٦ ج ٤ وقارن بكتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٣ وسنن الدارمي ص ١٢٢ ج ١ .

٥ ـ جامع بيان العلم ص ٦٦ ج ١ .

٦ ـ تقييد العلم ص ٥٦ .

هي لئلا يضاهى بكتاب الله تعالى غيره ، أو يشتغل عن القرآن بسواه ، ونهى عن الكتب القديمة أن تتخذ لأنه لا يعرف حقها من باطلها ، وصحيحها من فاسدها مع أن القرآن كفى منها ، وصار مهيمنا عليها ، ونهى عن كتب العلم في صدر الاسلام وجدته ، لقلة الفقهاء في ذلك الوقت ، والمميزين بين الوحي وغيره ، لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدين ، ولا جالسوا العلماء العارفين ، فلم يؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن ، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن)[1] ، أضف إلى هذا ورع الصحابة وخشيتهم من أن يكون ما يملونه أو يقيدونه غير ما سمعوه من الرسول عليه الصلاة والسلام .

من أجل هذا أولى الصحابة رضوان الله عليهم كتاب الله عز وجل في هذه الحقبة عناية الحفظ في الصحف والمصاحف وفي الصدور ، وجمعوه في عهد الصديق ، ونسخوه في عهد عثمان ، وبعثوا به إلى الآفاق ، ليضمنوا حفظ المصدر التشريعي الأول من أن تشوبه أية شائبة ، ثم حافظوا على السنة بدراستها ومذاكرتها وكتابتها أحياناً عند زوال مانع الكراهة ، وقد ثبت عن كثير من الصحابة الحث على كتابة الحديث واجازة تدوينه .

ولا نشك في هذه الأخبار كما شك غيرنا ، لأننا لا نرى فيها ذلك التعارض الذي تصوره بعض المستشرقين [2] ، حتى استجازوا لأنفسهم أن يحكموا على بعضها بالوضع والاختلاق ، **وسنوجز فيما يلي بعض ماروى عن الصحابة من اجازة تقييد الحديث** ليتبين صحة ما ذهبنا اليه .

وقبل أن أتناول هذه الأخبار لا بد لي من أن أقلب النظر فيما

---

١ ـ تقييد العلم ص ٥٧ .

٢ ـ بسطنا القول في ذلك في كتابنا السنة قبل التدوين ص ٣٧٥ .

روى عن محاولة عمر رضي الله عنه جمع السنة وتدوينها ، كما جمع القرآن الكريم ، ثم عدوله عن ذلك خوفاً من أن يلتبس الكتاب بالسنة ، وخشية ألا يميز المسلمون الجدد بينهما . أقول : ان محاولته هذه تدل على اقتناعه بجواز كتابة الحديث الشريف ، وهـذا ما انتهى بـه أمر رسول الله ﷺ بعد النهي عن الكتابة ، ولو شك عمر رضي الله عنه في الجواز — ما هم بأن يفعل ما منعه رسول الله ﷺ ، وما كرهه ، فاحجام الفاروق لم يكن لكراهة الكتابة ، بل لمانع يقتضي أن يتريث في التدوين والجمع لمصلحة أخطر وأعظم ، ولذلك رأيناه يكتب بنفسه لمن يأمن عليه اللبس ويثق بـه ، وربما سمح عمر رضي الله عنـه بالكتابة بعد أن رأى حفظ الأمة لكتاب الله تعالى بجمعه في المصحف الشريف ، ويقوى هذا ما يروى عن عمرو بن أبي سفيان من أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : (قيدوا العلم بالكتاب) [1] .

ثم إن بعض الصحابة أنفسهم قد اجاز الكتابة ، وكتب بعضهم بيده ، وتغير رأي من عرف منهم النهي عن كتابة الحديث حينما زالت أسباب المنع ، وخاصة بعد أن جمع القرآن في المصاحف وأرسل إلى الآفاق .

ولا ينقض هذا الرأى الذي ذهبنا اليه — ماروى عن أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق كتب له فرائض الصدقة التي سنها رسول الله ﷺ [2] بأن هـــذا كان قبل نسخ المصاحف ، لأننا لم نجعل الخشية من التباس الكتاب بالسنة السبب الوحيد لمنع الكتابة ، بل هناك أسباب أخرى

---

١ ـ تقييد العلم ص ٨٨ ، وجامع بيان العلم ص ٧٢ج ١ . ووجد ابن عمر في قائم سيف أبيه صحيفة انظر الكفاية ص ٣٥٤ ، وتوجيه النظر ص ٣٤٨ .

٢ ـ انظر تقييد العلم ص ٨٧ ، وفي مسند الامام احمد أن أبا بكر كتب لهم (أن هذه فرائض الصدقة التى فرض رسول الله) انظر ص ١٨٣ ج ١.

قد ذكرتها فيما سبق ، ثم إن أنسا رضي الله عنه ممن لا يلتبس عليه ذلك ، لأنه خدم رسول الله عليه الصلاة والسلام وعرفه وتلقى عنه عشر سنوات ، وعلى هذا نقول : إنه ثبت عن أبي بكر كتابة شيء من السنة وكذلك ثبت عن الفاروق مثل ذلك [1] .

وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : (ما كنا نكتب في عهد رسول الله ﷺ إلا الإستخارة والتشهد)[2] فهذا دليل على كتابة الصحابة غير القرآن الكريم في عهده ﷺ ، وعلى عدم كراهة ابن مسعود للكتابة ، وقد روينا خبر الكتاب الذي كان عند ابنه بخط يده[3] .

وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان يحض على طلب العلم وكتابته ، فقد قال : (من يشتري مني علماً بدرهم ؟ قال أبو خيثمة : يقول : يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم)[4] ، وخبر صحيفة علي رضي الله عنه مشهور ، وقد كانت معلقة في سيفه ، فيها أسنان الإبل وشيء من الجراحات[5] ...

وهذا الحسن بن علي رضي الله عنهما يقول لبنيه وبني أخيه : (تعلموا تعلموا ، فانكم صغار قوم اليوم ، تكونون كبارهم غداً ، فمن لم يحفظ منكم فليكتب)[6] ، وفي رواية : (فليكتبه ، وليضعه في بيته)[7] .

---

١ ـ انظر مسند الامام أحمد ص ٢٦١ ج١ والكفاية ص ٣٣٦.

٢ ـ مصنف ابن أبي شيبة ص ١١٥ : ب ، ج ١ .

٣ ـ انظر جامع بيان العلم ص ٧٢ ج ١ .

٤ ـ العلم لزهير بن حرب ص ١٩٣ : ب وتقييد العلم ص ٩٠ .

٥ ـ انظر مسند الامام أحمد ص ٤٥ و ١٢٢ ج ٢ ، وغيرهما وتقييد العلم ص ٨٨-٩٩ وجامع بيان العلم ص ٧١ ج ١ وفتح الباري ص ٨٣ ج ٧ .

٦ ـ الكفاية ص ٣٢٩ .

٧ ـ تقييد العلم ص ٩١ .

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول لابن اختها عروة بن الزبير: (يا بني بلغني أنك تكتب عني الحديث ثم تعود فتكتبه ، فقال لها : اسمعه منك على شيء ، ثم أعود فأسمعه على غيره ؛ فقالت : هل تسمع في المعنى خلافاً ؟ قال : لا . قالت لا بأس بذلك)[1] ، فلو كرهت عائشة رضوان الله عليها الكتابة لمنعته ونهته ، ولكنه لم يحدث شيء من هذا ، بل لم تر بأساً بعمله .

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يسمح لبشير بن نهيك أن يكتب عنه، ويجيزه بالرواية عنه[2]، وفي رواية يقول بشير : (أتيت أبا هريرة بكتابي الذي كتبته ، فقرأته عليه فقلت : هذا سمعته منك ؟ قال : نعم)[3]، وروى عمرو بن أمية الضمري أنه رأى كتباً كثيرة عند أبي هريرة[4] .

وكتب معاوية بن أبي سفيان الى المغيرة بن شعبة : (اكتب إلي بشيء سمعته من رسول الله ﷺ ، فكتب المغيرة إليه : أنه كان ينهي عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال)[5] .

وكتب زياد بن أبي سفيان الى السيدة عائشة رضي الله عنها يسألها عن الحاج الذي يرسل هديه ، وهل يحرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر ، كما افتى ابن عباس ؟ فأجابته عن هدى رسول ﷺ ، وقالت : (فلم

---

١ ـ الكفاية ص ٢٠٥ .

٢ ـ انظر العلم لزهير بن حرب ص ١٩٣ : ب والمحدث الفاصل ص ١٢٨ .

٣ ـ طبقات ابن سعد ص ١٦٢ ج ٧ وجامع بيان العلم ص ٧٢ ج ١ ، والعلم لزهير ص ١٩٣ والكفاية ص ٢٥٥ و ٢٨٣ .

٤ ـ انظر جامع بيان العلم ص ٧٤ ج ١ ، وفتح الباري ص ٢١٧ ج ١ كما أنه أملى بعض أحاديثه على همام بن منبه وسنتعرض لذلك .

٥ ـ معرفة علوم الحديث ص ١٠٠ واختصر الحاكم الخبر ونجد تفصيل ما كتبه المغيرة إلى معاوية في حديث جامع شامل للبخاري في صحيحه . انظر فتح الباري ص ٩٥ ج٩ طبعة مصر بولاق سنة ١٣١٢ هـ .

يحرم رسول الله ﷺ شيء أحله الله له حتى نحر الهدي)[1] .

وهذا ابن عباس يسأل أبا رافع صاحب رسول الله ﷺ ومعه من يكتب له[2] ، وفي رواية أنه كانت معه ألواح يكتب فيها[3] ، وكان ابن عباس يحض على التعلم والكتابة ويقول : (قيدوا العلم بالكتاب ، من يشتري مني علماً بدرهم ؟)[4] ، وكان يقول أحياناً : (انا لا نكتب في الصحف الا الرسائل والقرآن)[5] الا اننا نرى ابن عباس نفسه يكتب غير الرسائل ، فيملي التفسير على مجاهد بن جبير ، ويقول له : اكتب[6] ، ويكتب اليه الحجاج أمير العراق يستفتيه في رجل أكره أخته ، فيكتب اليه بحديث عن رسول الله ﷺ[7] .

وسبق لي أن ذكرت كتابة عبد الله بن عمرو بن العاص وسنتكلم عن صحيفته بعد قليل .

وهذا أبو سعيد الخدري الصحابي الجليل الذي روى عن رسول الله ﷺ حديث : (.. من كتب عني غير القرآن فليمحه) يقول :

---

١ ـ الاجابة لما استدركته عائشة على الصحابة ص ٩٥ – ٩٦ ، وقد قال الامام الزهري ؛ (أول من كشف الغمى عن الناس وبين لهم السنة في ذلك عائشة ..) .

٢ ـ انظر ترجمة عبد الله بن عباس في الاصابة .

٣ ـ انظر تقييد العلم ص ٩١ – ٩٢ و ١٠٩ .

٤ ـ العلم لزهير بن حرب ص ١٩٣ وجامع بيان العلم ص ٧٢ ج ١ ، وتقييد العلم ص ٩٢ .

٥ ـ العلم لزهير بن حرب ص ١٨٧ .

٦ ـ انظر تفسير الطبري بتحقيق أحمد محمد شاكر ص ٣١ ج ١ .

٧ ـ انظر البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث ص ٢١٤ – ٢١٥ ج ٢ وقد ذكر هذا في سبب ورود حديث (من تخطى الحرمتين فخطوا وسطه بالسيف) وهنا حرمة الزنا وحرمة الاخوة وكان ابن عباس يفتي كتابة أيضاً ، انظر فتواه لنجدة بن عامر في مسند الامام أحمد ص ٥٦ ج ٤ .

(كنا لا نكتب الا القرآن والتشهد) [1] ،

وكان البراء بن عازب صاحب رسول الله ﷺ يحدث ويكتب من حوله ، فعن عبد الله بن خنيس قال : (رأيتهم عند البراء يكتبون على أيديهم بالقصب)[2] .

وهذا وراد كاتب المغيرة بن شعبة يكتب بين يدي المغيرة [3] .

ويروى عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان لا يخرج من بيته غدوة حتى ينظر في كتبه [4] .

وهذا انس رضي عنه خادم رسول الله ﷺ وملازمه في بيته ليلاً ونهاراً عشر سنوات ، كان يقول لبنيه : (يابني قيدوا العلم بالكتاب)[5]، وكان يملي الحديث[6] حتى إذا ما كثر عليه الناس جاء بمجال[7] من كتب؛ فألقاها ثم قال : (هذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله ﷺ وعرضتها عليه)[8] .

تلك أخبار متعاضدة ، تثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم قد أباحوا

---

١ - تقييد العلم ص ٩٣ .

٢ - جامع بيان العلم ص ٨١ ج ١، وانظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٣ : ب وتقييد العلم ص ١٠٥ .

٣ - انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٨٧ .

٤ - انظر الآداب الشرعية ص ١٢٥ ج ٢ .

٥ - انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٢ وتقييد العلم ص ٩٦ ونحوه في ص ٩٧ وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ص ٢٤٤ ج ١ حيث أعجبه حديث فأمر ابنه بكتابته .

٦ - انظر تاريخ بغداد ص ٢٥٩ ج ٨ .

٧ - مجال جمع مجلة والمجلة صحيفة يكتب فيها . أي القى اليهم صحفاً . انظر لسان العرب مادة (جلل) ص ١٢٧ ج ١٣ .

٨ - تقييد العلم ص ٩٥ و ٩٦ .

الكتابة ، وكتبوا الحديث لأنفسهم ، وكتب طلابهم بين أيـــديهم ، وأصبحوا يتواصون بكتابة الحديث وحفظه ، كما ثبت ذلك عن علي رضي الله عنه ، وعن ابن عباس ، وعن الحسن ، وأنس بن مالك رضي الله عنهم ، بعد أن كرهها بعض الصحابة عندما كانت أسباب المنع قائمة .

ويتجلى لنا رجوع بعض من كره الكتابة عن رأيه مما رويناه عن ابن مسعود وعن أبي سعيد الخدري إذ بعد أن كانوا يكرهون أن يكتبوا في الصحف غير القرآن كتبوا الاستخارة والتشهد ، وفي هذا دليل واضح أن النهي عن كتب ما سوى القرآن انما كان مخافة أن يضاهى بكتاب الله تعالى غيره ، وأن يشتغل عن القرآن بسواه ، ويقول الخطيب البغدادي : (فلما أمن ذلك ، ودعت الحاجة الى كتب العلم — لم يكره كتبه ، كما لم تكره الصحابة كتب التشهد ، ولا فرق بين التشهد وبين[1] غيره من العلوم في ان الجميع ليس بقرآن ، ولن يكون كتب الصحابة ما كتبوه من العلم وأمروا بكتبه الا احتياطاً ، كما كان كراهيتهم لكتبه احتياطاً ، والله أعلم)[2] .

ثالثاً — التدوين في عصر التابعين :

لقد تلقى التابعون علومهم على يدي الصحابة ، وخالطوهم وعرفوا كل شيء عنهم ، وحملوا الكثير الطيب من حديث رسول الله ﷺ عن طريقهم ، وعرفوا متى كره هؤلاء كتابة الحديث ومتى أباحوها ، فقد تأسوا بهم وهم الرعيل الأول الذين حفظوا القرآن والسنة ، فمن الطبعي أن تتفق آراء التابعين وآراء الصحابة حول حكم التدوين ، فان الأسباب التي حملت الخلفاء الراشدين والصحابة على الكراهة هي نفسها التي حملت التابعـــين

---

١ ـ كان ينبغي الا يكرر (بين) .

٢ ـ تقييد العلم ص ٩٤ .

عليها ، فيقف الجميع موقفاً واحداً ، ويكرهون الكتابة ما دامت أسباب الكراهة قائمة ، ويجمعون على الكتابة وجوازها عند زوال تلك الأسباب ، بل إن أكثرهم يحض على التدوين ويشجع عليه . ولن نستغرب أن نرى خبرين عن تابعي أحدهما يمنع الكتابة والآخر يبيحها ، ولن نعجب من كثرة الأخبار التي تدل على الكراهة في مختلف أجيال التابعين ـ كبارهم وأواسطهم وصغارهم ـ والأخبار التي تدل على الإباحة ـ ما دمنا نوجه كل مجموعة من هذه الأخبار وجهة تلائم الأسباب التي أدت إليها ، ونرى أن سبيل الصحابة المتأخرين وكبار التابعين إباحة تقييد الحديث ، بشروط تمتنع معها كراهته المأثورة عندهم عن النبي وكبار الصحابة ،[1] فقد امتنع عن الكتابة من كبار التابعين عبيدة بن عمرو السلماني المرادي (ـ ٧٢ هـ) ، وابراهيم بن يزيد التيمي (ـ ٩٢ هـ) ، وجابر بن زيد (ـ ٩٣ هـ) ، وابراهيم النخعي (ـ ٩٦ هـ) ، ولم يرض عبيدة أن يكتب عنده أحد ، ولا يقرأ عليه أحد[2] ، وقد نصح ابراهيم فقال له : (لا تخلدن عني كتاباً)[3] . وقبل وفاته دعا بكتبه فأحرقها وقال : (أخشى أن يليها قوم يضعونها غير مواضعها)[4] ، وكره ابراهيم النخعي أن تكتب الأحاديث في الكراريس وتشبه بالمصاحف ،[5] وكان يقول : (ما كتبت

---

١ ـ انظر تقييد العلم : انظر تصدير أستاذنا الدكتور يوسف العش ص ١٩ ومقالته في مجلة الثقافة المصرية : العدد (٣٥٢) السنة السابعة الصفحة (٨) .

٢ و ٣ ـ جامع بيان العلم ص ٦٧ ج ١ وتقييد العلم ص ٤٥ و ٤٦ وانظر كتاب العلم لزهير ص ١٩٣ : ب .

٤ ـ جامع بيان العلم وفضله ص ٦٧ ج ١ ونحوه في سنن الدارمي ص ١٢١ ج ١ وفي طبقات ابن سعد ص ٦٣ ج ٦ .

٥ ـ انظر سنن الدارمي ص ١٢١ ج ١ ، وجامع بيان العلم وفضله ص ٦٧ ج ١ وتقييد العلم ص ٤٨ .

شيئاً قط)[1] ، حتى إنه منع حماد بن سليمان من كتابة أطراف الأحاديث[2] ، ثم تساهل في كتابتها ، قال ابن عون : (رأيت حماداً يكتب عن ابراهيم فقال له ابراهيم : ألم أنهك ؟ قال انما هي أطراف[3].

ونسمع عامراً الشعبي (١٧ – ١٠٣ هـ) يردد عبارته المشهورة : (ما كتبت سوداء في بيضاء ، ولا سمعت من رجل حديثاً فأردت أن يعيده علي)[4] .

وقد ازدادت كراهة التابعين للكتابة عندما اشتهرت آراؤهم الشخصية ، فخافوا أن يدونها طلابهم مع الحديث ، وتحمل عنهم ، فيدخله الالتباس.

ويمكننا أن نستنبط أن من كره الكتابة وأصر ، إنما كره أن يدون رأيه ، وفي هذا يقول استاذنا الدكتور يوسف العش : (وأما من ورد عنهم الامتناع عن الاكتاب من هذا الجيل ، فيؤول امتناعهم بما لا يخالف ما انتهينا اليه ، فهم جميعاً فقهاء[5] وليس بينهم محدث ليس بفقيه والفقيه يجمع بين الحديث والرأي ، فيخاف تقييد رأيه واجتهاده الى

---

١ ـ تقييد العلم ص ٦٠ ، وكان يقول : (لاتكتبوا فتتكلوا) وانظر جامع بيان العلم ص ٦٨ ج ١ .

٢ ـ انظر طبقات ابن سعد ص ١٩٠ ج ١ .

٣ ـ أطراف الاحاديث هي أوائل الاحاديث ، فيكتب المصنف طرف الحديث بحيث يعرف بقيته مع الجمع لأسانيده، وكتب الأطراف كثيرة عقد لها السيد محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله (صاحب الرسالة المستطرفة بحثا في رسالته (ص ١٦٧ – ١٧٠) ، وكتاب « ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث »للشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله هو أحد كتب الأطراف المشهورة .

٤ ـ العلم لزهير بن حرب ص ١٨٧ : ب ، وجامع بيان العلم ص ٦٧ ج ١ .

٥ ـ ذكر أستاذنا هنا أسماء بعض من ذكرتهم قبل واضاف (سعيد بن المسيب (– ٩٤هـ).وطاوس (– ١٠٦ هـ)والقاسم(– ١٠٧هـ) وغيرهم). انتهى ما لم نذكره في النص.

جانب أحاديث الرسول ﷺ[1] ، ويوضح هذا بأمثلة تثبت ما ذهب اليه ، فيقول : (إننا نجد في الواقع أخباراً تروي كراهتهم لكتابة الرأي ، كاعتذار زيد بن ثابت عن أن يكتب عنه كتاب مروان .. وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب – وهو من الفقهاء الذين روي امتناعهم عن الاكتاب – فسأله عن شيء فأملاه عليه ، ثم سأله عن رأيه فأجابه ، فكتب الرجل ، فقال رجل من جلساء سعيد : أيكتب يا أبا محمد رأيك ؟ فقال سعيد للرجل : ناولنيها ، فناوله الصحيفة فخرقها[2]، وقيل لجابر بن زيد : انهم يكتبون رأيك ، قال : تكتبون ما عسى أرجع عنه غداً[3]؟

وكل هذه الأقوال رويت من علماء ، حدث المؤرخون عنهم أنهم كرهوا اكتاب الناس ، وهي تدل دلالة صريحة على أن الكراهة ليست في كتابة العلم أي الحديث ، بل في كتابة الرأي ، وأن الأخبار التي وردت في النهي دون تخصيص إنما قصد بها الرأي خاصة ، ويشابه هذا الأمر ما حدث في أمر كراهة الرسول والصحابة الأولين : من التباس الحديث بالقرآن ، أو الانكباب عليه دونه ، فما كانوا يخشونه من الحديث ، أصبح خشية التابعين الأولين من الرأي والتباسه بالحديث)[4].

ويقوى هذا الرأي عندنا ما ورد عن هؤلاء التابعين من اخبار يحثون فيها على الكتابة ، ويسمحون لطلابهم أن يكتبوا عنهم ، ولقد نشطت الكتابة عندما فرق طلاب العلم بين النهي عن كتابة الرأي والنهي عن كتابة الرأي مع الحديث ، ونرى التابعين ينكبون على الكتابة في حلقات

---

١ ـ تقييد العلم : التصدير : ص ٢٠ .

٢ ـ راجع الخبر في جامع بيان العلم ص ١٤٤ ج ٢ .

٣ ـ انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٣١ ج ٢ .

٤ ـ مجلة الثقافة المصرية : الصفحة ٨ – ٩ من العدد ٣٥٢ في السنة السابعة .

الصحابة ، بل ان بعضهم كان يحرص على الكتابة حرصا شديدا ، فهذا سعيد بن جبير (ـ٩٥ هـ) كان يكتب عن ابن عباس ، فاذا ما امتلأت صحفه كتب في نعله حتى يملأها [١] .

وعنه قال (كنت اسير بين ابن عمر وابن عباس ، فكنت اسمع الحديث منهما ، فأكتبه على واسطة الرحل حتى أنزل فأكتبه [٢]) ، ورخص سعيد بن المسيب (ـ ٩٤ هـ) لعبد الرحمن بن حرملة بالكتابة حينما شكا اليه سوء حفظه [٣] ، ونرى عامرا الشعبي بعد ان كان يقول : ما كتبت سوداء في بيضاء يردد قوله : (الكتاب قيد العلم [٤]) ، وكان يحض على الكتابة ويقول : (اذا سمعتم مني شيئا فاكتبوه ولو في حائط) ،[٥] ومع هذا ، فقد روى انه لم يوجد له بعد موته الا كتاب بالفرائض والجراحات ، [٦] واذا كانت كتبه التي تركها قليلة ولا تدل على نشاطه العلمي ـ فاننا نعزو هذه إلى قوة حافظته لأنه كان يعتمد على الحفظ أكثر من اعتماده على الكتابة ، وهذا لا ينافي قط املاءه لطلابه وحثهم على الكتابة ، ويقول الضحاك بن مزاحم (ـ ١٠٥ هـ) : (اذا سمعت

---

٤ ـ انظر تقييد العلم ص ١٠٢ وانظر المحدث الفاصل : نسخة دمشق ٤ : ب ج ٤ قوله (كتبت في ظهورهما حتى تمثلنا) .

٥ ـ تقييد العلم ص ١٠٣ ونحوه في جامع بيان العلم ص ٧٢ ج ١ وقارن بطبقات ابن سعد ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ج ٦ .

٦ ـ انظر الفاصل نسخة دمشق ص ٤ : ب ج ٤ ، وجامع بيان العلم وفضله ص ٧٣ ج ١ وتقييد العلم ص ٩٩ .

١ ـ تقييد العلم ص ٩٩ ، وجامع بيان العلم ص ٧٥ ج ١ .

٢ ـ المرجع السابق ص ١٠٠ وانظر نحوه في المحدث الفاصل نسخة دمشق : ص ٤ : ب ، ج ٤ ، والعلم لزهير ص١٩٣ : ب .

٣ ـ انظر تاريخ بغداد ص ٢٣٢ ج ١١ .

شيئا فاكتبه ولو في حائط) كما انه املى على حسين بن عقيل مناسك الحج[1].

وانتشرت الكتب حتى قال الحسن البصري (- ١١٠ هـ) : (ان لنا كتبا كنا نتعاهدها)[2] . وكان عمر بن عبد العزيز (٦١ - ١٠١ هـ) يكتب الحديث . روى عن أبي قلابة قال : (خرج علينا عمر بن عبد العزيز لصلاة الظهر ومعه قرطاس ثم خرج علينا لصلاة العصر وهو معه فقلت له : يا أمير المؤمنين ، ما هذا الكتاب ؟ قال : حديث حدثني به عون بن عبد الله فأعجبني فكتبته[3] ...) وهذا يدل على ان الكتابة قد شاعت بين مختلف الطبقات ولم يعد أحد ينكرها في أو اخر القرن الاول الهجري وأوائل القرن الثاني . وقد كثرت الصحف والكتب في ذلك الوقت حتى لنرى مجاهد بن جبر (- ١٠٣ هـ) يسمح لبعض أصحابه ان يصعدوا الى غرفته فيخرج اليهم كتبه فينسخون منها[4] .

ويطلب هشام بن عبد الملك من عامله ان يسأل رجاء بن حيوة (- ١١٢ هـ) عن حديث ، فيقول رجاء : (فكنت قد نسيته لولا انه كان عندي مكتوبا)[5] .

وكان عطاء بن أبي رباح (- ١١٤ هـ) يكتب لنفسه ، ويأمر ابنه

---

١ - انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٢ ج ١ .

٢ - جامع بيان العلم وفضله ص ٧٤ ج ١ ، والعلم لزهير ص ١٨٩ : ب .

٣ - سنن الدارمي ص ١٣٠ ج ١ وسمع من يزيد الرقاشي أحاديث عن أنس فكتبها وفرض له في الديوان ، انظر المحدث الفاصل ص ٣ : ب ، ج ٤ وسنتحدث عن خدمة عمر بن عبد العزيز للسنة وأمره بكتابتها بعد قليل .

٤ - انظر سنن الدرامي ص ١٢٨ ج ١ ، وتقييد العلم ص ١٠٥ ونرى في سنن الدرامي ص ١٢١ ج ١ انه كان يكره أن يكتب العلم في الكراريس ، فتحمل الكراهة على أن يضاهي بهذه القرآن أو أن تؤول الكراريس إلى غير أهلها .

٥ - سنن الدارمي ص ١٢٩ ج ١ ، وتقييد العلم ص ١٠٨ .

احيانا ان يكتب له [1] ، وكان طلابه يكتبون بين يديه [2] ، وقد بالغ في حض طلابه على التعلم والكتابة ، فعن أبي حكيم الهمداني قال : (كنت عند عطاء بن أبي رباح ، ونحن غلمان ، فقال : يا غلمان ، تعالوا اكتبوا ، فمن كان منكم لا يحسن كتبنا له ، ومن لم يكن معه قرطاس أعطيناه من عندنا !!) [3] .

ونشطت الحركة العلمية وازدادت معها الكتابة والقراءة على العلماء، ويدل على هذا ما روى عن الوليد بن أبي السائب قال : رأيت مكحولا ونافعا وعطاء تقرأ عليهم الاحاديث [4] ، وعن عبيد الله بن رافع ،قال : (رأيت من يقرأ على الاعرج - عبد الرحمن بن هرمز (- ١١٧ هـ) حديثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ، فيقول : هذا حديثك يا أبا داوود ؟ قال نعم [5] ..) وها هو ذا نافع مولى بن عمر (-١١٧هـ) يملي العلم على طلابه ، وطلابه يكتبون بين يديه [6] . ويصور لنا قتادة ابن دعامة السدوسي (- ١١٨ هـ) باجابته لمن يسأله عن كتابة الحديث - موقف هذا الجيل من التابعين من الكتابة ، بعد ان فشت فيهم وانتشرت واصبحت من ضروريات كل طالب علم ، فيقول : (وما يمنعك أن تكتب ، وأخبرك اللطيف الخبير انه يكتب : « قال علمها عند ربي في كتاب ، لا يضل ربي ولا ينسى » [7] ؟

---

١ - انظر المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٣ : ب ج ٤ .

٢ - انظر سنن الدرامي ص ١٢٩ ج ١ .

٣ - المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٣ : ب ج ٤ .

٤ - الكفاية في علم الرواية ص ٢٦٤ .

٥ - طبقات ابن سعد ص ٢٠٩ ج ٥ .

٦ - انظر سنن الدرامي ص ١٢٩ و ١٢٦ ج ١ .

٧ - تقييد العلم ص ١٠٣ والآية ٥٢ من سورة طه وانظر طبقات ابن سعد ص ٢ قسم ٢ ج ٧ وما روى عنه في سنن الدارمي من كراهية يحمل على الوجه الذي بيناه آنفاً ، انظر سنن الدرامي ص ١٢٠ ج ١ .

وكثرت الصحف المدونة ، حتى ان خالدا الكلاعي (— ١٠٤) جعل علمه في مصحف له أزرار وعرا [١] .

وعلى رأس المائة من القرن الاول للهجرة ، أمر أمير المؤمنين عمر بن العزيز كبار العلماء بجمع الحديث وتدوينه ، ثم بعث به الى كل ارض له عليها سلطان ، وهذا هو التدوين الرسمي — من قبل الدولة — الذي أجمع عليه المؤخون ، وسنبسط القول فيه بعد قليل .

وقد يظن الباحث أن كراهة الكتابة قد ولت ، وانهزمت أمام اباحتها ، ولم تعد هذه الاباحة مجرد رأي ، بل انتقل الرأي الى التطبيق فعلا ، وتبنت الدولة الاشراف على الكتابة ، ولكنا لا نلبث أن نسمع أصوات من يكره الكتابة تعلو من جديد ، وكان بعض هؤلاء من نفس جيل التابعين الثاني (أواسطهم) ومن صغارهم ، فقد راعهم أن يروا الحديث في كراريس ودفاتر ، وأن يعتمد طلاب الحديث والعلماء على الكتب ، ويهملوا الحفظ ، فتمسكوا بالآثار التي لا تبيح الكتابة ، وأبوا أن ينكب أهل الحديث على دفاترهم ، ويجعلوها خزائن علمهم ، ولم يعجبهم أن يخالف سبيل الصحابة في الحفظ والاعتماد على الذاكرة ، وحق لهم أن يكرهوا الاتكال على الكتب ، لأن في الاتكال على المكتوب وحده اضعافاً للذاكرة وانصرافاً عن العمل به .

وها هو ذا الضحاك بن مزاحم الذي أباح الكتابة سابقاً ، والذي أملى مناسك الحج حين زال خوفه من أسباب الكراهة — ها هو ذا يقول : (يأتي على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بغباره لا ينظر فيه [٢]) وفي رواية عنه (يأتي على الناس زمان يعلق

١ ـ انظر تذكرة الحفاظ ص ٨٧ ج ١ .

٢ ـ جامع بيان العلم ص ٦٥ ج ١ .

فيه المصحف حتى يعشعش عليه العنكبوت ، لا ينتفع بما فيه ، وتكون أعمال الناس بالروايات والاحاديث [1] . لقد تصور عاقبة هذا الاقبال على الكتابة : وجعل الحديث في دفاتر وكراريس ، فأعلن انكاره مدوياً : (لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف) [2] .

ويمكننا أن نحمل قول الزهري : (كنا نكره كتاب العلم ، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء ، فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين)- [3] على ما بيناه ، لأننا نعرف أن الامام الزهري كان يكتب الحديث وهو في دور طلب العلم ، وكان يشجع أصحابه على الكتابة ، حتى إنه كان يكتب في ظهر نعله خشية أن يفوته الحديث [4] وفعلا عندما طلب منه الخليفة هشام بن عبد الملك أن يكتب لبنيه خرج وأملى على الناس الحديث [5] وقال : (استكتبني الملوك فأكتبتهم ، فاستحييت الله اذ كتبها الملوك ألا أكتبها لغيرهم) [6] .

وسيتبين لنا بعد قليل أن حرص الامام الزهري على تنقيح السنة كان عاملاً كبيراً في تدوينه الحديث هو وبعض معاصريه .

وكان سعيد بن عبد العزيز يفخر بحفظه ويقول : (ما كتبت حديثاً قط) [7] ، ونرى الامام الاوزاعي بعد أن كان يملي على طلابه

---

١ - جامع بيان العلم ص ١٢٩ ج ٢ .
٢ - تقييد العلم ص ٤٧ .
٣ - المرجع السابق ص ١٠٧ ، وطبقات ابن سعد ص ٣٥ قسم ٢ ج ٢ .
٤ - انظر تقييد العلم ص ١٠٧ .
٥ - انظر حلية الاولياء ص ٣٦٣ ج ٣ .
٦ - جامع بيان العلم وفضله ص ٧٧ ج ١ .
٧ - سنن الدارمي ص ١٢١ ج ١ ، وتذكرة الحافظ ص ٢٠٣ ج ١ وتوفي سعيد ابن عبد العزيز سنة (١٦٧ هـ) .

ويصحح لهم ما يكتبونه عنه ليجيزهم بروايته[1] ، ينفر من الاعتماد على الكتاب ، ويتشاءم مما سيؤول اليه الحفظ فلا يسره الميل عن طريق السلف الذين كانوا يتلقون الحديث من أفواه العلماء ، فيقول : كان هذا العلم شيئاً شريفاً اذ كان من أفواه الرجال يتلقونه[2] ، ويتذاكرونه فلما صار في الكتب ذهب نوره ، وصار اليه غير أهله)[3] .

ونرى بعض من كره الكتابة في هذا العصر يعتمد عليها في حفظ الحديث ثم يمحو ما كتبه بعد أن يحفظه ، وقد فعل غير واحد من السلف أمثال سفيان الثوري (– ١٦١ هـ) ، وحماد بن سلمة (١٦٧ هـ)[4] وغيرهما . ويروى في هذا عن خالد الحذاء (– ١٤١ هـ) : (ما كتبت شيئاً قط الا حديثاً طويلا ، فاذا حفظته محوته)[5] .

وكان كثير من التابعين يمحون كتبهم قبل وفاتهم ، أو يوصون بكتبهم الى من يثقون به ، ليفيد منهـــا ، خشية أن تقع في غير مواضعها ، فقد أوصى أبو قلابة بكتبه الى أيوب[6] ، كما أوصى شعبة ابن الحجاج ابنه بغسل كتبه بعد موته[7] .

إن محاولة هؤلاء المانعين من الكتابة ، لم تخفف من نشاط الكتابة

---

١ ـ انظر الكفاية ص ٣٢٢ .

٢ و ٣ ـ انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٨ ج ١ وفيه (يتلاقونه) وما اثبتناه أصوب ويتفق مع ماورد في المصادر الاخرى . وسنن الدارمي ص ١٢١ ج ١ وتقييد العلم ص ٦٤ ، توفي الاوزاعي سنة (١٥٧ هـ) .

٤ ـ انظر تقييد العلم ص ٥٨ – ٦٠ .

٥ ـ المرجع السابق ص ٥٩ .

٦ ـ انظر طبقات ابن سعد ص ١٣٥ ج ٧ وتذكرة الحفاظ ص ٨٨ ج ١ ، وتوفي أبو قلابة سنة (١٠٤ هـ) .

٧ ـ انظر تقييد العلم ص ٦٢ ، ولد شعبة بن الحجاج سنة(٨٢ هـ) توفي سنـــة (١٦٠ هـ) .

ولم تقف أمام هذا الجيل الذي نشأ عليها ، فقد كان تيار اباحة الكتابة أقوى بكثير من تيار كراهتها .

ونرى أيوب السختياني (— ١٣١ هـ) يرد على من يعيب تقييد الحديث ، فيقول : (يعيبون علينا الكتاب ! ! ثم يتلو « علمها عند ربي في كتاب »[١]) .

وما لبث التياران أن توحدا وألحت الحاجة القاهرة الى الكتابة على هؤلاء المانعين بأن يجاروا التيار العام ، ويعتمدوا في حفظ السنة على الحفظ والكتابة معاً .

يقول ابن الصلاح : (ثم انه زال ذلك الخلاف وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك ، واباحته ، ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة)[٢] .

يقول الرامهرمزي : (والحديث لا يضبط الا بالكتاب ، ثم بالمقابلة والمدارسة ، والتعهد والتحفظ ، والمذاكرة والسؤال ، والفحص عن عن الناقلين ،والتفقه بما نقلوه ،وانما كره الكتاب من كره في الصدر الاول لقرب العهد وتقارب الاسناد ، ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله ، ويرغب عن عن تحفظه ، والعمل به ، فأما والوقت متباعد ، والاسناد غير متقارب ، والطرق مختلفة ، والنقلة متشابهون ، وآفة النسيان معترضة ، والوهم غير مأمون ، فان تقييد العلم بالكتاب أولى وأشفى . .[٣]) .

ولم تكن ظاهرة الاختلاف هذه ناشئة عن انقسام العلماء الى حزبين أو مدرستين ، احداهما تبيح الكتابة والاخرى تمنعها ، بل نشأت من

---

١ ـ تقييد العلم ص ١١٠ وسنن الدارمي ص ١٢١ ج ١ ، وجامع بيان العلم ص ٧٣ ج ١ .

٢ ـ مقدمة ابن الصلاح ص ١٧١ .

٣ ـ المحدث الفاصل ص ٧١ .

تلك الأسباب التي بيناها ، فاذا ما زالت أسباب المنع أباح العلماء الكتابة واذا قامت عاد أكثرهم فمنع الكتابة ، واذا ما خيف من الاتكال على الكتاب واهمال الحفظ علت أصوات المنع ثانية تطالب بالاعتماد على الذاكرة ، حتى أجمعت الأمة على الكتابة التي أصبحت من ضروريات حفظ الحديث لا يمكن الاستغناء عنها .

رابعا ـ اهتمام الدولة بتدوين الحديث :

١ ـ طلائع التدوين الرسمي على يدي امير مصر :

ان الشائع المشهور عند العلماء أن أول من أمر بتدوين الحديث من أولي الامر ونفذ ذلك ـ الخليفة الخامس الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، ولكني عثرت على خبر صحيح في طبقات ابن سعد يبشر بطلائع التدوين الرسمي على يدي والده أمير مصر عبد العزيز بن مروان المتوفي سنة (٨٥ هـ) ، وهذا الخبر يؤكد أن عبد العزيز رحمه الله قد طلب من « كثير بن مرة الحضرمي » أحد أعلام التابعين في حمص ـ أن يكتب اليه بما سمع من أصحاب رسول الله ﷺ ، من أحاديثهم ، ويعتبر هذا الطلب لوناً من ألوان تدوين الحديث الرسمي ، الذي قام به بعض أولي الامر ، ورجحت أن هذا الطلب تم سنة (٧٥ هـ) على أبعد تقدير ، وسأفصل القول في هذا في الفصل الثالث من هذا الباب إن شاء الله .

٢ ـ خدمة عمر بن عبد العزيز للسنة :

عاش عمر بن عبد العزيز في جو علمي ، فلم يكن بعيداً ـ وهو أمير الأمة ـ عن العلماء ، ورأيناه يكتب بنفسه بعض الاحاديث ، ويشجع العلماء ، وقد رأى أن يحفظ حديث رسول الله ﷺ ويجمعه ، وربما دعاه الى هذا نشاط التابعين آنذاك واباحتهم للكتابة حين زالت

أسباب الكراهة ، لأننا لا نعقل أن يأمر بجمع السنة وتدوينها والعلماء كارهون لهذا ، ولو كرهوا كتابتها ما استجابوا لدعوته ، ومما لا شك فيه أن خشيته من ضياع الحديث دفعته الى العمل لحفظه .

ويمكننا أن نضم الى ما ذكرنا سبباً آخر كان له أثر بعيد في نفوس العلماء حملهم على تنقيح السنة وحفظها ، وهو ظهور الوضع بسبب الخلافات السياسية والمذهبية ، ويؤكد لنا هذا ما يرويه أخو ابن شهاب الزهري عنه قال : (سمعته — يعني ابن شهاب — يقول لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها — ما كتبت حديثا ، ولا أذنت في كتابه)،[1] ورأي الزهري هذا رأي أكثر علماء ذلك العصر ، فان حرصهم على حديث رسول الله ﷺ من أن يدرس لايقل عن حرصهم على سلامته من الكذب والوضع ، فكان هذان العاملان من أقوى العوامل التي حفزت همم العلماء الى خدمة السنة وكتابتها ، عندما تبنت الحكومة جمعها رسميا على يدي الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز ، الذي اتخذ خطوة حازمة فكتب الى الآفاق : (انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه[2]) .

وكان فيما كتب الى أهل المدينة : (انظروا حديث رسول ﷺ فاكتبوه ، فاني خفت دروس العلم وذهاب اهله[3]) . وكان في كتابه الى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم (— ١١٧ هـ) عامله على المدينة أن (اكتب اليّ بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله ﷺ ،

---

١ - تقييد العلم ص ١٠٨ .

٢ - فتح الباري ص ٢٠٤ ج ١ رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان .

٣ - سنن الدارمي ص ١٢٦ ج ١ وقارن بالمحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٤ : آ ج٤ وقارن بكتاب الاموال ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

وبحديث عمرة ؛ فاني خشيت دروس العلم وذهابه [1]) . وفي رواية : أمره (أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن (– ٩٨ هـ) والقاسم بن محمـــد (– ١٠٧ هـ) ، فكتبه له [2]) ، وفي رواية : (فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل الا حديث النبي ﷺ ولْيُفشوا العلمَ ، وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فان العلم لا يهلك حتى يكون سراً [3]) .

كما أمر ابن شهاب الزهري (– ١٢٤ هـ) وغيره بجمع السنن ،[4] وربما لم يكتف عمر بن عبد العزيز بأمر من أمرهم بجمع الحديث ، فأرسل كتباً إلى الآفاق يحث المسؤولين فيها على تشجيع أهل العلم على دراسة السنة واحيائها ، من هذا ما يرويه عكرمة بن عمار قال : (سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقول : (أما بعد فأمروا أهل العلم أن ينتشروا في مساجدهم ، فان السنة كانت قد أميتت) [5] ، وجعل لأهل العلم نصيبا في بيت المال يسد حاجاتهم ، كي يتمكنوا من التفرغ والانقطاع للعلم ونشره ، فقد جاء في كتابـــه الى والي حمص (مر لأهل الصلاح من بيت المال ما يقيتهم لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الحديث) [6] . كما كتب (انه لا رأي لأحد

---

١ – سنن الدارمي ص ١٢٦ ج ١ ، وقارن بطبقات ابن سعد ص ١٣٤ قسم ٢ ج ٢ وبالاموال لابن سلام ص ٥٧٨ وبالتاريخ الصغير للبخاري ص ١٠٥ وتقييد العلم ص ١٠٥ .

٢ – تقدمة الجرح والتعديل ص ٢١ ، والمراد أن يكتب له حديث عمرة ، لانهـــا توفيت قبل سنة (٩٩) هـ ، السنة التي تولى فيها عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وواضح هذا في الخبر الذي قبله .

٣ – فتح الباري ص ٢٠٤ ج ١ .

٤ – انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٦ ج ١ .

٥ – المحدث الفاصل ص ١٥٣ .

٦ – شرف أصحاب الحديث ص ٨٩ : آ .

في كتاب ، وإنما رأي الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ ، ولا رأي لأحد في سنة سنها رسول الله ﷺ)[1]، بل هناك أخبار تثبت أن عمر بن عبد العزيز قد شارك العلماء في مناقشة بعض ما جمعوه ، من ذلك ما رواه أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي قال : (رأيت عمر بن العزيز جمع الفقهاء ، فجمعوا له أشياء من السنن ، فاذا جاء الشيء الذي ليس العمل عليه ، قال : هذه زيادة ليس العمل عليها)[2] .

لقد بذل عمر بن عبد العزيز جهده في المحافظة على السنة ـ مع قصر مدة خلافته، فقد طلب من أبي بكر بن حزم جمع الحديث، وأبو بكر هذا من أعلام عصره، كان الرسول ﷺ قد كتب لأبيه عمرو بن حزم كتاباً مشهوراً فيه بعض السنن ، قال مالك بن أنس في أبي بكر هذا : (ما رأيت مثل أبي بكر بن حزم أعظم مروءة ولا أتم حالاً .. ولي المدينة والقضاء والموسم[3]، وعنه قوله: (لم يكن أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبي بكر)[4]. وكان قد طلب منه أن يكتب إليه حديث عمرة بنت عبد الرحمن، وهي خالته، نشأت في حجر عائشة ، وكانت من أثبت التابعين في حديث عائشة رضي الله عنها[5].

---

١ – سنن الدارمي ص ١١٤ ج ١ ، وانظر جامع بيان العلم وفضله ص ٣٤ ج ٢ .

٢ ـ قبول الاخبار ص ٣٠ ، وتوفي أبو الزناد سنة (١٣١ هـ) ومن ذلك أيضاً (ما روى عن يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه، قال: حضرت عبيد الله بن عبد الله، دخل على عمر عبد بن العزيز ، فأجلس قوماً يكتبون ما يقول ، فلما أراد أن يقوم ، قال له عمر : (صنعنا شيئاً) ، قال : وما هو يا ابن عبد العزيز ؟ قال : (كتبنا ما قلت) قال : وأين هو ؟ قال : فجيء به فخرق . تقييد العلم ص ٤٥) ربما كره الكتابة عنه لأنه ممن يجب الاعتماد على الحفظ .

٣ و ٤ – تهذيب التهذيب ص ٣٩ ج ١٢ . وانظر تقدمة الجرح والتعديل ص ٢١ .

٥ – انظر المرجع السابق ص ٤٣٨ ج ١٢ ، وقال سفيان بن عيينة : أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة ، القاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير ، وعمرة بنت عبد الرحمن . انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ٤٥ .

وأما القاسم بن محمد بن أبي بكر (٣٧–١٠٧ هـ) الذي ذكر في بعض الروايات فهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، وعالم أهل زمانه ، تلقى علمه عن عمته عائشة رضي الله عنها ، وعائشة ام المؤمنين معروفه بعلمها وتعمقها في السنة ، وهي غنية عن التعريف .

وأما ابن شهاب أحد الذين شاركوا في الجمع والكتابة فهو أحد أعلام ذلك العصر ، كان قد كتب السنن وما جاء عن الصحابة أثناء طلبه العلم[١] وكان ذا مكانة رفيعة ، فقد روى عن أبي الزناد أنه قال : (كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج اليه علمت أنه أعلم الناس)[٢] .

واذا كانت المنية قد اخترمت الخليفة الراشد الخامس قبل أن يرى الكتب التي جمعها أبو بكر – كما يذكر ذلك بعض العلماء[٣] – فانه لم تفته اولى ثمار جهوده ، التي حققها ابن شهاب الزهري الذي يقول : (أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن ، فكتبناها دفترا دفترا ، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا)[٤] ، وعلى هذا يحمل ما قاله المؤرخون والعلماء : (أول من دون العلم ابن شهاب)[٥] وله أن يفخر بعمله هذا ، ويقول : (لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني)[٦].

---

١ – انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٦ ح ١ ، والجامع لأخلاق الراوي ص ١٥٦ : آ .

٢ – جامع بيان العلم وفضله ص ٧٣ ج١ ، وانظر ترجمة ابن شهاب الزهري في كتاب السنة قبل التدوين ص ٤٨٩ وما بعدها .

٣ – انظر قواعد التحديث ص ٤٧ .

٤ – جامع بيان العلم وفضله ص ٧٦ ج ١ .

٥ – المرجع السابق ص ٧٦ ج ١ وحلية الاولياء ص ٣٦٣ ج ٣ .

٦ – الرسالة المستطرفة ص ٤ .

وقد اعتبر علماء الحديث تدوين عمو بن عبد العزيز هذا أول تدوين للحديث ورددوا في كتبهم هذه العبارة : (وأما ابتداء تدوين الحديث فانه وقع على رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز)[1] أو نحوها .

ويفهم من هذا أن التدوين الرسمي كان في عهد عمر بن العزيز ، أما تقييد الحديث وحفظه في الصحف والرقاع والعظام فقد مارسه الصحابة في عهد رسول الله ﷺ ، ولم ينقطع تقييد الحـــديث بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، بل بقي جنبا إلى جنب مـع الحفظ حتى قيض للحديث من يودعه المدونات الكبرى .

وسيتبين لنا بعد قليل أن والد عمر بن عبد العزيز قد سبق ابنه في طلب تدوين الحديث ، وأن أهل الحديث لم يمسكوا طوال القرن الاول عن تقييد حديث رسول الله ﷺ منتظرين سماح الخليفة وأمره ، وقد ذكرنا شيئا من هذا فيما عرضناه من أخبار عن سماح الصحابة والتابعين بالكتابة وكتاباتهم لأنفسهم .

وهكذا كانت نهاية القرن الاول الهجري وبداية القرن الثاني خاتمة حاسمة لما كان من كراهة الكتابة واباحتها ، فـدونت السنة في صحف وكراريس ودفاتر ، وكثرت الصحف في أيدي طلاب الحديث .

خامساً ـ المصنفون الاوائل في الحديث :

لم يلبث هذا التيار من النشاط العلمي وكتابة الحديث أن طالع العالم بمدونات حديثية مختلفة على يدي أبناء النصف الاول من القرن الثاني الهجري ، وقد ظهرت تلك المصنفات والكتب في أوقات متقاربة ، وفي

---

١ ـ تدريب الراوي ص ٤٠ وقواعد التحديث ص٤٦ ، ونحو هذا في توجيه النظر: ص ٦ وارشاد الساري ص ١٤ ج ١ .

مناطق مختلفة من الدولة الاسلامية ، فبعد أن كان أهل الحديث يجمعون الاحاديث المختلفة في الصحف والكراريس ، أصبحوا يرتبون الاحاديث على الأبواب ، وكانت هذه المصنفات تشتمل على السنن وما يتعلق بها ، وكان بعضها يسمى مصنفا وبعضها يسمى جامعا أو مجموعا وغير ذلك . وقد اختلف في أول من صنف وبوب ، فقيل عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصري (—١٥٠هـ)بمكة ، ومالك بن أنس (٩٣—١٧٩ هـ) أو محمد بن اسحاق (— ١٥١ هـ) بالمدينة المنورة ، وصنف بها محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب (٨٠—١٥٨ هـ) موطأ أكبر من موطأ مالك، والربيع بن صبيح (—١٦٠ هـ) أو سعيد بن أبي عروبة (— ١٥٦ هـ) أو حماد ابن سلمة (—١٦٧ هـ) بالبصرة ، وسفيان الثوري (٩٧—١٦١ هـ) بالكوفة ، وخالد بن جميل العبد ، ومعمر بن راشد (٩٥—١٥٣ هـ) باليمن [١] ، والامام عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي (٨٨—١٥٧ هـ) بالشام ، وعبد الله بن المبارك (١١٨—١٨١ هـ) بخراسان ، وهشيم بن بشير (١٠٤—١٨٣هـ) بواسط [٢] ، وجرير بن عبد الحميد (١١٠—١٨٨هـ) بالري ، وعبد الله بن وهب (١٢٥—١٩٧ هـ) بمصر [٣] .

ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم ، وقد كان

---

١ – انظر المحدث الفاصل فقرة ٨٩٢ وما بعدها .

٢ – انظر المحدث الفاصل ، فقرة ٨٩٢ وما بعدها وتاريخ بغداد ص ٨٥ ج ١٤، وتذكرة الحفاظ ص ٢٢٩ ج ١ .

٣ – انظر المحدث الفاصل ص ١٥٥ : ب وما بعدهـا ، وتدريب الراوي ص ٤٠ والجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ١٨٦ : ب – ١٨٧ : آ ومقدمة فتح الباري ص ٤ ومنهج ذوي النظر ص ٥١٨ . وقد وجد الجامع في الحديث لأبي محمد عبد الله ابن وهب في ورق بردى بمدينة (أدفو) في جنوب مصر ، وقد طبع هذا الكتاب طباعة جيدة بعناية المستشرق (دافيد ويل) وتوجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢١٨١٥) ب .

هذا التصنيف بالنسبة الى جمع الابواب وضمها الى بعضها في مؤلف أو جامع ، وأما جمع حديث الى مثله في باب واحد فقد سبق اليه التابعي الجليل عامر الشعبي (١٩-١٠٣ هـ) ، الذي يروى عنه أنه قال : هذا باب من الطلاق جسيم ، اذا اعتدت المرأة ورثت [١] ، وساق فيه أحاديث [٢] .

وكان معظم هذه المصنفات ، والمجاميع يضم الحديث الشريف وفتاوى الصحابة والتابعين ، كما يتجلى لنا بعض هذا في موطأ الامام مالك بن أنس [٣] ، ثم رأى بعضهم أن تفرد أحاديث النبي ﷺ في مؤلفات خاصة ، فألفت المسانيد ، وهي كتب تضم أحاديث رسول الله ﷺ باسانيدها خالية من فتاوى الصحابة والتابعين ، تجمع فيها أحاديث كل صحابي - ولو كانت في مواضيع مختلفة - تحت اسم مسند فلان ومسند فلان ، وهكذا .

وأول من ألف المسانيد أبو داود سليمان بن الجارود الطيالسي (١٣٣ - ٢٠٤ هـ) [٤] . وتبعه بعض من عاصره من اتباع التابعين وأتباعهم ،

---

١ - المحدث الفاصل ص ١٥٥ والجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع نسخة الاسكندرية ص ١٨٨ : آ ، ومقدمة فتح الباري ، وتدريب الراوي ص ٤٠ .

٢ - تدريب الراوي ص ٤٠ ، ومنهج ذوي النظر ص ١٨ ، وهناك أخبار كثيرة، تثبت أن جمع الأبواب بعضها إلى بعض كان بعد جمع الأحاديث في باب واحد . من ذلك ماروواه خالد بن دينار قال : قلت لأبي العالية : أعطني كتابك . قال : ماكتبت إلا باب الصلاة ، وباب الطلاق . وقال يحيى بن سعيد كان سفيان صاحب أبواب .وقال سفيان الثوري كم من أحاديث طنانات لايؤبه لها قد أخرجنا عن صاحب هذا القبر(ابن جريج) في أبواب . انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع نسخة الاسكندرية ص ١٨٨ : آ - ١٨٨ : ب وعن عاصم الاحوالي (- ١٤٢ هـ) قال : (قرأت على الشعبي أحاديث الفقه فأجازها لي) انظر الكفاية : ص ٢٦٤ .

٣ - في موطأ مالك ثلاثة آلاف مسألة وسبعمائة حديث انظر الرسالة المستطرفة ص ١١.

٤ - انظر الرسالة المستطرفة ص ٤٦ ، وقد طبع هذا المسند طبعة جيدة في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٢١ .

فصنف أسد بن موسى الاموي (- ٢١٢ هـ) وهو أول من صنف المسند بمصر ، وعبيد الله بن موسى العبسي (- ٢١٣ هـ) ، ومسدد البصري (- ٢٢٨ هـ)، ويحيى بن عبد الحميد الحماني الكوفي (- ٢٢٨ هـ)، وقال ابن عدي : هو أول من صنف المسند بالكوفة ، ونعيم بن حماد الخزاعي المصري (-٢٢٨ هـ) ، واقتفى الأئمة آثارهم ، كأحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) ، واسحاق بن راهوية (١٦١ - ٢٣٨ هـ) ، وعثمان بن ابي شيبة (١٥٦ - ٢٣٩ هـ) وغيرهم [١] .

ويعتبر مسند الامام احمد بن حنبل - وهو من أتباع أتباع التابعين - أوفى تلك المسانيد وأوسعها .

جمع هؤلاء الحديث ودونوه بأسانيده . واجتنبوا الاحاديث الموضوعة وذكروا طرقاً كثيرة لكل حديث ، يتمكن بها جهابذة هذا العلم وصيارفته من معرفة الصحيح من الضعيف ، والقوى من المعلول ، مما لا يتيسر لكل طالب علم ، فرأى بعض الائمة ان يصنفوا في الحديث الصحيح فقط ، فصنفوا كتبهم على الأبواب ، واقتصروا فيها على الحديث الصحيح ، وظهرت الكتب الستة في هذا العصر ، عصر اتباع اتباع التابعين ، وكان أول من صنف ذلك الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) ، ثم الامام مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٤ - ٢٦١ هـ)، وأبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) ، وأبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (- ٢٧٩ هـ) ، وأحمد بن شعيب الخراساني النسائي (٢١٥ - ٣٠٣ هـ) . ثم ابن ماجه وهو عبد الله بن محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزويني (٢٠٧ -

---

١ - انظر تراجمهم في تذكرة الحفاظ ص ٦ و ٩ و ١١ ج ٢ ، ومنهج ذوي النظر ص ١٨ ، وتدريب الراوي ص ٤٠ ، والرسالة المستطرفة ص ٣٦ - ٤٧ .

٢٧٣ هـ) ، وقـد خدمت هذه الكتب بالشرح والتهذيب والاختصار والاستخراج عليها من قبل العلماء الذين جاؤوا بعدهم . وسنتعرض لكتب الصحاح والسنن في الباب الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله [١] .

أهم نتائج هذا الفصل :

١ – لم يكن السبب في عدم تدوين السنة رسمياً في عهده ﷺ جهل المسلمين آنذاك بالكتابة والقراءة ، فكان فيهم القارئون الكاتبون ، الذين دونوا التنزيل الحكيم ، بل كان ذلك لأسباب أخرى . أهمها الخوف من التباس القرآن بالسنة ، وكيلا ينشغل المسلمون بكتابة السنة عن كتابة القرآن ودراسته وحفظه .

٢ – ليس هناك من تعارض بين ما روي عن الرسول ﷺ من اباحة الكتابة وكراهتها ، فكره الكتابة لمن لا يحسنها أو لمن يستطيع الحفظ ، وأباحها لمن لايستطيع الحفظ ، وإن كان بعضهم يرى أن النهي كان أول الإسلام حتى لا يلتبس القرآن بالسنة ، ثم انتهينا الى إباحة الرسول ﷺ كتابة السنة مطلقاً ، وليست هذه الأخبار من وضع مذاهب متخاصمة متضادة.

٣ – ما ورد عن الصحابة والتابعين وأتباعهم من كراهة للكتابة أو إباحتها لم يكن ناشئاً من قيام حزبين أحدهما يبيح الكتابة والآخر يكرهها ، بل أباحوا الكتابة حين زالت أسباب المنع ، وكرهوا الكتابة حين وجدت أسباب منعها وكراهتها ، كخشية التباس القرآن بالسنة ، أو الانشغال بالسنة عن القرآن ، أو خوف مضاهاة الكتاب الكريم بكراريس الحديث وكتبه ، وقد ثبتت أخبار الكراهة عن بعض من أباحوا الكتابة ، كما ثبتت أخبار الإباحة عن بعض من كرهوا الكتابة،

---

١ – انظر الفصل الأول منه « الحديث الصحيح » .

وكانت غايتهم جميعاً واحدة ، وهي المحافظة على القرآن والسنة : أن يلتبس أحدهما بالآخر ، ثم انعقد الإجماع على إباحة الكتابة حين زالت أسباب كراهتها .

٤ — خشي عمر بن عبد العزيز اندراس السنة ، وتسرب الوضع اليها ، فأمر بجمعها على أيدي كبار علماء التابعين ، وأمر المسؤولين في مختلف أقاليم الدولة الإسلامية بالاعتناء بالحديث الشريف ، وتشجيع العلماء على عقد حلقات دراسته في المساجد ، وشارك عمر بن عبد العزيز نفسه العلماء في ذلك ، ووزع قبل وفاته ما كتبه الامام الزهري، فلعمر الفضل الكبير في تحميل الدولة مسؤولية حفظ السنة رسمياً .

وأما التدوين الفردي ، فقد وقع فعلاً في عهد الرسول ﷺ ، وفي عهد الصحابة والتابعين ، ولم تبق السنة مهملة طيلة القرن الأول الى عهد عمر بن عبد العزيز ، بل تم حفظها في الصدور جنباً الى جنب مع حفظها في الصحف والكراريس .

٥ — في مطلع القرن الهجري الثاني ، تحول عمل العلماء من جمع الحديث وتقييده ، إلى تصنيفه على الأبواب وضم هذه الأبواب إلى بعضها في مصنف أو جامع ؛ فلم يكن مطلع هذا القرن مبدأ لتدوين السنة وتقييدها ، بل كان مبدأ للتصنيف على الأبواب ، وقد ظهرت هذه المصنفات في أوقات متقاربة في مختلف مراكز الاشعاع العلمي بالدولة الإسلامية .

ثم ظهرت المسانيد فالصحاح ، وبهذا يكون تدوين الحديث ، قد مرّ بمراحل منتظمة حتى انتهى الينا في كتب الصحاح والمسانيد .

الفصل الثاني

ما دون في صدر الإسلام *

من الثابت أن بعض الصحابة كانوا قد كتبوا عن رسول الله ﷺ بعض أحاديثه باذن خاص منه كعبد الله بن عمرو ، والانصاري الذي كان لا يحفظ الحديث ، ثم كتب غيرهم جانباً من حديثه بعد اذنه ﷺ بالكتابة إذناً عاماً كما سبق ، ولدينا أخبار كثيرة عما كتبه الصحابة من صحف .

غير أنا لا نعرف كل ما تتضمنه هذه الصحف ، لأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يحرقون ما لديهم من الصحف أو يغسلونها قبل وفاتهم ، وكان بعضهم يوصي بما عنده لمن يثق به ، كانوا يفعلون هذا خشية أن تؤول تلك الصحف إلى غير أهل العلم[1] .ونحن لا نشك في أن كثيراً

(*) بسطنا القول في هذا الفصل ليطلع القارىء على حركة التدوين في صدر الاسلام ، ويكون فكرة عامة عن بعض ما دون في ذلك العصر ، ولم يكن قصدنا ارهاق الطالب بحفظ كل ما جاء في هذا الفصل ، وانما وضعنا بين يديه ما يساعده على معرفة حقيقية لا لبس فيها ، وتكوين فكرة جلية عن ذلك .

(١) من أخبار محو الكتب وحرقها ما فعله أبو بكر رضي الله عنه بما كان عنده من الصحف انظر تذكرة الحفاظ ص ٥ ج ١ ، وانظر أخبار غيره في تقييد العلم ص ٥٩ – ٦٣ وفي كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٢ ، وفي الجامع لاخلاق الراوي ص ٤٤ : آ .

من صحف الصحابة قد كتب في عهده عليه الصلاة والسلام ، وأن أكثر ما كتب تناقله الناس في حياة أصحابه وبعد وفاتهم عن طريق أبنائهم وأحفادهم أو ذويهم .

روى ابن عبد البر بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي قال : وجد في قائم سيف رسول الله ﷺ صحيفة فيها مكتوب : (ملعون من سرق تخوم الأرض ، ملعون من تولى غير مواليه . أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه)[1] .

وأخرج الترمذي بسنده عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ كتب كتاب الصدقة ، فلم يخرجه الى إلى عماله حتى قبض ، فقرنه بسيفه ، فلما قبض عمل به أبو بكر حتى قبض. وعمر حتى قبض.وكان فيه (في خمس من الابل شاة — الحديث)[2].

وقد اشتهر في عهد الرسول ﷺ كتاب خطير الشأن هو ذلك الكتاب الذي أمر رسول الله ﷺ كتابه بتدوينه في السنة الاولى للهجرة، وقد نصت فيه حقوق المسلمين المهاجرين والانصار وعرب يثرب وموادعة يهودها ، وتكررت فيه عبارة (أهل الصحيفة) خمس مرات ، وجاء في مقدمته : (هذا كتاب محمد النبي رسول ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم : أنهم أمة واحدة من دون الناس ... الخ)[3] وهذا دليل على أن هذا الدستور

---

١ — جامع بيان العلم وفضله ص ٧١ ج ١ .

٢ — سنن الترمذي ص ١٧ ج ٣ . وهناك أحاديث عدة تثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كلف بعض عماله أخذ زكاة السوائم . انظر سنن الترمذي ص ٢٠ و ٢١ ج ٣، وانظر كتابه صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل سبل السلام ص ١٢٤ حـ ٢ . وكتابه صلى الله وسلم لعمرو بن حزم وسنذكره بعد قليل .

٣ — سيرة ابن هشام ص ١١٩ ج ٢ ، والاموال ص ٢٠٢ ، وانظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ص ١٥ .

أو الميثاق للدولة الاسلاميه الفتية ، كان مدوناً في صحيفة اشتهر أمرها وتواتر نقلها .

وكانت بين الرسول ﷺ وكثير من بطون العرب وطوائف اليهود والنصارى وغيرهم كتب ومعاهدات مدونة [١] ، كما كتب لبعض المسلمين وغيرهم كتباً تنص على حقوقهم [٢] ، وقد أسلفت أنه كتب ﷺ إلى أمراء العرب وإلى ملوك وأمراء الدول المجاوره يدعوهم الى الاسلام . وكل هذا يكون جانباً كبيراً مما دون في عهده ﷺ ، وكان الرسول ﷺ يكتب الى أمرائه وعماله والى قواد جيوشه فيما يتعلق بتدبير شؤون الأقاليم الاسلامية وأحوالها ، وفي بيان أحكام الدين . وقد اشتهر كتابه للعلاء الحضرمي في الصدقات ، وكتابه لعمرو بن حزم عامله على اليمن ، وفيه أصول الاسلام ، وطريق الدعوة اليه ، وبيان العبادات وأنصبه زكاة الابل والبقر والغنم ، والجزية على غير المسلمين ، والدية والجراحات .. وقد أخرج بعض هذا الكتاب البخاري ومالك والنسائي والدارمي والسيوطي [٣] ، كما اشتهر كتابه الى ملوك حمير وفيه أصول الدين والصدقات والديات والجروح وغيرها [٤] .

وكل هذا من السنة المدونة في عهده ﷺ ، وكان بعض هذه الكتب يقرأ على المسلمين ، من هذا ما رواه ابن أبي ليلى عن عبد الله بن عكيم قال : قرىء علينا كتاب رسول الله ﷺ : (لا تنتفعوا

---

١ – انظر الوثائق السياسية ص ٣٧ وما بعدها و ص ١١١ و ص ١٢٣ ومابعدها .
٢ – انظر الوثائق السياسية ص ٦٧ و ١٠٤ وما بعدها .
٣ – انظر الوثائق السياسية ص ١٣٧ – ١٤٢ والموطأ ص ٨٤٩ حـ ٢ .
٤ – انظر الوثائق السياسية ص ١٤٥ و ص ١٥٠ .

من الميتة باهاب ولا عصب)[1] وقـــد أربت كتب الرسول ﷺ الى الملوك والامراء ، والى ولاته وعماله وقواده ، والى أهل الذمة وغيرهم – على (٢٨٠) مائتي كتاب وثمانين كتابا لا يتسع المقام لذكرها[2] .

وكتب أبو بكر لانس بن مالك كتاباً فيه الصدقات التي فرضها رسول الله ﷺ ، وفي رواية أن الكتاب كان مهوراً بخاتم رسول الله ﷺ[3] .

وروى نافع عن ابن عمر أنه وجد في قائم سيف عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها صدقة السوائم[4] ، وقد تكون هذه النسخة هي التي ورثها سالم بن عبد الله بن عمر ، وقرأها عنده ابن شهـــاب الزهري[5] . ويؤكد لنا هذا ما رويناه عن الترمذي ومـا روي عن محمد بن عبد الرحمن الانصاري قال : (لمـــا استخلف عمر بن العزيز أرسل الى المدينة يلتمس كتاب رسول الله ﷺ في الصدقات ، وكتاب عمر بن الخطاب ... ووجد عند آل عمر كتاب عمر في الصدقات مثل كتاب رسول الله ﷺ ، قال : فنسخنا له)[6] .

١ – معرفة علوم الحديث ص ٨٦ ، وقال الحاكم : هذا منسوخ بحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشاة ميتة فقال : هلا استمتعتم بجلدها ؟ قالوا يارسول الله انها ميتة ، فقال إنما حرم أكلها انظر لمعرفة علوم الحديث ص ٨٦ ، وانظر أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث ص ٢٧ .

٢ – انظر الوثائق السياسية ص ٢ – ٢٨١ .

٣ – انظر رد الدارمي على بشر المريسي ص ١٣١، وذكر الامام أحمد هذا الكتاب في مسنده ص ١٨٣ – ١٨٤ حديث ٧٢ ج ١ .

٤ – انظر الكفاية ص ٣٥٣ – ٣٥٤ ، وانظر توجيه النظر ص ٣٤٨ .

٥ – انظر الاموال ص ٣٦٠ ورد الدارمي على بشر ص ١٣١ .

٦ – الاموال ص ٣٥٨-٣٥٩ – ويقال كان عند عمر بن الخطاب نسخ العهود والمواثيق ملء صندوق الا انها احترقت يوم الجماجم (٨٢ هـ)، وما بقي منها قضت عليه صروف الزمن وغارة التتار . انظر الوثائق السياسية ، المقدمة : ى وقد بقيت بعض كتبه صلى الله عليه وسلم حتى القرن التاسع الهجري ككتابه باقطـــاع تميم الداري ، انظر مسالك الابصار ص ١٧٣ – ١٧٥ .

وقد اشتهرت صحيفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب التي كان يعلقها في سيفه فيها أسنان الابل ، وأشياء من الجراحات ، وحرم المدينة ، ولا يقتل مسلم بكافر [١] .

وروي عن ابن الحنفية : محمد بن علي بن أبي طالب : (— ٨١ هـ) قال : أرسلني أبي قال : (خذ هذا الكتاب ، فاذهب به الى عثمان . فان فيه أمر النبي ﷺ بالصدقة) [٢] .

وروي عن مسعر عن معن قال : (أخرج لي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً ، وحلف لي أنه بخط أبيه بيده) [٣] .

وكان عند سعد بن عبادة الانصاري (— ١٥ هـ) كتاب ، أو كتب فيها طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ ، وقد روى ابن هذا الصحابي من كتب أبيه بعض أعمال الرسول ﷺ [٤] . ويروي الامام البخاري أن هذه الصحيفة كانت نسخة من صحيفة عبد الله بن أبي أوفى ، الذي كان يكتب الأحاديث بيده ، وكان الناس يقرؤون عليه ما جمعه بخطه [٥].

وكان عند أبي رافع مولى رسول الله ﷺ (— ٣٥ هـ) [٦] كتاب فيه استفتاح الصلاة ، دفعه الى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث

١ - انظر مسند الامام أحمد ص ٤٤ و ٣٥ و ١٢١ و ١٣١ ج ٢ وفتح الباري ص ٨٣ ج ٧ ورد الدارمي على بشر ص ١٣٠ .

٢ - رد الدارمي على بشر ص ١٣٠ ، وفتح الباري ص ٢٣ ج ٧ .

٣ - جامع بيان العلم وفضله ص ٧٢ ج ١ .

٤ - انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٢ ج ١ ، ونظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ص ١١٨ وانظر صحيفة همام بن منبه ص ١٦ نقلاً عن الترمذي .

٥ - انظر صحيح البخاري بشرح السندي ص١٤٣ ج ٢ باب الصبر عند القتال. وعبد الله بن أبي أوفى صحابي شهد الحديبية ، وعمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، توفي سنة (٨٧ هـ) وهو آخر من توفي بالكوفة من الصحابة . انظر تقريب التهذيب ص ٤٠٢ ج ١ .

٦ - وقيل وفاته بعد قتل عثمان وقيل مات في خلافة علي رضي الله عنها .

(– ٩٤ هـ) [١] أحد الفقهاء السبعة .

وكان عند أسماء بنت عميس (– ٣٨ هـ) كتاب جمعت فيه بعض أحاديثه ﷺ [٢] .

عن محمد بن سعيد قال : لما مات محمد بن مسلمة الانصاري (–٤٢ هـ) [٣] وجدنا في ذؤابة سيفه كتاباً : (بسم الله الرحمن الرحيم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان لربكم في بقية دهركم نفحات ، فتعرضوا له ..) [٤] .

وكتبت سبيعة الأسلمية الى عبد الله بن عتبة تروي عن النبي ﷺ أنه أمرها بالنكاح بعد قليل من وفاة زوجها بعدما وضعت [٥] .

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً لوائل بن حجر (– ٥٠ هـ) لقومه في حضرموت ، فيه الخطوط الكبرى للإسلام ، وبعض أنصبة الزكاة ، وحد الزنا ، وتحريم الخمر ، وكل مسكر حرام [٦] .

وولى رسول الله ﷺ عمرو بن حزم (– ٥٣ هـ) على اليمن ، وأعطاه كتاباً فيه الفرائض والسنن والديات وغير ذلك [٧] .

---

١ ـ انظر الكفاية ص ٣٣٠ .

٢ ـ نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ص ١١٨ .

٣ ـ كان محمد بن مسلمة من أفضل الصحابة وهو أحد الثلاثة الذين قتلوا كعب بن الاشرف واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة في بعض غزواته ، اعتزل الفتن ولم يشهد الجمل ولا صفين وتوفي وهو ابن (٧٧) سنة . انظر تهذيب التهذيب ص ٤٥٤ ج٩ .

٤ ـ احدث الفاصل ١١٢ .

٥ ـ الكفاية ص ٣٣٧ ، وسبيعة هذه هي بنت الحارث زوجة سعد بن خولة انظر تهذيب التهذيب ص ٤٣٤ ج ١٢ .

٦ ـ انظر الاصابة ص ٣١٢ ج ٦ وانظر تفصيل ذلك في المصباح المضيء ص ١١٢ : آ - ١١٢ : ب .

٧ ـ انظر الاصابة ص ٢٩٣ ج ٤ ترجمة (٥٨٠٥) . وقد اخرج الكتاب أبو داود والنسائي وابن حبان والدارمي وغير واحد كما ذكر ابن حجر في ترجمته وانظر رد الدارمي على بشر ص ١٣١ وانظر فتوح البلدان ص ٨١ وقارن بالأموال ص ٣٥٨-٣٥٩.

وكان أبو هريرة (– ٥٩ هـ) يحتفظ بكتب فيها أحاديث عن رسول الله ﷺ .

روى الفضيل بن حسن بن عمرو بن أمية الضمري عن أبيه أنه قال : تحدثت عند أبي هريرة بحديث فأنكره ، فقلت اني قد سمعته منك ، فقال : ان كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي ، فأخذ بيدي الى بيته ، فأرانا كتباً كثيرة من حديث رسول الله ﷺ ، فوجد ذلك الحديث ، فقال : قد أخبرتك أني ان كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي [١] . وكان بشير بن نهيك قد قرأ عليه الكتاب الذي كتبه عنه قبل أن يفارقه [٢] .

وجمع سمرة بن جندب (– ٦٠ هـ) أحاديث كثيرة في نسخة رواها عنه ابنه سليمان [٣] ، ويحتمل أن تكون هذه النسخة هي الرسالة التي كتبها سمرة الى بنيه ، وقال فيها محمد بن سيرين (في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير) [٤] .

---

١ - انظر جامع بيان العلم ص ٧٤ ج ١ . قال ابن عبد البر بعد الخبر (هذا خلاف ما تقدم في أول الباب عن أبي هريرة أنه لم يكتب ، وان عبد الله بن عمرو كتب وحديثه بذلك أصح في النقل من هذا لانه أثبت اسناداً عند أهل الحديث) وقال ابن حجر أقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوباً عنده أن يكون بخطه ، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب ، فتبين أن المكتوب عنده بغير خطه . انظر فتح الباري ص ٢١٨ ج ١. أقول وصحة خبر عدم كتابة أبي هريرة لاتنفي صحةوجود الكتب عنده ، وقد يكون ممن يعرف القراءة دون الكتابة ، فيكاف من يكتب له .

٢ - طبقات ابن سعد ص ١٦٢ ج ٧ والعلم لزهير بن حرب : ١٩٣ : ب والجامع لأخلاق الراوي ص ١٣٧ :ب . والمحدث الفاصل ص ١٢٨ : آ .

٣ - انظر تهذيب التهذيب ص ١٩٨ ج ٤ .

٤ - المرجع السابق ٢٣٦ ج ٤ اخرج البخاري أول رسالة سمرة بن جندب إلى بنيه في ترجمة محمد بن ابراهيم بن خبيب وفيها :(بسم الله الرحمن الرحيم . من سمرة بن جندب إلى بنيه : (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا ان نصلي كل ليلة من المكتوبة ما قل أو كثر ، ونجعلها وتراً) . التاريخ الكبير ص ٢٦ ترجمة ٢٩ قسم ١ ج ١ .

الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص (٧ ق هـ – ٦٥ هـ) :

كان رسول الله ﷺ قد سمح لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بكتابة الحديث ، لأنه كان كاتباً محسناً ، فكتب عنه الكثير ، واشتهرت صحيفة ابن عمرو رضي الله عنه (بالصحيفة الصادقة) كما أراد كاتبها أن يسميها ، لأنه كتبها عن رسول ﷺ ، فهي أصدق ما يروى عنه ، وقد رآها مجاهد بن جبر (٢١ – ١٠٤ هـ) عند عبد الله بن عمرو ، فذهب ليتناولها ، فقال له : (مه يا غلام بني مخزوم) قال مجاهد : قلت : ما كتبت شيئاً . قال : (هذه الصادقة فيها ما سمعته عن رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه فيها أحد)[١] ، وكانت هذه الصحيفة عزيزة جداً على ابن عمرو حتى قال (ما يرغبني في الحياة الا الصادقة والوهط)[٢]، وربما كان يحفظها في صندوق له حلق[٣] ، خشية عليها من الضياع ، وقد حفظ هذه الصحيفة أهله من بعده ، ويرجح أن حفيده عمرو بن شعيب كان يحدث منها[٤] .

وتضم صحيفة عبد الله بن عمرو ألف حديث كما يقول ابن الأثير[٥]. الا ان احصاء أحاديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده لا يبلغ خمسمائة حديث[٦] ، واذا لم تصلنا الصحيفة الصادقة كما كتبها ابن عمرو

---

(١) المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٢/ب ج ٤ وطبقات ابن سعد ص ١٨٩ قسم ٢ ج ٧ ونحوه في تقييد العلم ص ٨٤ .

٢ ـ سنن الدارمي ص ١٢٧ ج ١ والوهط أرض لعمرو بن العاص تصدق بها كان يقوم بها . المصدر نفسه .

٣ ـ انظر مسند الامام أحمد ص١٧١ حديث ٦٦٤٥ ج ١٠ ،وكتاب العلم للمقدسي ص ٣٠ باسناد صحيح .

٤ ـ انظر تهذيب التهذيب ص ٤٨ – ٤٩ ج ٨ .

٥ ـ انظر أسد الغابة ص ٢٣٣ ج ٣ .

٦ ـ انظر مسند عبد اللهبن عمرو وصحيفته الصادقة ص٦٧١ حيث أحصى السيد محمد سيف الدين عليش أحاديث الصادقة ، فكان منها : =

بخطه ، فقد نقل الينا الامام أحمد محتواها في مسنده[1] ، كما ضمت كتب السنن الاخرى جانباً كبيراً منها[2] .

ولهذه الصحيفة أهمية عظيمة ، لأنها وثيقة علمية تاريخية ، تثبت كتابة الحديث النبوي الشريف ، بين يدي رسول الله ﷺ وباذنه[3] .

= ٢٠٢ حديثاً من أصل ٦٣٢ حديثاً رواها الامام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو .
و ٨١ حديثاً من أصل ٢٣٢ حديثاً رواها أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو .
و ٥٣ حديثاً من أصل ١٢٨ حديثاً رواها النسائي في سننه عن عبد الله بن عمرو .
و ٦٥ حديثاً من أصل ١١٧ حديثاً رواها ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عمرو .
و ٣٥ حديثاً من أصل ٨٩ حديثاً رواها الترمذي في سننه عن عبد الله بن عمرو .

فعدد أحاديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهي أحاديث الصادقة كما هو المرجح بلغ (٤٣٦) حديثاً بما فيه المكرر عند الإمام أحمد وفي السنن الأربعة ، وقد يكون حكم ابن الاثير مبنياً على أن جميع ماروى عن ابن عمرو هو الصادقة وليس ببعيد .

١ - انظر مسند الامام أحمد بن حنبل بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر : الجزء التاسع من الصفحة ٢٣٥ الحديث ٦٤٧٧ والجزء العاشر بكامله وكذلك الحادي عشر والجزء الثاني عشر إلى الصفحة ٥٠ الحديث ٧١٠٣ .

٢ - انظر مسند عبد الله بن عمرو وصحيفته الصادقة ص ٦٧١ .

٣ - ورد طعن في الصحيفة الصادقة من بعض أهل العلم كالمغيرة بن مقسم الضبي الذي قال : (كانت لعبد الله بن عمرو صحيفة تسمى الصادقة (ما تسرني أنها لي بفلسين) انظر تأويل مختلف الحديث ص ٩٣ ، وفي ميزان الاعتدال ص ٢٩٠ ج ٢ (ما يسرني أن صحيفة عبد الله بن عمرو عندي بتمرتين أو بفلسين) . إذا صحت هذه الرواية عن المغيرة فلا يجوز حملها على ظاهرها ولا قبولها هكذا مقتضبة لأنه ذكر ذلك في معرض الكلام على الروايات الضعيفة فإذا ضعف نسخة ابن عمرو فإنما ضعفها لانها انتقلت (وجادة) فهو لايقبل أن تكون عنده هذه الصحيفة بالطريق الذي حملها الرواة ، لان الوجادة أضعف طرق التحمل ، فقد كانوا لايحبون أن ينقلوا الاخبار من الصحف بل عن الشيوخ ولا يجوز أن يحمل قول المغيرة على غير هذا الوجه ، لانه ثبت أن عبد الله قد كتبها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم . ويمكننا للاستئناس أن نراجع أقوال العلماء في راوي هذه الصحيفة في ميزان الاعتدال ص ٢٨٩ حـ ٢ وفي تهذيب التهذيب ص ٤٨ - ٥٥ حـ ٨ وفي فتح المغيث ص ٦٨ - ٦٩ حـ ٤ ، حيث يتبين لنا قيمة الصحيفة وثقة راويها عمرو بن شعيب . قال الامام تقي الدين بن تيمية : (وأما أئمة الاسلام وجمهور العلماء فيحتجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، إذا صح النقل اليه مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينه ونحوهما ، ومثل الشافعي وأحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه وغيرهم ، قالوا : « وإذا كانت نسخة مكتوبة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم =

وكان عبد الله يملي الحديث على تلاميذه [1] وقد نقل عنه تلميذه حسين بن شفي بن ماتع الأصبحي في مصر كتابين ، أحدهما فيه (قضى رسول الله ﷺ في كذا ، وقال رسول الله ﷺ كذا ، والآخر ما يكون من الاحداث الى يوم القيامة)[2] ونحن هنا لم نتعرض إلا للصحيفة الصادقة ، فقد كان عند ابن عمرو كتب كثيرة عن أهل الكتاب أصابها يوم اليرموك في زاملتين [3] ، وقد ادعى بشر المريسي ان (عبد الله بن عمرو كان يرويها للناس عن النبي ﷺ وكان يقال له لا تحدثنا عن الزاملتين) ، وهذه الدعوى باطلة ، فقد ثبت أن ابن عمرو كان أميناً في نقله وروايته لا يحيل ما روى عن النبي على أهل الكتاب ، كما لا يحيل ما روى عن أهل الكتاب على النبي ﷺ [4] .

= كان هذا أوكد لها وأدل على صحتها » ولهذا كان في نسخة عمرو بن شعيب من الاحاديث الفقهية التي فيها مقدرات ما احتاج اليه عامة علماء الاسلام). مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٨ – ٩ ج ١٨ .

١ ـ انظر تاريخ دمشق ص ٤٩ ج ٦ .

٢ ـ خطط المقريزي ص ٣٣٢ – ٣٣٣ ج ٢ .

٣ ـ الزاملة هي البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع . وقيل هي الدابة التي يحمل عليها الطعام والمتاع من الابل وغيرها . انظر : لسان العرب مادة (زمل) ص ٣٢٩ ج ١٣ .

٤ ـ انظر رد الدارمي على بشر ص ١٣٦ ، وقد ذكر محمود أبو رية صاحب كتاب أضواء على السنة المحمدية في الصفحة ١٦٢ هامش (٣) أن عبد الله بن عمرو (كان قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب، وكان يرويها للناس (عن النبي) فتجنب الاخذ عنه كثير من أئمة التابعين ، وكان يقال له : لاتحدثنا عن الزاملتين ص ١٦٦ ج ١ فتح الباري) انتهى ما نقلناه عن أضواء على السنة المحمدية، ومن العجيب أن يسمع إنسان مثل هذا الخبر ويصدقه لان الصحابة رضوان الله عليهم ، كانوا أصدق الناس لساناً ، وانقى الامة قلوباً ، وأخلص البرية للرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا يعقل أن يكذب أمثال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما على رسول الله فيعزو اليه ما سمعه من أهل الكتاب . فهرعت إلى فتح الباري وإذا به – شهد الله – خالياً من عبارة أبي رية ، فليس في قول ابن حجر (عن النبي) إنما زادها الكاتب من عنده ... =

ويكفي ابن عمرو فخراً أنه كان أول من دون الحديث بين يدي رسول الله ﷺ باذنه وفي مختلف أحواله في الغضب والرضا .

كتب ابن عباس (٣ ق هـ – ٦٨ هـ) .

اشتهر ابن عباس بطلب العلم ودأبه عليه ، وكان بعد وفاة رسول الله ﷺ يسأل الصحابة ويكتب عنهم ، وكان رسول الله ﷺ قد دعا له فقال : (اللهم ألهمه الحكمة وعلمه التأويل)[١] ، وعندما توفي ابن عباس ظهرت كتبه ، وكانت حمل بعير[٢] .

ويروى أن عبد الله بن عمر (١٠ ق هـ – ٧٣ هـ) كان اذا خرج الى السوق نظر في كتبه . وقد أكد الراوي أن كتبه هذه كانت في الحديث[٣].

صحيفة جابر بن عبد الله الانصاري (١٦ ق هـ – ٧٨ هـ) :

يحتمل أن تكون هذه الصحيفة غير المنسك الصغير الذي أورده مسلم في كتاب الحج[٤] . وقد ذكرها ابن سعد في ترجمة مجاهد ، وكان يحدث عنها[٥] ، وكان التابعي الجليل قتادة بن دعامة السدوسي (– ١١٨ هـ)

= فهل تكذيب الصحابة ، والافتراء عليهم ، والانتحال على العلماء ، أمثال ابن حجر وغيره من الامانة العلمية ؟؟ وقد ثبت لنا سوء نية أبي رية في مواضع كثيرة بينا بعضها في كتابنا « أبو هريرة راوية الاسلام » .

١ ـ الكفاية ص ٢١٣ ، وراجع طلبه للعلم في الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ٢٤ : آ وفي تقييد العلم ص ٩١ – ١٩٢ و ١٠٩ .

٢ ـ عن موسى بن عقبة (– ١٤١) صاحب المغازي قال : (وضع عندنا ابن كريب مولى ابن عباس حمل بعير من كتب ابن عباس) . انظر طبقات ابن سعد ص ٢١٦ ج ٥ .

٣ ـ الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٠٠ : آ ويروى أن ابن عمر كره كتابة الحديث قال سعيد بن جبير (٤٥ – ٩٤ هـ) كنت أسأل ابن عمر في صحيفة ولو علم بها كانت الفيصل بيني وبينه . انظر طبقات ابن سعد ص ١٧٩ ج ٦ ، وربما كان ابن عمر يكتب لنفسه أو سمح بذلك آخراً .

٤ ـ انظر تذكرة الحفاظ ص ٤١ ج ١ .

٥ ـ طبقات ابن سعد ص ٤٣٣ ج ٥ .

يرفع من قيمة هذه الصحيفة ويقول : (لأنا بصحيفة جابر بن عبد الله احفظ مني لسورة البقرة)[1] .

وفي رواية : (انما يحدث قتادة عن صحيفة سليمان اليشكري ، وكان له كتاب عن جابر بن عبد الله[2] . ويحتمل أن يكون سليمان اليشكري قد نقل عن جابر صحيفته ، وهو أحد تلاميـــذه ، يروى ابن حجر أن سليمان جالس جابرا ، وكتب عنه صحيفته[3] ، ولعـل قتادة كان قد روى صحيفة جابر بن عبد الله عن سليمان اليشكري ، فان أم سليمان قدمت بكتاب سليمان ، فقرىء على ثابت وقتادة وأبي بشر ... فرووها كلها ، وأما ثابت فروى منها حديثاً واحداً[4] ، فصحيفة جـابر كانت مشهوره ، وكتاب سليمان اليشكري عنه كان مشهوراً أيضاً ، ويدعم هذا روايات كثيرة ، منها ما روى عن شعبة أنه كان يرى أن أحاديث أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر انما هو كتاب سليمان اليشكري[5]، وكانت لجابر حلقة في المسجد النبوي يملي فيهـا على طلابـه الحديث ، فكتب منهم كثير أمثال وهب بن منبه (– ١١٤ هـ)[6] ، وقد روى

---

١ ـ طبقات ابن سعد ص ١ – ٢ – قسم ٢ ج ٧ .

٢ ـ القياس لابن قيم الجوزية ص ١٠٨ .

٣ ـ انظر تهذيب التهذيب ص ٢١٤ ج ٤ وانظر تقييد العلم ص ١٠٨ حول كتابته .

٤ ـ انظر الكفاية ص ٣٥٤ .

٥ ـ انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ١٤٤ – ١٤٥ .

٦ ـ انظر صيحفة همام بن منبه ص ١٤ . وكان كثير من التابعين يذهبون إلى جابر رضي الله عنه يكتبون عنه الحديث ، من هذا ماروى عن عبد الله بن عقيل قال : كنت اختلف إلى جابر بن عبد الله أنا ومحمد وأبو جعفر ، معنا ألواح نكتب فيها : انظر تقييد العلم ص ١٠٤ ، وأبو جعفر هو محمد بن علي (– ١١٤ هـ) ومحمد هو ابن الحنفيـة . كما كتب عنه أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس (– ١٢٦ هـ) كثيراً . انظر تهذيب التهذيب ص ٤٤٠ – ٤٤١ ج ٩ .

أبو الزبير وأبو سفيان والشعبي عن جابر وهم قد سمعوا منه وأكثر ما رووه في الصحيفة [1] .

ويروى عن عروة بن الزبير (٢٢ – ٩٣ هـ) قوله : (كتبت الحديث ثم محوته ، فوددت أني فديته بمالي وولدي واني لم أمحه)[2] وربما كتب غيرها ثم احترقت يوم الحرة فحزن عليها ، فكان يقول : (وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي)[3] .

وكان عند خالد بن معدان الكلاعي الحمصي (– ١٠٤ هـ) مصحف له أزرار وعرا أودع فيه علمه[4] . وكان عند بحير بن سعيد نسخة عن خالد بن معدان[5] .

وأوصى أبو قلابة (عبدالله بن زيد الجرمي – ١٠٤ هـ) بكتبه لأيوب السختياني (٦٨ – ١٣١ هـ) فجيء بها في عدل راحلة[6] ، ودفع أيوب كراءها بضعة عشر درهماً[7] .

وقال الأعمش : قال الحسن البصري (٢١ – ١١٠ هـ) إن لنا كتباً نتعاهدها[8] .

---

١ - انظر تهذيب التهذيب ص ٢١٤ ج ٤ ، وعرضت على الشعبي صحيفة كتبت عن جابر فقال سمعت هذا كله عن جابر رضي الله عنه . المحدث الفاصل ص ٩١ : ب .

٢ - تقييد العلم ص ٦٠ . ونحوه في المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٤ :ب ج ٤ .

٣ - جامع بيان العلم وفضله ص ٧١ ج ١ ، وفي رواية ابن سعد انها كتب (فقه) انظر طبقات ابن سعد ص ١٣٣ ج ٥ .

٤ - انظر تذكرة الحفاظ ص ٨٨ ج ١ .

٥ - انظر تذكرة الحفاظ ص ١٦٦ ج ١ .

٦ - انظر طبقات ابن سعد ص ٢١٦ ج ٥ وتذكرة الحفاظ ص ٨٨ ج ١ .

٧ - انظر طبقات ابن سعد ص ٢١٧ قسم ٢ ج ٧ .

٨ - انظر المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٣ : ب ج ٤ كما كانت له كتب حديث وفقه وكان بعض أصحابه يأخذها فينسخها ثم يردها . انظر طبقات ابن سعد ص ١٧ قسم ٢ ج ٧ .

وكان عند محمد الباقر بن علي بن الحسين (٥٦ – ١١٤ هـ) كتب كثيرة سمع بعضها منه ابنه جعفر الصادق . وقرأ بعضها[١] .

وكان عند مكحول الشامي كتب[٢] وعند الحكم بن عتبة [٣] ، وكان عند بكير بن عبد الله بن الأشج (– ١١٧ هـ) عالم المدينة كتب انتقلت الى ابنه مخرمة بن بكير[٤] .

وكان عند قيس بن سعيد المكي (– ١١٧ هـ) كتاب انتقل إلى حماد بن سلمة (– ١٦٧ هـ)[٥] .

ومما لا شك فيه أن العلماء في مطلع القرن الهجري الثاني صنفوا كثيراً من الكتب ، وكثرت الكتب بين أيديهم ، حتى بلغت كتب الإمام الزهري حداً كبيراً ، نقلت بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (٨٨ – ١٢٦ هـ) من خزائنه على الدواب[٦] .

وقبل أن نتكلم عن شيوع التدوين وانتشاره في مطلع القرن الهجري الثاني وعن كتب ومصنفات العلماء آنذاك ، لا بد لنا من أن نتكلم عن صحيفة همام بن منبه لما لها من أهمية تاريخية في تدوين الحديث .

الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه (٤٠ – ١٣١ هـ)[٧] :

لقي همام بن منبه أحد أعلام التابعين الصحابي الجليل أبا هريرة، وكتب

---

١ ـ انظر تهذيب التهذيب ص ١٠٤ ج ٢ ، ومحمد الباقر أحد الائمة الاثنى عشر عند الامامية انظر تهذيب التهذيب ص ٣٥٠ ج ٩ وشذرات الذهب ص ١٤٩ ج ١ .

٢ ـ الفهرست لابن النديم ص ٣١٨ .

٣ ـ انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ١٣٠ .

٤ ـ انظر تهذيب التهذيب ص ٧٠ – ٧١ ج ١٠ ، وعلوم الحديث ١١٠ .

٥ ـ تذكرة الحفاظ ص ١٩٠ ج ١ .

٦ ـ انظر تاريخ الاسلام للذهبي ص ١٤١ ج ٥ .

٧ ـ ذكر الدكتور صبحي الصالح وفاة همام سنة (١٠١ هـ) اعتماداً منه على طبقات ابن سعد ص٣٩٦ج٥ لانها أقدم المصادر ثم قال في هامش الصفحة ٢٢ من كتابه علوم =

عنه كثيراً من حديث رسول الله ﷺ . وجمعه في صحيفة أو صحف أطلق عليها اسم (الصحيفة الصحيحة)[1] ، وربما سماها بالصحيحة على مثال (الصحيفة الصادقة) لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وحق له أن يسميها بالصحيحة ، لأنه كتبها عن صحابي خالط رسول الله ﷺ أربع سنين ، وروى عنه الكثير .

وقد وصلتنا هذه الصحيفة كاملة . كما رواهـــا ودونها همام عن أبي هريرة ، فقد عثر على هذه الصحيفة الدكتور المحقق محمد حميد الله في مخطوطتين متماثلتين في دمشق وبرلين[2] .

وتزداد ثقتنا بصحيفة همام حينما نعلم أن الإمام أحمد قد نقلها بتمامها في مسنده ، كما نقل الإمام البخاري عدداً كثيراً من أحاديثها في صحيحه في أبواب شتى[3] .

ولهذه الصحيفة أهمية تاريخية في تدوين الحديث الشريف ، لأنها حجة قاطعة ، ودليل ساطع على أن الحديث النبوي كان قد دون في عصر مبكر وتصحح الخطأ الشائع : أن الحديث لم يدون إلا في أوائل القرن

= الحديث ومصطلحه :(وعند ابن حجر والنووي وسواهما توفي همام سنة ١٣١ هـ ولعله تصحيف لقول ابن سعد (مات سنة إحدى أو اثنتين ومئـــة) وانظر التصحيحات الملحقة بصحيفة همام ص ٢) . إلا أني أرجح وفاته سنة (١٣١ هـ) لان سفيـــان بن عيينة قال : كنت أتوقع قدوم همام عشر سنين ، وسفيان بن عيينة ولد سنة (١٠٧ هـ) فلا يعقل أن يقول هذا بعد وفاة همام بسنوات ، ثم إن معمراً كان قد ادركه وقد كبر وسقط حاجباه على عينيه ، فهـــذا الوصف ينطبق على من سنه أكثر من ستين سنه وهي السن التي ذكرتها وقالها غير ابن سعد . وانظر تهذيب التهذيب ص ٦٧ ج ١١ . حيث ذكر إدراك معمر بن راشد لهمام .

١ ـ أقدم تدوين في الحديث النبوي صحيفة همام بن منبه ص ٢٠ عن كشف الظنون.

٢ ـ راجع صحيفة همام ص ٢١ -- ٢٣ حيث وصف الدكتور حميد الله المخطوطتين.

٣ ـ انظر المرجع السابق ص ٢٠ .

الهجري الثاني ، ذلك لأن همام لقى أبا هريرة – ولا شك أنه كتب عنه – قبل وفاته ، وقد توفي أبو هريرة سنة (٥٩) للهجرة فمعنى ذلك أن هذه الوثيقة العلمية قد دونت قبل هذه السنة ، أي في منتصف القرن الهجري الأول ، وقد ثبت لنا أن عبد الله بن عمرو دون في عهد الرسول صحيفته الصادقة ، وها نحن أولاء يثبت لنا تدوين صحيفة همام في منتصف القرن الهجري الأول ، مما يدل على أن العلماء كانوا قد باشروا التدوين فعلًا قبل أمر عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وكان من الأولى أن نذكر هذه الصحيفة بين كتب أبي هريرة ، لأنها املاؤه لهمام ، إلا اننا فضلنا الكلام عنها هنا لاشتهارها باسمه ، وقد رواها عنه تلميذه معمر بن راشد ثم عبد الرزاق عن معمر ثم هلم جرا[1] .

وتضم صحيفة همام هذه (١٣٨) حديثاً وقد ذكر ابن حجر أن همام سمع من أبي هريرة نحو أربعين ومائة حديث باسناد واحد[2] ، وهذا يزيدنا ثقة بهذه الصحيفة ، لاتفاق عدد ما جاء فيها من الاحاديث وما ذكره العلماء .

★ ★ ★

وشاع التدوين في النصف الأول من القرن الهجري الثاني بين العلماء ، حتى أصبح من النادر ألا نرى لأحدهم تصنيفاً أو جامعاً فيه بعض أبواب في الحديث .

وقد سبق أن ذكرت أول من صنف في مختلف البلاد الإسلامية .

وممن شارك في التصنيف او وجد عنده كتب في تلك الحقبة يحيى

---

١ – انظر صحيفة همام بن منبة ص ٢٠ .

٢ – تهذيب التهذيب ٦٧ ج ١١ .

ابن أبي كثير (—١٢٨هـ) [١] معاصر الامام الزهري . وكان عند محمد ابن سوقه (—١٣٥هـ) [٢] كتاب ، وكان عند زيد بن اسلم (—١٣٦ هـ) كتاب في التفسير [٣] لعل فيه كثيرا من حديث رسول الله ﷺ . وكان عند موسى بن عقبة (—١٤١ هـ) [٤] احاديث لنافع مولى ابن عمر مكتوبة في صحيفة . وكان للاشعث بن عبدالملك الحمراني (—١٤٢ هـ) [٥] كتاب انتقل الى سليمان صاحب البصرى . وقد كتب عقيل بن خالد بن عقيل (— ١٤٢ هـ) [٦] حديثا كثير عن الزهري ، وكان أعلم الناس بحديثه . وكان ليحيى بن سعيد الانصاري(—١٤٣ هـ)[٧] كتاب انتقل الى حماد بن زيد .

وكتب عوف بن أبي جميلة العبدي (—١٤٦ هـ) [٨] اطراف الحديث عن الحسن البصري عن النبي ﷺ ، وكانت هذه الاطراف بعد ذلك عند يحيى بن سعيد القطان (١٢٠—١٩٨ هـ)[٩] . وكان عند جعفر الصادق ابن محمد الباقر (٨٠—١٤٨ هـ)[١٠] رسائل واحاديث ونُسخ ، وكان من ثقات المحدثين ، وكان ليونس بن يزيد بن أبي النجاد (—١٥٢ هـ) كتاب

---

١ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ١١٠ والمحدث الفاصل ص ٩٤ وفي رواية أنه توفي سنة (١٣٢ هـ) في اليمامة انظر ص ١٥٦ منه .

٢ ـ انظر تقدمة الجرح والتعديل ٧٥ وتهذيب التهذيب ص ٢١٠ ج ٩ ويفهم من المرجع الاول أن لمنصور بن المعتمر كتاباً أيضاً .

٣ ـ انظر تذكرة الحفاظ ص ١٢٤ ج ١ وتهذيب التهذيب ص ٣٩٥ ج ٣ .

٤ ـ انظر الكفاية ص ٢٦٦ .

٥ ـ انظر المحدث الفاصل ص ١٣٦ : ب .

٦ ـ انظر تذكرة الحفاظ ص ١٥٢ ج ١ .

٧ ـ انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ١٧٨ .

٨ ـ انظر تهذيب التهذيب ص ١٦٧ ج ٨ .

٩ ـ انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ٢٣٦ .

١٠ ـ انظر تهذيب التهذيب ص ١٠٤ ج ٢ .

شهد له ابن المبارك بالصحة [1] ، وكان لعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي (—١٦٠ هـ) كتب اتى بها شعبة من بغداد [2] ، وكان لزائدة بن قدامة ((- ١٦١ هـ) كتب عرضها على سفيان الثوري [3] ، وقد كان زائدة نظيراً لشعبة بن الحجاج [4] . وكان لسفيان الثوري (٩٧—١٦١ هـ) كتب كثيرة منها في الحديث (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) [5] . وقال ابن المبارك : ابراهيم بن طهمان(—١٦٣ هـ) والسكري يعني ابا حمزة (—١٦٧ هـ) صحيحا الكتب [6] .

وكان لعبد العزيز بن عبد الله الماجشون (—١٦٤ هـ) كتب مصنفة رواها عنه ابن وهب [7] ، وكان لعبد الله بن أويس(—١٦٩ هـ) — ابن عم مالك وصهره على اخته — كتب انتهت الى ابنه اسماعيل [8] ، وأوصى سليمان بن بلال (—١٧٢ هـ) بكتبه الى عبد العزيز بن أبي حازم[9]. ومن الجدير بالذكر انه كان لعبد الله بن لهيعة (—١٧٤ هـ) محدث الديار المصرية كتب كثيرة ، احترقت سنة (١٦٩ هـ) وكانت كتبه صحيحة[10]

---

١ ـ انظر تهذيب التهذيب ص ٤٥٠ ج ١١ ، وتقدمة الجرح والتعديل ص ٢٧٢ . وكان يونس يكتب عن الزهري . انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ٢٠٥ .

٢ ـ انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ١٤٥ .

٣ ـ المرجع السابق ص ٨٠ .

٤ ـ انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٠٠ ج ١ .

٥ ـ انظر الفهرست لابن النديم ص ٣١٥ .

٦ ـ تقدمة الجرح والتعديل ص ٢٧٠ .

٧ ـ انظر تهذيب التهذيب ص٣٤٤ ج ١ قال ابن وهب : (حججت سنة (١٤٨هـ) وصاح يصيح لايفتح الباب — إلى الخليفة— الا لمالك وعبد العزيز بن أبي سلمة) وكان صاحب سنة ، وقد كتب عنه أهل بغداد . نفس المرجع .

٨ ـ انظر تهذيب التهذيب ص ٢٨٠ ج ٥ .

٩ ـ انظر الاصابة ص ١٩٩ ج ٧ . و انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٤٧ ج ١ .

١٠ ـ انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٢٠ ج ١ قال الامام أحمد : ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة ويعود عدم احتجاج البخاري ومسلم به إلا في المتابعات لاحتراق كتبه . انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٢٠ ج ١ .

ولابن لهيعة صحيفة في الحديث تعتبر من اقدم مجموعات الحديث ، وهي موجودة ضمن مجموعة اوراق البردى (بهيد لبرج) [1] ، وكان لليث بن سعد (٩٤–١٧٥ هـ) شيخ الديار المصرية وعالمها تصانيف كثيرة [2] .

ولدينا كثير من أخبار المصنفـــات والمصنفين إلا أن المقام يضيق عن ذكرها ، ويكفي دليلًا على كثرة هذه المصنفات في نهاية القرن الثاني ـ ان علي بن عبد الله المديني (١٦١ – ٢٣٤ هـ) صنف في مختلف أبواب الحديث ورجاله وغريبه وشاذه وعلله نيفا ومائة مصنف ، ذكر منها محمد ابن صالح الهاشمي نيفا وخمسة وعشرين مصنفاً ، وكل كتاب في عـدة أجزاء بلغ بعضها ثلاثين جزءاً [3] .

هكذا ساهم علماء المسلمين في حفظ الحديث في صدورهم وفي كتبهم ، وصدق علي بن المديني حين قال : نظرت فإذا الاسناد يدور على ستة ، فلأهل المدينة ابن شهاب (– ١٢٤ هـ) ، ولأهل مكة عمرو بن دينار (٤٦ – ١٢٦ هـ) [4] ، ولأهل البصرة قتادة بن دعـــامة السدوسي (– ١١٧ هـ) ، ويحيى بن أبي كثير (– ١٢٩ هـ) [5] ، ولأهل

---

١ ـ انظر كتاب نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ص ١١٨ . وتاريخ الأدب العربي ص ١٥٤ ج ٣ .

٢ ـ انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٠٩ ج ١ .

٣ ـ انظر الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٩٤ ، وليس في هذا مبالغة لأن بعض الاجزاء لاتتجاوز وريقات . كما لايستبعد هذا بالنسبة لابن المديني إمام عصره الذي كان يجله الامام أحمد ويحترمه لسمو مكانته وسعة علمه . انظر تقدمـــة الجرح والتعديل ص ٣١٩ .

٤ ـ كان محدثاً فقيهاً قال فيه شعبة : مارأيت اثبت في الحديث منه انظر : تاريخ الاسلام للذهبي ص ١١٤ ج ٥ وتهذيب التهذيب ص ٣٠ ج ٨ .

٥ ـ ذكر الرامهرمزي وفاته في اليمامة سنة (١٣٢ هـ) . وما اثبتـــه عن تذكرة الحفاظ ص ١٢١ ج ١ ، وتهذيب التهذيب ص ٢٦٨ ج ١١ .

الكوفة أبو اسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي (٣٣ – ١٢٧ هـ)،[١] وسليمان بن مهران الأعمش (٦١ – ١٤٨ هـ) . قال علي : ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف [٢] .

* * *

١ - وهو من أعلام التابعين الثقات كان إمام الكوفة وشيخها في عصره ادرك علياً رضي الله عنه،ويروى أنه سمع من (٣٨) صحابياً ، انظر تاريخ الاسلام للذهبي ص ١١٦ ج٥ وتهذيب التهذيب ص٦٣ ج ٨ .

٢ - انظر المحدث الفاصل ص ١٥٦ : آ - ب ، وتقدمة الجرح والتعديل ص ٣٤ و ١٢٩ .

الفصل الثالث

آراء في تدوين الحديث

١ – رأى الامام محمد رشيد رضا (١٢٨٢ – ١٣٥٤ هـ) :

قال الامام محمد رشيد رضا : (لعل أول من كتب الحديث وغيره من التابعين في القرن الأول ، وجعل ما كتبه مصنفاً مجموعاً هو خالد بن معدان الحمصي ، روي عنه أنه لقي سبعين صحابياً ، قال في تذكره الحفاظ وقال بحير : مارأيت أحداً الزم للعلم منه ، وكان علمه في مصحف له ازرار وعرا) ثم قال : فخالد بن معدان جمع علمه في مصنف واحد جعل له وقاية لها أزراراً وعرا تمسكها لئلا يقع شيء من تلك الصحف ، وكان ذلك في القرن الأول ، فإنه مات سنة ١٠٣ هـ أو سنة ١٠٤ هـ ، ولكن المشهور أن أول من كتب الحديث ابن شهاب الزهري القرشي ، ولعل سبب ذلك أخذ أمراء بني أُمية عنه)[١] .

بعد أن رأينا موقف العلماء من الكتابة خلال القرن الاول الهجري وفي النصف الاول من القرن الثاني ، وبعد أن وجدنا أدلة علمية قاطعة تثبت وقوع التدوين في عهد رسول الله ﷺ وفي عصر الصحابة والتابعين –

---

١ – مجلة المنار ص ٧٥٤ ج ١٠ .

بعد هذا لايمكننا أن نقبل رأى الأستاذ الإمام ، وذلك من ناحيتين :

الاولى إذا اعتبرنا التدوين الشخصي الخاص بكل عالم — فان كثيرين من الصحابة والتابعين سبقوا خالداً في هذا المضمار ، وحافظوا على ما كتبوه، فابن عمرو حفظ صحفه في صندوق له حلق ، وغيره في كراريس ودفاتر ، كهمام بن منبه وابن شهاب ، فمجرد وجود علم خالد بن معدان في مصحف له أزرار لايكفي لان يكون أول من دون الحديث في عصره .

والناحية الثانية إذا اعتبرنا التدوين الرسمي للحديث استجابة لرغبة عمر ابن عبد العزيز فقد سبق خالداً إلى التدوين أبو بكر بن حزم وابن شهاب الزهري ، وقد ثبت أن ابن شهاب كتب لعمر الحديث في دفـــاتر وزعت على كل أرض له عليها سلطان ، فخالد لم يكن أول من صنف ، سواء أكان هذا التصنيف خاصاً أم رسمياً . فهنـاك من سبقه في جمع الحديث ، ويمكننا أن نعتبر صحف خـالد من أولى الصحف التي ضمت علمه في ذلك القرن .

وإذا كان المشهور أن ابن شهاب الزهري أول من كتب الحديث — فان هذا محمول على تنفيذه أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ، لا لأن أمراء بني أميـة أخذوا عنه ، لأن أخذ الأمراء عنـه لايؤثر في الادلة الاخرى التي تثبت استجابته لامر الخليفة وتدوينه الحديث في دفاتر . وقد أسلفنا أنه كان قد كتب كثيراً من حديث رسول الله ﷺ ، في أثناء طلبه العلم . وهذا يدل على أسبقية ابن شهاب على غيره في التدوين ، ومع هذا فهناك من دون قبله — بشكل غير رسمي — وحفظ علمه في صحف واعتنى بصحفه وحرص عليها من الضياع . فقد ثبت لدينا مما سبق أن كثيراً قبل ابن شهاب وقبل خالد بن معدان كتبوا الحديث وحفظوه في كل ما تيسر لديهم من وسائل ، رغبة منهم في حفظ حديث رسول الله ﷺ من الضياع أو التحريف .

٢ ـ رأي الشيعة في تدوين الحديث :

آ ـ قال المرجع الديني الاكبر السيد حسن الصدر (١٢٧٢ ـ ١٣٥٤ هـ) : (وقد وهم الحافظ الجلال السيوطي في كتابه تدريب الراوي ، حيث زعم أن ابتداء تدوين الحديث وقع في رأس المائة . قال : وأما ابتداء تدوين الحديث فانه وقع في رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز بأمره ، ففي صحيح البخاري في أبواب العلم : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم . . . قال في فتح الباري ، يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوي ، ثم أفاد أن أول من دونه بأمر عمر بن عبد العزيز ابن شهاب انتهى ما في تدريب الراوي . قلت « السيد حسن الصدر » : كانت خلافة عمر بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر مبدؤها عاشر صفر سنة ثمان أو تسع وتسعين ، ومات سنة احدى ومائة لخمس أو لست مضين وقيل لعشر بقين من رجب ، ولم يؤرخ زمان أمره ولا نقل ناقل امتثال أمره بتدوين الحديث في زمانه ، والذي ذكره الحافظ ابن حجر من باب الحدس والاعتبار ، لا عن نقل العمل بأمره بالعيان ، ولو كان له عند أهل العلم بالحديث أثر بالعيان لما نصوا أن الإفراد لحديث رسول الله ﷺ كان على رأس المائتين كما اعترف به شيخ الاسلام وغيره ... قال (ابن حجر) : إلى أن رأى بعض الائمة أن تفرد أحاديث النبي ﷺ خاصة، وذلك في رأس المائتين وعدد جماعة . . . وكذلك الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ نص أن أول زمن التصنيف وتدوين السنن وتأليف الفروع ـ بعد انقراض دولة بني أمية وتحول الدولة إلى بني العباس ... ولا يقاس بالذهبي غيره في الخبرة بالتواريخ في أمثال هذه الامور ، فلم يذكر ما ذكره السيوطي ، بل كل من كتب في الاوائل من علماء السنة لم يذكره .

اللهم إلا أن يقال باستبعاد عدم الاخذ بقول مثل عمر بن عبد العزيز فلعله جمع بعده فلا يكون الحكم بجمعه في رأس المائة من القول السديد المحقق ، عصمنا الله تعالى من التسرع في القول)[1] .

اقول إن ما ذكره السيوطي ليس وهماً بل حقيقة علمية ، كما تبين لنا من البحث .

واما قصر مدة خلافة عمر بن عبد العزيز ، وعدم تأريخ زمن امره فانه لا ينافي استجابة العلماء لأمر الخليفة . وأما أنه لم ينقل هذا ناقل فهذا حكم يناقض الدليل ، فقد كثر الناقلون ، ونص ابن عبد البر على ان ابن شهاب امتثل لأمر الخليفة وكتب الحديث في دفاتر ، وبعث الخليفة إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً[2] ، ولم يكن ما ذكره ابن حجر من باب الحدس والتخمين ، ثم إن ماذكره علماء الحديث من أن إفراد تدوين حديث رسول الله ﷺ كان على رأس المائتين — لاينافي قط تدوينه استجابة لامر الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ونحن لانشك في أن بعض المدونات الاولى ، في عصر رسول الله ﷺ وفي عصر الصحابة كانت خالية من فتاوى الصحابة ، وأقوى دليل على هذا الصحيفة الصادقة ، والصحيفة الصحيحة ، وإن كان بعض المصنفين قد كتب عمل الصحابة ، وفتاواهم إلى جانب الحديث ، فهذا لاينافي كونهم دونوا الحديث على رأس المائة الاولى وقبلها .

واستشهاده بما ذكره الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ لايجدي نفعاً ، لأن الحافظ الذهبي لخص الحالة في القرن الاول ، ولم يدرس التدوين دراسة موضوعية تفصيلية ، ومع هذا نراه يذكر في تراجم من صنف

---

١ – تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ٢٧٨ – ٢٧٩ .

٢ – انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٦ ج ١ .

من العلماء أنهم أول من صنفوا في بلادهم . وليس من المفروض على الذهبي أن يفصل في التدوين لأن تذكرته في رجال الحديث لا في علم الحديث ومصطلحه .

وأما أن أحداً من الاوائل الذين كتبوا في الحديث وعلومه — لم يذكر ماذكره الجلال السيوطي ، فهذا مردود بما كشف عنه بحثنا ، فقد ذكر ذلك الرامهرمزي ، وبين سبب كراهة من كره الكتابة في الصدر الاول ، وجمع بين أحاديث السماح بالكتابة والنهي عنها . وإذا كان الرامهرمزي لم ينقل الينا النص كالسيوطي حرفياً فقد ذكر ما يفهم منه أن بعض العلماء كانوا قد دونوا في القرن الاول[1] ، كما بين اهتمام عمر ابن عبد العزيز بنشر السنة والمحافظة عليها[2] ، ووضع الخطيب البغدادي كتابه (تقييد العلم) لعرض سير التدوين في العصر الاول ، وبين كثيراً مما خفي على الناس ، واثبت أن بعض طلاب العلم وأهله قد مارسوا التدوين في عهد رسول الله ﷺ وبعده . وروى أبو عبيد القاسم ابن سلام (١٥٧ — ٢٢٤ هـ) بسنده عن محمد بن عبد الرحمن الانصاري ، قال : (لما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى المدينة يلتمس كتاب رسول الله ﷺ في الصدقات وكتاب عمر بن الخطاب .. فنسخا له)[3] فما أظن بعد هذا أن يدعي إنسان أن أمر عمر بن عبد العزيز لم ينفذ أو لم يؤخذ به ، فما ذهب اليه علماء الحديث من أن ابتداء تدوين الحديث وقع في رأس المائة الاولى ليس من باب الحدس والتسرع بالقول .

---

١ — انظر المحدث الفاصل ص ٧١ : آ — ٧١ : ب .

٢ — انظر المرجع السابق ص ١٥٣ : آ .

٣ — الأموال ص ٣٥٨ — ٣٥٩ .

ويحمل قولهم هذا على التدوين الرسمي الذي تبنته الدولة ، أما التدوين الشخصي والفردي فكان منذ عهد رسول الله ﷺ .

بعد ما ذكره السيد حسن الصدر قال : (إذا عرفت هذا فاعلم أن الشيعة أول من تقدم في جمع الآثار والاخبار ، في عصر خلفاء النبي المختار عليه وعليهم الصلاة والسلام ، اقتدوا بامامهم أمير المؤمنين عليه السلام) . ثم ذكر كتاباً لعلي رضي الله عنه كان عظيماً مدرجاً ، وذكر صحيفته المعلقة بسيفه ، ثم ذكر كتاباً لابي رافع مولى رسول الله ﷺ سماه (كتاب السنن والاحكام والقضايا) وقد توفي أبو رافع في أول خلافة علي رضي الله عنه ، قال السيد حسن الصدر : (وأول خلافة على أمير المؤمنين سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، فلا أقدم من أبي رافع في التأليف بالضرورة)[1] .

أقول : إذا صح هذا الخبر فان أبا رافع يكون ممن دون في عصر الصحابة ، وقد سبقه عبد الله بن عمرو الذي كتب في عهده ﷺ . وإذا صح هذا الخبر وكان كتابه مرتباً على الابواب : (الصلاة والصيام والحج والزكاة والقضايا) كما ذكر السيد حسن الصدر ، كان لأبي رافع شرف الاولوية في التأليف لا في التدوين ، وصحة هذا لا تحملنا على أن ننفي

---

١ - تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٧٩ - ٢٨٠ . وقد نقل عن الشيخ أبي العباس النجاشي ما ذكره عن أبي رافع . ثم قال السيد حسن الصدر : وأول من صنف في الآثار مولانا أبو عبد الله سلمان الفارسي (ر)... وأول من صنف الحديث والآثار بعد المؤسسين أبو ذر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله كتاب الخطبة يشرح فيها الامور بعد النبي صلى الله عليه وسلم ذكره الشيخ أبو جعفر الطوسي في الفهرست . ثم يذكر كتاباً لعبيد الله بن أبي رافع في قضايا أمير المؤمنين وكتاب تسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفين والنهروان من الصحابة ثم ذكر بعض أخبار كتب لاشخاص طعن فيهم أهل السنة كالحارث بن عبد الله الأعور الهمداني ، أو أخبار كتب لم تثبت عند أهل السنة . انظر تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٢٨٢ وما بعدها .

ما ثبت تاريخيا من أخبار التدوين في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز .

ب – مادمنا في موضوع الشيعة والتدوين ، فلا بد من أن نتناول بالبحث أصلًا من أصول الزيدية ، يعود تدوينه إلى مطلع القرن الثاني ، وهذا الاصل هو (مجموع الامام زيد)، ونتناول هذا الكتاب في ثلاث نقاط ، وهي التعريف بصاحب المجموع ، والتعريف بروايه ، ثم المجموع ذاته :

١ – الامام زيد : هو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً . ولد الامام زيد حول سنة (٨٠هـ)، ونشأ في أسرة معروفة بالعلم والجهاد ، فقد تلقى العلم على أبيه ثم أخذ عن أخيه محمد الباقر الذي شهد له العلماء بالمنزلة العلمية الرفيعة ، كما سمع من كبار التابعين في المدينة وكان يتنقل بين الحجاز والعراق ، ونضج الامام زيد حتى شهد أهل العلم بفضله وعلمه ، سئل جعفر الصادق عن عمه زيد ، فقال : كان والله اقرأنا لكتاب الله ، وافقهنا في دين الله ، وأوصلنا للرحم ، والله ما تُرك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله . وقال الشعبي : ما ولدت النساء أفضل من زيد بن علي ولا أفقه ولا اشجع ولا أزهد ، وسئل الباقر عن أخيه زيد ، فقال : ان زيداً أعطي من العلم بسطة [١] .

ولزيد مع هشام بن عبد الملك وولاته أخبار كثيرة تذكر احراجهم له واضطراره إلى الخروج على الخليفة ، ومن هذا ماذكره ابن العماد الحنبلي أنه دخل يوماً على هشام بن عبد الملك ، فقال له : (أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وانت ابن أمة .. فأجابه بقوله : ان الامهات لايقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم اسماعيل أمة لأم اسحاق ،

١ – انظر مقدمة مسند زيد وترجمته ص ٢ وما بعدها .

صلى الله عليها ، فلم يمنعه ذلك من أن ابتعثه الله نبياً ، وجعله للعرب أبا وأخرج من صلبه خير البشر محمداً ﷺ .. أفتقول لي كذا وأنا ابن فاطمة وابن علي [1] .. ؟) وقام ينشد شعراً ، وخرج في الكوفة وبايعه من أهلها خمسة عشر الف رجل ، ثم تفرقوا عنه ليلة خرج سوى ثلاثمائة رجل ، ولما قتل أرسل برأسه إلى الشام ثم إلى المدينة ، وكان ذلك سنة (١٢٢ هـ) [2] .

وللامام زيد المسند المسمى المجموع الفقهي . وله المجموع الحديثي ، وقد جمعها [3] عمرو بن خالد الواسطي . وله أيضاً تفسير الغريب من القرآن ، وتثبيت الامامة ومنسك الحج [4] .

٢ – أما راوي المجموع ، فهو أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي الهاشمي بالولاء الكوفي ، روى مجموعي الامام زيد الحديثي والفقهي ؛ قال : صحبت الامام زيداً فما أخذت عنه الحديث إلا وقد سمعته مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً أو أكثر من ذلك ، وما رأيت هاشمياً مثل زيد بن علي ، فلذلك اخترت صحبته على جميع الناس [5]. وتوفي بعد العشر الخامسة من المائة الثانية من الهجرة .

وقد اختلف في أبي خالد ، فقبل الزيدية روايته ، وفي هذا يقول القاسم بن العزيز : (وعمرو بن خالد الواسطي أبو خالد ، حدث عنه الثقات ، وهو كثير الملازمة لزيد بن علي عليه السلام ، وهو الذي أخذ

---

١ – شذرات الذهب ص ١٥٧ ج ١ ، وانظر : الامام زيد لابي زهرة ص ٤٢-٦٦.
٢ – انظر شذرات الذهب ص ١٥٧ ج ١ ، والامام زيد ص ٤٢ – ٦٦ .
٣ – انظر الامام زيد لابي زهرة ص ٢٣٣ .
٤ – انظر مقدمة مسند زيد (المجموع) صفحة ٤ – ٥ .
٥ – انظر المرجع السابق ص ٢٦ والروض النضير ص ٢٨ ج ١ .

عنه أكثر الزيدية مذهب زيد بن علي عليهما السلام ، ورجحوا روايته على رواية غيره)[1] . وجرحه الامامية[2] وغيرهم. وقد فند شارح المجموع طعون الجارحين لعمرو ، وبين أقوال العلماء فيه ، وانتهى إلى أن كل ما وجه اليه لايؤثر في عدالته[3] ، وكذلك فند فضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة الطعون وناقشها ووازن آراء العلماء ، وانتهى إلى أن أوجه قبول رواية أبي خالد أرجح من أوجه الطعن[4] .

٣ – المجموع : واختلف في المجموع ذاته : هل وضعه الامام زيد ورتبه كما هو عليه الآن واملاه على طلابه أم أن هذا عمل أبي خالد ؟ فأبو خالد نفسه يجيب ابراهيم بن الزبرقان الذي سأله : كيف سمعت هذا الكتاب عن زيد بن علي ؟ فيقول : (سمعته منه في كتاب معه قد وطأه وجمعه ، فما بقي من اصحاب زيد بن علي ممن سمعه معي إلا قتل غيري)[5] الا ان الامام محمد بن المطهر في اول شرحه المنهاج على المجموع يقول : (وكان مذهبه – يعني زيد بن علي عزيزاً ، لقلة ضبطه في الكتاب الجامع إلا ما عني بجمعه أبو خالد ، فإنه جمع مجموعين لطيفين احدهما في الاخبار ، والآخر في الفقه)[6] ويمكن الجمع بين الخبرين بأن ابا خالد قد كتب عن الامام زيد الحديث والفقه وسمع منه ، فرتب ذلك في مجموعين . ولا نرى هذا بعيداً قط ، لأن ابا خالد صحب زيداً بالمدينة قبل قدومه الكوفة خمس سنين ، كان يقيم عنده في كل سنة

١ – الروض النضير ص ٢٨ ج ١ .
٢ – الإمام زيد لأبي زهرة ص ٢٣٣ .
٣ – انظر الروض النضير ص ٢٥ – ٤٧ ج ١ وشارح المجموع العلامة شرف الدين ابن الحيمي اليمني وكان عرضه لذلك قيماً تجدر مراجعته .
٤ – انظر الإمام زيد لأبي زهرة ص ٢٣٥ – ٢٥٨ .
٥ – الروض النضير ص ٢٨ ج ١ .
٦ – المرجع السابق ص ١٢٧ .

أشهرا كلما حج [1] ، وكان عصر الامام زيد عصر طلائع التصنيف ، ومع هذا لا يمكننا أن نقطع بأن المجموع كما هو عليه الآن جمعاً وترتيباً من تصنيف الامام زيد . لأن الدارس لمتن المجموع يرى كثيراً من الحديث يرويه أبو خالد قائلاً (حدثني زيد بن علي)، وفي الفقه يقول قال زيد بن علي ، مما يدل على أن أبا خالد تلقى هذا مشافهة عن الامام زيد . وهذا لايمنع ان يحمل الامام بعض علمه في كتاب . سواء أملى على طلابه أم لم يمل، ويرجح عندي ان ابا خالد كتب عن الامام الحديث والفقه ، ثم رتب ذلك في مجموعين ، وكل هذا لايؤثر في صحة نسبة المجموع إلى زيد بن علي .

وعلى هذا يكون المجموع من أهم الوثائق التاريخية التي تثبت ابتداء التصنيف والتأليف في أوائل القرن الثاني الهجري . بعد أن استنتجنا هذا من خلال عرضنا لمصنفات ومجاميع العلماء من غير ان نرى نموذجاً مادياً يمثل اولى تلك المصنفات . اللهم الا موطأ الامام مالك الذي انتهى من تأليفه قبل منتصف القرن الهجري الثاني ، فيكون المجموع قد صنف قبله بنحو ثلاثين سنة .

من الواضح ان المجموع المطبوع جمع بين الفقه والحديث ، فهو يضم المجموعين الفقهي والحديثي ولكنهما ليسا منفصلين ، فنرى أبا خالد يروي في الباب الواحد أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ ، وآثاراً عن علي رضي الله عنه ، وفقه الامام زيد رحمه الله .

وقد ضم المجموع (٢٢٨) حديثاً مرفوعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام، ومن الاخبار العلوية (٣٢٠) خبرا ، وعن الحسين خبرين فقط [2] .

وقد رتب المجموع ترتيباً فقهيا ، ففيه كتاب الطهارة ، وكتاب

---

١ ـ انظر الروض النضير ص ٢٨ ج ١ .

٢ ـ انظر مقدمة مسند زيد ص ٩ .

الصلاة ، وكتاب الجنائز ، وكتاب الزكاة ، وكتاب الصيام ، وكتاب الحج ، وكتاب البيوع ... ورتب كل كتاب على أبواب مختلفة ، ويفتتح كل باب بحديث الباب بسنده المرفوع الى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أو الموقوف على الامام علي رضي الله عنه .

وسأعرض بعض النماذج لنقف على حقيقة المجموع :

آ ـ من باب ما ينبغي أن يجتنب في الصلاة :

قال : (حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : ابصر رسول الله ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال : « أما هذا فلو خشع قلبه لخشعت جوارحه » ، وقال زيد بن علي عليه السلام : إذا دخلت في الصلاة فلا تلتفت يميناً ولا شمالاً ، ولا تعبث بالحصى ، ولا ترفع اصابعك ولا تنقض انامك ، ولا تمسح جبهتك حتى تفرغ من الصلاة) [1] .

ب ـ من كتاب البيوع ، باب الكسب من اليد :

قال : (حدثني زيد بن علي عن ابيه عن جده عن علي عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يارسول الله ، أي الكسب افضل ؟ فقال ﷺ : « عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور ، فان الله يحب المؤمن المحترف ، ومن كد على عياله كان كالمجاهد في سبيل الله عز وجل » .

حدثني زيد بن علي عن ابيه عن جده عن علي عليه السلام ، قال : من طلب الدنيا حلالاً تعطفا على والد او ولد أو زوجة ، بعثه الله تعالى ووجهه على صورة القمر ليلة البدر) [2] .

---

١ ـ مسند الإمام زيد ص ٣٦ ـ ٣٧ .

٢ ـ مسند الإمام زيد ص ١٠٣ .

٣ – رأينا في التدوين الرسمي :

لقد تبين لي اثناء البحث في موضوع تدوين السنة ، وخاصة في دراسة رجال الحديث في عصر الصحابة والتابعين – ان امير مصر عبد العزيز ابن مروان بن الحكم الاموي (– ٨٥ هـ) . قد حاول جمع حديث رسول الله ﷺ ، وقد روى هذا امام الديار المصرية ومحدثها الليث بن سعد فقال : (حدثني يزيد بن ابى حبيب أن عبد العزيز بن مروان كتب إلى كثير بن مرة الحضرمي – وكان قد ادرك بحمص سبعين بدريا من اصحاب رسول الله ﷺ – قال ليث : وكان يسمى الجند المقدم ، قال: فكتب إليه أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله ﷺ من احاديثهم الا حديث ابي هريرة فانه عندنا) [١] ، لم يطلب حديث ابي هريرة لانه كان عنده ، وكان قد سمعه عبد العزيز بن مروان من ابي هريرة [٢] . لقد طلب امير مصر كتابة حديث رسول الله ﷺ من امام حمص وعالمها الذى كان طلاباً للعلم حافظا ثقة [٣] . وقد كان هذا الطلب اثناء امارته على مصر بين سنة (٦٥–٨٥) هجرية ، ويمكننا أن نحد هذا بحد اقرب الى الحقيقة اذا عرفنا ان كثير بن مرة توفي بين سنة (٧٠–٨٠) [٤] للهجرة ، فلو فرضنا انه توفي سنة (٧٥ هـ) فمعنى هذا ان طلب الامير كان قبل هذه السنة ، والراجح عندي أن طلب الامير عبد العزيز ، كان في السنين الاولى من امارته ، لما عرف عنه من حب للعلم وأهله ، وتفان في خدمة الدين [٥] . الا ان المصادر لم

---

١ – طبقات ابن سعد ص ١٥٧ قسم ٢ ج ٧ وتهذيب التهذيب ص ٤٢٩ ج ٨ وانظر سير أعلام النبلاء مخطوط ص ١٤٥ قسم ٢ ج ٤ .

٢ – انظر تهذيب التهذيب ص ٣٥٦ ج ٦ .

٣ – انظر تذكرة الحفاظ ص ٤٩ ج ١ .

٤ – انظر تهذيب التهذيب ص ٤٢٩ ج ٨ .

٥ – انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ص ١٧١ ، ١٧٤ ج ١ ، وولاة مصر للكندي ص ٤٩ .

تخبرنا عن امتثال كثير بن مرة للامير ، فنقف امام هذ الخبر التاريخي متسائلين : ترى هل كتب كثير للامير ما طلب منه من حديث رسول الله ﷺ ؟ واذا كتب اليه فما مقدار ما كتبه ؟ وعن أي الصحابة كتب اليه ؟ ثم الى من آلت تلك الصحف أو الدفاتر المدونة ؟ كل هذه أسئلة تعرض أمامنا ، وتحتاج الا بحث وتنقيب ، وربما يكشف لنا التاريخ عن خبايا تراثنا الاسلامي العظيم . نجيب عن هذه الاسئلة على ضوء ما لدينا من اخبار قليلة .

ان ما نعرفه من عناية هؤلاء بالحديث يرجح عندنا ان يستجيب كثير ابن مرة لطلب الامير ، ولو ظن الامير عبد العزيز امتناع عالم حمص عن اجابته ما كتب اليه . مما يرجح عندي أن كثيرا تلقى رسالة الامير وأجابه الى طلبه ، لما عرف عن كثير من نشاط علمي عظيم ، ومن الصعب في هذا المجال أن نقدر مقدار ما كتب كثير ، لان المراجع لم تنص على شيء من هذا [1] ، فأرجو من الله أن اوفق فيما بعد للكشف عن ذلك وايضاحه بما يكفل لنا الحكم العلمي الصحيح .

ونقول الآن بعد هذا الخبر : اذا ثبتت استجابة كثير بن مرة لطلب امير مصر فيعني هذا ان بعض الحديث النبوي قد دون رسميا في منتصف العقد الهجري الثامن قبل انقضاء القرن الاول . وعلى اية حال فان اهتمام امير مصر بحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام وتدوينه يزيدنا ثقة بأن التدوين قد سار جنبا الى جنب مع الحفظ « ولم يتأخر

---

١ - لأن التاريخ الاموي دون في عهد الدولة العباسية وقد اهتم المؤرخون بالحوادث الكبرى وبالخلفاء والخطوط العريضة من حياة الامراء . وكانت كثير من مزايا الامويين تطمس أو تصغر تمشياً مع سياسة العباسيين الذين لايسرهم التحدث بمفاخر من قبلهم . انظر : أضواء على التاريخ الاسلامي ص ٨٥ . ونحن لانشك بوجود مؤرخين منصفين نرجو أن نجد عندهم فيما بعد مايروى غليلنا في هذه النقطة .

قط الى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فيكون شرف المساهمة في تدوين الحديث قد كلل الوالد الامير والابن الخليفة البار ، ويكون لهما جميعا شرف العمل لحفظ الحديث وتدوينة رسميا .

وأنا بهذه النتيجة لا اريد أن اخالف ما اشتهر عند أئمة هذا العلم من أن تدوين الحديث النبوي كان على رأس المائة الاولى في خلافة عمر ابن عبد العزيز ، بل أضع يدي على مفتاح بحث تاريخي له اهميته في تاريخ تدوين الحديث ، سواء أخالف هذا المشهور أم وافقه ، وهذا المفتاح قد طوي في بطون تراثنا الزاخر ، ينتظر من يتفرغ ليكشف عنه ، فنحن في هذا لسنا بدعا ، ولا نأتي بشيء جديد سوى أننا ننفض غبار الماضي عن جواهرنا المكنونة ، ونحاول أن نسلكها في عقد يصور لنا الحقيقة التاريخية .

* * *

نتائج هذا الفصل :

١ ــ دونت احاديث في عهد الرسول ﷺ وفي عهد الصحابة والتابعين ووصلنا بعضها في المسانيد والصحاح وبعضها مستقلا . وأشهر تلك الصحف التي دونت في عهده ﷺ العهد الذي أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بكتابته بين المسلمين ويهود المدينة ، والصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو وبعض صحيفة جابر ، ومن اقدم ما وصلنا من عهد الصحابة صحيفة همام ابن منبه عن ابي هريرة التي دونت قطعا في العقد السادس من القرن الاول الهجري .

٢ ــ تجلى لنا من البحث كثرة الكتب والمصنفات في اول القرن الهجري الثاني .

٣ – اذا صحت نسبة (مجموع زيد) الى الامام زيد – وهو الراجح – يكون لدينا دليل مادي قوي على ما صنف في اوائل القرن الهجري الثاني .

٤ – ان محاولة امير مصر جمع الحديث في العقد الثامن من القرن الاول الهجري دليل على اهتمام ولاة المسلمين بالحديث ، وحرصهم على حفظه ، ومحاولة رسمية من اولى الامر لجمع السنة قبل الزمن المشهور بربع قرن .

• • •

الباب الثالث

عُلومُ الحَديثِ

وفيه سبعة فصول

الفصل الاول : تحمل الحديث وأداؤه .

الفصل الثاني : علم تاريخ الرواة .

الفصل الثالث : علم الجرح والتعديل .

الفصل الرابع : علم غريب الحديث .

الفصل الخامس : علم مختلف الحديث ومشكله .

الفصل السادس : علم ناسخ الحديث ومنسوخه .

الفصل السابع : علم علل الحديث .

بين يدي الباب :

اهتم المسلمون بالحديث النبوي الشريف اهتماماً عظيماً ، وحرصوا على حفظه ونقله وتبليغه منذ الصدر الأول ، كما حرصوا على جمعه وتدوينه ، وقد رأينا في الباب السابق ان جانباً من الحديث قـــد دون في عهد الرسول ﷺ ، كما دون جله في عهـد الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، فتضافرت الحوافظ والاقلام من أجـل حفظه كما تضافرت جهود المسلمين وعلمائهم في سبيل خدمته وصيانته ، فنشأت حـول حديث الرسول ﷺ علوم كثيرة ، لم يحظ بمثلها علم من العلوم أو قانون من القوانين ، فنشأ علم غريب الحديث ، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه ، وعلم علل الحديث ، وعلم مختلف الحديث ومشكله ، وعلم تاريخ الرواة ، وعلم الجرح والتعديل ، وعلم أصول الحديث ، وعلم أسباب ورود الحديث ، وغيرها من العلوم التي خدمت السنة النبوية وتكفلت ببيانها ، فميزت الصحيح من الضعيف والسليم من العليـل ، والمقبول من المردود ، والمرفوع من الموقوف ، والدخيل من الأصيل .

ولم يكن جمع الحديث ونقله جمعاً اتفاقياً عادياً ، بل جمع ونقل — بالكتابة والرواية على مختلف صورها — على أسلم القواعد العلمية ، فما كان يقبل الحديث إلا إذا توفرت في حامله شروط دقيقـة نص عليها العلماء وبسطوا القول فيها في كتب أصول الحديث .

فلم يترك العلماء شيئاً له صلة بحديث الرسول ﷺ إلا بينوه ، حتى إن بعضهم قال : لقد نضجت علوم الحديث حـــتى احترقت ، لكثرة ماخدمه العلماء واعتنوا به .

ونرى تسهيلاً للبحث أن نتناول العلوم التي كان لها أثر كبير في حفظ الحديث وبيانه وفهمه ومعرفة رواته ... والتي وضع فيها السلف مصنفات

كثيرة مختلفة ، حتى أصبح كل علم منها قائماً بذاتـــه – نتناولها تحت عنوان علوم الحديث ، ونجعل كل علم في فصل مستقل وندرس نشأتـه وقواعده ، وأشهر آثار العلماء فيه .

وقد نشأت جميع هذه العلوم في أوقات متقاربة كل علم منها يساندالآخر .

وأما ما اصطلح عليه علماء الحديث نتيجة لتطبيق تلك العلوم وقواعدها ونتيجة تقسيمهم الحديث الى درجات كالصحيـح ، والحسن ، والضعيف وأنواعه كالمرسل والموقوف والمقطوع وغير ذلك ، فسنتناولهـا في الباب الرابـع من هذا الكتاب – إن شاء الله – تحت عنوان (مصطلح الحديث) ، لأنها مصطلحات خاصة تعارف عليها أهل الحديث ، ولها مفاهيم معينة ، وهي ثمرة علوم الحديث ، وهي وان كانت من عـلوم الحديث ويمكن دراستها في جملتها – إلا أن دراستها تحت اســم (مصطلح الحديث) اولى من دراستها تحت اسم غيره ، كما أننا رأينا إفرادها في باب مستقل لنسهل عرض هذا العلم الجليل .

وما دام تحمل الحديث وأداؤه وطرقه وشروط ذلك ـ أساساً في علوم الحديث ، فسنصدر هذه الدراسة بهذا الفصل .

★ ★ ★

الفصل الأول

تحمل الحديث وأداؤه

نتكلم في هذا الفصل عن السن التي يقبل فيها سماع الصبي للحديث النبوي الشريف ، كما نتكلم في أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في الراوي عند التحمل وعند الاداء ، ثم نتكلم عن طرق تحمل الحديث وطرق أدائه .

آ — أهلية الراوي

نريد بالأهلية في هذا الباب صلاحية المـــرء لسماع الحديث وتلقيه ، وصلاحيته لروايته وتبليغه .

وقد أطلق العلماء على تلقي الحديث وسماعه « التحمل » ، وهو أخذ الحديث عن الشيخ بطريق من طرق التحمل التي سنبينها فيما بعد ، وأطلقوا على رواية الحديث وتبليغه « الاداء » ، ومن ثم كانت أهليـة الراوي أهلية تحمل ، وأهلية أداء .

١ - أهلية التحمل [1] :

ذهب جمهور أهل العلم إلى جواز سماع الصبي ، وهو من لم يبلغ سن

---

١ - أم مصادر هذا البحث : المحدث الفاصل فقرة (٤٥ - ٦٤) ، والكفاية ص ٥٤ - ٦٦ ، والالماع ص ١١ : ب ، ومقدمة ابن الصلاح ص ٤٨ - ٥٠ ، واختصـــار علوم الحديث ص ١٢٠ - ١٢٢ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٤٣ وما بعدها ، وفتح المغيث للسخاوي ص ١٦٣ ، وتوضيح الافكار ص ٢٨٦ وما بعدهـا ج ٢ وفتح الغفار ص ٨٦ ج ٢ ، وارشاد الفحول ص ٤٨ ، وسنشير إلى بعض المصادر في مكانه عند الضرورة.

التكليف ، ولم يجز بعضهم ذلك ، والصواب رأي الجمهور ، لأن الصحابة والتابعين وأهل العلم من بعدهم قبلوا رواية أحداث الصحابة كالحسن والحسين ، وعبد الله بن الزبير ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس ، وأبي سعيد الخدري ، ومحمود بن الربيع وغيرهم رضي عنهم ، من غير أن يفرقوا بين ماتحملوه قبل البلوغ وبعده .

ولم يتفق العلماء الذين أجازوا سماع الصغير على السن التي يصح فيها سماعه ، لأن ذلك يتوقف على تمييز الصبي ، وهذا يختلف باختلاف الصبيان وإذا لم يتفق العلماء على تحديد سن السماع فانهم لم يتركوا ذلك من غير قيد أو بيان ، وقد اجتهد كثير منهم في توضيح ذلك ، ويمكننا أن نرد أقوالهم الى ثلاثة أقوال :

القول الأول : وهو أن أقل سن السماع خمس سنين [1] ، وحجة من قال بهذا مارواه الامام البخاري في صحيحه من حديث الصحابي محمود ابن الربيع رضي الله عنه قال : « عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو » [2] .

القول الثاني : قول الحافظ موسى بن هارون الحمال وهو أن سماع الصبي يصح اذا فرق بين البقرة والحمار . ونرجح أن المراد عنده التمييز ، وحاول بيان معنى التمييز بما حوله من حياته وبيئته [3] .

---

١ ـ وقد حكى هذا القول القاضي عياض عن المحدثين ، وقال ابن الصلاح : التحديد بخمس هو الذي استقر عليه عمل أهل الحديث المتأخرين ، فيكتبون لابن خمس فصاعداً (سمع) ولمن لم يبلغ خمساً (حضر) أو (أحضر) . مقدمة ابن الصلاح ص ٤٩ . والمراد بقوله (يكتبون) أي يكتبون في نسخ السماع أسماء من سمعوا من الشيخ . فقد كان الطلاب يلتفون حلقة كبيرة حول الشيخ الذي يقرأ عليهم من حفظه أو من كتابه ، أو يقرأ أحد الطلاب عليه ، وبين أيدي الطلاب بعض النسخ ، وفي نهاية الجلسة يسجل « المستملي » أو غيره أسماء الحضور على هامش الفصل المقروء أو في آخر الكتاب .

٢ ـ انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٢٥ ج ١ . باب متى يصح سماع الصغير .

٣ ـ انظر الكفاية ص ٦٥ .

القول الثالث : وهو اعتبار التمييز ، فاذا فهم الصغير الخطاب ، ورد الجواب كان مميزاً صحيح السماع ، ولو كانت سنه دون خمس سنين ، وإن لم يفهم الخطاب ورد الجواب لم يصح سماعه ولو كانت سنه أكثر من خمس سنين .

والغالب في فهم الخطاب ورد الجواب أن يكون مع سن التمييز ويندر قبله والنادر لاحكم له . وهذا القول قول كثير من المتقدمين [1] .

وإذا رجعنا إلى أقوال العلماء الذين أجازوا سماع الصغير رأينا أنهم يكادون يجمعون على اناطة حكم صحة السماع بتمييز الصغير وضبطه ، فاذا فهم الخطاب ورد الجواب كان مميزاً صحيح السماع .

وقد كان كثير من الحفاظ يشجعون الأطفال على حضور حلقات أهل العلم ، بل اشتهر عن بعض أهل العلم كالأعمش وغيره جمعهم الأطفال وتحديثهم [2] ، وهذا دليل عملي على صحة السماع قبل البلوغ ، وعلى ممارسة ذلك عند المتقدمين والمتأخرين .

٢ ـ أهلية الأداء :

أجمع جمهور أئمة الحديث والأصول والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته ـ ذكراً كان أو انثى ـ الشروط الآتية [3] :

---

١ ـ انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٤٩ وقارن بفتح المغيث للعراقي ص ٤٥ ج ٢ والكفاية ص ٦١ و ٦٢ ، وتدريب الراوي : ص ٢٣٨ والباعث الحثيث ص ١٢١ . والمحدث الفاصل فقرة (٤٨) .

٢ ـ انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٠ ، والمحدث الفاصل ، فقرة (٦٥ـ ٦٧) ، وشرف أصحاب الحديث ص ٨٩ : آ .

٣ ـ أم مصادر هذا البحث : الكفاية ص ٧٦ ـ ٧٧ ، ومقدمة ابن الصلاح ص ٦ ، والمستصفى ص ٩٩ ج ١ ، والمقنع في علوم الحديث ص ٤٧ وبدائع الصنائع ص ٢٦٦ وما بعدها ج ٦ ، وفتح الغفار ص ٨٤ وما بعدها ج ٢ ، والإحكام في أصول الاحكام للآمدي ص ١٠١ وما بعدها ج ٢ ، والمغني ص ٦٤ وما بعدها ج ٩ ، وارشاد الفحول ص ٤٨ وما بعدها ، وسنشير إلى بعض المصادر عند الضرورة .

١ ـ **الاسلام** : فلا تقبل رواية الكافر بالإجماع سواء أعلم من دينه الاحتراز عن الكذب أم لم يعلم ، ولا يعقل أن تقبل روايته ، لأن في قبولها تنفيذاً لقوله على المسلمين ، وكيف نقبل رواية من يكيد للاسلام ؟ ثم إن الله عز وجل أمرنا بأن نتوقف في خبر الفاسق في قوله : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »[١] . فاذا كان هذا موقفنا من رواية الفاسق فمن الأولى أن نرد رواية الكافر .

٢ ـ **البلوغ** : وهو مدار التكليف ، فلا تقبل رواية من دون سن التكليف عملاً بقوله ﷺ : « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم »[٢] .

والبلوغ مظنة الادراك وفهم أحكام الشريعة لذلك نيط التكليف به ، ومن المسلم به أن المراد بالبلوغ ـ العقل مع إدراك سن الاحتلام ، لهذا نرى بعض المتأخرين يشترطون **البلوغ والعقل**[٣]، ويكتفي المتقدمون بذكر العقل[٤] ، لأنه لا يتصور الإدراك والعقل دون البلوغ في الكثير الغالب .

وقد احترز العلماء في قبول الرواية من الصغير خشية الكذب ، فقد يكذب لأنه لا يقدر أثر الكذب ولا عقوبته ، ولأنه لا رادع له عنه ،

---

١ ـ ٦ الحجرات . أما ما تحمله الكافر من الحديث قبل دخوله في الاسلام فانه يقبل منه بعد اسلامه إذا توفرت فيه بقية شروط الاداء .

٢ ـ أخرجه الامام أحمد وأبو داود والحاكم عن عمر وعلي رضي الله عنهما ،وله أكثر من طريق أخرى عن السيدة عائشة رضي الله عنها . انظر الفتح الكبير ص ١٣٥ ج ٢.

٣ ـ انظر على سبيل المثال الكفاية ص ٧٦ ، وبدائع الصنائع ص ٢٦٦ ج ٦ ، والمغني ص ٦٤ ج ٩ ، والمقنع ص ٤٧ .

٤ ـ انظر على سبيل المثال الرسالة ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

فكان البلوغ مظنة العقل ومدار التكليف الذي يزجر المكلف عن الكذب، وينهاه عن الوقوع فيه ، ثم إن الشرع لم يجعل الصبي ولياً في أمر دنياه ، ففي أمر الدين أولى ، لما في قبول خبره من تنفيذ أو ولاية على جميع المسلمين .

٣ ـ **العدالة** : وهي صفة راسخة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة فتحصل ثقة النفس بصدقه ، ويعتبر فيها اجتناب الكبائر[١]

---

١ ـ سأل رجل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الكبائر فقال : « هن تسع : الشرك، والسحر ، وقتل النفس ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات ، وعقوق الوالدين ، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً » أخرجه أبو داود بسنده عن عبيد بن عمير عن أبيه كما أخرجه النسائي . انظر تيسير الوصول ص ١٣٥ ج ٤ ، وأخرجه الامام مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « اجتنبوا السبع الموبقات . قيل يارسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » صحيح مسلم ص ٩٢ حديث ١٤٥ ج ١ ، والمراد بالغافلات : الغافلات عن الفواحش وما قذفن به . وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :« ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثاً. قلنا : بلى : قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وكان متكئاً فجلس ، فقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت » . أخرجه الشيخان والترمذي . انظر تيسير الوصول ص ١٣٥ ج ٤ ، وصحيح مسلم ص ٩١ حديث ١٤٣ ج ١ ، وانظر تهذيب الآثار للطبري ص ٥٦ ، ٥٧ .

وقد عقد الامام العز بن عبد السلام فصلا بعنوان «فيما يتميز به الصغائر من الكبائر» قال : إذا أردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها ، فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر ، وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو أربت عليها فهي من الكبائر ، فمن شتم الرب أو الرسول أو استهان بالرسل أو كذب واحداً منهم أو ضيع الكعبة بالعذرة أو ألقى المصحف في القاذورات ـ فهذا من أكبر الكبائر ولم يصرح الشرع بأنه كبيرة ١٠ هـ قواعد الاحكام في مصالح الانام ص ١٩ ج ١ ، ولا بد من الاشارة إلى أن الاصرار على الصغيرة بما يشعر بقلة المبالاة بالشرع ينقلب إلى كبيرة . انظر قواعد الإحكام ص ٢٢ ـ ٢٣ ج ١ .

وبعض الصغائر كتطفيف حبة ، وسرقة لقمة ، واجتناب المباحات القادحة في المروءة كالأكل في الطريق ، والبول في الشوارع وصحبة الأرذال ، والإفراط في المزاح [1] .

٤ ـ **الضبط** : وهو تيقظ الراوي حين تحمله وفهمه لما سمع ، وحفظه لذلك من وقت التحمل الى وقت الأداء ، ويتناول الضبط الحفظ في الصدر كما يتناول الحفظ في الكتاب ، فالمراد أن يكون الراوي حافظاً إن حدث من حفظه ، وحافظاً لكتابه من دخول التحريف أو التبديل أو النقص عليه إن حدث من كتابه .

والسبيل إلى معرفة ضبط الراوي هو اعتبار حديثه بحديث الثقات الضابطين المتقنين ، فان وافقهم في رواياتهم غالباً ـ ولو من حيث المعنى ـ فضابط ، ولا تضر مخالفته النادرة لهم ، فإن كثرت مخالفته لهم ، وندرت موافقته ـ اختل ضبطه ، ولم يحتج بحديثه [2] .

وهكذا لا يقبل حديث الراوي ما لم تتوفر فيه ـ عند الأداء ـ الشروط الأربعة التي ذكرناها وهي : الاسلام ، والتكليف (**البلوغ** ، **والعقل**) ، والعدالة ، والضبط ، أما أهلية التحمل فيكتفي فيها بالتمييز فقط [3] .

---

١ ـ انظر ارشاد الفحول ص ٤٩ ، والمغني ص ١٦٧ ج ٩ ، والكفاية ص ٨٠ ، وفتح الغفار ص ٨٧ ج ٢ .

٢ ـ انظر تدريب الراوي ص ٢٠١ .

٣ ـ إذا رجعنا إلى منهج المتقدمين في قبول الاخبار وردها رأينا تطبيقهم لهذه الشروط تطبيقاً عملياً دقيقاً ، وإن لم ينصوا عليها حرفياً كما نص عليها المتأخرون، فكانوا لايقبلون إلا حديث الثقة الضابط ويردون حديث أهل الغفلة وإن كانوا من أصلح الناس، فلو حللنا قول شعبة بن الحجاج (ـ ١٦٠هـ) حيث سئل: (متى يترك حديث الرجل؟ قال: إذا روى عن المعروفين مالا يعرفه المعروفون، وإذا أكثر الغلط ، وإذا اتهم بالكذب ، وإذا روى =

ب — طرق تحمل الحديث وأدائه [1]

نتكلم أولا عن طرق تحمل الحديث ، ثم نتكلم في صيغ الاداء .

١ — طرق تحمل الحديث ثمان :

أولاً — السماع : وهو أن يقرأ الشيخ الحديث من حفظه أو من

= حديث غلط مجتمع عليه ؛ فلم يتهم نفسه فيتركه — طرح حديثه ، وما كان غير ذلك فاروعنه) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، فقرة (٤٣٣) وانظر معرفة علوم الحديث ص ٦٢ — إذا حللنا هذا القول نرى أنه يكاد يشمل جميع شروط الراوي الذي يقبل حديثه ، ولكنه نص على الأمور التي يترك فيها حديث الراوي، ولو سئل عن الرجل الذي يقبل حديثه لأجاب بما لايقل عما ذكره من جاء بعد شعبة من العلماء . ومع هذا يمكننا أن نستنتج منه تلك الشروط . فالضبط ينافي كثرة الغلط ، الذي يترك معه حديث الراوي ، والعدالة تنافي اتهام الراوي وتكذيبه ، وإذا لم ينص شعبه على الاسلام ، فذلك لأنه من البدهي عنده ، فهو يخاطب مسلماً ويحدث المسلمين ، وكان من البدهي الا يذكر شرط العقل ، لأنه أوجب ترك من غلب على حديثه الوهم والغلط ، فمن الاولى عدم قبول خبر غير العاقل الذي لايدري ما يحدث به ، ثم إنه من الصعب أن يتصور الضبط والاتقان من غير عقل وتمييز .

وإذا ضممنا إلى هذا أقوال كثير من العلماء وقول الامام الشافعي في حجية خبر الآحاد - في رسالته ص ٣٧٠ - ٣٧١ - رأينا أنه لم يمض القرن الثاني للهجرة حتى دونت جميع الاصول المتعلقة بالرواية والرواة مما تعارف عليه أئمة الصحابة والتابعين وأتباعهم رضي الله عنهم أجمعين .

١ - أهم مصادر هذا البحث : المحدث الفاصل ، فقرة (٤٦٦ - ٤٨٦) وفقرة (٤٩٨) وما بعدها ، وفقرة (٦١٥) وما بعدها ، والكفاية ص ٢٥٩ وما بعدها ، و ص ٢٩٦ ، ص ٣١١ وما بعدها ، والالماع ص ١٢ : آ وما بعدها ، والجامع لاخلاق الراوي ص ٥٨ وما بعدها ، و ص ١١٢ ، ومسائل الامام أحمد ص ٢٨١ — ٢٨٣ ، وصحيح الترمذي بشرح ابن العربي ص ٣٢٦ - ٣٢٨ ج ١٣ ، ومعرفة علوم الحديث ص ٢٥٦ وما بعدها ، ومقدمة ابن الصلاح ص ٥٠ - ٧٠ ، واختصار الحديث ص ١٢٢ - ١٤٣ ، والمقنع في علوم الحديث ص ٥٩ وما بعدها، والمختصر في علم الحديث ص ١٤ : آ - ٢٠ ، وشرح نخبة الفكر ص ٣٤ - ٣٧ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٤٦ - ٧٩ ج ٢ ، ومن ص ٢ - ١٦ ج ٣ منه ، وفتح المغيث للسخاوي ص ١٧٠ وما بعدها ، وتدريب الراوي ص ٢٣٩ - ٢٨٤ ، وتوضيح الافكار ص ٢٩٥ - ٣٥٢ ج ٢ ، ومنهج ذوي النظر ص ١١٧ - ١٤٢ وسنشير إلى بعض المصادر في مكانه عند الضرورة .

كتاب ، والحضور يسمعون لفظه ، سواء أكان المجلس للاملاء أم لغيره، وهذه المرتبة أرفع أقسام التحمل عند جماهير أهل العلم ، ورأى بعضهم أن السماع من الشيخ والكتابة عنه أرفع من السماع فقط ، لأن الشيخ مشتغل بالتحديث والراوي بالكتابة عنه ، فهما أبعد عن الغفلة وأقرب الى التحقيق ، لأن العادة جارية على المقابلة بعد الاملاء ، والسماع هو طريقه الرعيل الاول من الرواة [1] .

ثانياً ـ القراءة على الشيخ :

ويسميها اكثر المحدثين « العرض » ويسميها بعضهم « عرض القراءة » لأن الطالب يعرض على العالم ما يقرؤه كما يعرض القرآن على المقرىء . وهي أن يقرأ واحد على الشيخ ، اما من حفظه أو من كتاب مقابل مصحح ، والشيخ يصغي اليه معتمداً على حفظه أو على أصله ، أو على نسخة مقابلة مصححة ، وقد يكون المقابل غير الشيخ ممن يوثق به ، كما قد يكون اكثر من واحد كل منهم لديه نسخة مقابلة مصححة [2] يسمعون من يقرأ بحضرة الشيخ .

وشرط الامام احمد في القارىء أن يكون ممن يعرف ويفهم ، وشرط امام الحرمين في الشيخ أن يكون بحيث لو وقع من القارىء تحريف أو تصحيف لرده ، وإلا لا يصح التحمل عنه .

---

١ ـ ويدخل في السماع تحديث الشيخ من وراء ستار ، وقد أجاز ذلك جمهور العلماء مستدلين بسماع الصحابة والتابعين الحديث من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وغيرهن من وراء حجاب وروايتهم ذلك عنهن ، وشرط شعبة بن الحجاج رؤية الشيخ ، فقال : (إذا سمعت المحدث ولم تر وجهه فلا تروعنه) انظر المحدث الفاصل فقرة(٨٦٢) وواضح هذا فيما إذا كان المحدث رجلا .

٢ ـ لاتزال هذه الطريقة متبعة إلى عصرنا هذا في كثير من حلقات العلم العامة والخاصة ، وبخاصة في العلوم الشرعية وهي الطريقة الغالبة في تعليم (القراءة) في المدارس المختلفة .

وقد أجاز الجمهور القراءة على الشيخ وروي عن بعضهم عدم قبول ذلك [1] ، ومستند العلماء في جواز هذا النوع من التحمل حديث ضمام ابن ثعلبة أنه قال للرسول ﷺ: « الله أمرك أن تصلي الصلوات قال: نعم ». قالوا : هذه القراءة على النبي ﷺ ؛ أخبر ضمام قومه بذلك فأجاوزه [2] .

وهذا النوع من التحمل دون السماع من لفظ الشيخ .

وروي عن كثير من العلماء أن القراءة على الشيخ والسماع منه بمنزلة واحدة .

وفضل بعضهم القراءة على السماع [3] وحجتهم أن الشيخ ربما غلط فيما يقرؤه بنفسه ، فلا يرد عليه السامع ، إما لأنه ليس من أهل المعرفة أو لأن الغلط صادف موضع اختلاف بين أهل العلم فيه فيُتَوَهمُ ذلك الغلط مذهب الشيخ فيحمله عنه على وجه الصواب ، أو أن هيبة الشيخ وجلاله تكون مانعا من الرد عليه [4] .

والجمهور على تقديم السماع على القراءة .

ثالثا : الاجازة : [5]

كان التحمل في (السماع) من لفظ العالم ، وفي (القراءة) بلفظ

---

١ - انظر المحدث الفاصل ، فقرة (٤٥٨ ، ٤٥٩) والكفاية ص ٢٧٢ .

٢ - انظر فتح الباري ص ١٥٧ ج ١ ، وبوب البخاري لهذا الحديث باباً بعنوان (القراءة والعرض على المحدث) .

٣ - انظر الكفاية ص ٢٧٦ وما بعدها .

٤ - فاذا قرىء على المحدث وهو متيقظ حاضر الذهن ، فوقع غلط - يرده المحدث بنفسه أو يرده على القارىء بعض الحاضرين من أهل العلم ، ولا يمنع من ذلك شيء من الاسباب المانعة التي ذكرناها في قراءة المحدث نفسه : انظر الكفاية : ص٢٧٧ .

٥ - أم مصادر هذه الفقرة : المحدث الفاصل فقرة(٤٩٨) وما بعدها ، والكفاية ص ٣١١ وما بعدها ، وانظر الالماع ص ١٦ : ب - ٢٠ : آ ومقدمة ابن الصلاح ص ٥٧ وما بعدها والمختصر في علم أصول الحديث ص ١٦-١٧ واختصار علوم الحديث ص ١٣٢-١٣٥ ، والمقنع في علوم الحديث ص ٦٦ - ٦٨ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٦٥ - ٧٩ ج ٢ وتدريب الراوي ص ٢٥٥ - ٢٦٥ .

المتحمل أو غيره بحضرة العالم ، وفي كلا هذين الطريقين او النوعين من من انواع التحمل ينطق بالاحاديث المروية ، سواء أكان ذلك مشافهة من العالم أم من غيره . واما الاجازة فهي نوع جديد من أنواع التحمل لا يعدو اذنَ العالم برواية بعض مروياته المعينة لشخص او لاشخاص معينين ، من غير ان تقرأ جميع الاحاديث المجاز بهـــا ، لهذا اجازها بعض العلماء ولم يجزها آخرون [1] .

ومثال الاجازة ان يقول المحدث لبعض طلابه : اجزتكم رواية كتاب البيوع من صحيح البخاري عني ، وقد سمعته من فلان ، أو اجزتكم رواية صحيح مسلم عني وقد سمعته من فلان ، من غير أن يقرأ شيئا منه ، أو أن يقرأ بعضه ويجيزهم بالباقي .

والاجازة في اللغة مأخوذة من جواز الماء الذي يُسقاه المال من الماشية والحرث ، يقال : استجزت فلانا فأجازني اذا سقاك ماء لا رضك أو ماشيتك ، كذلك طالب العلم يسأل العالم أن يجيزه رواية علمه فيجيزه ذلك [2] .

ولم يجز العلماء المتقدمون (الاجازة) هكذا من غير قيد ولا شرط ، بل اشترطوا أن يعرف المحدث ما يجيز به ، وأن تكون نسخة الطالب معارضة بأصل الراوي حتى كأنها هو ، وأن يكون المستجيز من أهل العلم وعليه سمته ، حتى لا يوضع العلم الا عند أهله [3] ، وقد روي

---

١ ـ ممن أجاز (الاجازة) من المتقدمين : الحسن البصري ، ونافع مولى ابن عمر والزهري ، وربيعة بن أبي عبدالرحمن ، ويحيى بن سعيدالانصاري وغيرهم . انظر الكفاية ص ٣١٣ . وممن لم يجزها شعبة بن الحجاج ، وابراهيم بن اسحاق الحربي وابو نصر الوائلي وغيرهم (انظر الكفاية ص ٣١٤ ـ ٣١٧ واختصار علوم الحديث ص ١٣٢ ـ ١٣٣) قال شعبة ابن الحجاج : (لو صحت الاجازة لبطلت الرحلة) .

٢ ـ انظر الكفاية ص ٣١٢ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٧٨ ج ٢ .

٣ ـ انظر الكفاية ص ٣١٧ والمحدث الفاصل فقرة (٥٠٧) ومعرفة علوم الحديث ص ٢٥٩ .

ما يؤكد هذا عن كثير من المتقدمين كالحسن البصري ، وابن شهاب الزهري ، ومكحول ، وابان بن عياش وابن جريج ، والامام مالك وغيرهم [1].

وكل هذا يسوغ العمل بالاجازة ، ويدفع شبه مانعيها .

وقد اقتصرت الاجازة عند المتقدمين على خاصة الخاصة من ثقات طلاب الحديث ، ولم تتعد الاجازة بعدة احاديث أو بجزء أو كتاب، وكان بعضهم حين يجيز تلميذه يدله على نسخة او نسخ موثوق بها [2] . ويؤكد هذا قول حافظ المغرب ابو عمر بن عبد البر : (تلخيص هذا الباب ان الاجازة لا تجوز الا لماهر بالصناعة ، حاذق بها ، يعرف كيف يتناولها ، ويكون في شيء معين معروف لا يشكل اسناده ، فهذا هو الصحيح من القول في ذلك والله اعلم) [3] .

وقد كره كثير من المتقدمين — كالامام مالك وغيره — الاجازة لمن ليس من أهل العلم ، ولمن لم يعان طلبه والتعب فيه ، كما كرهوا اجازة العلم الكثير في اقامة الطالب مدة يسيرة ، والذي كان عليه التابعون واتباعهم وكثير من اهل العلم من بعدهم ألا يجيزوا إلا اهل العلم الثقات الماهرين بالصناعة ، والذين يعرفون قدر تناولها ، متى كانت الاجازة في شيء معروف لا يشكل اسناده [4] . ثم ما لبث أن تساهل بعض المتأخرين في الاجازة فتوسعوا بها مما أدى الى تقاصرهم طلاب العلم عن سماع الكتب سماعا صحيحا على الحفاظ والمؤلفين .

والاجازة على أنواع عدة ، وأعلى صورها أن يحمل العالم كتاباً أو

---

١ - انظر الكفاية ص ٣١٨ - ٣٢٥ .
٢ - انظر المحدث الفاصل فقرة (٥٣٢) .
٣ - جامع بيان العلم ص ١٨٠ حـ ٢ .
٤ - انظر المحدث الفاصل فقرة (٥٣١) .

كتباً من كتبه أو مروياته ويقول للطالب : هذا الكتاب أو هذه الكتب سمعتها من فلان ، واني اجيز لك روايتها عني . وهذا مايسمونه اجازة من معين – وهو الشيخ – لمعين (وهو الطالب) – في معين ، وهو الكتاب المجاز به . وقد استخرج بعض العلماء ثمانية أنواع من الاجازة ، وبلغ بعضهم بهذه الانواع تسعة [1] ، وكلها لاتعدو فقدَ صفة أو أكثر من صفات النوع الاول ، وهو (الاجازة من معين لمعين في معين) .

ولا يهمنا بسط هذه الأنواع التي تكفلت كتب علوم الحديث ببيانها، وبخاصة أنها عرفت بعد القرن الرابع الهجري .

والإجازة في أعلى صورها – دون السماع والعرض [2] .

رابعاً : المناولة :

والمراد بها أن يعطي المحدث تلميذه حديثاً أو أحاديث أو كتابا ليرويه عنه ، كأن يناول الشيخ تلميذه كتابا من مروياته ويقول : (هذا من حديثي) ، أو (هذا من سماعاتي) ، من غير أن يقول له (اروه عني) أو (اجزتكه) . وقد اجازها بعض أهل العلم ولم يجزها آخرون [3] .

---

١ – وقد يدفع الشيخ كتاباً إلى تلميذه ويجيزه به فتسمى هذه (مناولة مع الاجازة)، وهي أرفع درجات الاجازة ومقبولة عند الجميع وسنتكلم عنها في النوع الرابع . وقد يجيز العالم للطالب ما يصح له من مسموعاته، وهذا ما يسمونه (اجازة لمعين في غير معين)، كأن يقول المحدث (أجزت لك ما يصح من مسموعاتي)، وقد تكون الاجازة (لغير معين في معين) كأن يقول أجزت لمن قال لا إله إلا الله أن يروي عني كتاب كذا ، وقد تكون اجازة (لغير معين في غير معين) كأن يقول (أجزت للمسلمين رواية مسموعاتي) . والخلاف في هذه الانواع أشد من الخلاف في الاول. وأما الاجازة بالمجهول للمجهول ففاسدة عند الجميع .

٢ – انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٥٩ ، وتدريب الراوي ص ٢٧١ .

٣ – انظر الكفاية ص ٣٢٨ و ٣٢٩، وفتح المغيث ص ٦٣ ، وقارن بمقدمة ابن الصلاح ص ٦٥ ، وبتدريب الراوي ص ٢٧٣ وما بعدها .

وهذه الصورة التي قدمناها يسميها المحدثون (المناولة المجردة عن الاجازة)، وقد تجتمع المناولة مع الاجازة وحينئذ يسميها المحدثون (المناولة المقرونة بالإجازة) ، وهي أعلى أنواع الاجازة على الاطلاق ، ولها صور اعلاها ان يعطي الشيخ التلميذ كتاباً أو نحوه ويقول له : هذا سمعته من فلان ، فخذه واروه عني ، أو خذه وانسخه ورده الي بعد مقابلته واروه عني ، ونحو هذا . ودون هذا أن يأتي الطالب بنسخة صحيحة عن أصل الشيخ ويعرضها عليه ، فيأخذها الشيخ منه ويتصفحها ، ثم يقول له : (اروها عني) وهذا مايسميه بعضهم (عرض المناولة) وروي هذا النوع من المناولة عن كثير من أئمة الحديث [1] .

ولا خلاف بين جمهور أهل النقل في قبول المناولة ، حتى إن بعضهم جعل (المناولة المقرونة بالاجازة) بمنزلة السماع ، والصواب أنها دون السماع والقراءة [2]. ونقل القاضي عياض والعراقي اتفاق أهل العلم على قبول المناولة ولم يحك أحد الخلاف فيها كما حكي في الاجازة .

وحجة العلماء في جواز المناولة حديث رسول الله ﷺ أنه كتب لأمير السرية كتاباً وقال : لاتقرأه حتى تبلغ مكان كذا كذا ، فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي ﷺ [3] ، وكتابته ﷺ لعمرو بن حزم وغيره من الصحابة والأمراء بعض السنن وأمرهم بالعمل بما فيها [4] .

خامساً : المكاتبة :

هي أن يكتب العالم بخطه ، أو يكلف غيره بأن يكتب عنه ـ

---

١ ـ انظر الكفاية ص ٣١٨ وما بعدها و ص ٣٢٦ وما بعدها ، وفتح المغيث ص ٥ ـ ٣ .

٢ ـ انظر فتح المغيث للعراقي ص ٤ ج ٣ .

٣ ـ انظر فتح الباري ص ١٦٣ ج ١ ، وقد اخرجه البخاري تعليقاً .

٤ ـ انظر الاحكام لابن حزم ص ٢٥٧ .

بعض حديثه ، لطالب حاضر عنده ، أو لشخص غائب عنه ، ويرسل الكتاب إليه مع من يثق به ، وهي قسمان :

أحدهما : أن تقترن الكتابة بالاجازة ، كأن يكتب إليه الأحاديث ثم يذكر له إجازته بها ، فهذا القسم يشبه المناولة المقترنة بالاجازة في الصحة والقوة .

والثاني : أن يكتب إليه من غير إجازة ، وقد منع الرواية بها قوم [1] ، والصحيح جوازها ، وقد ذهب إليه كثيرون من المتقدمين والمتأخرين [2] .

ولا نرى وجهاً لاشتراط الاجازة في الكتابة ، لأن أكابر الرواة أخذوا بالكتابة المجردة عن الاجازة [3] . ثم إن كتابة الشيخ إلى شيخ آخر ، أو الى طالب فيها اشعار باذن الشيخ في الراوية عنه . وإن كنا لانشك أن المكاتبة مع الاجازة أقوى من المكاتبة وحدها ، وقد رجح بعضهم المكاتبة مع الاجازة على المناولة والاجازة ، حتى إن بعضهم ذهب إلى أنها أرجح من السماع وأوثق [4] .

---

١ و ٢ - منهم القاضي أبو الحسن الماوردي الشافعي والآمدي وابن القطان ، وممن أجازها : أيوب السختياني ، ومنصور بن المعتمر والليث بن سعد وغيرهم انظر الكفاية ص ٣٣٦ ، وفتح المغيث ص ١٠ ج ٣ ، وتدريب الراوي ص ٢٧٧ ، والباعث الحثيث ص ١٣٩ .

٣ - انظر الكفاية ص ٣٣٦ - ٣٤٢ ،وتدريب الراوي ص ٢٧٨ ، وتوضيح الافكار ص : ٣٣٨ - ٣٣٩ ج ٢ ، وانظر المحدث الفاصل فقرة (٥٢٢ - ٥٣٠) وفقرة (٥٣٤ - ٥٣٦) .

٤ - انظر الباعث الحثيث ص ١٤٠ . وفي رأينا أن الكتابة من شيخ متيقظ دقيق لشخص حاضر عنده أو لغائب عنه لاتقل عن السماع ان لم ترجح عليه ، ذلك لان كتابة الشيخ لاتقل عن تحديثه مشافهة ، فمتى تأكد الطالب من خط شيخه ، أو أكد ذلك له رسول الشيخ اليه ، وكان الرسول ثقة أميناً لم يعد هناك أي شك في اتصال مايروية الطالب عن الشيخ مكاتبة .

وقد استحب الخطيب البغدادي أن يكون الكتاب بخط المحدث ، ولم ير ذلك لازماً ، فإن كلف غيره الكتابة عنه بيّن ذلك كان يقول : (وكتابي هذا إليك بخط فلان) ، وكل هـذا من باب الاستيثاق والحيطة ، والمقصود أن يثبت عند المكاتب أن ذلك الكتاب من الراوي المجيز تولاه بنفسه أو أمر غيره بكتبه عنه [1] .

سادساً : إعلام الشيخ :

والمراد به عند المحدثين أن يعلم الشيخ تلميذه بأن هذا الحديث أو الكتاب من مروياته ، وقد سمعه من فلان ، أو أخذه عن فلان ، ونحو ذلك من غير أن يصرح باجازته له في روايته عنه ، فقد سوغ الرواية بمجرد ذلك اكثر أهل العلم ، واعتبروا هذا الاعلام متضمناً اجازة الشيخ بالرواية ، ورأوا أن ثقة الشيخ وأمانته تمنعه من أن يدعي سماع ما لم يسمع ، واعلامه تلميذه بسماعه يدل على رضاه عن تحمل هـذا السماع وأدائه ، وهذا مذهب بعض المتقدمين كابن جريج ، وذهب اليه كثير من المتأخرين .

وقال بعضهم لا بد من اجازة الشيخ حتى تصح الرواية عنه [2] .

ولما كان هذا النوع من التحمل يتضمن الاجازة بالرواية دلالة لا تصريحاً — ذهب بعض العلماء إلى عدم جواز الرواية إذا منع الشيخ التلميذ من الرواية عنه ، كأن يقول له : (هذا الكتاب سماعي من فلان ، ولكن لا أجيزه لك ، أو لا تروه عني) [3] واجاز ذلك

---

١ - انظر الكفاية ص ٣٧٧ .

٢ - انظر فتح المغيث للعراقي ص ١٢ ج ٣ ، والكفاية ص ٣٤٦ ، ٣٤٨ — ٣٤٩ . وتدريب الراوي ص ٢٨٠ .

٣ - وحجة هؤلاء قياس هذه الحالة على (الشهادة على الشهادة) فإنها لاتصح إلاإذا أذن الشاهد الاول للثاني بأن يشهد على شهادته .

آخرون [1] . ورأينا انه لا تجوز له روايته عن الشيخ إذا بين له علة ذلك ، وله ان يرويه مع بيان تلك العلة ، كما له أن يرويه – في حال عدم اجازة له – على أن يبين منع الشيخ له من الرواية عنه ، وفي كل هذا يرويه بصيغة تدل على الاعلام ، كما سنبين ذلك في صيغ الاداء .

والخلاف الذي ذكرناه هو في الرواية باعلام الشيخ لا في العمل بما اعلم به ، فالعمل واجب على من سمعه إذا صح اسناده ، كما حكاه القاضي عياض عن محققي اصحاب الاصول : انهم لا يختلفون في وجوب العمل به ، وأوجب ذلك كثير من علماء الحديث [2] .

---

١ ـ وحجة من أجاز الرواية بالاعلام وان لم يجز الشيخ الرواية عنه – ان السماع والقراءة لايحتاج فيه إلى اذن باتفاق ، وعلى هذا فان القياس الذي اعتبره المانعون قياس غير صحيح لأن الشهادة على الشهادة لاتصح الا مع الأذن في كل حال ، والحديث عن السماع والقراءة لايحتاج فيه إلى اذن باتفاق ، إلى جانب أن الشهادة تفترق عن الرواية في أكثر الوجوه . انظر الالماع ص ٢١ : آ ، وفتح المغيث للعراقي ص ١٢ ج ٣ .

٢ ـ انظر فتح المغيث ص ١٣ ج ٣ ، وتدريب الراوي ص ٢٨١ .

ولا بد لنا هنا من أن نبين أن الرواية بالإعلام لم تكن قبل القرن الرابع إلا نادراً، وإذا وقعت من بعضهم كان يبين ذلك حين أدائه ، وأوكد أنها لم تكن عند المتقدمين على نطاق واسع كما قد يظن من كلام المتأخرين ، فكل ما في الامر ان هشام بن عروة (٥٩ – ١٤٦ هـ) قال : أتاني ابن جريج بصحيفة ، فقال : يا أبا المنذر هذه أحاديثك ؟ فقلت : نعم . فذهب) – المحدث الفاصل فقرة (٤٨٤) – فهشام بن عروة عالم ثقة ، وابن جريج تلميذه وهو أحد الثقات المعروفين ، جاءه بأحاديثه وأحب أن يستوثق بسؤاله ، وسؤاله يتضمن استجازة هشام بالرواية ، واجابة هشام تتضمن اجازته إياه بالرواية عنه . هذا كل ما عرف وما روى من مذهب ابن جريج في الاعلام ، ومع هذا احتاط العلماء ، فقال يحيى بن سعيد القطان :(كان ابن جريج صدوقاً، إذا قال حدثني فهو سماع ، وإذا قال : أخبرنا أو اخبرني فهو قراءة ، وإذا قال : (قال) فهو شبه الريح) المحدث الفاصل فقرة (٤٩٢) . فابن جريج يبين ذلك في روايته ، وقد عرف العلماء هذا منه فنبهوا طلابهم اليه ، ومع هذا فعمل ابن جريج أقرب إلى (عرض المناولة) منه إلى الاعلام . وما ذكره الخطيب في الكفاية ص ٣٤٦ يؤكد ندرة التحمل والاداء بالاعلام قبل القرن الرابع .

سابعاً : الوصية :

وهي ان يوصي العالم قبل سفره او قبل موته بكتاب من مروياته لشخص بروايته عنه ، وهذه الصورة من صور التحمل نادرة جداً ، وقد عدها المتأخرون احدى طرق التحمل مستدلين بما روى عن بعض السلف من الوصية بكتبهم قبل موتهم ، من هذا أن ابا قلابة عبد الله بن زيد الجرمي (-١٠٤ هـ) اوصى بكتبه لأيوب السختياني (٦٨ - ١٣١ هـ) ، فجيء بها عدل راحلة ، ودفع أيوب كراءها بضعة عشر درهماً [١] .

وعلل بعض من جوز الرواية بالوصية : بأن في دفع الكتب إلى الموصي له - نوعاً من الاذن وشبها من العرض والمناولة ، وهو قريب من الاعلام [٢] .

وهذا النوع من التحمل أضعف من الصور السابقة ، ولا تجوز للموصى له روايته عن الموصي عند الجمهور ، وقيد من اجاز الراوية بالتزام الموصى له عبارة الموصي عند الاداء ، ولا بد له من بيان ما يدل على ذلك حين يروي عن الموصي ، ولا يجوز له أن يقول حدثني فلان بكذا ، لأنه لم يحدثه [٣] .

---

١ - انظر طبقات ابن سعد ص ٢١٦ حـ ٥ و ص ٢١٧ قسم ٢ حـ ٧ ، والمحدث الفاصل فقرة (٥٤٨) .

٢ - انظر الالماع ص ٢١ : ب . ورد من منع الرواية بالوصية بأن تشبيهها بالإعلام وبالمناولة لايصح ، وإنما يرويها على سبيل الوجادة ، فإن لمن جوز الرواية بمجرد الإعلام والمناولة مستنداً - ذكرناه فيما سبق - ولا يتقرر مثله ولا قريب منه في الوصية . انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٦٩ ، والكفاية ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

٣ - رأينا في الوصية : استدل بعض المتأخرين بما روي عن بعض السلف من الوصية بالكتب ، فجعلوا هذا نوعاً من التحمل ، وفي رأيي أن وصية أبي قلابة لأيوب لاتدل قط على جواز الرواية عنه ، ذلك لأن المتقدمين كانوا يكرهون أن تقع كتبهم بعد موتهم =

ثامناً : الوجادة :

الوجادة – بكسر الواو – مصدر مولد لوَجَدَ يجد ، غير مسموع من العرب اصطلح المحدثون على اطلاقه على ما أخذ من العلم من صحيفة ، من غير سماع ولا اجازة ولا ولا مناولة [1] ، كأن يجد شخص كتابا بخط من عاصره وعرف خطه ، سواء لقيه أم لم يلقه ، او بخط من لم يعاصره ، ولكنه استوثق من ان الكتاب صحيح النسبة اليه ، بشهادة أهل الخبرة ، أو بشهرة الكتاب إلى صاحبه ، او بسند الكتاب المثبت فيه أو غير ذلك مما يؤكد نسبة الكتاب إلى صاحبه ، فاذا اثبت عنده هذا فله أن يروي منه مايشاء على سبيل الحكاية لا على سبيل السماع .

= في أيدي غير أهل العلم، فكانوا يحرقونها قبل وفاتهم ، أو يغسلونها ، أو يوصون بها إلى من هو أهل لها ، وقد أسلفت الكلام في هذا في (السنة قبل التدوين ص ٣٤٣ وما بعدها)، ووصية أبي قلابة بكتبه إلى أيوب السختياني لاتعدو هذا المعنى ، ومما يؤكد لنا هذا ماورواه القاضي الرامهرمزي بسنده عن حماد بن زيد قال : (أوصى أبو قلابة فقال: ادفعوا كتبي إلى أيوب إن كان حياً ، وإلا فاحرقوها)– المحدث الفاصل فقرة (٥٤٧)–. وأيوب خير من يستفيد من كتب شيخه ، وبعد أن وصلت اليه هذه الكتب سأل الامام محمد بن سيرين فقال له: ما ترى في كتب أبي قلابة قد جاءت ،أرويها ؟ قال : نعم . قال : ثم قال بعد ذلك لا آمرك ولا أنهاك . انظر الكفاية ص ٣٥٢ ، والمحدث الفاصل فقرة (٥٤٦) . وقال الخطيب البغدادي : يقال (ان أيوب كان قد سمع تلك الكتب غير أنه لم يحفظها ، فلذلك استفتى محمد بن سيرين عن التحديث منها)–الكفاية ٣٥٢ – فليس هناك أي مانع من أن يرويها أيوب عنه إذا صح هذا الخبر .

هذه هي الحادثة التي رويت عن السلف كما ذكر السيوطي وغيره ، وهي كما بيناها لاتدل على إجـــازة الرواية عن الموصي ، ولو سلمنا – جدلاً – بدلالتها على إجازة الرواية أو على شبهها بالمناولة أو بالاعلام – فإنها لم تقـع إلا نادراً ، مما لا يسوغ جعلهـا طريقاً من طرق تحمل الحديث عند السلف وليس في اعتبار المتأخرين الوصية طريقاً من طرق التحمل أي ضير مادام الراوي يبين هذا حين الاداء .

١ ـ انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٦٩ ، وفتح المغيث للعراقي ص ١٤ – ١٥ ، ٣ ، وتدريب الراوي ص ٢٨١ ، وتوضيح الافكار ص ٣٤٣ – ٣٤٤ ج ٣ .

وقد ثبت عن بعض السلف روايتهم عن الصحف والكتب [1] ، ومع هذا فقد كانت الرواية وجادة في العصور المتقدمة نادرة وقليلة ، لان جمهور أهل العلم كانوا يفضلون الروايه مشافهة بالسماع أو العرض ، بل ان كثيراً من السلف عاب على من يروى من الصحف ، وانتشرت بينهم عبارة (لا تقرؤوا القرآن على المُصحَفيين ، ولاتحملوا العلم عن الصَحفيين)[2] حتى ان بعضهم كان يضعف ما يروى من الكتب [3] .

ونؤكد ان ما روي في عهد التابعين وجادة لا يعدو احاديث معدودة عرفها أهل العلم[4]،ولم يروها احد الا بعد أن ثبتت له صحة نسبة المكتوب إلى صاحبه ، ومما يؤكد هذا نفس الاخبار التي حكيت عمن روى بالوجادة من المتقدمين [5] .

ولم يرو عن أحد يعتد به انه قال في الوجادة: حدثنا ، أو أخبرنا فلان، وإنما يقال وجدت في كتاب فلان ، أو قرأت في كتاب فلان كذا وكذا ، وكثيراً

---

١ ـ انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧١ ج ١ ، والمحدث الفاصل فقرة (٦١٢ – ٦١٨) وانظر الكفاية ص ٣٥٣ وما بعدها .

٢ ـ المحدث الفاصل فقرة (١٠١) ، وتصحيف المحدثين ص ٢ : ب .

٣ ـ ونظم ذلك شاعر من أهل البصرة فقال :

لا تصل الحاء في القراءة بالخاء ولا لامها إلى الالف
ولا تضلُ العلوم عنك ولا يكون اسنادها من الصحف

لعله يريد في البيت الأول : لاتصحف الحاء فتجعلها خاء ولا تجعل اللام الفاً ...وقال آخر يذكر قوماً لا رواية لهم :

ومن بطون كراريس روايتهم لو ناظروا بقلًا يوماً لما غلبوا
والعلم إن فاته اسناد مسنده كالبيت ليس له سقف ولاطنب

انظر المحدث الفاصل فقرة (١٠٢) والكفاية ص ١٦٣ .

٤ ـ ذكر بعضها القاضي الرامهرمزي في المحدث الفاصل فقرة (٦١٥ – ٦٢١)، كما ذكر الخطيب البغدادي بعضها أيضاً في كتابه الكفاية ص ٣٥٣ – ٣٥٥ .

٥ ـ انظر المحدث الفاصل فقرة (٦١٥، ٦١٦، ٦٢١) والكفايةص ٣٥٣ -٣٣٤.

مانرى امانة السابقين في النقل عن الكتب وشدة احتياطهم واستيثاقهم لما يروون فنرى في مسند الامام احمد مما يرويه ابنه عبد الله مما وجده بخط ابيه قوله (وجدت بخط ابي : حدثنا فلان) أو (وجدت بخط أبي في كتابه) ثم يسوق الحديث ، ولم يستجز أن يرويها عن ابيه ، وهو راوية كتابه ، وابنه وتلميذه ، وخط ابيه معروف له ، وكتبه محفوظة عنده [1] .

ومن هذا قول بعضهم : (وجدت في كتاب ابي فلان ، واخبرني محمد بن سلمة انه خط أبي فلان ..) [2] ونحو هذا .

ولا يجوز للراوي بالوجادة ان يعزو ما يرويه إلى صاحب الكتاب اذا شك في نسبته اليه الا بما يدل على شكه ، كأن يقول بلغني عن عن فلان ، أو (وجدت في كتاب ظننت انه كتاب فلان) [3] .

كل هذا فيما يتعلق بالرواية وجادة . وأما ما يتعلق بالعمل فالصحيح الذي عليه المحققون من اهل العلم انه يجب العمل بما يجده متى صح اسناده [4] .

والوجادة الموثوق بها التي يطمئن اليها اهل العلم ، بالتحقق من نسبة الموجود إلى صاحبه بمختلف الطرق العلمية — لاتقل في قيمتها عن التحمل

---

١ ـ انظر الباعث الحثيث ص ١٤٤ .

٢ ـ انظر مثال هذا في المحدث الفاصل فقرة (٦٢٢) .

٣ ـ انظر مقدمه ابن الصلاح ص ٧٠ .

٤ ـ انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٧٠ ، وفتح المغيث للعراقي ص ١٦ ج ٣ ،وتدريب الراوي ص ٢٨٤ ومما يؤكد وجوب العمل بالوجادة متى صحت ، مارواه الشافعي من أن سيدنا عمر رضي الله عنه كان يقول بتفاوت ديات الأصابع ، ثم عمل الصحابة بعده بما وجدوه في كتاب آل عمرو بن حزم الذي كان قد كتبه الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك حين ثبت لهم ، انظر الرسالة ص ٤٢٢ — ٤٢٣ .

بالاجازة ، لأن الاجازة على حقيقتها وجادة معها اذن من الشيخ بالرواية فحين يروى المرء بالوجادة بشرطها ، ويبين ان مايرويه انما هو قول فلان في كتاب كذا وكذا ، فانه ينقل الخبر بكل امانة ، وكل ما في الامر عدم اتصال الاسناد بين الناقل والشيخ ، ومع هذا ففي نقله شبه اتصال السند بينهما .

وليس لاحد ان يشك في قيمة التحمل عن طريق الوجادة الموثوق بها ، ولا في صحة هذا التحمل حين يؤديه من نثق به ، لان جميع ما ننقله اليوم من الاحاديث النبوية الشريفة من الكتب الصحيحة ، وجميع ما ينقله اهل العلوم المختلفة من مؤلفاتها انما هو ضرب من الوجادة ، ولو توقف العمل فيها على السماع والرواية لانسد باب العمل بالمنقول ، لتعذر شرط الرواية كما قال ابن الصلاح [1] .

وبعد فاننا ادركنا من خلال هذا العرض السريع لطرق تحمل الحديث ــ تشدد العلماء المسلمين في بعض طرق التحمل ، واهتمامهم بالمحافظة على السنة ، واتصال السند ، والتثبت في التحمل ، والتيقظ في الاداء ، وحق لهم أن يفعلوا كل هذا في سبيل المحافظة على الحديث النبوي ، وبخاصة ان وسائل التدوين في عصور المتقدمين كانت ضعيفة وقليلة ، بل لا تقارن بما نحن عليه اليوم من سهولة النقل والطبع والنشر ، الذي خفف عنا كثيراً من العناء في حفظ الحديث ، والتدقيق في طرق تحمله وروايته ، فيا حبذا لو توجه بعض الجهد إلى نشر الحديث النبوي وحفظه وفهمه والعمل به والتخلق بما جاء فيه ، بعد أن كفل لنا المتقدمون حفظه ونقله إلينا ، وبعد أن خففت عنا وسائل الحضارة مؤونة كثير مما عاناه سلفنا الصالح في هذا الميدان .

---

١ ـ انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٧٠ .

والى هنا ينتهي قولنا في تحمل الحديث ، فلننتقل إلى الكلام عن أدائه .

٢ ـ صيغ الاداء :

من البدهي أن كل صورة من صور التحمل تقابلها أو تقترن بها صورة من صور الاداء ، ذلك لان ما تحمله الطالب في يوم ما سيؤديه في وقت ما ، بل ان تحمله أثر لأداء من حمّله .

وقد حرص العلماء في أدائهم على بيان صور التحمل التي اخذوا بها ما يحدثون به أو ما يروونه ، وتشدد بعضهم في هذا وأصر على بيان ذلك ، لأن طرق التحمل التي ذكرناها تتفاوت في منزلتها العلمية ، ويكاد يجمع جمهور العلماء على وجوب تمييز ما تحمل بالسماع والقراءة مما تحمل بالطرق الأخرى ، لأن السماع والقراءة يقومان على المشافهة بخلاف بقية انواع التحمل .

فيقول الراوي فيما اخذه سماعاً : سمعت ، أو حدثنا ، أو اخبرنا ، أو انبأنا ، ومعنى جميع هذه العبارات في العربية التحديث والاخبار ، وكان هذا شائعاً بين المتقدمين ، وبخاصة قبل أن يشيع استعمال (اخبرنا) فيما يقرأ على الشيخ . وكان لفظ (اخبرنا) اكثر استعمالا من غيره . حتى ان بعضهم ما كان يستعمل غيره فيما سمعه أو قرأه على المحدث .

وأرفع هذه العبارات (سمعت) ، ولهذا حرص بعضهم عليها وقدمها على غيرها ، لانه لايكاد احد يقول (سمعت) في احايث الاجازة والمكاتبة ، ولا في تدليس مالم يسمعه ، فلذلك كانت هذه العبارة ارفع مما سواها [1] .

وقلما يقولون في السماع (قال) او (ذكر لي) ، وانما تحمل هذه على السماع اذا ذكرها راو يعرف لقاؤه لمن يروى عنه ، لا سيما اذا

---

١ ـ انظر الكفاية ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، والمحدث الفاصل فقرة ٦٥٢ ، ومقدمة التمهيد آخر الصفحة ٧ : ب .

عرف انه لا يقول (قال) إلا فيما سمعه منه [1] .

ويقول فيما قرىء على الشيخ (قرأت على فلان) ، أو (قريء على فلان وانا أسمع) اذا كان القارىء غيره . وهذه احوط العبارات وهي شائعة كثيراً في اسانيد الكتب القديمة وفي سماعاتها [2] . ويقول بعضهم في القراءة على الشيخ (حدثنا او اخبرنا ــ قراءة عليه) [3] واكتفى جمهور اهل الحديث فيما سمعه قراءة على الشيخ أن يقول (اخبرنا) ، وهو الشائع بين أهل الحديث .

وأجاز بعضهم قول (حدثنا وأخبرنا) في العرض على الشيخ وهو مذهب كثير من المحدثين ، ومعظم اهل الحجاز والكوفة [4] . ومنع ذلك آخرون [5] .

ولم يستعمل المحدثون في السماع والعرض (عن) إلا نادراً ، إذ كانت (عن) مستعملة كثيراً في تدليس ماليس بسماع . ولهذا كان قول المحدث (حدثنا فلان قال : حدثنا فلان) أعلى منزلة من قوله (حدثنا فلان

---

١ ـ انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٥٢ ، وتدريب الراوي ص ٢٤١ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٥٢ ج ٢ .

٢ ـ نقصد بالسماع ما يدونه صاحب النسخة أو قارئها من أسماء الحضور في مجلس السماع في الورقة الاولى او الأخيرة من الكتاب أو في آخر الجزء ، وأحياناً في بعض الحواشي.

٣ ـ انظر الكفاية ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

٤ ـ انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٥٢ ، وقارن بالكفاية ص ٣٠٥ وما بعدها و ص ٣١٠.

٥ ـ من هؤلاء ابن المبارك و يحيى بن يحيى التميمي وغيرهما انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٥٢ ، وتدريب الراوي ص ٢٤٥ . وعلى هذا ففي اطلاق (حدثنا ، وأخبرنا) على ما قريء على الشيخ ثلاثة أقوال :

الأول : منع ذلك مطلقاً وهو قول ابن المبارك ومن تبعه .

الثاني : جواز ذلك لان القراءة كالسماع وهو مذهب البخاري وكثير من المحدثين.

الثالث : عدم اطلاق حدثنا على العرض وجواز اطلاق اخبرنا وهو مذهب الامام مسلم وجمهور أهل المشرق . حتى أصبحت أخبرنا هي الشائعة في العرض .

عن فلان) [1] ، ويجب أن تحمل (عن) على السماع إذا قالها من لم يعرف بالتدليس ، أو استعملها في الرواية من عرف لقاؤه لشيخه [2] .

والذي عليه الجمهور – في إداء ماحمل بالإجازة أو المناولة أن يروى بعبارة تشعر بذلك . كأن يقول فيما أجيز به : أخبرنا فلان إجازة أو فيما أجازني فلان ، وفيما تناوله : اخبرنا مناولة أو فيما ناولني وأجازني ونحوه . وقال بعضهم يقول في المناولة (قال) أو (عن) فلان [3] .

ويقول في المكاتبة : (كتب الي فلان قال : حدثنا فلان . .) ونحو ذلك وعلى هذا جمهور المحدثين [4] .

وأما أداء ماتحمل بالاعلام – فمع أنا لم نجد أحداً في العصور المتقدمة روى به سوى ابن جريج – لابد لمن أخذ به أن يبين ذلك حين الاداء ، كأن يقول فيما اعلمني شيخي أن فلاناً حدثه أو نحو ذلك .

وأما أداء ماتحمل بالوصية – فعلى من جوزه أن يبين ذلك في أدائه كأن يقول أوصى الي فلان ، أو أخبرني فلان بالوصية ، أو وجدت فيما أوصى الي فلان ان فلاناً حدثه بكذا وكذا . ولم نجد أحداً من المتقدمين حدث بالوصية .

وأما أداء ماتحمله الراوي بالوجادة – فجمهور المحدثين على وجوب بيان ذلك كأن يقول : (وجدت في كتاب فلان) ونحو هذا .

---

١ – انظر الكفاية ص ٣٨٩ .

٢ – انظر قول مسلم في صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن في صحيحه ص ٢٩ ج ١.

٣ – انظر الكفاية ص ٣٣٠ والمحدث الفاصل فقرة ٥٠٢ قال النووي : اصطلح قوم من المتأخرين على اطلاق انبأنا في الاجازة . انظر تدريب الراوي ص ٢٧٥ . وقال الاوزاعي:(ما أجزت لك وحدك فقل فيه (خبرني)، وما أجزته لجماعة أنت فيهم فقل فيه (خبرنا) ، وما قرأت علي وحدك فقل (اخبرني) ، وما قرىء علي في جماعة أنت فيهم فقل فيه (أخبرنا) ، وماقرأته عليك وحدك فقل فيه (حدثني) ، وماقرأته على جماعة أنت فيهم فقل فيه(حدثنا)وروى نحو هذا عن كثير ممن عاصر الأوزاعي.انظر المحدث الفاصل فقره (٤٨٩) والكفاية ص ٣٠٢.

(٤) انظر الكفاية ص ٣٣٧ ، ٣٤٢ .

ج - رواية الحديث بالمعنى : [1]

عرفنا - مما سبق - أنه من الواجب على الراوي ان يبين صورة التحمل التي أخذ بها مايرويه ، وعرفنا حرص المحدثين على ذلك ، وكما حرص العلماء على بيان صور التحمل حين الاداء ، حرصوا على أداء الحديث كما سمع من غير تبديل ولا تحريف . وتشدد بعض المحدثين والفقهاء والأصوليين ، فأوجبوا رواية الحديث بلفظه ولم يجيزوا الرواية بالمعنى مطلقا .

وذهب جمهور العلماء إلى انه (يسوغ للمحدث أن يأتي بالمعنى دون اللفظ ، إذا كان عالماً بلغات العرب ووجوه خطابها ، بصيراً بالمعاني والفقه عالماً بما يحيل المعنى وما لايحيله ، فانه إذا كان بهذه الصفة جاز له نقل اللفظ ، فانه يحترز بالفهم عن تغيير المعاني وإزالة أحكامها) [2] .

وأما إذا كان الراوي غير عالم ولا عارف بما يحيل المعنى ، فلا تجوز له رواية الحديث بمعناه ولا خلاف في وجوب أدائه الحديث بلفظه كما سمعه . قال الإمام الشافعي رحمه الله في صفات الراوي : (أن يكون من حدث به ثقة في دينه ، معروفاً بالصدق في حديثه ، عاقلًا لما يحدث به ، عالماً بما يحيل معاني الحديث من اللفظ ، وأن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمع لايحدث به على المعنى ، لأنه إذ حدث به على المعنى وهو غير عالم بما يحيل معناه - لم يدر لعله يحيل الحلال الى الحرام واذا اداه بحروفه فلم يبق وجه يُخافُ فيه احالته الحديث ، حافظاً إن

---

١ - انظر الكفاية ص ١٩٨ - ٢٠٣ ، وفتح المغيث ص ٤٨ ج ٢ ، والباعث الحثيث ص ١٥٧ وما بعدها، وتدريب الراوي ص٣١١ وما بعدها ، ومقدمة ابن الصلاح ص ٨٥ ، وتوجيه النظر ص ٢٩٨ - ٣١٤ ، والسنة قبل التدوين ص ١٢٦ .

٢ - المحدث الفاصل فقرة (٦٨١) .

حدث به من حفظه ، حافظاً لكتابه إن حدث به من كتابه) [1] .

ومن هذا يتبين ان من كان عالماً بما يحيل معاني الحديث من اللفظ — له أن يرويه بالمعنى إذا لم يحضره اللفظ الاصلي لأنه تحمل اللفظ والمعنى ، وعجز عن اداء أحدهما ، فلا مانع من روايته بمعناه مادام قد أمِنَ الزلل والخطأ ، حتى إن الامام الماوردي أوجب أداءه بمعناه إذا نسي اللفظ ، لأن عدم أدائه بمعناه قد يكون كتماً للأحكام ، ثم قال : فان لم ينس لفظ الحديث لم يجز أن يورده بغيره ، لأن في كلامه ﷺ من الفصاحة ماليس في غيره [2] .

ومن أجاز الرواية بالمعنى إنما أجازها للعالم بشرط أن لايكون المروي مما يتعبد به ، أو من جوامع كَلِمِهِ ﷺ .

والحق أننا نرى هذا فيما كان عليه الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم ، فلم يتصرفوا في اللفظ إلا في وصف الأحوال والمشاهد والوقائع ومع هذا كان كثير منهم يحتاط ويقول بعد رواية الحديث (أو كما قال) (أو نحو هذا) (أو شبهه) ، كما كان يفعل عبد الله بن مسعود وأبو الدرداء وأنس بن مالك وغيرهم [3] . ولهذا وجب على الراوي أن يقول عقب رواية الحديث (أو كما قال) ونحو هـــذا ، احتياطاً في الرواية خشية أن يكون مرويه بالمعنى .

وخلاصة القول : أن جميع العلماء اتفقوا على عدم جواز رواية الحديث بالمعنى للجاهل بما يحيل معاني المروي من اللفظ ، وأما العالم بما يحيل المعنى وما لايحيله — فقـــد أجاز الجمهور له الرواية بالمعنى بالشروط السابقة ، ومنع ذلك آخرون .

---

١ ـ الرسالة ص ٣٧٠ — ٣٧١ .

٢ ـ انظر تدريب الراوي ص ٣١٣ ، وقد نقلنا عبارة الماوردي بتصرف .

٣ ـ انظر السنة قبل التدوين ص ١٣٠ .

الفصل الثاني

علم تاريخ الرّواة

علم رجال الحديث من أهم علوم الحديث شأنا ، ذلك لأن علم الحديث يتناول دراسة السند والمتن ، ورجـــال السند هم رواة الحديث ، فهم موضوع علم الرجال ، الذي يكوّن أحد جانبي علم الحديث . فلا غرو — حينئذ — من أن يهتم علماء المسلمين بهذا العلم اهتماماً كبيراً .

وينقسم علم رجال الحديث الى علمين عظيمين : علم تاريخ الرواة ، وعلم الجرح والتعديل .

وسنتناول كلًا من هذين العلمين في فصل مستقل ، نتكلم في الأول منهما عن تاريخ الرواة ، ثم نتناول في الثـــاني علم الجرح والتعديل .

فعلم تاريخ الرواة هو العلم الذي يُعَرِّفُ برواة الحديث من الناحية التي تتعلق بروايتهم للحديث ، فهو يتناول بالبيان أحوال الرواة ، وبذكر تاريخ ولادة الراوى ، ووفاته ، وشيوخه ، وتاريخ سماعه منهم ، ومن روى عنه ، وبلادهم ومواطنهم ، ورحلات الراوي ، وتاريخ قدومه الى البلدان المختلفة ، وسماعه من بعض الشيوخ قبل الإختلاط أم بعده ... وغير ذلك مما له صلة بأمور الحديث [1] .

---

١ - وقد أطلق المتقدمون على علم تاريخ الرواة أسمـــاء مختلفة ، فمنهم من أطلق عليه (علم التاريخ) ، ومنهم من سمـــاه (تاريخ الرواة) ، ومنهم من صنف فيه تحت عنوان (وفيـــات الرواة) وغير ذلك . ومعظم المصنفين بعـــد القرن الخامس يطلقون عليه اسم (التواريخ والوفيات) حين يذكرونه في مؤلفات علوم الحديث ومصطلحه ، ويخصون مصنفاتهم المفردة لاحوال الرواة بأسماء تدل عليها .

وقد نشأ هذا العلم مع نشأة الرواية في الاسلام ، واهتم العلماء به ليتمكنوا من معرفة رجال الاسانيد ، فكانوا يسألون الرواة عن اعمارهم ومواطنهم ، وتواريخ سماعاتهم من الشيوخ ، كما كانوا يسألون عن الرواة أنفسهم ،وحق للعلماءأن يهتموا بكل هذا ليعلموا صحة مايدعيه الرواة من سماع ، وليعرفوا اتصال الاسانيد وانقطاعها ويعرفوا المرسل من المرفوع . . . وغير ذلك .

وكان التاريخ خير سلاح يتسلح به العلماء تجاه الكذابين ، قال سفيان الثوري : (لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ)[1].

ولم يكتف العلماء بالإشارة إلى أهمية معرفة تاريخ الرواة وأحوالهم ، بل مارسوا هذا بأنفسهم ، والأمثلة في هذا الموضوع أكثر من أن تحصى[2].

وكان من آثار هذا النشاط العلمي أن اجتمعت لدى العلماء ثروة كبيرة من تراجم الرجال وأخبارهم ، فأودعوها في مصنفاتهم ، فصنفوا في الصحابة وأحوالهم وأخبارهم ومشاهدهم وقبائلهم ، وفي عدة أحاديثهم ورواتهم ، واهتموا بذلك اهتماماً كبيراً ، حتى إذا ما أشرق عصر التدوين والتصنيف طالعتنا المصنفات الكثيرة تضم أخبار الصحابة وأحوالهم[3] ،

---

١ ـ الكفاية ص ١١٩ ، وانظر فتح المغيث ص ١٣٣ ج ٤ ، والكامل لابن عدي ص ٤ : ب ج ٣ .

٢ ـ منها مارواه عفير بن معدان الكلاعي قال : (قدم علينا عمر بن موسى حمص ، فاجتمعنا اليه في المسجد فجعل يقول : حدثنا شيخكم الصالح ، فلما أكثر قلت له : من شيخنا هذا الصالح ؟ سمه لنا نعرفه ، فقال :خالد بن معدان . قلت له : في أي سنة لقيته؟ قال لقيته سنة ثمان ومائة . قلت فأين لقيته ؟ قال : لقيته في غزاة ارمينية . فقلت له : اتق الله يا شيخ ، ولا تكذب ، مات خالد بن معدان سنة أربع ومائة ، وأنت تزعم أنك لقيته بعد موته بأربع سنين.. وأزيدك أخرى أنه لم يغز أرمينية قط . كان يغزو الروم). الكفاية ص ١١٩ .

٣ ـ سنذكر بعض المصنفات في الصحابة في بحث خاص في أواخر الكتاب إن شاء الله .

كما طالعتنا مصنفات أُخرى في التابعين وأتباعهم وأهل العلم من بعدهم .

وقد اختلفت طرق المصنفين في تاريخ الرواة ، فمنهم من صنف على الطبقات ، فتناول أحوال الرواة طبقة بعد طبقة ، والطبقة تمثل جماعة من الرواة عاشوا في عصر واحد تقريباً . وأقدم كتب الطبقات: الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (١٦٨ – ٢٣٠ هـ)[١]. وطبقات الرواة لخليفة بن خياط العصفري (– ٢٤٠ هـ)[٢] .

ومنهم من صنف على السنين ، فيذكر سنة وفاة الراوي ، ويترجم له ، ويذكر أخباره ، وواضح هذا في تاريخ الاسلام للذهبي .

ومن العلماء من صنف تاريخ الرواة على حروف المعجم ، وهذا النوع أسهل تناولاً للباحثين ، ومن أقدم ماوصلنا من هذا النوع التاريخ الكبير للإمام محمد بن اسماعيل البخاري (١٩٤ – ٢٥٦ هـ)[٣] .

ومن أجمع كتب تراجم رواة الحديث كتاب (تهذيب التهذيب) للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي (ابن حجر) العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ) ، وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٥ – ١٣٢٧ هـ) في اثني عشر مجلداً[٤] .

---

١ - طبع هذا الكتاب في أربعة عشر مجلداً في ليدن سنة (١٣٢٢ هـ) كما طبع في بيروت .

٢ - توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، ونسخة منقولة عنها في خزانة دار الكتب المصرية .

٣ - فيه نحو أربعين الف ترجمة لرجل وامرأة ، وقد طبع في ثمان مجلدات في حيدر آباد سنة ١٣٦١ – ١٢٦٢ هـ .

٤ - كان الحافظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (٥٤١ – ٦٠٠ هـ) قد صنف كتابه (الكمال في أسماء الرجال) في مجلدين ثم هذبه الحافظ جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المزي الدمشقي (٦٥٤ – ٧٤٢ هـ) وزاد عليه ورتبه على حروف المعجم=

هـــذا سوى ماصنفوا على البلدان ، فيذكر المؤلف علماء البلد ومن دخل إليها من أهل العلم ، وقـد يذكر من روى هؤلاء العلماء . وجل المصنفين في هذا النوع يبدؤون تصانيفهم بذكر فضائل البلد المؤرخ لعلمائه ، ثم يذكرون الصحابة الذين كانوا فيـه أو استوطنوه أو مروا بـــه ، ثم يذكرون سائر العلماء على حروف المعجم غالباً . ومن أقدم هـذه الكتب (تاريخ نيسابور) للإمام محمـد بن عبـد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١ – ٤٠٥ هـ) ، وهو من أعظم التواريخ ، وأعـودها على العلمـاء بالفائدة [١] . و (تاريخ بغداد) لأبي بكـر أحمـد بن علي البغدادي المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢ – ٤٦٣ هـ) ، وهو من أجل الكتب وأغزرها فائدة [٢] . و (تاريخ دمشق) في ثمانين مجلداً أو أكثر ، للحافظ المؤرخ علي بن الحسين (ابن عساكر) الدمشقي (٤٩٩–٥٧١ هـ) وهو كتاب عظيم جامع [٣] .

ولم يكتف المحدثون بهذا النوع من التصانيف ، بل صنفوا في أسماء الرواة وكناهم وألقابهم وأنسابهم ، وفي المؤتلف والمختلف من الأسمـــاء والألقاب ، والكنى والأنساب ، وفي الاخوة والاخوات ، وفي المعمرين

= في كتابه (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) ، وقد استغرق تأليفه من سنة (٧٠٥ – ٧١٢ هـ) وهو خمسون جزءاً في اثنى عشر مجلداً . ثم جاء ابن حجر العسقلاني المذكور أعلاه ولخص (تهذيب الكمال) للمزي وزاد عليه فوائد كثـيرة فكان كتابه (تهذيب التهذيب) ، ثم لخص ابن حجر كتابه هذافي كتاب سماه (تقريب التهذيب في أسماء الرجال) يقع في مجلدين لطيفين ، وقد طبع عدة مرات آخرها في القاهرة سنة (١٣٨٠ هـ) .

١ ـ ومما يؤسف له أن هذاالكتاب فقد مع ما فقد من تراثنا العظيم . وتوجد قطعة منتخبة ومنقولة عنه تقع في (٧٤) لوحة في فلم محفوظ تحت الرقم (٦٥٧ تاريخ) لدى معهد المخطوطات بالجامعة العربية .

٢ ـ وقد طبع في القاهرة سنة (١٣٤٩ هـ – ١٩١١ م) في أربعة عشر جزءاً تضم (٧٨٣١) ترجمة .

٣ ـ انظر النسخة المخطوطة منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق .

من الصحابة والتابعين وغيرهم ، وفي المشتبه من أسماء الرواة ، وغير ذلك من المصنفات التي تدل على اهتمامهم العظيم بهذا العلم ، كما تدل على رسوخ قدمهم في هذا الشأن .

فمن أقدم ما صنف في الأسماء والكنى كتاب (الأسامي والكنى) لعلي بن عبد الله المديني (١٦١ – ٢٣٤ هـ) . ومن أجمع ما صنف فيها كتاب (الكنى والأسماء) لأبي بشر محمد بن أحمد الدولابي (٢٣٤ – ٣٢٠ هـ) [١] . وكتاب (الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب) للامير الحافظ أبي نصر علي بن هبة الله (ابن ماكولا) البغدادي (٤٢١ – ٤٨٦ هـ)، وهو كتاب قيم ألفه بعد أن اطلع على مؤلفات من سبقه [٢] .

ومن أجمع ما صنف في المشتبه من أسماء الرواة كتاب (المشتبه في أسماء الرجال) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ – ٧٤٨ هـ) [٣].

ومن أجمع ما صنف في القاب الرواة كتاب (نزهة الألباب في الألقاب) للحافظ أحمد بن علي (ابن حجر) العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ) [٤] .

---

١ - طبع في جزأين بالهند سنة (١٣٢٢ – ١٣٢٣ هـ) .

٢ - من أشهر مؤلفات من سبقة كتاب (المؤتلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث) و (المشتبه في النسبة) للامام النسابة عبد الغني بن سعيد الأسدي المصري (٣٣٢ – ٤٠٩ هـ)، و (تكملة المؤتلف والمختلف) و (الاسماء والالقاب) و (الاسماء المبهمة في الانباء المحكمة) و (تلخيص المتشابه في الرسم في أسماء الرواة) للخطيب البغدادي (٣٩٢ – ٤٦٣ هـ) . ويقع كتاب الاكمال في جزأين ، توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم (٨ مصطلح) وقد طبع في الهند وتركيا والعراق .

٣ - وقد طبع أكثر من مرة في جزأين وآخر طبعة كانت سنة (١٩٦٢ م) بالقاهرة . بتحقيق علي محمد البجاوي .

٤ - توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣٣٦ مصطلح).

ومن أجمع ما صنف في الأنساب كتاب (الأنساب) لتاج الاسلام عبد الكريم بن محمد السمعاني (٥٠٦ — ٥٦٢ هـ) ، وقد رتبه على حروف المعجم [١] ، وكتاب (اللباب) في ثلاثة مجلدات لعلي بن محمد الشيباني الجزري (٥٥٥ — ٦٣٠ هـ) اختصر فيه أنساب السمعاني وزاد عليه ، وقد طبع في ثلاثة أجزاء بمصر سنة (١٣٥٦ — ١٣٥٩ هـ) [٢] .

ومما تجدر الاشارة اليه أن اهتمام العلماء لم يقتصر على تأريخ أحوال الرجال من رواة الحديث فقط ، بل أرخوا للرواة من النساء ، اللائي عرفن طريق النور إلى الحياة العلمية الكريمة ، التي هيأتها شريعة الاسلام للمرأة المسلمة ، فغدت بهذا مثال المرأة التي كتب لها الخلود ، ولم تأت المرأة المسلمة بهذا بدعا ، فقد كان لها بأم المؤمنين عائشة وبأخواتها أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وبالصحابيات الكريمات — خير أسوة ، وقد ضمت المصنفات الأولى تراجم كثير منهن ، ولم يفت المؤرخ الثقة محمد بن سعد (١٦٨ — ٢٣٠ هـ) أن يخصص المجلد الاخير من طبقاته للنساء ، وتبعه المصنفون على ذلك ، وهذا من أوضح الأدلة العلمية على الرقي الحضاري ، وعلى مساهمة المسلمين رجالهم ونسائهم في بناء تراث الانسانية يوم كان الظلام يخيم على العالم ، وحين كانت المرأة خادمة الارض رقيقة السادة في أوربا .

والمصنفات في تاريخ الرواة كثيرة جداً ، تزخر بها مكتبات العالم ، وقد جمعت من اسمائها وطالعت بعضها ، فكان لدى ما يربى على ثلاثمائة

---

١ ـ قدم له المستشرق (مارجليوس) وطبع بالزنكوغراف سنه (١٩١٢ م) بمدينة ليدن .

٢ ـ لخص الامام السيوطي كتاب اللباب في كتاب سماه (لب اللباب في تحرير الانساب) وطبع في ليدن سنة ١٨٥١ م .

مصنف ، يستوعب أصغرها المجلد والمجلدين ، وأوسطها ما بين ثلاث مجلدات وعشر مجلدات ، وأما المبسوط منها ففوق ذلك حتى إن بعضها يقع في سبعين مجلداً أو أكثر كتاريخ دمشق لابن عساكر [1] .

وإن نظرة انصاف إلى ما صنف في تاريخ الرواة ، وأحوالهم وكل ما يتعلق بهم مما جمعته الدواوين المختلفة لتؤكد أن علماء المسلمين خدموا السنة خدمة عظيمة دونها خدمات كثير من علماء الأمم الأخرى ، فقدموا إلى التراث الانساني لوناً جـــديداً من التثبت والبحث العلمي في العلوم النقلية ، بقيت آثاره الطيبة إلى عصرنا ، وستبقى خالدة إلى يوم الدين .

★ ★ ★

٣ - ذكرت أشهر هذه المصنفات في كتابي (السنة قبل التدوين) وانظر أيضـــاً الرسالة المستطرفة .

الفصل الثالث

علم الجرح والتعديل

١ ـ الجرح والتعديل ، لغة واصطلاحاً :

آ ـ الجرح لغة : مصدر من جَرَحَهُ يَجرحُهُ ، إذا أحدث في بدنه جرحاً يسمح بسيلان الدم منه ، ويقال جرح الحاكم وغيره الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره [١] .

ب ـ الجرح اصطلاحاً : هو ظهور وصف في الراوي يثلم عدالته أو يخل بحفظه وضبطه ، مما يترتب عليه سقوط روايته أو ضعفها وردها ، والتجريح وصف الراوي بصفات تقتضي تضعيف روايته أو عدم قبولها .

ج ـ العدل لغة : ما قام في النفوس أنه مستقيم ، وهو ضد الجور .. ورجل عدل مقبول الشهادة ... وتعديل الرجل تزكيته [٢] .

د ـ العدل اصطلاحاً : هو من لم يظهر في أمر دينه ومروءته ما يخل بها ، فيقبل لذلك خبره وشهادته إذا توفرت فيه بقية الشروط التي ذكرناها في أهلية الأداء [٣] .

---

١ ـ انظر لسان العرب مادة (جرح) ص ٢٤٦ ج ٣ .
٢ ـ انظر لسان العرب مادة (عدل) ص ٤٥٦ ج ١٣ .
٣ ـ انظر ص ٢٢٩ من هذا الكتاب .

والتعديل وصف الراوي بصفات تزكيه فتظهر عدالته ويقبل خبره . وعلى هذا ، فعلم الجرح والتعديل : هو العلم الذي يبحث في أحوال الرواة من حيث قبول رواياتهم أوردها .

وهو من أهم علوم الحديث ، وأعظمها شأنا وأبعدها أثراً ، إذ به يتميز الصحيح من السقيم ، والمقبول من المردود ، لما يترتب على مراتب كل من الجرح والتعديل من أحكام مختلفة .

٢ – مشروعية الجرح والتعديل :

دلت قواعد الشريعة العامة على وجوب حفظها على المسلمين ، وبيان أحوال الرواة سبيل قويم لحفظ السنة . قال الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »[١] وقال تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان **ممن ترضون من الشهداء** أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى »[٢] ، والمقصود بالمرضي من الشهداء من ترضون دينه وأمانته ، وليس نقل الحديث وروايته بأقل من الشهادة ، لهذا لا يقبل الحديث إلا من الثقات .

وقال الرسول ﷺ في الجرح : « بئس أخو العشيرة »[٣] ، وفي التعديل « نعم عبد الله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله »[٤] .

٣ – نشأة علم الجرح والتعديل :

نشأ علم الجرح والتعديل مع نشأة الرواية في الاسلام ، إذ كان لابد

---

١ ـ الحجرات : ٦ .
٢ ـ ٢٨٢ : البقرة .
٣ ـ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢ ، وانظر الكفاية ص ٣٨ – ٣٩ .
٤ ـ اخرجه الامام احمد والترمذي عن أبي هريرة .

لمعرفة الأخبار الصحيحة من معرفة رواتها ، معرفة تمكن أهل العلم من الحكم بصدقهم أو كذبهم ، حتى يتمكنوا من تمييز المقبول من المردود ، لذلك سألوا عن الرواة ، وتتبعوهم في مختلف أحوال حياتهم العلميـــة ، وعرفوا جميـع أحوالهم ، وبحثوا أشد البحث حتى عرفوا الاحفظ فالاحفظ ، والاضبط فالاضبط ، والاطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة .

وإلى جانب ماروينـــاه من الجرح والتعديل عن الرسول ﷺ فقد وصلنا كثير من أقوال الصحابة رضي الله عنهم في هذا الباب [1] وتكلم بعد الصحابة في الرجال ــ التابعون وأتباعهم وأهل العلم من بعدهم . وكانوا يبينون أحوال الرواة وينقدونهم ويعدلونهم حسبة لله ، لا تأخذهم خشية أحد ، ولا تتملكهم عاطفة ، فليس أحد من نقاد الحديث ورجاله يحابي في حديث رسول الله ﷺ أباه ولا أخاه ولا ولده ، وقد قصد الجميع خدمة الشريعة ، وحفظ مصادرها ، فصدقوا القول وأخلصوا النية .

فهذا شعبة بن الحجاج (٨٢ ــ ١٦٠ هـ) يُسأل عن حديث حكيم بن جبير فيقول (أخاف النار) [2] ، وكان شديداً على الكذابين ، لهذا قال الامام الشافعي : (لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق) [3] .

وسأل قوم علي بن المديني (١٦١ ــ ٢٣٤ هـ) عن أبيه فقال : (سلوا عنه غيري ، فأعادوا المسألة ، فأطرق ، ثم رفع رأسه ، فقال : هو الدين إنه ضعيف) [4] . والأخبار في هذا الموضوع كثيرة [5] .

---

١ ـ انظر أصل كتابنا (نشأة علوم الحديث ومصطلحه)ص ١٣٢ المحفوظ في مكتبة كلية الشريعة بجامعة دمشق ،وفي مكتبة دار العلوم بجامعة القاهرة، ومكتبة جامعة القاهرة.

٢ ـ الجرح والتعديل ص ٢٢ قسم ١ ج ١ .

٣ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٤٩ : آ .

٤ ـ الاعلان بالتوبيخ ص ٦٦ .

٥ ـ انظر أصل كتابنا نشأة علوم الحديث ومصطلحه ص ١٣٤ وما بعدها .

وقد كان أئمة الحديث يدققون في حكمهم على الرواة ، يعرفون لكل محدث ما له وما عليه ، قال الامـام الشعبي : (والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة وأخطأت مرة لعدوا عليَّ تلك الواحدة)[1] .

وكان العلماء يحضون طلابهم على معرفة أحوال الرواة ، والسؤال عنهم ، وبيان ذلك ، قال عبد الرحمن بن مهدي : (سألت شعبة ، وابن المبارك ، والثوري ، ومالك بن أنس عن الرجل يتهم بالكذب ، فقالوا : انشره ، فانه دين)[2] ، وقال يحيى بن سعيد القطان : (سألت سفيان الثوري ، وشعبة ، ومالكا ، وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتاً في الحديث ، فيأتيني الرجل فيسألني عنه ، قالوا : أخبر عنه أنه ليس بثبت)[3] .

وقد أكد العلماء ضرورة بيان أحوال الرواة ، وأنه ليس في هذا غيبة ، بل في ذلك حفظ السنة ، وصيانتها عن الدخيل ، وبيان الصحيح من الضعيف ، والمقبول من المردود . قال ابن المبارك : (المعلى بن هلال هو ، إلا أنه إذا جاء الحديث يكذب ، فقال له بعض الصوفية : يا أبا عبد الرحمن ، تغتاب ؟ فقال اسكت ، إذا لم نبين كيف يعرف الحق من الباطل ؟)[4] .

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : (جاء أبو تراب النخشبي إلى أبي ، فجعل أبي يقول : فلان ضعيف ، فلان ثقة ، فقال أبو تراب : يا شيخ ،

---

١ - تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١ .

٢ - مقدمة التمهيد ص ١٢ : ب ، وقارن بالضعفاء للعقيلي ص ١ .

٣ - صحيح مسلم بشرح النووي ص ٩٢ ج ١ ، والجرح والتعديـــل ص ٢٣ قسم ١ ج ١ .

٤ - الكفاية ص ٤٥ .

لا تغتب العلماء ، فالتفت أبي إليه فقال له : ويحك .. هذا نصيحة ليس هذا غيبة)[1] .

وكانت غاية العلماء في كل هذا بيان الحق ، بكل أمانة واخلاص ، وكانوا يرون الأمانة في الذهب والفضة أيسر من الأمانة في الحديث ، فترددت بينهم عبارة (إنما هي تأدية ، إنما هي أمانة)[2] ، فكانوا أمناء في كل هذا ، ولولا ضرورة التثبت والبحث ما خاضوا هذا الميدان الخطير ، وما قاسوا المكاره والصعاب .

قال يحيى بن معين : (إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة)[3] .

وقيل ليحيى بن سعيد القطان : (أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى ؟ قال : لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ ، يقول : لِمَ حدثت عني حديثاً ترى أنه كذب ؟)[4] .

وهكذا نشأ علم الجرح والتعديل مع نشأة الرواية في الاسلام ، وارسيت اسسه وقواعده منذ عصر الصحابة ، فقد تكلم منهم في الرواة عدد غير قليل ، كما تكلم كثير من أئمة التابعين وأتباعهم ، وقد رأوا وجوب ذلك عليهم لما فيه من نصح للمسلمين ، وإقامة لقواعد الدين ، استجابة لقوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً »[5] .

---

١ ـ الكفاية ص ٤٥ .
٢ ـ انظر الجامع لأخلاق الراوي ص ١٦١ : آ .
٣ ـ المرجع السابق ص ١٦٠ : آ .
٤ ـ الكفاية ص ١٤٤ .
٥ ـ ٧٠ ، ٧١ : الأحزاب .

٤ – أشهر المتكلمين في الرواة :

من أشهر من تكلم في الرواة من التابعين محمد بن سيرين (– ١١٠هـ) ، وعامر الشعبي (١٩ – ١٠٣ هـ) ، وممن جاء بعدهم شعبة بن الحجاج (٨٢ – ١٦٠ هـ) ، ومالك بن أنس (٩٣ – ١٧٩ هـ) ، وغيرهما كثير ، وتلت هذه الطبقة طبقات من أشهر نقادها سفيان بن عيينه (١٠٧ – ١٩٨ هـ) ، وعبد الرحمن بن مهدي (١٣٥ – ١٩٨ هـ) ، وكان من أئمة هذا الشأن بعد هذه الطبقة يحيى بن معين (١٥٨ – ٢٣٣ هـ) إمام الجرح والتعديل في عصره ، والامام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ) ،والامام علي بن عبد الله المديني (١٦١ ، ٢٣٤ هـ) ، وتلت هؤلاء طبقات كثيرة من أشهر رجالها الامام محمد بن اسماعيل البخاري (٢٩٤ – ٢٥٦ هـ) ، وأبو حاتم محمد بن ادريس الرازي (١٩٥ – ٢٧٧ هـ) ، وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي (٢٠٠ - ٢٦٤هـ) ، وغيرهما .

وجاءت بعد هذه الطبقة طبقات وطبقات كلها من الأئمة الأعلام الذين ساهموا في حفظ الحديث وتمييز الصحيح من السقيم ، وهكذا لم يخل عصر من العصور منذ عهد الصحابة إلى العصور المتأخرة من عدد كبير من الأئمة الجهابذة النقاد – سوى كبار الحفاظ والمحدثين – في مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، كلهم ذوو فضل وعلم وورع واخلاص .

٥ – منهج العلماء في بيان أحوال الرواة :

لما كان أكثر الأحكام الشرعية لا سبيل إلى معرفته إلا من جهة النقل والرواية – التزم العلماء النظر في حال الناقلين ، والبحث عن الثقات الحافظين ، ولما كانت غايتهم معرفة الصحيح من السقيم – كان كلامهم في الرواة وسيلة لا غاية ، لهذا التزموا الاعتدال في بيان أحوال الرواة ، فلم يتناولوا في ذكر أحوال الراوي غير الجانب الحديثي الذي يهمهم ،

فتناولوا بالبحث كل ما يتعلق بامور العدالة ، وكل ما يتعلق بالحفظ والضبط والاتقان ، وما يعتري ذلك من وهم أو نسيان أو اختلاط أو غـــير هذا .. فكان بحثهم علمياً موضوعياً وقد تميز منهج العلماء في بيان أحوال الرواة بقواعد أهمها :

١ ــ الأمانة والنزاهة في الحكم : فكانوا يذكرون للراوي ما له وما عليه ، من هذا قول محمد بن سيرين : (ظلمت أخاك إذا ذكرت مساوئه ولم تذكر محاسنه)[١] .

وقد كانت أمانتهم عقيدة راسخة وقاعدة عامة يطبقونها في بيان الحق ولو على أنفسهم ، وهذا مما يزيدنا إيماناً بتجردهم واستقامتهم ، من هذا أن شعبة بن الحجاج روى حديثاً ، فقيل له : إنك تخالف في هذا الحديث قال من يخالفني ؟ قالوا : سفيان الثوري . قال دعوه ، سفيان احفظ مني[٢] .

٢ ــ الدقة في البحث والحكم : ندرك من تتبع أقوال العلماء في الجرح والتعديل دقة بحثهم ومعرفتهم بجميع أحوال الراوي الذي يتكلمون فيه ، فكثيراً ما يذكرون وقت اختلاطه ، أو سبب وهمه ، ويفرقون بين من كان ضعفه ناشئاً عن وهن في دينه ، ومن كان ضعفه ناشئاً عن عدم الحفظ والاتقان[٣] .

٣ ــ التزام الأدب في الجرح : لم يخرج علماء الجرح والتعديل في أحكامهم عن أدب البحث العلمي الصحيح ، في نقدهم واجتهادهم ، وأقسى

---

١ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦١ : آ ــ ب .

٢ - انظر المرجع السابق ص ١١٠ : ب .

٣ - انظر أمثلة ذلك في مسائل الإمام أحمد ص ٢٨٦ ، وكتاب الكفاية ص ١٣٥ ــ ١٣٨ ، وانظر كتاب الاغتباط بمعرفة من رمي بالإختلاط . وتقدمة الجرح والتعديل ص ١٥١ ــ ١٥٢ .

ما يروى عنهم قولهم فلان وضاع أو كذاب ، أو يفتري الكذب على الصحابة رضي الله عنهم ، ونحو هذا ، مما يقولونه فيمن يضع الحديث ، أو يكذب فيه ، وهو وصف لا يعدو الحقيقة . وكان بعضهم يجتنب ذكر مثل هذه الأوصاف ويكتفي عنها بما يدل عليها كقولهم (لم يكن مستقيم اللسان)[1] ونحو هذا .

وكان الأئمة يأمرون طلابهم بالتزام الحيطة والأدب في نقدهم ، من هذا ما حكاه المُزني قال : (سمعني الشافعي يوماً وأنا أقول فلان كذاب ، فقال لي : يا ابراهيم ، اكسُ ألفاظك أحسنها ، لا تقل كذاب ، ولكن قل : حديثه ليس بشيء)[2] .

٤ - الاجمال في التعديل والتفصيل في التجريح :

نلاحظ من أقوال أئمة الجرح والتعديل ، أنهم لا يذكرون أسباب تعديلهم الرواة ، فلا نراهم يقولون فلان ثقة أو عدل لأنه يصلي ويصوم ويتهجد ولا يؤذي الناس — مثلاً بل يقولون ثبت ثقة أو صدوق ، من غير أن يبينوا أسباب ذلك ، لأن أسباب العدالة كثيرة يثقل على المرء ذكرها جميعها ، بخلاف الجرح ، فغالباً ما يبينون سبب جرح الرواة ، من غفلة أو تلقين ، أو كثرة وهم أو اختلاط ، أو عدم ضبط أو كذب وفسق وغير ذلك . لأنه يكفي ذكر سبب واحد قادح في عدالة الراوي أو حفظه ليجرحه . ومعظم الأئمة يكتفون بذلك ، لأن الجرح إنما أجيز لضرورة معرفة الثقات من الضعفاء ، وتمييز الصحيح من السقيم ، والضرورة تقدر بقدرها ، ولما كان يكفي في الجرح ذكر سبب قادح امتنع على الجارح أن يذكر أكثر من ذلك ، وإلى هذا ذهب جمهور

---

١ - انظر صحيح مسلم ص ٢١ ج ١ ، والجرح والتعديل ص ١٨ قسم ١ ج ١ .
٢ - الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٠ .

أهل العلم ، ونص على ذلك المتأخرون ، قام الامام السخاوي : (لا يجوز التجريح بسببين إذا حصل بواحد ، فقد قال العز بن عبـــد السلام في قواعـــده : إنه لا يجوز للشاهد أن يجرح بذنبين مهما أمكن الاكتفاء بأحدهما ، فان القدح إنما يجوز للضرورة ، فليقدر بقدرها ، ووافقه عليه القرافي وهو ظاهر)[1] .

٦ ـ شروط المعدل والجارح :

كان الأئمة الذين تولوا بيان أحوال الرواة ، وانتصبوا لحفظ السنة وتمييز الصحيح من السقيم ـ على جانب عظيم من العلم والورع والصدق والديانة ، قضوا حياتهم في هـذا الشأن ، وعرفوا ما تقتضيه العدالة ، واسباب الجرح ، لهذا اجمع العلماء على وجوب توفر هـذه الشروط في الجارح والمعدل ، فلا بد لمن يتولى هذا الشأن من ان يكون عالماً تقياً ورعاً صادقا ، غير مجروح ، ولا متعصب ضد بعض الرواة عارفا اسباب الجرح والعدالة ، ومن لم يتم له هذا لا يقبل منه القول في الرواة [2] .

٧ ـ معرفة العدالة :

تعرف عدالة الراوي بأحد امرين : اما بشهرته بين اهل العلم بالعدالة ، كمالك بن انس ، وسفيان الثوري ، وشعبة بن الحجاج ، والامام احمد وغيرهم ، فلا يصح ان يسأل عنه . لأن الحاصل بالشهرة فوق ما يحصل بتزكية رجل او رجلين . واما بالتزكية : وهي تعديل من ثبتت عدالته لمن لم يعرف بالعدالة . ويكفي لذلك تزكية عدل واحد ، لان العدد لا يشترط في قبول الخبر ، فلا يشترط في جرح روايـه وتعديله . وعلى هذا أئمة الحديث . وتقبل تزكية كل من تقبل روايته من ذكر أو انثى ،

---

١ ـ فتح المغيث للسخاوي ص ٣٢ ه : آ مخطوط دار الكتب المصرية .

٢ ـ انظر نشأة علوم الحديث ومصطلحه ص ١٦١ .

حراً كان أم عبداً ، إذا كان عارفاً بما يجب أن يكون عليه العدل وما به يحصل الجرح . وذهب بعض الفقهاء إلى وجوب تزكية رجلين .

وكذلك يثبت الجرح بالشهرة والاستفاضة ، فمن عرف بفسقه أو كذبه ونحو ذلك واشتهر امره لم تبق ضرورة للسؤال عنه ، ويكتفى بما استفاض من امره . ويثبت الجرح ايضاً بجرح العدل العارف بأسباب الجرح ، وعلى هذا أئمة الحديث ، وقال بعضهم لا يثبت إلا بجرح عدلين [1] .

٨ – تعارض الجرح والتعديل :

قد تتعارض أقوال العلماء في تعديل راو واحد وتجريحه ، فيجرحه بعضهم ويعدله آخرون ، وحينئذ لا بد من البحث لمعرفة حقيقة ذلك .

فقد يكون بعضهم عرفه بفسق قديم وقع منه فجرحه ، ثم تاب وعلمت توبته لمن عدله ، فلا يكون هناك تعارض بين القولين .

وقد يعرف بسوء حفظ عن شيخ لم يكتب عنه لاعتماده على ذاكرته ، في حين انه موثوق به ، حافظ عن غير هذا الشيخ لاعتماده على كتبه مثلا ، فلا يكون هناك تعارض بين ذاك الجرح وهذا التوثيق .

فاذا عُرِفَ كل ذلك أمكن للعالم ان يخلص مخلصاً حسناً ، في ترجيح بعض الاقوال على بعض ، واذا لم يعلم تفصيل ماذكرنا كان هناك تعارض بين الجرح والتعديل وللعلماء في هذا ثلاثة اقوال :

القول الاول : تقديم الجرح على التعديل ولو كان المعدلون اكثر

---

١ – انظر الكفاية ص ٨٦ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٦٢٥ ج ٢ ، وتدريب الراوي ص ١٩٩ ، والمقنع في علوم الحديث ص ٤٧ ، والكفاية ص ٨٧ .

من الجارحين ، لان الجارح اطلع على ما لم يطلع عليه المعدل [1] . وهذا قول جمهور أهل العلم .

القول الثاني : يقدم التعديل على الجرح اذا كان المعدلون اكثر من الجارحين ، لان كثرة المعدلين تقوى حالهم . وهذا القول مردود لان المعدلين وان كثروا لا يخبرون بما يرد قول الجارحين .

القول الثالث : ان الجرح والتعديل اذا تعارضا لا يترجح احدهما الا بمرجح ، أي يتوقف عن العمل بالقولين حتى نطلع على مرجح لأحدهما .

والقول الاول هو الذي ذهب اليه المحدثون المتقدمون والمتأخرون .

٩ – جرح الاقران :

ومما تجدر ملاحظته ان العلماء لورعهم وتقواهم احتاطوا في تقديم الجرح على التعديل فيما دار بين الاقران من قدح أو خلاف مذهبي ، واجمع العلماء على عدم قبول قول الاقران بعضهم في بعض [2] .

١٠ – المجهول عند المحدثين :

اقل ما ترتفع به الجهالة عند المحدثين ان يروي عن الرجل اثنان فصاعداً من اهل العلم ، وبهذا يرتفع عنه اسم الجهالة ، الا انه لا تثبت عدالته الا بالتزكية عند جمهور المحدثين ، وقال الدار قطني :

---

١ - فإخبار المعدل عن العدالة الظاهرة لاينفي صدق قول الجارح فيما اخبر به ، فكأن المعدل يقول : لا أعلم عن فلان ما يجرحه فهو ناف ، والمجرح يقول : أعلم في فلان صفة كذا وهي تجرحه ، فهو مثبت ، ولا شك أن المثبت مقدم على النافي . انظر مزيد التفصيل في مقدمة ابن الصلاح ص ٤٢ ، وفتح المغيث للعراقي ص ١٥ ج ٢ وفتح المغيث للسخاوي ص ١٣٠ . والكفاية ص ١٠٦ – ١٠٧ .

٢ - انظر جامع بيان العلم وفضله ص ١٥٦ ج ٢ ، ونشأة علوم الحديث ص ١٧٤ وما بعدها .

(من روى عنه ثقتان فقد ارتفعت جهالته وتبتت عدالته) [1] ، وعند ابن عبد البر كل من اشتهر في غير العلم بزهد أو نجدة أو نحو هذا فليس بمجهول [2] .

١١ – المستور :

أو مستور الحال ، هو من روى عنه اثنان فصاعداً ، فارتفعت عنه الجهالة ، وهو عدل الظاهر ، إلا انه لم يصدر عن احد من الائمة توثيقه أو تجريحه ، وقد قبل جماعة روايته بغير قيد ، وردها الجمهور ، والتحقيق ان رواية المستور ونحوه مما فيه الاحتمال لا يطلق القول بردها ولا بقبولها بل يتوقف حتى تستبين الحال ، وهو رأى ابن حجر ، وهو رأى جيد [3] .

١٢ – هل رواية الثقة عن غيره تعديل له ؟

اختلف العلماء في رواية العدل عن شيخ ، هل تكون روايته عنه تعديلا له ؟ ولهم في هذا ثلاثة أقوال :

القول الاول : ليست تعديلا له ، لان العدل قد يروى عن غير عدل ، وهو قول أكثر اهل الحديث .

القول الثاني : رواية العدل عن غيره تعديل له ، لان العدل لو علم فيمن روى عنه جرحاً لذكره .

القول الثالث: ان كان من عادة الراوي العدل أن لا يروى إلا عن ثقة ، فروايته

---

١ - انظر فتح المغيث للسخاوي ص ١٣٧ .

٢ - انظر مقدمة ابن الصلاح ص ١٣٠ ، وقارن بفتح المغيث للسخاوي ص ١٣٦.

٣ - انظر بسط ذلك في فتح المغيث للعراقي ص ٢٢ - ٢٥ ج ٢ ، وشرح نخبة الفكر ص ٢٤ ، وتدريب الراوي ص ٢١٠ .

عن غيره تعديل له ، والا فلا . وهذا هو الرأي المختار عند الاصوليين ، وعند بعض أئمة الحديث [1] .

١٣ ـ الرواية عن المبهم (من لم يُسَمَّ) :

إذا روى عدل عن راو لم يصرح باسمه ـ لا تكون روايته عنه تعديلًا له ، اما إذا عدله كأن يقول حدثني من اثق به،أوالثقة،او من ارضى ، ففيه قولان :

القول الاول : ان هذا التوثيق لا يكفي من غير ان يسمي الراوي لانه قد يكون ثقة عنده وغير ثقة عند غيره لو سماه . وربما كان ممن انفرد هو بتوثيقه وجرحه غيره بجرح قادح ، فتسميته تدفع عن القلب الريبة والتردد .

القول الثاني : قبول تعديله مطلقاً كما لو عينه ، لانه مأمون في الحالتين : حين سماه ووثقه ، وحين وثقه وأبهمه .

والصحيح هو القول الاول ، وهو الذي عليه جمهور المحدثين [2] .

أما قول قول الامام المجتهد ـ كمالك والشافعي وغيرهما ـ : حدثني الثقة أو نحوه فانه يكفي في حق الموافق في المذهب كما ذكره بعض المحققين ، لأنه لم يورد ذلك احتجاجاً بالخبر على غيره ، بل يذكره لاصحابه لاقامة الحجة على الحكم عنده [3] .

---

١ ـ انظر فتح المغيث للعراقي ص ٢١ ج ٢، وشرح علل جامع الترمذي لابن رجب ص ٥ : آ مخطوط دار الكتب المصرية ، وتدريب الراوي ص ٢٠٩ ، وفتح المغيث للسخاوي ص ١٣٤ .

٢ ـ انظر الكفاية ص ٩٢ ، وتدريب الراوي ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

٣ ـ انظر شرح نخبة الفكر ص ٢٤ ، وفتح المغيث للعراقي ص ١٨ ج ٢ .

١٤ – الرواية عن أهل الأهواء والبدع :

اختلف أهل العلم في الرواية عن المبتدعين ، الذين أحدثوا في الدين بعض الأمور التي لم تكن في عهده ﷺ ، أو التي لم تؤثر عنه وعن أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين [١] ، ويمكننا أن نلخص هذا الاختلاف فيما يلي :

آ – ذهب بعض أهل العلم إلى عدم قبول رواية المبتدع مطلقاً ، مهما تكن بدعته ، ورُوِيَ هذا عن الإمام مالك .

ب – وذهب بعض أهل العلم إلى قبول رواية المبتدع بشروط ، فنظروا في البدع فرأوا أن منها ما يكفر صاحبها ، ومنها لا يكفر .

١ً – فالكافر ببدعته لا تقبل روايته عند جماهير أهل العلم .

٢ً – وإن لم يكفر ببدعته :

آ – فإن كان يستحل الكذب لنصرة مذهبه لا يقبل حديثه ولا يروى عنه ، قال سفيان الثوري : (أقبل شهادة أهل الأهواء إذا كانوا عدولاً فيما سوى ذلك – أي في غير ما يقوي أهواءهم – ولا يستحلون الشهادات في أهوائهم) . وقال الامام الشافعي : (تقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة ، لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم) .

ب – وإن كان لا يستحل الكذب ، فقد قيل تجوز الرواية عنه سواء أ كان داعياً إلى بدعته أم لم يكن . وقيل تقبل روايته إذا لم يكن داعية إلى بدعته ، فإن كان داعيـــة لم تقبل روايته . وهذا مذهب أكثر المحدثين [٢] .

---

١ – انظر نشأة علوم الحديث ومصطلحه ص ٤١ وما بعدها .

٢ – انظر كتابنا نشأة علوم الحديث ومصطلحه ص ٤٦ .

١٥ – خبر التائب عن الفسق :

إذا تاب الراوي المجروح لفسقه عن فسقه ، وحسنت حاله ، وعرفت عدالته بعد توبته تُقبل أخباره بعدها ، وهذا عام في كل المعاصي ما عدا تعمد الكذب في الحديث النبوي ، فإنه لا يقبل خبر من كذب في أحاديث الرسول ﷺ ، وإن تاب عن الكذب وحسنت حاله بعد ذلك ، وقد نُقِلَ هذا عن كبار الأئمة . قال أبو بكر الصيرفي : (كل من أسقطنا خبره من أهل النقل بكذب وجدناه عليه لم نعد لقبوله بتوبة تظهر) . وقال أبو المظفر السمعاني : (من كذب في خبر واحد وجب إسقاط ما تقدم من حديثه)[1].

إن تشدد العلماء في هذا من باب حفظ السنة والاحتياط في نقلها ، والزجر عن الكذب على الرسول ﷺ ، لأن في الكذب عليه ﷺ ضرراً عاماً ومفسدة بالغة قد تغير بعض أحكام الدين ، وتدخل فيه ما ليس منه . وقد توعد الرسول عليه الصلاة والسلام متعمد الكذب في حديثه بقوله : « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . لكل هذا ذهب بعض العلماء إلى تكفير متعمد الكذب في الحديث النبوي ، حتى إن بعضهم أوجب قتله [2].

١٦ – مراتب الجرح والتعديل :

لم يكن جميع الرواة الذين نقلوا الحديث على درجة واحدة من الحفظ والعلم والضبط ، فمنهم الحافظ المتقن ، الذي لا يشق له غبار ، ومنهم من هو اقل ضبط وحفظاً ، ومنهم من كان يهم قليلا ، او يغلب عليه السهو والخطأ مع عدالته وأمانته .

ومن الناس من دس نفسه في زمرة اهل الحديث ؛ وكذب فيه ، فكشف الله امره على أيدي الجهابذة النقاد .

---

١ – انظر تدريب الراوي ص ٢٢٠ .

٢ – انظر اختصار علوم الحديث ص ١١٣ .

هكذا كان واقع الرواة ، بعضهم أعلى من بعض ، فجاءت احكام جهابذة الجرح والتعديل بعبارات على مراتب مختلفة تدل كل عبارة منها على منزلة من وصف بها .

ولم توضع هذه الاحكام والمراتب بعد جمع الحديث وتصنيفه ، ولم يرتبها كل عالم على هواه ، بل صدرت على الرواة مع بيان احوالهم من قبل الائمة النقاد في عصر رواية الحديث ، وتمييز الصحيح من السقيم . وقد ظهرت بعض الالفاظ في عصر الصحابة ، وكانت اكثر وضوحاً في عصر التابعين ، وكثرت واستقرت مفاهيمها في عصر اتباع التابعين ومن خلفهم .

وقد وصلنا كثير من أحكام النقاد في المصنفات الأولى ، كالضعفاء للبخاري والضعفاء للنسائي ، ومن أقدم من رتب ألفاظ الجرح والتعديل أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة (٣٢٧ هـ)[١] ، وتتالى العلماء بعده في بيانها والتفريع عليها ، والتنبيه إلى بعض أمور تتعلق بها ، وما من مصنف في علوم الحديث إلا يذكر تلك المراتب مبسوطة أو مختصرة . ويمكننا أن نختصر القول في مراتب الجرح والتعديل ، فنقول : إنها ست مراتب للجرح ، وست مراتب للتعديل : يمكن جعل قاعدة كلية لكل مرتبة منها كما يلي [٢] :

آ ـ مراتب التعديل :

المرتبة الأولى: تكون بكل مايدل على المبالغة في التعديل بصيغة أفعل التفضيل ونحوه مثل : أوثق الناس ، واضبط الناس ، ولا يسأل عنه ...

---

١ ـ انظر الجرح والتعديل ص ٣٧ ـ ١ القسم الأول منه .

٢ ـ انظر نشأة علوم الحديث ص ١٨٩ وما بعدها .

المرتبة الثانية : تكون بما تأكد توثيقه بصفة من الصفات الدالة على العدالة والتوثيق ، سواء أكان ذلك باللفظ أو بالمعنى ، نحو : ثقة ثقة ، وثقة مأمون ، ثقة حافظ ...

المرتبة الثالثة : تكون بما يدل على العدالة بلفظ يشعر بالضبط ، مثل ثبت ، متقن ، حجة ، إمام ...

المرتبة الرابعة : تكون بكل مايدل على التعديل والتوثيق بما لايشعر بالضبط والاتقان ، نحو صدوق ، مأمون ، لابأس به .

المرتبة الخامسة : تكون بكل مايدل على صدق الراوي وعدم ضبطه ، وهذه المرتبة كالتي قبلها . ولكنها تأتي بعدها ، نحو : محله الصدق ، وصالح الحديث .

المرتبة السادسة : تكون بكل مايشعر بقربه من التجريح ، كقرن صفة المرتبة السابقة بالمشيئة ، مثاله : شيخ ، ليس ببعيد من الصواب صويلح ، صدوق ان شاء الله .

ب — مراتب التجريح :

المرتبة الأولى : تكون بكل مايدل على المبالغة في الجرح ، ومثاله اكذب الناس ركن الكذب .

المرتبة الثانية : تكون بالجرح بالكذب أو بالوضع ، نحو كذاب ، وضاع ، وهي ألفاظ تدل على المبالغة ولكنها دون المرتبة السابقة .

المرتبة الثالثة : تكون بكل مايدل على اتهامه بالكذب أو الوضع ونحوه ، كمتهم بالكذب ، أو الوضع ، أو يسرق الحديث ، ويلحق بهذه المرتبة كل مادل على تركه ، نحو : هالك ، متروك ، أو ليس بثقة ...

المرتبة الرابعة : تكون بكل مايدل على ضعفه الشديد ، نحو ردّ حديثه ، طرح حديثه ، ضعيف جداً ، وليس بشيء ، لايكتب حديثه .

المرتبة الخامسة : وفيها كل مايدل على تضعيف الراوي أو اضطرابه في الحفظ ، كمضطرب الحديث ، أو لا يحتج بـــه ، أو ضعفوه ، أو ضعيف ، أو له مناكير ...

المرتبة السادسة : تكون بوصف الراوي بوصف يدل على ضعفه ، ولكنه قريب من التعديل ، مثاله : ليس بذاك القوى ، فيـه مقال ، ليس بحجة ، فيه ضعف ، غيره أوثق منه .

ويحتج أهل العلم بما جاء في المراتب الأربعة من مراتب التعديل ، وأما المرتبتان الخامسة والسادسة اللتان تدلان على عـدم ضبط الرواة ، فانه يكتب حديثهم ويعتبر بحديث غيرهم [1] .

ولا يحتج بمن ذكر من المراتب الأربعة الأولى من مراتب التجريح ، وأما من ذكر في الخامسة والسادسة منها فيخرج حديثه للاعتبار [2] .

١٧ – اشهر ماصنف في الجرح والتعديل :

تعود جهود العلماء في التصنيف في الجرح والتعديل الى اواخر القرن الثاني للهجرة ، عندما انتشر التدوين في انحاء الدولة الاسلامية ، وظهرت مدونات كثيرة في مختلف عـلوم الشريعة ، وكانت المصنفات الاولى في موضوعنا نواة للمؤلفات الضخمة التي ظهرت فيما بعد .

وكانت اولى تلك المصنفات للامام يحيى بن معين (١٥٨ – ٢٣٣ هـ)، وعلي بن المديني (١٦١ – ٢٣٤ هـ)، وأحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ) ، ثم تتالى ظهور التصانيف المبسوطة التي تضم أكثر اقوال أئمة الجرح والتعديل في اكبر عدد من الرواة . وهذه المصنفات تربي على اربعين مصنفاً ما بين مخطوط ومطبوع حتى القرن الثامن الهجري .

---

١ – سنتناول الاعتبار في قسم مصطلح الحديث .

٢ – انظر فتح المغيث للعراقي ص ٤٢ ج ٢ ، وفتح المغيث للسخاوي ص ١٦٢ .

وتختلف مؤلفات الجرح والتعديل ما بين موجز ومبسوط ، فأصغرها ما يضم في مجلد احوال مئات من الرواة ، وأوسعها ما يقع في مجلدات كبيرة تضم احوال عشرة آلاف راو ، أو عشرين ألفاً .

وقد اختلفت مناهج المصنفين في الجرح والتعديل ، فمنهم من اقتصر في مصنفه على ذكر الضعفاء والكذابين ، ومنهم من زاد على ذلك ، فذكر بعض الاخبار الموضوعة ، ومنهم من صنف في الثقات فقط ، ومنهم من جمعت مصنفاته الثقات والضعفاء معاً ، وقد اتبع في معظم هذه المصنفات ترتيب حروف المعجم .

ومن أقدم ما وصلنا هذه المصنفات كتاب (معرفة الرجال) ليحيى ابن معين [1] ، وكتاب (الضعفاء) للامام محمد بن اسماعيل البخاري (١٩٤ -- ٢٥٦ هـ) وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٥ هـ) ، وطبع معه كتاب (الضعفاء والمتروكين) للامام أحمد بن علي النسائي (٢١٥ — ٣٠٣ هـ) .

ومن أجمع كتب المتقدمين في هذا الباب كتاب (الجرح والتعديل) لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٢٤٠ — ٣٢٧ هـ) ، وهو من أعظم كتب الجرح والتعديل التي وصلتنا ومن اغزرها فائدة ، وأوثقها صلة بنقاد الرجال الذين عرفهم تاريخ الحديث . ويقع الكتاب في اربعة اجزاء كبيرة ضمت (١٨٠٥٠) ترجمة ، وقد طبع بالهند سنة (١٣٧٣ هـ) في تسع مجلدات مجلد للمقدمة ، ومجلدان لكل جزء من اجزائه الاربعة .

ومن الكتب المشهورة ايضاً كتاب (الثقات) لابى حاتم بن حبان البستي (المتوفي سنة ٣٥٤ هـ) ، و (الكامل) في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل

---

١ — يوجد منه الجزء الأول مخطوطاً في دار الكتب الظاهرية في (٤٢) ورقة تحت رقم (١ مجموع) .

الحديث للحافظ عبد الله بن محمد (ابن عدي) الجرجاني (٢٧٧ – ٣٦٥ هـ) .

ومن اجمع الكتب المطبوعة في الجرح والتعديل كتاب (ميزان الاعتدال) للامام شمس الدين محمد بن احمد الذهبي (٦٧٣ – ٧٤٨ هـ) طبع اكثر من مرة . وطبع اخيراً في مصر سنة (١٣٨٢ هـ –١٩٦٣ م) في اربعة اجزاء ضمت (١١٠٥٣) ترجمة .

وكتاب (لسان الميزان) للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي (ابن حجر) العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ) ضمنه الميزان وزاد عليه ، وفيه نحو (١٤٣٤٣) ترجمة ، وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٩ – ١٣٣١ هـ) في ستة اجزاء[1] .

★ ★ ★

١ – انظر مزيداً من هذه المؤلفات في كتابنا السنة قبل التدوين ص ٢٨٠ – ٢٨٧ ، وفي الرسالة المستطرفة .

الفصل الرابع

علم غريب الحديث

هذا العلم يبين ما يخفى معناه من ألفاظ الحديث النبوي ، وقد اهتم علماء المسلمين به ، لما يترتب عليه من ضبط الفاظ الحديث وفهم معناه ، اذ من العسير على المرء أن يروى ما لا يفهم ، أو ينقل ما لا يحسن أداءه .

ومعرفة مفردات الحديث ومعناها هي الخطوة الاولى إلى فهم معنى الحديث واستنباط الحكم منه ، وتتأكد العناية بمعرفة غريب الحديث لمن يروي الحديث بالمعنى .

ومما تجدر ملاحظته ان حديث رسول الله ﷺ لم يكن غريباً على الامة العربية في صدر الاسلام ، فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام افصح العرب لسانا ، واعذبهم نطقاً ، وأسدهم لفظاً ، وأبينهم حجة ، وأقومهم عبارة ، واعرفهم بمواقع الخطاب ، ولا غرو في هذا ، فقد بعثه الله عز وجل في أمة تعتز بلغتها ، وتعجب بسحر كلمها ، فكان يخاطب العرب على اختلاف قبائلهم ولهجاتهم بما يفهمون ، وإذا غرب عن بعض اصحابه شيء مما يقوله سألوه عنه ، فيبينه لهم .

ومالبث أن انتقل الرسول ﷺ الى الرفيق الاعلى ، ودخل في دين

الاسلام كثير من ابناء الامم الاخرى ،الذين تعلموا من العربية ما لا غنى لهم عنه في المحاورة والخطاب، فكان من الطبيعي أن يجدوا في الفاظ الحديث النبوي غريبا اكثر مما يجده ابناء العربية ، ونشأت اجيال جديدة من ابناء هذه الامم احتاجت الى معرفة كثير من هذه الالفاظ ، فانبرى العلماء لبيانها وشرحها بل اهتموا بشرح الاحاديث كلها ، حتى ان الامام عبد الرحمن بن مهدي قال : (لو استقبلت من امري ما استدبرت لكتبت بجنب كل حديث تفسيره) ، ورأى غيره ان تفسير الحديث خير من روايته [1] .

وهكذا ساهم علماء الحديث ، واللغة في بيان وتفسير غريب الفاظ الحديث ، لتسهل على الناس معرفة الدين ، وييسر لهم العمل بأحكامه ، فصنفوا فيه الكتب ، التي ظهرت في أوقات متقاربة في آواخر القرن الثاني ومطالع القرن الثالث .

فمن أقدم من صنف في غريب الحديث أبو الحسن النَّضْرُ بن شميل المازني المتوفى سنة (٢٠٣ هـ) [2] ، وهو أحد شيوخ اسحاق بن راهوية شيخ البخاري . وتتالى بعده كثير من المصنفين من أشهرهم أبو عبيد القاسم بن سلام (١٥٧ – ٢٢٤ هـ) الذي صنف كتابه المشهور (غريب الحديث) وقد اثنى على هذا الكتاب أكثر أهل العلم [3] ، وهو كتاب قيم غزير الفائدة . والكتاب على سعته لم يستوعب جميع

---

١ – انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ٣١ : ب .

٢ – انظر تاريخ بغداد ص ٤٠٥ ج ١٢ ، والنهاية في غريب الحديث ص ٥ ج ١ ، ومقدمة الفائق في غريب الحديث .

٣ – انظر تاريخ بغداد ص ٤٠٥ ج ١٢ ، والكامل لابن عدي ص ٣٣ : ب ج ١ مخطوط دار الكتب المصرية ، وتوجد من هذا الكتاب عدة نسخ مخطوطة ، احداها في خزانة مكتبة الأزهر وهي أقدم نسخة منه تمت كتابتها سنة (٣١١ هـ) ، وأخرى في خزانة كوبريلي في تركيا ويعود تاريخ كتابتها إلى (المحرم من سنة ٤٠٦ هـ) . وقد طبع هذا الكتاب طبعته الاولى في أربع مجلدات سنة (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م) بمطبعة دار المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن بالهند .

الفاظ غريب الحديث والآثار ، بل غادر الكثير منه لمن بعده ، وقد حوى مادة علمية طيبة ، تدل على علم أبي عبيد وسعة اطلاعه وقوة حفظه .

وصنف بعد أبي عبيد علماء كثيرون من أشهرهم أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ) ، الذي صنف كتابه (الفائق في غريب الحديث) فكان اسما على مسمى ، جاء شاملاً لما سبقه من التصانيف ، وقد طبع الكتاب أكثر من مرة في حيدر آباد وفي مصر .

ومن أجمع وأشهر ما ظهر من كتب غريب الحديث بعد ذلك كتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر) للامام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ابن الاثير) الجزري (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ) ، وهو ثمار جهود العلماء قبل ابن الأثير ، فأحسن ترتيبه على حروف المعجم حيث يذكر اللفظ الغريب في الحرف ؛ ويذكر الحديث الذي ورد فيه ، ويفسر معناه ، وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة في أربع مجلدات في مصر وطبع أخيراً في خمس مجلدات طبعة علمية جيدة[1] .

★ ★ ★

١ – بتحقيق الأستاذين طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي . طبع دار احياء الكتب العربية سنة (١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣ م) .

الفصل الخامس

علم مختلف الحديث ومشكله

١ – موضوعه والتعريف به :

يتناول هذا العلم الاحاديث التي ظاهرها التعارض ، من حيث الجمع والتوفيق بينها ، إما بتقييد مطلقها ، أو بتخصيص عامها ، أو بحملها على تعدد الحادثة التي جاء من أجلها الحديث ، أو غير ذلك ، كما يتناول أحياناً بيان وتأويل ما يشكل من الحديث النبوي ، وإن لم يعارضه حديث آخر .

وعلى هذا فعلم مختلف الحديث ومشكله هو العلم الذي يبحث في الأحاديث التي ظاهرها متعارض ، فيزيل تعارضها ، أو يوفق بينها ، كما يبحث في الأحاديث التي يشكل فهمها أو تصورها ، فيدفع اشكالها ، ويوضح حقيقتها .

ولهذا أطلق بعض العلماء على هذا العلم اسم (مشكل الحديث) ، و (اختلاف الحديث) ، و (تأويل الحديث) و (تلفيق الحديث) ، والمراد بكل هذه الأسماء مسمى واحد .

٢ – أهمية علم مختلف الحديث ومشكله :

هذا العلم من أهم علوم الحديث يحتاج اليه المحدثون والفقهاء وغيرهم من العلماء ، ولابد للمشتغل به من فهم ثاقب ، وعلم واسع ، ودربة ودراية ، ولا ينبغ فيه إلا من جمع بين الحديث والفقه . قال الامام السخاوي فيه : (هو من أهم الأنواع مضطر اليه جميع الطوائف من العلماء ،

وإنما يكمل للقيام به من كان إماماً جامعاً لصناعتي الحديث والفقه ، غائصاً على المعاني الدقيقة)[1] .

وهذا العلم ثمرة من ثمار حفظ الحديث وضبطه وفهمه فهماً جيداً ، ومعرفة عامه وخاصه ، ومطلقه ومقيده ، وغير ذلك من أمور الدراية والخبرة ، إذ لا يكفي للمرء أن يحفظ الحديث ويجمع طرقه ويضبط ألفاظه من غير أن يفهمه ويعرف حكمه .

وقد اهتم علماء الأمة بعلم مختلف الحديث ومشكله منذ عصر الصحابة ، الذين أصبحوا مرجع الأمة في جميع أمورها بعد وفاة الرسول ﷺ . فاجتهدوا في كثير من الاحكام ، وجمعوا بين كثير من الاحاديث ووضحوها ، وبينوا المراد منها ، وتتالى العلماء جيلًا بعد جيل ، يوفقون بين الاحاديث التي ظاهرها التعارض ، ويزيلون اشكال ما يشكل منها ، وكان لعلماء الامة فضل كبير في إزالة ودحض بعض الشبهات التي أثارها بعض الفرق كالمعتزلة والمشبهة حول بعض الاحاديث ، وبينوا وجه الحق في هذا[2] وأودعوا ذلك في مصنفات خاصة سنذكر بعضها فيما يلي .

٣ ـ اشهر ما صنف في علم مختلف الحديث ومشكله :

صنف في مختلف الحديث ومشكله كثير من الائمة ، فمنهم من حاول استيعاب الاحاديث المختلفة جميعها ، ومنهم من لم يحاول ، واقتصر تصنيفه على التوفيق بين الاحاديث التي ظاهرها التعارض ، أو على الاحاديث المشكلة في تصورها وفهمها ، فأزال إشكالها وبين المراد منها .

ومن أقدم هذه التصانيف كتاب (اختلاف الحديث) للامام محمد ابن ادريس الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ) رحمه الله ، وهو من أقدم

---

١ ـ فتح المغيث للسخاوي ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣ .

٢ ـ انظر نشأة علوم الحديث ص ٢٤٧ وما بعدها .

ما وصلنا ، ولم يقصد رحمه الله استيعاب جميع الاحاديث المختلفة ، بل ذكر جملة منها ، وبين طريق جمعها والتوفيق بينها ليكون ذلك مثالاً ينسج العلماء على منواله [1] .

ومن أشهر الكتب بعد كتاب الشافعي كتاب (تأويل مختلف الحديث) للامام الحافظ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ – ٢٧٦ هـ) ، وقد وضعه في الرد على اعداء الحديث ، الذين اتهموا أصحاب الحديث بحمل الاخبار المتناقضة ، ورواية الاحاديث المشكلة ، فجمع بين الاخبار التي ادعوا التناقض فيها ، وأجاب عما أورده من شبه على بعض الاخبار ، وقد أخذ كتابه هذا مكانه اللائق في التراث الاسلامي ، وسد ثغرة اصطنعها بعض المعتزلة والمشبهة وغيرهم [2] . وسنذكر مثالاً من هذا الكتاب :

قال : قالوا – أي أصحاب الشبهات – : حديثان متناقضان فيما يَنْجَسُ من الماء . قالوا : رويتم عن النبي ﷺ أنه قال في غير حديث : « الماء لا يُنَجِّسُهُ شيء » ، ثم رويتم عنه ﷺ أنه قال : « إذا بلغ الماء قُلتين لم يحمل نجسا » ، وهذا دليل على أن ما لم يبلغ قلتين حمل النجس ، وهذا خلاف الحديث الاول .

قال ابن قتيبة : (ونحن نقول : إنه ليس بخلاف للاول ، وإنما قال رسول الله ﷺ « الماء لاينجسه شيء » على الاغلب والاكثر ، لان الاغلب على الآبار والغدران أن يكثر ماؤها ، فأخرج الكلام مخرج الخصوص ، وهذا كما يقول السيل لا يرده شيء ، ومنه مايرده الجدار ، وإنما يريد الكثير منه لا القليل ، وكما يقول : النار لا يقوم لها شيء ، ولا يريد بذلك نار المصباح الذي يطفئه النفخ ، ولا الشرارة ، وإنما

---

١ – طبع هذا الكتاب على هامش الجزء السابع من كتاب الام .
٢ – طبع هذا الكتاب سنة (١٣٢٦ هـ) بمصر .

يريد نار الحريق ، ثم بين لنا بعد هذا بالقلتين مقدار ما تقوى عليه النجاسة من الماء الكثير الذي لاينجسه شيء)[1] .

ومن أشهر ما وصلنا في هذا الباب كتاب (مشكل الآثار) للامام المحدث الفقيه أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (٢٣٩ – ٣٢١ هـ)، ويقع كتابه في أربع مجلدات ، وقد طبع سنة (١٣٣٣ هـ) بالهند .

وكتاب (مشكل الحديث وبيانه) للامام المحدث أبي بكر محمد بن الحسن (ابن فُورَك) الانصاري الاصبهاني ، المتوفى سنة (٤٠٦ هـ) ، وقد صنفه فيما اشتهر من الاحاديث النبوية التي يوهم ظاهرها التشبيه والتجسيم والتعارض ، مما يتذرع به الملحدون للطعن في الدين ، فبين المراد منها ، وأبطل كثيراً من الادعاءات والشبهات ، مستدلاً بالحجج النقلية والعقلية . وقد طبع هذا الكتاب سنة (١٣٦٢ هـ) بالهند .

* * *

١ – تأويل مختلف الحديث ٤٣٣ - ٤٣٤ .

الفصل السادس

علم ناسخ الحديث ومنسوخه

١ - معنى النسخ [١] :

آ - النسخ لغة : يطلق النسخ في اللغة على معنيين : الإزالة والنقل . والنسخ بمعنى الإزالة نحو نسخ الشيب الشباب ، ونسخت الشمس الظل ، ونسخت الريح الاثر أي أبطلته .

والنسخ بمعنى النقل : كقولك نسخت الكتاب ، إذا نقلت ما فيه إلى كتاب آخر ، ومنه قوله عز وجل : « إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » ، يريد نقله إلى الصحف ، ومن الصحف إلى غيرها .

ب - النسخ عند الاصوليين :

هو رفع الشارع حكماً شرعياً بدليل شرعي متراخ عنه [٢] .

---

١ - أم راجع هذا البحث : الإحكام لابن حزم ص ٤٣٨ ج ٤ وما بعدها ، والمستصفى ص ٦٩ ج ١ وما بعدها ، والاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص ٦ وما بعدها ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٧ ، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص ١٤٥ ج ٢ ، والإحكام للآمدي ص ١٤٦ ج ٣ ومابعدها ، وفتح المغيث للعراقي ص ١٥ ج ٤ ، ولسان العرب مادة (نسخ) ص ٢٨ ج ٤ .

٢ - ففي قولنا (رفع) الشارع حكماً ... احتراز عن بيان المجمل ، أو تخصيص العام ، أو تقييد المطلق فان أي نوع من أنواع البيان لا يرفع الحكم . وكل حكم لاحق =

ومثال النسخ قوله ﷺ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها فإنها تذكركم الآخره)[1] .

٢ – موضوع علم ناسخ الحديث ومنسوخه وأهميته :

فعلم ناسخ الحديث ومنسوخه هو العلم الذي يبحث عن الأحاديث المتعارضة التي لايمكن التوفيق بينها من حيث الحكم على بعضها بأنه ناسخ، وعلى بعضها الآخر بأنه منسوخ فما ثبت تقدمه كان منسوخاً ، وما ثبت تأخره كان ناسخاً[2] .

ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم مايجب أن يعرفه كل من يتصدى للبحث في أحكام الشريعة ، إذ لايمكن للباحث أن يستنبط الأحكام من أدلتها من غير أن يعرف الأدلة الناسخة والمنسوخة ، وفي هذا يقول الحازمي : (هذا الفن من تتمات الاجتهاد ، إذ الركن الأعظم في باب الاجتهاد معرفة النقل ، ومن فوائد النقل معرفة الناسخ والمنسوخ ، إذ الخطب في ظواهر الأخبار يسير ، وتجشم كلفها غير عسير ، وإنما الإشكال في كيفية

= لايرفع حكماً سابقاً لايكون ناسخاً له . وباضافة (رفع الحكم) إلى الشارع ينتفي النسخ فيما عدا الكتاب والسنة من أدلة الشرع .

وفي هذا حصر وتحديد لزمن النسخ ، وهو عصر التشريع في حياته صلى الله عليه وسلم.

وبتقييد المرفوع بكونه حكماً شرعياً يخرج كل ما يرفع الإباحة الأصلية ، لأن مايرفع الإباحة الأصلية لايسمى ناسخاً عند جمهور الأصوليين .

وتقييد الدليل الناسخ بالتراخي يحترز به عن التخصيص المتصل بالعام ، اذ المراد بالعام المخصص بعض أفراده وأنواعه من أول الأمر ، بخلاف النسخ الذي لايكون إلا بعد استقرار الحكم .

وفي تقييد النسخ بدليل شرعي احتراز عن رفع الحكم بموت المكلف أو بزوال التكليف لجنون المكلف أو نحوه .

١ – اخرجه الإمام مالك ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي. انظر تيسير الوصول ص ١٨٤ ج ٤ . وانظر ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين ص ٣٤ : آ – ب .

٢ – انظر الإحكام للآمدي ص ٢٥٧ – ٢٥٨ ج ٣ ؛ والمنهل الروي في الحديث النبوي ص ١١ .

استنباط الأحكام من خفايا النصوص ، ومن التحقيق فيها معرفة أول الامرين وآخرهما الى غير ذلك من المعاني) [1] .

ولأهمية هذا العلم اولاه الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم اهتماماً كبيراً [2] ، فكان الأئمة يبينون ذلك لطلابهم ، ويحضونهم على معرفته ، وخاضوا تياره ، واستخرجوا دقيقة ، ورتبوا ابوابه وصنفوا فيه كثيراً من الكتب .

٣ – اشهر ماصنف في ناسخ الحديث ومنسوخه :

لقد دون جانب من ناسخ الحديث ومنسوخه مع طلائع المدونات في أوائل القرن الهجري الثاني ، ثم مالبث أن أفرد بالتصنيف في مؤلفات خاصة به [3] ، فمن أقدم ماصنف في هذا العلم كتاب (الناسخ والمنسوخ) لقتادة بن دعامة السدوسي (٦١ – ١١٨ هـ) [4]، ولم يكتب لهذا المؤلف الوصول الينا ، وتتالت المصنفات خلال القرن الثاني والثالث ، ومن أشهرها كتاب (ناسخ الحديث ومنسوخه) للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد الأثرم(– ٢٦١هـ)صاحب الامام أحمد،ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً [5] .

ومن أجمع ماوصلنا من مؤلفات القرن الرابع كتاب (ناسخ الحديث ومنسوخه) لمحدث العراق أبي حفص عمر أحمد البغدادي المعروف بابن شاهين (٢٩٧ – ٣٨٥ هـ) [6] .

---

١ – الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص ٣ – ٤ .

٢ – انظر نشأة علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٧٣ .

٣ – المرجع السابق ص ٢٧٩ – ٢٨٠ .

٤ – انظر كتاب (الخطيب البغدادي) ص ٩٤ ، والمعجم المفهرس ص ٨٤ ، ٨٨ ج ١ وقارن بنشأة علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٨٣ – ٢٨٤ .

٥ – يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء لطيفة ، يوجد الجزء الثالث منه في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٥٨٧ حديث) .

٦ – ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً ، وتوجد منه نسختان مخطوطتان احداهما في مكتبة باريس الأهلية تحت رقم (٧١٨) ، والثانية في مكتبة الاسكوريال تحت رقم (١١٠٧) ، ولدى معهد المخطوطات في الجامعة العربية (ميكروفلم) عنها .

ومن اجمع ماصنف بعد ذلك في هذا العلم كتاب (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار) للامام الحافظ النسابة أبي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمذاني (٥٤٨ – ٥٨٤ هـ) ، وطبع كتابه مراراً[١] . وقد استفاد الحازمي من جهود السابقين ، فجاء كتابه جامعاً لآرائهم وأخبارهم ، وقد رتبه على الأبواب الفقهية ، وذكر في كل باب الأحاديث التي ظاهرها التعارض وبين أقوال العلماء فيها ، والناسخ والمنسوخ منها ، وكثيراً ما كان يدلي برأيه ، ويرجح قولا على آخر . وصدر كتابه بمقدمة علمية قيمة .

٤ – أسباب ورود الحديث :

نرى من المناسب هنا أن نتناول أسباب ورود الحديث ، لما له من صلة ببحث ناسخ الحديث ومنسوخه ، فمعرفة مناسبات الأحاديث تبين المتقدم منها من المتأخر ، وتسهل معرفة الناسخ من المنسوخ ، فكما صنف العلماء في أسباب نزول القرآن الكريم صنفوا في أسباب ورود الأحاديث وذكروا كثيراً من مناسبات الأحاديث ، وبهذا خدموا الحديث النبوي خدمة جليلة ، وسهلوا للعلماء مهمتهم في إستنباط الأحكام الشرعية من ادلتها .

ومن اقدم من صنف في أسباب الحديث – أبو حفص العكبري شيخ القاضي أبي يعلي محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (٣٨٠ – ٤٥٨هـ)[٢] .

ومن اجمع ماصنف بعد ذلك كتاب (البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف) للمحدث السيد ابراهيم بن محمد بن كمال الدين الشهير بابن حمزة الحسيني الدمشقي (١٠٥٤ – ١١٢٠ هـ) ، وقد رتب كتابه على حروف المعجم وطبع هذا الكتاب سنة (١٣٢٩ هـ) بحلب في جزأين كبيرين .

---

١ – في الهند سنة ١٣١٩ هـ وفي القاهرة سنه (١٣٤٦ هـ) ، وفي حلب سنة (١٣٤٦هـ) بتحقيق الشيخ راغب الطباخ الحلبي .

٢ – انظر شرح نخبة الفكر ص ٤٦ ، وتدريب الراوي ص ٥٤٠ ، وقارن باللمع في أسباب الحديث للسيوطي ص ٢ : آ .

الفصل السابع

علم علل الحديث

١ ـ **العلة في اللغة** : المرض من عَلّ يَعلُّ واعتل ، أي مرض فهو عليل ، والقياس أن يقال معل ومعلل ، ولكنه وقع في عبارة بعض أهل الحديث وبعض أهل اللغة (هذا حديث معلول) [١] .

٢ ـ **العلة في اصطلاح المحدثين** : هي سبب غامض يقدح في الحديث مع ظهور السلامة منه [٢] .

٣ ـ **علم علل الحديث وأهميته** : فعلم علل الحديث هو العلم الذي يبحث عن الأسباب الخفية الغامضة من جهة قدحها في الحديث ، كوصل منقطع ، ورفع موقوف ، وادخال حديث في حديث ، أو الزاق سند بمتن ، أو غير ذلك . ومن هنا تتبين أهمية هذا العلم ومكانته من علوم الحديث .

قال أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في علم علل الحديث : (هو علم برأسه غير الصحيح والسقيم ، والجرح والتعديل ... وإنما يعل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل ، فان حديث المجروح ساقط واه ،

---

١ ـ انظر لسان العرب مادة (علل) ص ٤٩٨ - ٤٩٩ ج ١٣ ، ومعرفة علوم الحديث ص ١١٤ ، وسنن الترمذي ص ١٦٢ - ١٦٣ ج ١ ، وفتح المغيث للعراقي ص ١٠٥ ج ١ .

٢ ـ قارن بفتح المغيث ص ١٠٦ - ١٠٧ ج ١ .

وعلة الحديث : يكثر في أحاديث الثقات أن يحدثوا بحديث له علة ، فيخفى عليهم علمه ، فيصير الحديث معلولاً ، والحجة فيه – أي في علم علل الحديث – عندنا الحفظ ، والفهم ، والمعرفة لاغير) [1] .

لكل هذا اهتم العلماء بعلل الحديث اهتماماً كبيراً ، فحرصوا على جمع طرق الأحاديث ، وعلى لقاء الأئمة الحفاظ ، والسماع منهم ، والمذاكرة بين يديهم ، والعرض عليهم ، لأن هذا هو الوسيلة الى معرفة القوي من الضعيف ، وتمييز الصحيح من المعل ، ولا يقوى على هذا إلا من أوتي فهماً ثاقباً ، وحفظاً واسعاً ، ومن ثم قال عبد الرحمن بن مهدي : (لأن أعرف علة حديث هو عندي – أحب اليّ من أن اكتب عشرين حديثاً ليس عندي) [2] .

قيل لعبد الرحمن بن مهدي : (انك تقول للشيء : هذا صحيح ، وهذا لم يثبت ، فعن من تقول ذلك ؟ فقال : أرأيت لو أتيت الناقد فأريته دراهمك ، فقال : هذا جيد ، وهذا بهرج ، أكنت تسأل عمن ذلك أو تسلم له الامر ..؟ قال : فهذا كذلك ، بطول المجالسة والمناظرة والخبرة) [3] .

وفي هذا قال عبد الرحمن بن مهدي أيضاً : (إنكارنا الحديث عند الجهال كهانة)[4] . وقال أبو حاتم الرازي : (مثل معرفة الحديث كمثل

---

١ – معرفة علوم الحديث ص ١١٢ – ١١٣ .

٢ – علل الحديث ص ١٠ ، وانظر معرفة علوم الحديث ص ١١٢ ، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٩٢ : ب .

٣ – تدريب الراوي ص ١٦٢ ، وانظر نحوه في الكامل لابن عدي ص ٢٣ : آ ج١.

٤ – علل الحديث :ص ١٠ . وقد لحظ العلماء هذا فرأوا ألا يكشفوا للعامة عن علل الحديث ، ومن هذا ما ذكره أبو داود السجستاني في رسالته إلى أهل مكة(انه ضرر على العامة أن يكشف لهم كل ما كان من هذا الباب فيما مضى من عيوب الحديث ، لأن علم العامة =

فص ثمنه مائة دينار وآخر مثله على لونه ثمنه عشرة دراهم)[1].

وقد أجمع العلماء على أهمية هذا العلم ، وعلى مكانته ودقته ، قال ابن الصلاح : (إن معرفة علل الحديث من أجل علوم الحديث وأدقها وأشرفها ، وإنما يضطلع بذلك أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب[2] .

وقد تكلم في علل الحديث أكابر علماء هذا الشأن وحفاظه من المتقدمين والمتأخرين[3] ، فبينوا علل كثير من الأحاديث ، وأرشدوا إلى السبل التي تكشف عن علل الحديث ، وإن آثارهم العظيمة لتدل على دقتهم في البحث ، وعلى استقامة منهجهم .

= يقصر عن مثل هذا ... وأما أهل العلم والمعرفة والسنة والجماعة ، فانما يذكرون علل الحديث نصيحة للدين وحفظاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وصيانة لها ، وتمييزاً مما يدخل على رواتها من الغلط والسهو والوهم ، ولا يوجب ذلك عندهم طعناً في غير الاحاديث المعللة ، بل يقوى بذلك الأحاديث السليمة عندهم ، لبراءتها من العلل ، وسلامتها من الآفات) . شرح كتاب علل الجامع للترمذي لابن رجب ص ١٣٥ : آ - ب .

١ - علل الحديث ص ١٠ . قال رجل لأبي زرعة الرازي : (ما الحجة في تعليلكم الحديث ؟ قال : الحجة أن تسألني عن حديث له علة فأذكر علته ، ثم تقصد ابن وارة - يعني محمد بن مسلم بن وارة - تسأله عنه ، ولا تخبره بأنك قد سألتني عنه ، فيذكر علته ، ثم تقصد أبا حاتم - الرازي - فيعلله ، ثم تميز كلام كل منا على ذلك الحديث ، فان وجدت بيننا خلافاً في علته فاعلم أن كلا منا تكلم على مراده ، وان وجدت الكلمة متفقة فاعلم حقيقة هذا العلم .- قال محمد بن صالح الكيلياني راوي الخبر - : ففعل الرجل ، فاتفقت كلمتهم عليه فقال : أشهد أن هذا العلم الهام) - معرفة علوم الحديث ص ١١٣ - يريد أنه فهم وحفظ ودقة نظر ، وان من يرجع إلى كتب علل الحديث يحكم بهذا حينما يرى اتفاق كثير من الائمة على اعلال حديث بأجوبة متقاربة تفيد جميعها - مع تفاوت عصور هؤلاء الائمة - أن الحديث ليس مستقيماً .

٢ - مقدمة ابن الصلاح : ص ٣٤ ، وانظر أقوال غيره من العلماء في اختصار علوم الحديث ص ٦٨ - ٦٩ ، وفي شرح نخبة الفكر ص ٢١ .

٣ - كيحيى بن سعيد القطان ، وابن مهدي ، وابن معين ، وابن المديني ، والامام أحمد ، والبخاري ، وأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين ، وابن عدي ، والدارقطني ، وغيرهم. انظر نشأة علوم الحديث : ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

٤ – مواطن العلة :

مواطن العلة ثلاثة :

الأول السند ، وهذا هو الكثير ، والعلة القادحة فيه قد يقتصر أثرها عليه[١] ، وقد تؤثر في المتن أيضاً[٢] ، ومما يقدح في السند والمتن اعلال السند بالوقف أو الارسال ، أو الانقطاع ، وهذا كثير في علل الحديث .

الثاني – المتن[٣] .

---

١ ـ مثال هذا حديث يعلى بن عبيد الطنافسي ، عن سفيان الثوري ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عمر ، عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « البيعان بالخيار » ، فقد غلط يعلى على سفيان في قوله عمرو بن دينار ، لأن الائمة الحفاظ من أصحاب سفيان رووه عن عبد الله بن دينار ، لا عن عمرو بن دينار . انظر تدريب الراوي ص ١٦٣ .

٢ ـ ومثال العلة الواقعة في السند والقادحة فيه وفي المتن جميعاً : حديث موسى بن عقبة ، عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من جلس مجلساً كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك ـ الا غفر له ما كان في مجلسه » . روى الحاكم النيسابوري ان الامام مسلماً جاء إلى البخاري وسأله عنه فقال هذا حديث مليح ولا أعلم في الدنيا في هذا الباب غير هذا الحديث ، إلا أنه معلول ، حدثنا به موسى بن اسماعيل ، قال : حدثنا وهيب قال : حدثنا سهل ، عن عون بن عبد الله قوله ـ أي أن الحديث المذكور من قول عون بن عبد الله لا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وهذا أولى فانه لايذكر لموسى ابن عقبة سماع من سهيل . انظر معرفة علوم الحديث : ص ١١٣ ـ ١١٤ .

٣ ـ ومثال ذلك مارواه ابراهيم بن طهمان ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ، وسهيل بن أبي صالح ، عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا استيقظ أحدكم من منامه فليغسل كفيه ثلاث مرات قبل أن يجعلها في الاناء ، فانه لا يدري أين باتت يده ، ثم ليغترف بيمينه من انائه ، ثم ليصب على شماله ، فليغسل مقعدته » قال أبو حاتم الرازي : ينبغي أن يكون (ثم ليغترف بيمينه إلى آخر الحديث) من كلام ابراهيم بن طهمان ، فانه كان يصل كلامه بالحديث فلا يميزه المستمع/علل الحديث لابن أبي حاتم ص ٦٥ ج ١ . كلام الراوي الملحق بالحديث هو الادراج ، فاذا عرف كلامه وبين أنه توضيح للحديث فلا نعتبره علة قادحة ، اما إذا سئل هل كل ماذكر هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم . فلا نعتد به لأن المحفوظ هو القسم الأول فقط . وتكون العلة قادحة فيه .

الثالث ـ المتن والأسناد معاً ، فيكون أثرها شاملاً لهما[1].

٥ ـ أشهر ما صنف في علل الحديث :

أُفردت علل الحديث بالتصنيف في أواخر القرن الثاني وطلائع القرن الثالث الهجري ، وأقدم المصنفات لم يكن مرتباً على الأبواب ، بل كان يضم كثيراً من الأحاديث المختلفة كالعلل المنقولة عن ابن معين وعلي بن المديني وغيرهما .

ثم صنف العلماء العلل على الأبواب ، وبعضهم صنفها على المسانيد . والغالب على منهج كتب العلل أن يُسأل الشيخ عن حديث من طريق معينة ، فيذكر الخطأ في سنده أو في متنه أو فيهما ، وقد يذكر بعض الطرق الصحيحة ، ويعتمد عليها في بيان علة الحديث المسؤول عنه ، ويعرف أحياناً ببعض الرواة ، ويبين أحوالهم ، قوة وضعفاً ، وحفظاً وضبطاً ، ولهذا أطلق بعض المصنفين على كتبهم اسم (التاريخ والعلل) أو (الرجال والعلل) .

وإن التزام الأئمة لهذا المنهج يعود إلى طبيعة هذا العلم وموضوعه ، الذي يعتمد اعتماداً كبيراً على الحفظ والفهم ومعرفة الطرق الكثيرة ، والمشتبه من أسماء الرواة وألقابهم وأنسابهم وأوطانهم وشيوخهم وأحاديثهم ، فحين يعرض السائل ما عنده من حديث على الجهبذ ، أو يسأله عن أحاديث معلة يجد الجواب حاضراً ، لمعرفته بالصواب ، وأقرب مثل لهـــذا قراءة القرآن بين يدي أئمة القراء ، الذين يصححون الغلط لمعرفتهم بالقراءات

---

١ ـ ومثاله مارواه بقية عن يونس ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أدرك ركعة من صلاة الجمعة وغيرها فقد أدرك » قال أبو حاتم الرازي : هذا خطأ المتن والاسناد ، إنما هو الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « من أدرك من صلاة ركعة فقد أدركها » ، وأما قوله من صلاة الجمعة فليس هذا في الحديث فَوَهَم في كليهما : انظر علل الحديث ص ١٧٢ ج ١ .

الشاذة والصحيحة ، لذلك قال بعضهم : لا تقل لي ما الحجة في قولكم كذا وكذا ، بل اذكر لي الحديث أبين لك علته .

ومن أقدم ما وصلنا من هذه المصنفات كتاب (التاريخ والعلل) للامام الحافظ يحيى بن معين (١٥٨ – ٢٣٣ هـ)[١] . وكتاب (علل الحديث) للامام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١)[٢] . و (المسند المعلل) للحافظ يعقوب بن شيبة السدوسي البصري (١٨٢ – ٢٦٢ هـ)[٣] وكتاب (العلل) للامام محمد بن عيسى الترمذي (٢٠٩ – ٢٧٩)[٤] ، وغيرها من المؤلفات الكثيرة التي ظهرت قبل القرن الرابع .

ومن أجمع ما وصلنا بعد ذلك من هذه المولفات كتاب (علل الحديث) للامام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٢٤٠ – ٣٢٧ هـ) ، وقد طبع هذا الكتاب في مجلدين بمصر سنة (١٣٤٣ هـ) . وكتاب (العلل الواردة في الأحاديث النبوية) للامام الحافظ علي بن عمر الدارقطني (٣٠٦ – ٣٨٥ هـ) ، وهذا الكتاب أجمع ما صنف في علل الحديث ، مرتب على المسانيد في اثني عشر مجلداً[٥] .

---

١ ـ توجد نسخة مخطوطة منه في خزانة دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت الرقم (١١٢ مجموع) .

٢ ـ يوجد منه جزء في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت الرقم (٤٠ مجاميع) .

٣ ـ هذا الكتاب من أعظم المسانيد التي صنفت في الاسلام إلا أن المنية اخترمت المصنف قبل اتمامه ، وقد أثنى عليه أهل العلم ثناء طيباً ، طبع قطعة منه الدكتور سامي حداد سنة (١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م) في بيروت وبها ينتهي الجزء العاشر من المسند

٤ ـ قارن بشرح علل الترمذي ص ١٣٥ : آ ، وانظر الفيلم المحفوظ لدى معهد المخطوطات بالجامعة العربية تحت الرقم (٣٢١ مصطلح) .

٥ ـ يوجد من هذا الكتاب خمس مجلدات في خزانة المخطوطات بدار الكتب المصرية تحت الرقم (٣٩٤ حديث) ونسخت عنها نسخة أخرى بتاريخ (١٣٦٠ هـ) ، وهي تحت الرقم (٢٢٠٣٢ ب) وخطها جيد .

وقبل أن نختتم الموضوع لا بد من الإشارة إلى أن بعض المحدثين قد يطلقون العلة على أسباب قادحة في الحديث غير الأسباب التي أسلفنا ذكرها ، فتطلق على كذب الراوي ، وغفلته وسوء حفظه ، ونحو ذلك من أنواع الجرح[1] . كما أطلقها بعضهم على أسباب لا تقدح في الحديث كارسال ما وصله الثقة الضابط[2] . لكل هذا وجبت الإشارة إلى استعمالهم .

* * *

١ ـ انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٣٥ ، وفتح المغيث للعراقي ص ١١٢ ، ج ١ .
٢ ـ انظر فتح المغيث للعراقي ص ١١٢ ح ١ . وتدريب الراوى ص ١٦٦ .

الباب الرابع

مُصطَلَحُ الحَديثِ

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول : الحديث الصحيح .

الفصل الثاني : الحديث الحسن .

الفصل الثالث : الحديث الضعيف

الفصل الرابع : المشترك بين الصحيح والحسن والضعيف .

بين يدي الباب :

آ ـ أقسام الحديث باعتبار عدد نقلته :

ينقسم الحديث باعتبار عدد نقلته ثلاثة أقسام :

١ ـ **الحديث المتواتر**[١] : وهو ما رواه جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه ، على أن لا يختل هذا الجمع في أي طبقة من طبقات السند .

وهذا النوع قطعي الثبوت ، وهو بمنزلة العيان ، يجب العمل بـه ، ويكفر جاحده ، والتواتر أعلى مراتب النقل .

وينقسم المتواتر إلى تواتر لفظي وتواتر معنوي ، فاللفظي ما رواه بلفظه جمع عن جمع عن جمـــع ـ لا يتوهم تواطؤهم على الكذب ـ من أوله إلى منتهاه كحديث « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

والمعنوي ما اتفق نقلته على معناه من غير مطابقة في اللفظ ، ومثـال ذلك أحاديث الشفاعة ، وأحاديث الرؤية ، وأحاديث نبـع المـاء من بين أصابعه ﷺ وغير ذلك[٢] ،

وقد فصل الاصوليون القول في المتواتر وشروطـه ، ولم يفصل أهل الحديث ذلك ، لأنه ليس من مباحث علم الاسناد ، الذي يبحث فيه عن

---

١ ـ انظر بسط ذلك في الإحكام لابن حزم ص ٩٣ ، والمستصفى ص ٨٥ ج ١ ، والإحكام للآمدي ص ٢٠ ج ٢ ، وجامع الأصول ص ٦٥ ـ ٦٨ ج ١ ، وفتاوى ابن تيمية ص ١٦ و ٤٠ ج ١٨ ، والمنهل الروي ص ٣ : ب ـ آ ، ومقدمة ابن الصـلاح ص ١٠٩ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٦ ج ٤ ، وتدريب الراوي ص ٣٧١ ، وشرح الديباج ص ٨ ، وشرح نخبـة الفكر ص ٤ ، وأصول التشريـع الاسلامي لفضيلة الأستاذ علي حسب الله ص ٣٩ الطبعة الثالثـة ، ورسوم التحديث ص ٢ : ب ، وحجـــة الله البالغة ص ١٠٤ ج ١ .

٢ ـ انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ص ١٦ ج ١٨ .

صحة الحديث ، أو ضعفه ليعمل به أو يترك ، من حيث صفات الرجال ، وصيغ الأداء . والمتواتر لا يبحث عن رجاله ، بل يجب العمل به من غير بحث وقد ثبتت بعض السنن القولية والعملية بالتواتر ، وجمع بعض المحدثين الأحاديث المتواترة في مصنفات خاصة[1] .

٢ ـ **الحديث المشهور** : وهو عند الاصوليين ما رواه من الصحابة عدد لا يبلغ حد التواتر ، ثم تواتر بعد الصحابة ومن بعدهم ، وقال ابن حجر: المشهور ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين ولم يبلغ حدّ التواتر[2] . وسنفصل القول في مفهوم المشهور عند المحدثين في الفصل الرابع من هذا الباب إن شاء الله[3] .

والمشهور دون المتواتر وهو يوجب علم طمأنينة ـ عند الحنفية ـ أي ظناً قريباً من اليقين فيجب العمل به ، لكنه لا يكفر جاحده[4] .

٣ ـ **خبر الآحاد** ، وهو ما راوه الواحد أو الاثنان فأكثر ، مما لم تتوفر فيه شروط المشهور أو المتواتر ، ولا عبرة للعدد فيه بعد ذلك ، وهو دون المتواتر والمشهور .

وحكمه وجوب العمل به ، متى توفرت فيه شروط القبول ، وعلى هذا جمهور علماء المسلمين[5] .

---

١ ـ جمع الإمام السيوطي كثيراً منها في كتابه «الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» توجد منه نسختان مخطوطتان في دار الكتب المصرية تحت الرقم (١٥١٣ حديث) و (١٢٣ م مجاميع) ، كما صنف السيد محمد بن جعفر الكتاني كتابه (نظم المتناثر من الحديث المتواتر) فيها ، وطبع بفاس سنة (١٣٢٨ هـ) .

٢ ـ شرح نخبة الفكر ص ٥ .

٣ ـ انظر ص ٣٦٠ من هذا الكتاب .

٤ ـ انظر أصول التشريع الاسلامي للشيخ علي حسب الله ص ٣٩ ـ ٤٠ ، والمدخل الى السنة وعلومها ص ٥٠ .

٥ ـ وقد اختلفوا في افادته علم اليقين أو عدم افادته . فذهب الإمام أحمد وبعض أهل الحديث وداود الظاهري وابن حزم إلى أنه يفيد العلم ويوجب العمل لأنه لا عمل من =

ومما تجدر ملاحظته أن المشهور من الأخبار يدخل في زمرة الآحاد عند غير الحنفية ، ولهذا جعل بعضهم الأخبار قسمين : متواتر وآحاد .

ب – أقسام الحديث من حيث القبول والرد :

من الطبعي أن تكون لأبحاث العلماء في مجال معرفة الاحاديث القوية من السقيمة ، ومعرفة أحوال الرواة الذين يقبل حديثهم أو لا يقبل – نتائج علمية ، واصطلاحات خاصة تدل على صحة الحديث أو ضعفه ، ومن الطبعي أن ينقسم الحديث إلى مقبول ومردود : مقبول توافرت فيه جميع شروط القبول ، ومردود : فقد تلك الشروط أو بعضها ، ومن الطبيعي أن يندرج تحت كل قسم من هذين القسمين أنواع كثيرة تتفاوت قوة وضعفاً بتفاوت أحوال الرواة والمرويات .

وقد اصطلح المحدثون على تقسيم الحديث ثلاثة أقسام : حديث صحيح ، وحديث حسن ، وحديث ضعيف . وهذا التقسيم يدل على شدة حساسية ميزان النقد لدى المحدثين .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن كثيراً من أنواع الحديث كالمسند والمتصل ، والمرفوع والمعنعن وغيرها ، قد تكون صحيحة أو حسنة أو ضعيفة ، وهذا ما سنبينه فيما بعد ، وسنفرد كل قسم من أقسام الحديث في فصل مستقل ومن الله التوفيق .

ولم نعتبر الحديث الموضوع من أقسام الحديث ، لأنه ليس في الحقيقة بحديث أصلاً ، بل بزعم واضعه أنه حديث ، وسنتكلم عنه في موضعه إن شاء الله .

= غير علم ، وذهب الحنفية والشافعية وجمهور المالكية وغيرهم إلى أنه يفيد الظن ويوجب العمل ، وأنه لا تلازم بين وجوب العمل وإفادة علم اليقين ، بل يكفي لوجوب العمل الظن الراجح ، ولكل من الطرفين أدلته . انظر بسط هذا في الإحكام لابن حزم ص٩٧ وما بعدها ، و ص ١٠٧ – ١٢٢ ج ١ ، والمستصفى ص ٩٣ – ٩٩ ج ١ ، والإحكام للآمدي ص ٤٩ – ٦٠ ج ٢ . قال الإمام الغزالي : (وما حكي عن المحدثين من أن ذلك يوجب العلم ، فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل ، إذ يسمى الظن علما) المستصفى ص ٩٣ ج ١ ونرى أن الخلاف بين الطرفين لم يؤد إلى خلاف في النتيجة ، فالجميع يوجبون العمل بخبر الآحاد إذا توفرت فيه شروط القبول .

الفصل الأول

الحديث الصحيح

أولاً ـ تعريفه :

آ ـ تعريف ابن الصلاح : قال أبو عمرو بن الصلاح[1] : (الحديث الصحيح هو المسند الذي يتصل اسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ، ولا يكون شاذاً ولا معللاً)[2] .

ب ـ تعريف الامام النووي:[3] اختصر الامام النووي تعريف ابن الصلاح، فقال: (هو ما اتصل سنده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة)[4] . والمراد

---

١ ـ هو تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح أحد أئمة الحديث والتفسير في القرن السابع ولد سنة (٥٧٧ هـ) في (شرخان) قرب (شهرزور) ثم انتقل إلى الموصل وخراسان ، وبيت المقدس ، ودمشق ، وتولى التدريس في دار الحديث بدمشق ، له مؤلفات كثيرة أشهرها (معرفة أنواع علوم الحديث) توفي بدمشق سنة (٦٤٣ هـ) رحمه الله . انظر طبقات الشافعية ص ١٣٧ ج ٥، ووفيات الأعيان ص ٣١٢ ج ١ .

٢ ـ علوم الحديث لابن الصلاح ص ٦ ، وقارن بكتاب (رصوم التحديث) للجعبري ص ٢ .

٣ ـ هو الإمام شيخ الاسلام أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف الحوراني النووي ، ولد سنة (٦٣١ هـ) في نوى وطلب العلم وبرع في علوم الاسلام ، كان ورعاً زاهداً ، قضى حياته في العلم والتصنيف ، ولم يتزوج ، زار القدس وحج ، وتوفي عام (٦٧٦ هـ) وله مؤلفات كثيرة منها (شرح صحيح مسلم) و (التقريب والتيسير) . انظر طبقات الشافعية ص ١٦٥ ج ٥ ، وتدريب الراوي ص خ - ص .

٤ ـ تدريب الراوي : ص ٢٢ .

بالعدول الضابطين رجال السند ، أي بنقل العدل الضابط عن العـــدل الضابط إلا منتهاه .

ومما تقدم يتضح أنه لا بد للحديث الصحيح من شروط خمسة هي :

١ – اتصال الاسناد . وبهذا يخرج المنقطع ، والمعضل ، والمعلق ، والمدلس وغيرها مما لم يتوفر فيه شرط الاتصال .

٢ – أن يكون رواته عدولاً ، والعدل من استقام دينه ، وحسن خلقه ، وسلم من الفسق وخوارم المروءة .

٣ – أن يكون رواته ضابطين . والضبط هو تيقظ الراوي حين تحمله وفهمه لما سمعه ، وحفظه لذلك من وقت التحمل إلى وقت الاداء ، أي أن يكون حافظاً عالماً بما يرويه إن حدث من حفظه ، فاهماً إن حدث على المعنى ، وحافظاً لكتابه من دخول التحريف أو التبديل أو النقص عليه إن حدث من كتابه ، وفي هذا احتراز عن حديث المغفّل وكثير الخطأ .

٤ – أن لا يكون المروى شاذاً ، والشذوذ هو مخالفة الثقة من هو أرجح منه .

٥ – أن يسلم المروى من علة قادحة كارسال موصول ، أو وصل منقطع ، أو رفع موقوف ونحو هذا مما بيناه في علم علل الحديث .

حـ – تعريفنا المختار :

إذا عرفنا أن العدل الضابط هو الثقة أو الثبت – يمكننا أن نقول في تعريف الصحيح : هو ما اتصل سنده برواية الثقة عن الثقة ، من أوله الى منتهاه من غير شذوذ ولا علة .

ثانياً ـ أقسام الصحيح :

ينقسم الحديث الصحيح إلى قسمين : صحيح لذاته ، وصحيح لغيره .

فالصحيح لذاته وهو الذي اشتمل على أعلى صفات القبول ، وهو الحديث الذي أسلفنا تعريفه . والصحيح لغيره : هو الحديث الذي لم تتوفر فيه أعلى صفات القبول ، كأن يكون راويه العدل غير تام الضبط ، فهذا الحديث دون الحديث السابق ، فلو عضد هذا الحديث طريق آخر مثله يكون صحيحاً لغيره ، فالصحيح لغيره ما صُحِّحَ لأمر أجنبي عنه ، إذ لم يشتمل من صفات القبول على أعلاها ، كالحديث الحسن إذا روى من عدة طرق فانه يرتقى بما عضده من درجة الحسن الى درجة الصحة [1] ، كما سنبين ذلك في الكلام عن الحسن .

ثالثاً ـ أصح الأسانيد :

اجتهد العلماء في المقارنة بين الرواة المقبولين ، ومعرفة الأسانيد التي تضم أعلى درجات القبول برواتها المشهورين بالعلم والضبط والعدالة وغير ذلك ، ورأوا أن بعض الأسانيد الصحيحة أعلى مرتبة من غيرها من الأسانيد الصحيحة أيضاً ، لتوفر أعلى درجات القبول وأكمل صفات الرواة فيها ، فأطلقوا عليها أصح الأسانيد . وقد اختلفت آراء العلماء في ذلك ، فبعضهم قال أصح الأسانيد :

١ ـ ما رواه ابن شهاب الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر .

٢ ـ وقال بعضهم أصحها ما رواه سليمان الأعمش ، عن ابراهيم النخعي ، عن علقمة بن قيس ، عن عبد الله بن مسعود .

---

١ ـ انظر شرح نخبة الفكر : ص ٨ ، وقواعد التحديث ص ٨٠ .

٣ – وقال الامام البخاري وغيره أصحها ما رواه الامام مالك بن أنس ، عن نافع مولى ابن عمر ، عن ابن عمر ، ولما كان الشافعي أجل من روى عن الامام مالك ، والامام أحمد أجل من روى عن الشافعي – ذهب بعض المتأخرين الى أن أجل الأسانيد ما رواه الامام أحمد ، عن الإمام الشافعي ، عن الامام مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنه ، ويسمى هذا الأسناد سلسلة الذهب [١] .

ورأى أبو عبد الله الحاكم تسهيلاً لمعرفة أصح الأسانيد ، وقطعاً لاختلاف العلماء في هذا أن يخصص القول في أصح الأسانيد بصحابي ، أو ببلد معين ، فيقال : أصح إسناد الصحابي فلان كذا وكذا ، وأصح أسانيد البلد الفلاني كذا وكذا [٢].

---

١ - انظر فتح المغيث للعراقي ص ١١ - ١٤ ج ١ ، وتدريب الراوي ص ٣٠-٣٣، ومعرفة علوم الحديث ص ٥٣ .

٢ - وعلى هذا ذكر الحاكم أصح الأسانيد ، فما قاله : إن أصح أسانيد أهل البيت - جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جده ، عن علي إذا كان الراوي عن جعفر ثقة .

وأصح أسانيد الصديق - اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر... ولعائشة عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة . قال ابن معين : هذه ترجمة مشبكة بالذهب . انظر معرفة علوم الحديث ص ٥٥ ، وفتح المغيث للعراقي ١٤ ، ١٥ ج ١ .

وعد الحاكم النيسابوري أصح أسانيد بعض البلاد فقال : وأصح أسانيد المكيين سفيان بن عيينه ، عن عمرو بن دينار عن جابر ، وأصح أسانيد اليمانيين : معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، وأثبت إسناد المصريين : الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامر الجهني ، وأثبت أسانيد الشاميين : عبد الرحمن ابن عمرو الأوزاعي عن حسان بن عطية عن الصحابة ، وأثبت اسناد الخراسانيين : الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريده عن أبيه . معرفة علوم الحديث ص ٥٤ – ٥٦ وانظر مزيداً من أصح الأسانيد في تدريب الراوي ص ٣٧ ، ومسند الإمام أحمد ص ١٤٩ – ١٥٠ ج ١ .

رابعاً ـ معنى قولهم : صحيح الاسناد . وأصح شيء في الباب :

عرفنا فيما سبق أن كل حديث اجتمعت فيه الشروط الخمسة السابقة ـ وهي اتصاله بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة ـ يُحكم له بالصحة ، وقد أوجب العلماء العمل به ، ولكن بعض النقاد يعدلون عن قولهم « حديث صحيح » الى قولهم « حديث صحيح الأسناد » خشية أن يكون المتن شاذاً أو معللاً ، فيصحح السند دون المتن ، وفي هذه الحالة لا تستلزم صحة الأسناد صحة المتن . قال شيخ الاسلام ابن حجر : (والذي لا شك فيه أن الامام منهم لا يعدل عن قوله « صحيح » الى قوله « صحيح الاسناد » الا لأمر ما .)[1] ، فاذا قال ذلك حافظ معتمد ولم يذكر للحديث علة قادحة ، فالظاهر صحة المتن[2] .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن بعض المتأخرين حين يصححون بعض الأحاديث يقولون « صحيح الاسناد » ويحملهم على هذا ورعهم واحتياطهم ولا نشك في أن مراد الراسخين منهم صحة الحديث .

وقد لايوجد في باب من أبواب الفقه غير حديث لم تتوفر فيه جميع شروط الصحة ، فيقول المصنف (أصح ما في الباب كذا وكذا) ، وهذا لايدل على الأصحية ، ولا على الصحة ، فقد يكون الحديث ضعيفاً ولا يوجد في الباب سواه ، ومرادهم أرجح مافي الباب أو أقله ضعفاً[3].

خامساً ـ أول من صنف في الصحيح :

عرفنا في الباب الثاني أن تدوين السنة يعود إلى القرن الهجري الأول وأن مادون منها يختلف في كمه وكيفه من عالم إلى آخر ، وأن كثيراً

---

١ ـ تدريب الراوي ص ٩٢ .

٢ ـ منهج ذوي النظر ص ٣٩ ، والتدريب ص ٩٢ .

٣ ـ انظر قواعد التحديث ص ٨٢ .

من المصنفات قد ظهر في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة ، ومن أقدم ماوصلنا من ذلك موطأ الإمام مالك رحمه الله ، ولكن مالكا لم يفرد موطأه بالصحيح فقط ، بل أدخل فيه المرسل والمنقطع والبلاغات . وإن كانت هذه الأنواع حجة عنده وعند من يقلده في ذلك إلا أنها ليست على شرط الصحيح الذي عرفناه [1] .

ففي كتابه ماهو صحيح وما هو دون الصحيح [2] . ولهذا لايمكننا أن نعتبر الموطأ أول ماصنف في الصحيح المجرد عن غيره .

ثم كان عصر الإمام البخاري الذي أجمع العلماء على صحة كتابه ، واعتبروه أول كتاب صنف في الصحيح المجرد ، ثم تبعه الإمام مسلم وغيره من العلماء من بعده في التصنيف في الصحيح المجرد ، لهذا سنخص كلًا من المصنفين بما يناسب هذا المقام .

١ ـ **الامام البخاري** (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ) [3] :

آ ـ التعريف به : هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن

---

١ ـ قال شيخ الاسلام ابن حجر : كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظرة بالاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما، لا على الشرط الذي تقدم التعريف به ، والفرق بين مافيه من المنقطع وبين ما في البخاري أن الذي في الموطأ هو كذلك مسموع لمالك غالباً ، وهو حجة عنده ، والذي في البخاري قد حذف اسناده عمداً لقصد التخفيف ان كان ذكره في موضع آخر موصولاً ، أو لقصد التنويع إن كان على غير شرطه ليخرجه عن موضوع كتابه . تدريب الراوي ص ٤١ .

٢ ـ وقد صنف حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر (٣٦٨ ـ ٤٦٣ هـ) كتاباً في وصل ما في الموطأ من المرسل والمنقطع وغيرهما .

٣ ـ أهم مصادر ترجمته : تاريخ بغداد ص ٤ وما بعدها ج ٢ ، وسير أعلام النبلاء ص ٢٣٤ ـ ٢٥٤ ج ٨ ، وتذكرة الحفاظ ص ١٢٢ وما بعدها ج ٢ ، وطبقات الحنابلة ترجمة (٣٨٧) ص ٣٧١ ـ ٣٨٠ ج ١ ، وطبقات الشافعية ص ٢ ج ٢ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر مخطوط دار الكتب المصرية النسخة التيمورية ص ١١٠ وما بعدها ج ٣٧ ، وتهذيب التهذيب ص ٤٧ وما بعدها ج ٩ ، وجامع الأصول ص ١٠٨ ج ١ ، وتاريخ الأدب العربي ص ١٦٥ ج ٣ .

المغيرة بن بَرْدِزْبَة[1] الجعفي البخاري ، ولد يوم الجمعة الثالث عشر من شهر شوال سنة (١٩٤ هـ) في مدينة بخارى ، وطلب العلم صغيراً سنة (٢٠٥ هـ) ، وقد حفظ تصانيف بعض الأئمة وهو صغير ، وسمع من شيوخ بلده ، ثم رحل مع أمه وأخيه إلى الحجاز حاجا سنة (٢١٠هـ)، وأقام في المدينة المنورة ، فألف كتابه (التاريخ الكبير) ، وهو مجاور قبر الرسول ﷺ ، وزاد على هذ الكتاب مرتين في آخر حياته .

رحل البخاري إلى شيوخ الحديث وأئمته في مختلف البلاد ، فذهب الى بغداد ، والبصرة ، والكوفة ، ومكة ، والمدينة ، والشام ، وحمص ، وعسقلان ، ومصر ، وسمع كثيراً ، وكتب عن أكثر من ألف شيخ، وقد ساعده صبره وذكاؤه ، وحبه للعلم على بلوغ مرتبة عالية في عصره، حتى أصبح امام المسلمين في الحديث ، ولقبه الأئمة بأمير المؤمنين في الحديث ، وقد اشتهر بورعه وعبادته كما اشتهر بعلمه .

كان الإمام البخاري يحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتي ألف حديث غير صحيح . وكان واسع المعرفة غزير العلم ، أحد أعلام الدنيا في معرفة الصحيح من السقيم ، ومعرفة أحوال الرجال وعلل الأخبار ، وكل مايتعلق بالحديث وعلومه .

وقد شهد له الأئمة بعلو منزلته ، وعظيم قدره[2] ، وأخباره مع شيوخه وأهل العلم ، وأخبار حفظه واتقانه — كثيرة جداً ، لايتسع المقام لذكر بعضها ، ولهذا نكتفي منها بما حصل له عندما قدم مدينة

---

١ ـ بردزبة : بفتح الباء وسكون الراء ، وكسر الدال وبعدها زاى ساكنة ثم باء مفتوحة فهاء ، ومعناه بالفارسية الفلاح أو البستاني .

٢ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ١١٣ — ١١٤ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ص ١٣١ ج ٣٧ وشرح النووي على البخاري ص ٥ : آ .

بغداد ، ففي عصره تناقل الناس أخباره ، وذاع صيته ، وسبقته سمعته ، إلى كثير من البلاد ، وعندما قدم بغداد أحب أهل الحديث إمتحانه ، فعمدوا إلى مائة حديث ، فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن حديث لإسناد غير إسناده ، وإسناد متن لمتن آخر ، ودفعوا إلى كل واحـــد عشرة أحاديث ليلقوها عليه في المجلس ، فاجتمع الناس ، وانتدب أحدهم فقام وسأله عن حديث من تلك العشرة ، فقال : لا أعرفـه ، ثم سأله عن آخر فقال : لا أعرفه . حتى فرغ من العشرة ، والبخاري يقول : لاأعرفه ، ثم انتدب آخر من العشرة ، فكان حاله معه كذلك إلى تمام العشرة ، والبخاري لايزيد على قوله : لاأعرفـه . فكان الفقهاء يلتفت بعضهم الى بعض ، ويقول : الرجل فهم . وأما غيرهم فلم يدركوا ذلك ، ولما فرغوا من إلقاء الحديث عليه ، التفت إلى الأول فقال: أما حديثك الأول فهو كذا . وحديثك الثاني كذا ، إلى آخر العشرة ، فردّ كل متن الى إسناده [1] ، وفعل بالثاني مثل ذلك إلى أن فرغ ، فأقر له الناس بالحفظ والضبط والإتقان ، وإزداد بعض الحاضرين إعجاباً به ، لا لأنه أدرك الصواب فقط ، بل لسرده جميع الأحاديث التي ألقيت عليه مرتبة كما سمعها .

لقد كان الامام البخاري أحد أعلام الدنيا في الحفظ والإتقان ، وقد أجمعت جميع المصادر التي ترجمت له على ذكر هذا الخبر ، ولهذا لانعجب حين يذكر الخطيب البغدادي أن مجلس البخاري كان يضم في بغداد نيفا وعشرة آلاف انسان .

خرج البخاري في آخر حياته إلى قرية (خرتنك) وهي على فرسخين من (سمرقند) ، فتوفي بها في (٣٠) رمضان سنة (٢٥٦ هـ) رحمه الله .

---

١ - أي ذكر كل حديث كما سمعه خطأ ثم ذكر صوابه ، وهذا دليل واضح على سرعة حفظه ، وعلى رسوخه في الحديث النبوي الشريف .

ب ـ الجامع الصحيح :

ترك الإمام البخاري نحواً من عشرين مؤلفـــاً في الحديث وعلومه ورجاله ، وفي غيره من علوم الإسلام ، أشهرها الجامع الصحيح ، المشهور بصحيح البخاري .

يعتبر صحيح البخاري أول كتاب صنف في الحديث الصحيح فقط ، وقد جمع فيه البخاري (٩٠٨٢) حديثاً [٢] ـ بما فيه من مكرر ـ اختارها من ستمائة ألف حديث ، فبذل جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً خلال ست عشرة سنة حتى تم له تصنيفه على الوضع الذي بين أيدينا ، ولم يضع فيه حديثاً إلا وصلى ركعتين ، قال رحمه الله : (جعلته حجة بيني وبين الله سبحانه) .

وقد سمع كتاب البخاري تسعون ألف رجل من أهل عصره .

ح ـ شرط البخاري في صحيحه :

لم ينص الامام البخاري على الشرط الذي أخرج بموجبه أحاديث كتابه ولكن العلماء استنبطوا ذلك من منهجه ، وكل منصف يرى أن البخاري إختار رواته ممن اشتهروا بالعدالة والضبط والاتقان ، وهذا لايخفى على

---

٢ ـ انظر مقدمة فتح الباري ص ٤٦٥ ـ ٤٧٠ ، وقارن بمقدمة ابن الصلاح ص٨ وبتدريب الراوي ص ٤٩ ـ ٥٠ ، وقد أطلعني العلامةالمحقق الاستاذ محب الدين الخطيب مساء يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٨٤ هـ الموافق ٢١ /٧/ ١٩٦٤ م في القاهرة ـ على مسودة الاحصاء الدقيق الذي قام به الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي لاحاديث البخاري ، فكان عدة مافيه بالمكرر (٧٥٦٣) حديثاً سوى التعاليق والمتابعات والموقوفات والمقطوعات ، وفيه بحذف المكرر (٢٦٠٧) أحاديث ، ويعتبر هذا الاحصاء من أصح الاحصاءات وأحدثها ، لما نعرف من دقة الأستاذ فؤاد عبد الباقي وخدمته لكتب السنة ، ولهذا فقد اعتمد فضيلة الأستاذ محب الدين الخطيب هذا الاحصاء في ترقيم أحاديث شرح صحيح البخاري بقلمه ، وفتح الباري ، والكتابان تحت الطبع لما ينتهيا حتى الآن ، نرجو أن يتم طبعهما قريباً بعد أن خدمها الأستاذان الجليلان ليفيد منها أهل العلم والمتطلعون الى المعرفة .

عالم ، كما لايخفى منهجه الخاص في كتابه ، الذي يدل على عظيم فهمه وسعة علمه ، وقوة استنباطه .

وكما استقرأ العلماء شرط البخاري من منهجه استنبطوه أيضاً من اسم كتابه ، فقد سماه « الجامع الصحيح المسند المختصر من امور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » .

فعلم من قوله (الجامع) أنه يجمع الأحكام والفضائل والإخبار عن الأمور الماضية والآتية والآداب والرقائق وغير ذلك .

ومن قوله (الصحيح) أنه احترز عن إدخال الضعيف في كتابه ، وقد صح عنه أنه قال (ما أدخلت في الجامع إلا ماصح) .

ومن قوله (المسند) أن مقصوده الأصلي تخريج الاحاديث المتصل إسنادها بالصحابة إلى الرسول ﷺ . من قول ، أو فعل ، أو تقرير . وأن ماوقع في الكتاب من غير ذلك فإنما وقع تبعاً وعرضاً لا أصلاً ومقصوداً [1] .

ولم يكتف الامام البخاري بأن يعاصر الراوي من يروي عنه ، بل أوجب ثبوت لقائه له ولو مرة واحدة ، ومن هنا قال العلماء : للبخاري شرطان : شرط المعاصرة ، وشرط اللقاء ، في حين أن الامام مسلماً قد اكتفى بالمعاصرة ، وهذا لايوهن شرط مسلم ، لأن الثقة لايروي عن شيخ إلا ماسمعه منه ، كما لايروي عمن لم يسمعه ، ولكن هذا زيادة تشدد من الامام البخاري ، فهو لايرضى خبراً إلا إذا صرح الراوي بسماعه ممن فوقه ، أو ثبت لقاؤه لمن يروي عنه إذا قال (عن فلان) ، لأن عن لاتفيد السماع عنده [2] .

---

١ - انظر التوشيح على الجامع الصحيح مخطوط دار الكتب المصرية ص ١ - ٢ ، وقارن بمقدمة فتح البارى ص ٦ .

٢ - انظر التوشيح على الجامع الصحيح ص٢ ، وشروط الائمة الستة ص ١ ومابعدها وتدريب الراوى ص ٤٢ وما بعدها .

فبجموع تلك الصفات وصف الأئمة صحيح البخاري قديماً وحديثاً بأنه أصح الكتب المصنفة في الحديث ، بل إنه أصح كتاب بعد القرآن الكريم ، وأجمع الائمة من أهل الحديث على أن جميع ما فيه من المتصل المرفوع صحيح ، وتلقته الامة بالقبول ، فعكف الناس على دراسته وحفظه ، كما عكف كثير من الائمة والعلماء على شرحه وبيان ما تضمنه من علوم وفوائد ، فكان كتاب البخاري هذا محل حفظ وعناية ودراسة وتقدير من الامة الاسلامية وعلمائها ، لما فيه من فوائد كثيرة ، واستنباطات فقهية جيدة لا توجد في كتاب مثله[1] .

٢ – الامام مسلم (٢٠٤ – ٢٦١): [2]

آ – التعريف به : هو حجة الاسلام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ولد سنة (٢٠٤ هـ) وقيل سنة (٢٠٦ هـ) ، وطلب العلم صغيراً سنة (٢١٨ هـ) ، فسمع شيوخ بلده ، ثم رحل في طلب العلم ، فدخل بغداد مراراً ، ولقي كثيراً من أئمة الحديث وحفاظه أثناء رحلاته إلى الحجاز ، والعراق ، والشام ، ومصر وغيرها ، وتردد على البخاري كثيراً عندما قدم

---

١ – انظر نشأة علوم الحديث ومصطلحه ص٣٢٦ وما بعدها ، ومقدمة فتح البارى ص ٤ ، وتدريب الراوى ص٤١وما بعدها ، ورسالةشرح تراجم أبواب صحيح البخارى للدهلوى ص ٥ وما بعدها .

٢ – أهم مصادر ترجمته والتعريف بكتابه : تاريخ بغداد ص ١٠ – ١٤ ج ١٣ ، تذكرة الحفاظ ص ١٥٠ – ١٥٢ ج ٢ ، تهذيب التهذيب ص ١٢٦ ج ١٠ ، والبداية والنهاية ص ٣٣ ج ١١ ، ومقدمة صحيح مسلم ص ٣ومابعدهاج١ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ص ١٠ ج ١ ، وشرح علل الحديث لابن رجب ص ٤ : آ ، ص٦٧ : آ – ب ، ص ١٠٨ آ ، والباعث الحثيث ص ٢٢ ، والمنهل الروى ص ٤ وما بعدها ، وتدريب الراوى ص ٤٢ ، وفتح المغيث للعراقي ص ١٥ ج ١ ، وفتح المغيث للسخاوي ص ١١ ، وشروط الائمة السته للمقدسي ، وشروط الائمة الخمسة للحازمي، وجامع الاصول ص ١٠٩ – ١١١ وتاريخ الادب العربي ص ١٧٩ – ١٨٥ ج ٣ .

الامام البخاري نيسابور ، وعرف فضله وسعة علمـــه ، وروى عن الامام أحمد بن حنبل ، وعن شيخ البخاري اسحاق بن راهويه وعن كثير غيرهما .

وروى عن الامام مسلم كثير من أهل العلم ، منهم الامام الترمذي ، وابن خزيمة ، ويحيى بن صاعد ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم .

بلغ الامام مسلم منزلة رفيعة في العلم ، وكان بعض الائمة يقدمه في معرفة الصحيح على مشايخ ذلك العصر ، وقد أثنى عليه معاصروه ، وجمهور أهل العلم من بعده .

توفي الامام مسلم رحمه الله في (٢٥ رجب من سنة ٢٦١هـ) في (نصر آباد) احدى قرى نيسابور . وترك نيفاً وعشرين مصنفاً في الحديث وعلومه ، تدل على رسوخه في هذا العلم ، كما تدل على فهمه وسعة اطلاعه[١].

ب – صحيح مسلم :

صنف الامام مسلم كتابه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة ، واستغرق في تهذيبه وتنقيحه خمس عشرة سنة ، قال الامام مسلم : (ما وضعت شيئاً في كتابي هذا إلا بحجة ، وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة) ، وقال : ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا ، إنما وضعت ما أجمعوا عليه . يريد ما وجد عنده فيها شرائط الصحيح المجمع عليه[٢] .

وقد استفاد من خبرة علماء عصره ، فعرض كتابه على أبي زرعة الرازي ، فكل ما أشار أنّ له علة تركه ، وكل ما قال انه صحيح وليس له علة خرجه في كتابه .

---

١ – انظر تذكرة الحفاظ ص١٥٢ ، وتاريخ الادب العربي ص ١٧٩ – ١٨٥ ج ٣.

٢ – انظر تدريب الراوي ص ٤٦ ، والمنهل الروى ص٥ : آ ، وفتح المغيث للعراقي ص ١٧ ج ١ .

وعدة أحاديث صحيح مسلم دون المكررات (٣٠٣٠) حديثاً ويبلغ مجموع ما فيه من طرق الأحاديث المختلفة نحو عشرة آلاف حديث[٣] .

حـ ـ شرط الامام مسلم في صحيحه :

عندما تكلمنا عن شرط البخاري في صحيحه تناولنا شرط مسلم في صحيحه ، فلم ينص واحد منهما على شرطه ، وإنما استنبط العلماء شرطيهما من منهجيهما في تخريج أحاديث صحيحيهما ، ويحسن بنا أن نؤكد هنا أن كلا منهما أخرج ما توفرت فيه شروط الصحة ، من اتصال السند بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط من أوله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة .

واختلف الامام مسلم عن الامام البخاري في أنه حكم للاسناد المعنعن بالاتصال ، وذكر ذلك في مقدمة صحيحه ، ورأى أن المعاصرة تكفي لقبول الرواية عنعنة ، وإن لم يثبت اجتماع الراوي والمروى عنه ، ولم يحمل الامام البخاري هذا على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما . ورأى الامام مسلم أن الراوي الثقة لا يروى إلا عمن سمع منه ، ولا يروى عمن سمع منه إلا ما قد سمعه .

وخلاصة القول أن الامام مسلماً اكتفى بمعاصرة الراوي لمن يروى عنه (عنعنة) ، في حين أن الامام البخاري لم يكتف بالمعاصرة ، وشرط لقاءهما ولو مرة واحدة .

وقد أسلفت أن شرط الامام مسلم لا يحط من منزلة كتابه ، وإن كان شرط البخاري أشد ، فقد خرجا ما توفرت فيه شروط الصحة .

٣ ـ الموازنة بين الصحيحين :

لقد بذل الشيخان البخاري ومسلم ما في وسعهما في تصنيف صحيحيهما

---

٣ ـ انظر نشأة علوم الحديث ص ٣٢٨ .

تصنيفاً علمياً دقيقاً ، يقوم على شروط الصحة التي لا يختلف فيها أئمة هذا الشأن ، فتلقتها الأمة بالقبول ، وأجمع أهل العلم على أنهما أصح كتابين بعد القرآن الكريم ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (ليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن)[1] .

وقال الامام الدهلوي : (أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع ، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما ، وأن كل من يُهون أمرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين)[2] .

ومما لا شك فيه أن لكل من الصحيحين ميزات خاصة به ، فقد ترجم الامام البخاري لأبواب كتابه ، وكرر بعض الأحاديث في مواضع مختلفة لفوائد رآها ، وقطع بعض الأحاديث وجعلها في مواضع عدة لبيان حكم أو زيادة فائدة ، أو توكيد اتصال سند وغير ذلك . ولم يعمد الامام مسلم إلى ذلك بل جمع طرق الحديث في مكان واحد بأسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فسهل بذلك تناوله .

وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى تقديم صحيح البخاري على صحيح مسلم ، وخالف ذلك طائفة من علماء المغرب ، وقال بعضهم إنما قدم المغاربة صحيح مسلم على صحيح البخاري لأن الأول جمع طرق الأحاديث في مكان واحد مما يسهل الرجوع إليها ، واستنباط الأحكام منها . وهذا التقديم لا يقتضي أن صحيح مسلم أصح من صحيح البخاري ، وجمهور أهل العلم على تقديم صحيح البخاري على صحيح مسلم لكثرة ما ضمنه من فوائد ، ولأسباب أخرى يضيق المقام بذكرها[3].

---

١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ص ٧٤ ج ١٨ .

٢ - حجة الله البالغة ص ١٠٦ ج ١ .

٣ - انظر نشأة علوم الحديث ومصطلحه ص ٣٣٤ وما بعدها .

وأنصف بعض العلماء في قوله :

تشاجر قوم في البخاري ومسلم لديَّ وقالوا : أي ذين تقدم
فقلت : لقد فاق البخاري صحة كما فاق في حسن الصناعة مسلم

٤ ـ هل استوعب الصحيحان الحديث الصحيح ؟

يحسن بنا أن نشير هنا الى أن البخاري ومسلماً لم يقصد أحدهما استيعاب الحديث الصحيح في كتابه ، بدليل ما ينقل الترمذي وغيره عن البخاري تصحيح أحاديث ليست في كتابه ، بل في السنن وغيرها ، وقد قال الامام البخاري : ما أدخلت في كتاب الجامع الا ما صح ، وتركت من الصحاح مخافة الطول [١] .

وقال مسلم ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا ، وانما وضعت ما أجمعوا عليه ، يريد ما وجد عنده فيها شرائط الصحيح المجمع عليه .

والحق أنه لم يفت الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي الا اليسير [٢] وهذا اليسير يوجد في كتب السنن والمسانيد ، وفي المصنفات المختصة بجمع الصحيح فقط ، كصحيح ابن خزيمة (ـ ٣١١ هـ) ، وصحيح ابن حبان (ـ ٣٥٤ هـ) ، وكتاب ، المستدرك على الصحيحين لابي عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١ ـ ٤٠٥ هـ) .

٥ ـ مراتب الصحيح بالنسبة للصحيحين [٣] :

يتبين لنا من شروط الصحيحين أن لما خُرّج فيها مراتب متفاوته ،

---

١ ـ غرضه لم يذكر جميع طرق الحديث الواحد .

٢ ـ انظر تدريب الراوي ص ٤٧ ، والمنهل الروي ص ٥ : آ ، وفتح المغيث للعراقي ص ١٧ وما بعدها ج ١ .

٣ ـ انظر مقدمة ابن الصلاح ص ١١ ـ ١٢ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٢٣ ـ ٢٤ ج ١ وتدريب الراوى ص ٦٤ .

وان كانت كلها صحيحة ، وذهب العلماء الى بيان هذه المراتب كما يلي :

المرتبة الاولى : صحيح أخرجه البخاري ومسلم جميعاً ، وهذا مايقول فيه أهل الحديث (متفق عليه) .

المرتبة الثانية : صحيح انفرد به البخاري عن مسلم .

المرتبة الثالثة : صحيح انفرد به مسلم عن البخاري .

ويلي هذه المراتب :

١ ــ الصحيح الذي على شرطيها ولم يخرجاه .

٢ ــ الصحيح الذي على شرط البخاري ولم يخرجه .

٣ ــ الصحيح الذي على شرط مسلم ولم يخرجه .

٤ ــ ما كان صحيحاً عند غيرهما وليس على شرط واحد منهما (١) .

٦ ــ السنن الاربعة :

بعد هذا نرى من المناسب أن نذكر هنا كتب السنن الاربعة ، وان لم يشترط مصنفوها تجريد الصحيح فيها ، بل اخرجوا الصحيح والحسن وبعض الضعيف وبينوا ضعفه ، وقد آثرنا الكلام عن كتب السنن هنا دون ارجائه الى بحث (الحسن) كي يكون الكلام عن أشهر كتب الحديث متصلا ، ، ولنكون قريبي عهد بشروط الصحيحين ، وبخاصة ان العلماء نصوا على أنه لم يفت الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي من الصحيح الا اليسير ، وأن الزيادة على الصحيحين تؤخذ من هذه الكتب اذا نص مصنفوها على صحتها .

---

١ ــ والمراد ما توفرت فيه شروط الصحة إلا أن رواته ليسوا من رجال البخارى أو مسلم .

٣ ـ أبو داود السجستاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ) [١] :

هو الامام الثبت سيد الحفاظ سليمان بن الاشعث بن اسحاق الازدي السجستاني ، صاحب كتاب السنن المشهور ، ولد أبود داود سنة (٢٠٢ هـ) ، وطلب العلم صغيراً ، ثم رحل الى الحجاز والشام ومصر ، والعراق ، والجزيرة ، وخراسان ، ولقي كثيراً من أئمة الحفاظ ، فسمع من أبي عمرو الضرير ، ومن القعنبي ، وأبي الوليد الطيالسي ، وسليمان بن حرب ، والامام احمد بن حنبل وغيرهم .

كان أبو داود من العلماء العاملين ، وشبهه بعضهم بالامام احمد ، كان على درجة رفيعة من العبادة والعلم والورع .

دخل ابو داود بغداد مراراً ، وآخر مرة دخلها سنة (٢٧٢ هـ) ، ودعاه أمير البصرة اخو الخليفة الموفق ان يقيم بالبصرة بعد فتنة الزنج ، لتعتمر من العلم بسببه ، حين يأتيه طلاب الحديث من كل حدب وصوب ، فنزل بها ، وتوفي فيها في (١٦) شوال من سنة (٢٧٥ هـ) رحمه الله ، ودفن الى جانب قبر سفيان الثوري .

ترك أبو داود مصنفات كثيره في الحديث خاصة ، وفي بعض علوم

---

١ ـ أهم مصادر ترجمته والتعريف بكتابه : تاريخ بغداد ص ٥٥ ج ٩ وما بعدها ، وتذكرة الحفاظ ص ١٤٢ ج٢ ، وسنن أبي داود، ورسالة أبي داود إلى أهل مكة بتحقيق الشيخ زاهد الكوثري ، ومعالم السنن للخطابي ص ١٠ ـ ١١ ج ١ ، ومختصر سنن أبي داود للمنذري ،وتهذيب ابن القيم لمختصر المنذري ، والتحفة المرضية ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ، وفهرست ابن خير ص ١٠٩ ـ ١١٠ ، والمعجم المفهرس لابن حجر ص ٥١ ج ١ مصور دار الكتب تحت الرقم (٤٥٤) مصطلح ، وشروط الأئمة الستة ص١٢ ، وشروط الأئمة الخمسة ص ٥٣ وما بعدها ، وجامع الأصول لابن الأثير ص ١١١ ـ ١١٣ ج ١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ص ٥٤ ـ ٥٥ ج ١١ .

الشريعة بوجه عام ، وتبلغ مؤلفاته اثني عشر مصنفاً[1] ، أشهرها كتاب السنن الذي سنخصه بالبحث .

صنف أبو داود سننه على أبواب الفقه واقتصر فيها على السنن والأحكام ، فلم يذكر في كتابه القصص والمواعظ والأخبار ، والزهد وفضائل الأعمال وغيرها .

وكان أبو داود قد كتب خمسمائة ألف حديث ، انتخب منها أربعة آلاف وثمانمائة حديث ضمنها كتابه ، وعدة ما فيه بالمكرر (٥٢٧٤) حديثاً[2] .

وقد بين أبو داود منهجه في كتابه فقال : (ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ، وما كان فيه وهن شديد بينه) ، وقال أيضاً : (وليس في كتاب السنن الذي صنفته عن رجل متروك الحديث شيء ، وإذا كان فيه حديث منكر بينت أنه منكر ، وليس على نحوه في الباب غيره) .

وعلى هذا فقد أخرج أبو داود في كتابه الصحيح وما دونه ، وبين ما فيه وهن شديد ، وقد أقبل الناس على سننه واستفادوا منها ، وأثنوا عليها ، قال ابن الاعرابي : (لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله ثم هذا الكتاب لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بتة)[3] ، وأثنى عليه كثير من أهل العلم ، لهذا احتل كتاب السنن لأبي داود المكان الأول بعد الصحيحين .

---

١ - انظر فهرست ابن خير ص ١٠٩ ، ١١٠ والمعجم المفهرس ص ٥١ ج ١ ، وتاريخ الادب العربي ص ١٨٨ ج ٣ .

٢ - انظر سنن أبي داود بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، فقد أعطى أرقاماً لجميع طرق الحديث .

٣ - معالم السنن للخطابي : ص ١٢ ، ج ١ .

٣ ـ الامام الترمذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩ هـ)[1]

هو الامام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، ولد بعد سنة مائتين في قرية (بوج) من قرى ترمذ على نهر جيحون ، وطلب العلم صغيراً ، ورحل في سبيل ذلك إلى العراق والحجاز وخراسان وغيرها ، ولقي كبار أئمة الحديث وشيوخه ، وسمع منهم ، وروى عنهم ، ومن أشهرهم الامام البخاري ، وبه تخرج وأخذ فقه الحديث عنه ، ومسلم ، وأبو داود ، وسمع من بعض شيوخ هؤلاء مثل قتيبة بن سعيد ، ومحمد بن بشار وغيرهما ، وروى عنه كثير من أهل العلم .

كان الترمذي من أئمة الحفاظ الذين اشتهروا بالضبط والاتقان ، وقد شهد له معاصره بسرعة حفظه ، وكان على جانب عظيم من الزهد والورع ، بكى حتى ابيضت عيناه ، وبقي ضريراً سنين آخر عمره .

ومما يدل على سمو منزلته قول الامام البخاري له : (ما انتفعتُ بك أكثر مما انتفعت بي) ، وقال ابن حبان : كان أبو عيسى ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر ، وقال غيره : مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد .

توفي رحمه الله بترمذ ليلة الاثنين (١٣) رجب سنة (٢٧٩ هـ) وله سبعون عاماً .

ترك الترمذي مؤلفات عدة في الحديث وغيره ومن أشهر مصنفاته في

---

١ ـ أم مصادر ترجمته والتعريف بكتابه : جامع الأصول ص ١١٤ ج ١ ، وتذكرة الحفاظ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ج ٢ ، والبداية والنهاية ص ٦٦ ـ ٦٧ ج ١١ ، وتهذيب التهذيب ص ٣٨٧ ـ ٣٨٩ ج ٩ ، وشروط الأئمة الستة للمقدسي ، وشروط الأئمة الخمسة للحازمي ص ٤٣ ، وتدريب الراوي : ص ٩٥ وما بعدها ، وسنن الترمذي بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر .

الحديث كتابه (الجامع) المشهور بسنن الترمـــذي . وهو من أحسن الكتب وأكثرها فائدة ، وأقلها تكراراً ، وقد اشتهر هذا الكتاب بسنن الترمذي ، كما عرف باسم (جامع الترمذي) ، وتساهل بعضهم فأطلق عليه اسم (الجامع الصحيح)[1] .

أخرج الترمذي في كتابه الصحيح والحسن والضعيف والغريب ، والمعلل وكشف عن علته ، كما ذكر المنكر وبين وجه النكارة فيه ، ولم يخرج عن متهم بالكذب متفق على اتهامـه — حديثاً باسناد منفرد ، وهو في كل هذا يبين درجة ما يخرجه ، فليس في صنيعه ما يوهن كتابه ، وقد جمع الترمذي الفقه إلى جانب علمه بالحديث وعلله ورجاله وعلومه ، وكل هذا واضح في سننه .

قال الترمذي : صنفت هذا الكتاب ، فعرضته على علماء الحجـــاز والعراق ، وخراسان ، فرضوا به ، ومن كان في بيته فكأنما في بيته نبي يتكلم .

ورأينا أن جامع الترمذي مثال جيد للتطبيق العملي الذي كان يقوم به المحدثون من أجل معرفة الصحيح ، والحسن والضعيف والكشف عن علل الأحاديث ، واستنباط الاحكام حيناً ، ومعرفة الثقات من المتروكين أحياناً ، وغير ذلك وبهذا جمع هذا الكتاب فوائد كثيرة ، قد لا نجد معظمها في الكتب الاخرى التي استغنت عن أكثر ذلك بالتزامها تخريج الصحيح فقط . والترمذي لم يلتزم هذا ، فكان كتابه مثالاً مستقلاً في التصنيف ، لم يسبق إليه[2] . وإلى جانب ما ذكرت ، فقد حفظ لنـا

---

١ - انظر الباعث الحثيث : ص ٢٢ .

٢ - نرى من المناسب أن نذكر حديثاً مما أخرجه الإمام الترمذي في سننه ، قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي ، حدثنا أبو تُمَيْلَة ، حدثنا أبو حمزة عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من أذّن سبع سنين محتسباً كتبت له براءة من النار ». =

هذا الكتاب كثيراً من اصطلاحات المحدثين في أحكامهم على الرواة والمرويات ، مما يزيدنا ثقة بقدم هذه المصطلحات ورسو قواعد علوم الحديث قبل عصره ، كما أن الترمذي جمع بين بعض المصطلحات جمعاً لم يسبق إليه في قوله (صحيح حسن) و (صحيح غريب) وغير هذا مما سنبينه في الفصل التالي .

٣ ـ الامام النسائي (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ)[1] :

هو الامام الحافظ شيخ الاسلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني ، النَسَائي بفتح النون والسين نسبة إلى بلدة نساء بخراسان . ولد سنة (٢١٥ هـ) وطلب العلم صغيراً ، ورحل في طلب الحديث وله خمس عشرة سنة ، وسمع كبار علماء عصره في بلده وفي الحجاز ، والعراق ، ومصر والشام والجزيرة ، ثم استوطن مصر ، وبرع في هذا الشأن ، وتفرد بالمعرفة والاتقان ، وعلو الاسناد[2] ، فحدث عنه كثيرون. وإلى جانب علمه بالحديث وعلومه ، كان فقيهاً شافعي المذهب .

= قال الترمذي : وفي الباب عن عبد الله بن مسعود ، وثوبان ، ومعاوية ، وأنس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد . وقال : حديث ابن عباس حديث غريب . وأبو تميلة اسمه « يحيى بن واضح » .

وأبو حمزة السكري اسمه « محمد بن ميمون » .

وجابر بن يزيد الجعفي ضعفوه ، تركه يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي .

قال الترمذي : سمعت الجارود : يقول : لولا جابر الجعفي لكان أهل الكوفة بغير حديث ، ولولاحماد لكان أهل الكوفة بغير فقه . سنن الترمذي ص ٤٠٠ ـ ٤٠١ ج ١ .

١ ـ أهم مصادر ترجمته والتعريف بكتابه: تذكرة الحفاظ ص ٢٤١ ج ٢ ، وجامع الأصول : ص ١١٥ ـ ١١٦ ج ١ ، وفهرسة ابن خير ص ١٤٥ ـ ١٤٨ ، والبداية والنهاية ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ج ١١ ، وطبقات الشافعية ص ٨٣ ـ ٨٤ ج ٢ ، وشروط الأئمة الخمسة للحازمي ، وشروط الأئمة الستة للمقدسي ، وتوضيح الأفكار ص ٢١٩ ج ١ وزهر الربى على المجتبى ص٣ج ١ ، وسنن النسائي بحاشية السندى،وتدريب الراوي ص٩ ٤.

٢ ـ لأنه سمع من بعض شيوخ البخاري كاسحاق بن راهوية .

كان كثير العبادة في الليل والنهار ، متمسكاً بالسنة ، ورعاً متحرياً ، وكان شهماً ذا مروءة .

والراجح في وفاته أنه خرج من مصر في شهر ذي القعـــدة سنة (٣٠٢ هـ) وتوفي بفلسطين بالرملة يوم الاثنين (١٣) صفر سنة (٣٠٣ هـ) ، ودفن في بيت المقدس رحمه الله .

صنف النسائي نحو خمس عشرة مؤلفاً جلها في الحديث وعلومه ، وأشهرها كتابه السنن .

صنف النسائي سننه ولم يخرج فيها عن راو أجمع النقاد على تركه ، فهي لهذا تضم الصحيح والحسن والضعيف ، وسمى كتابه هذا (السنن الكبرى) ، وقد قدمه إلى أمير الرملة ، فقال له : أكل ما فيها صحيح ؟ فقال : فيها الصحيح والحسن وما يقاربها ، فقال له : فاكتب لنا الصحيح منه مجرداً ، فاستخلص من السنن الكبرى « السنن الصغرى » وسماها (المجتبى من السنن) وقيل المجتنى ، والمعنى واحد .

والسنن الصغرى أقل السنن حديثاً ضعيفاً ، وهي التي بين أيدينا اليوم ، وهي التي يعتمد عليها المحدثون في رواياتهم عن النسائي .

وعدة أحاديث المجتبى (٥٧٦١) خمسة آلاف وسبعمائة وواحد وستون حديثاً[١] .

وبالجملة فكتاب السنن للنسائي أقل الكتب بعد الصحيحين حديثاً ضعيفاً ، ورجلًا مجروحاً[٢] . وهو برتبة سنن أبي داود أو قريب منها ، لما عرف عن النسائي من شدة التحري ، واستقامة منهجه في كتابه ، غير أن أبا داود

---

١ ـ انظر سنن النسائي بالتعليقات السلفية بتحقيق فضيلة الأستاذ محمد عطـــاء الله الفوجياني الأثر تسري . طبع المطبعة السلفية بلاهور في باكستان سنة ١٣٧٦ هـ .

٢ ـ انظر شرح السندي على سنن النسائي : ص ٣ ج ١ .

أكثر اعتناء بزيادة المتون وألفاظ الحديث التي يعتني بها محدثو الفقهاء[1] . ولهذا كان كتاب النسائي ثاني السنن الاربعة .

٤ – الامام ابن ماجه القزويني (٢٠٩ – ٢٧٣ هـ)[2] :

هو الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القَزْويني (ابن ماجه) ، وماجه لقب أبيه ، ولد ابن ماجه سنة (٢٠٩ هـ) في قزوين ، وطلب العلم في مطلع شبابه ، ورحل إلى العراق ، والحجاز ، ومصر ، والشام وغيرها من البلاد ، ولقي كثيراً من شيوخها ، فسمع من أئمة عصره أمثال محمد بن عبد الله بن نمير وطبقته ، وروى عنه خلق كثير . قال الخليلي: (ابن ماجه ثقة كبير ، متفق عليه ، محتج به ، له معرفة وحفظ) .

كان ابن ماجه على درجة رفيعة من العلم ، فكان محدث قزوين في عصره وشيخها في التفسير . توفي في (٢٢) رمضان سنة (٢٧٣ هـ) رحمه الله .

صنف ابن ماجه في التفسير ، والحديث ، والتاريخ ، وأشهر كتبه كتاب السنن ، وقد صنفه على أبواب الفقه كما هو الشأن في صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والنسائي والترمذي ، ولم يلتزم فيه اخراج الصحيح فقط ، فجمع كتابه بين الصحيح والحسن ، والضعيف والواهي . لهذا لم يدخل كثير من العلماء كتابه في الكتب الستة قبل القرن السادس .

---

١ ـ انظر شرح علل جامع الترمذي : ص ٧٣ : ب .

٢ ـ أهم مصادر ترجمته والتعريف بكتابه : شروط الأئمة الستة للمقدسي ، وشروط الأئمة الخمسة للحازمي ، ووفيات الأعيان : ص ٤٠٧ ج ٣ ، وتذكرة الحفاظ : ص ١٨٩ ج ٢ ، وتهذيب التهذيب ص ٥٣٠ – ٥٣٢ ج٩ ، وفتح المغيث ص ٣٣ ، والبداية والنهاية ص ٥٢ ج ١١ ، وتوضيح الأفكار ص ٢٢٢ ج ١ ، وتدريب الراوي ص ٤٩ ، وسنن ابن ماجه بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، والرسالة المستطرفة .

وأول من ضم سنن ابن ماجه إلى الكتب الخمسة – أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي (٤٤٨ – ٥٠٧ هـ) في كتابه أطراف الكتب الستة ، وبهذا أصبحت كتب الحديث المعتمدة ستة . وتابعه على ذلك أهل العلم من بعده .

وكان العلماء قبل ذلك ، وبعضهم بعد ذلك[1] – يعدون الاصل السادس كتاب الموطأ للامام مالك ، لأنه أصح من سنن ابن ماجه .

وإنما قدم العلماء سنن ابن ماجة على الموطأ – مع أنه أصح منها – لما في السنن من زوائد على الكتب الخمسة ، بخلاف الموطأ ، فجل ما فيه موجود في الكتب الخمسة إلا القليل منه . فلم يقدم كتاب ابن ماجه على الموطأ لأنه أصح منه ، بل لكثرة الزيادات التي فيه .

وقد خدم الاستاذ المحقق محمد فؤاد عبد الباقي سنن ابن ماجه خدمة علمية طيبة ، فحقق أصولها وخرج أحاديثها ، فكانت جملة أحاديث هذا الكتاب (٤٣٤١) حديثاً ، منها (٣٠٠٢) ثلاثة آلاف حديث وحديثان أخرجها أصحاب الكتب الخمسة كلهم أو بعضهم ، وباقي الاحاديث وعددها (١٣٣٩) حديثاً هي الزوائد على ما جاء في الكتب الخمسة . وقد بين الاستاذ عبد الباقي درجة هذه الزوائد ، فسهل على أهل العلم البحث ومشقة التحري والتثبت ، جزاه الله عن المسلمين كل خير .

---

١ – ممن اعتبر الموطأ أحد الكتب الستة دون سنن ابن ماجه أبو الحسن رزين بن معاوية السرقسطي (– ٥٣٥ هـ) في كتابه (التجريد للصحاح الستة) ، وتبعه على ذلك الامام أبو السعادات مبارك بن محمد (ابن الأثير) الجزرى المتوفى سنة (٦٠٦ هـ) في كتابه (جامع الأصول) .

٧ – مسند الامام أحمد :

بعد أن وقفنا على كتب الصحاح والسنن الأربعة ، أرى من المناسب أن أتحدث عن مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ – ٢٤١ هـ) ، أحد أعلام أئمة الفقه والحديث ، وهذا المسند من أعظم ما دون في الاسلام ، ومن اجمع كتب الحديث التي كتب لها البقاء ، والوصول إلينا ، سلك فيه مصنفه مسلكاً يغاير مسالك المصنفين في الحديث على الأبواب ، مما رأيناه في كتب الصحاح والسنن ، فرتب كتابه على اسماء الصحابة – كما هو الشأن في جميع المسانيد – وذكر لكل صحابي أحاديثه مسندة ، حتى بلغ عدد ما جمعه الامام أحمد في أحاديث مسنده هذا نحو ثلاثين ألف حديث أو يزيد ، اختارها من نحو سبعمائة وخمسين ألفاً [١] ، وقد أخرج أحاديث مسنده عن قرابة ثمانمائة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

وأحاديث المسند تدور بين الصحيح والحسن والضعيف ، ففيه أحاديث صحيحة مما أخرجه أصحاب الكتب الستة ، ومما لم يخرجوه ، وفيه الحسن والضعيف المحتج به ، حتى إن الامام السيوطي قال : (وكل ما كان في مسند أحمد فهو مقبول ، فإن الضعيف الذي فيه يقرب من الحسن) [٢] .

---

١ – ليس المقصود بهذه الألوف عددها من الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه ، وإنما هي طرق متعددة ، إذ قد يروي الحديث الواحد من عدة طرق – أي بأسانيد مختلفة – قدتتجاوز ثلاثين طريقاً ، فتعد هذه الطرق أحاديث، فيختار منها المصنف أصحها وأقواها حسب ماينتهي إليه تمحيصه واجتهاده . وانظر أيضاً مسند الامام أحمد بتحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ص ٢٠ ج١ وما بعدها .

٢ – اختلف بعض العلماء في وجود بعض الموضوع في المسند ولو بندرة وفي عدم وجوده ، وخلاصة القول ان المختلف فيه لايعدو أصابع اليد ، قال ابن حجر في كتابه تعجيل المنفعة برجال الأربعة – (أي الموطأ ، ومسند أبي حنيفة ومسند الشافعي ومسند أحمد رحمهم الله) – : (ليس في المسند حديث لا أصل له إلا ثلاثة أحاديث أو أربعة) . وقد اعتذر عنه أن هذه الأحاديث مما أمر الامام أحمد بالضرب عليه فترك سهواً . ومع هذا فإن بعض الحفاظ حاول نفي وجود الموضوع فيه .

والمهم ان الامام أحمد اجتهد في جمع أحاديث مسنده ، فلم يخرجها إلا عمن ثبت عنده صدقه وديانته ، دون من طعن في أمانته ، ودقق في متون كتابه ، كما محص في رجاله [1] . ومن ثم حق له أن يقول لابنه عبدالله : (احتفظ بهذا المسند ، فإنه سيكون للناس اماما) .

طبع هذا السفر الضخم في ست مجلدات وطبع على هامشه كنز العمال بمصر سنة (١٣١٣ هـ) ، كما طبع في الهند ، وكان من الضروري أن يحقق الكتاب وتخرج أحاديثه ، فنهض لهذا العمل الفذ الشيخ أحمد محمد شاكر أحد علماء الحديث في مصر في هذا العصر ، فخرج أحاديث الكتاب ورقمها ، وجعل له فهارس للموضوعات ، وخدم المسند خدمة علمية جليلة بتعليقاته القيمة ،وردوده لبعض الشبهات في بعض المواطن منه ، وقد طبع من هذا الكتاب خمسة عشر جزءاً وسطاً تقارب ثلث الأصل ، غير أن المنية اخترمته قبل أن يتمه رحمه الله [2]

ولا بد من الاشارة هنا إلى ما قام به فضيلة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي رحمه الله ـ من علماء القرن الرابع عشر بمصر ـ من خدمة مشكورة لمسند الامام أحمد ، فقد رتبه على الأبواب ، وشرح بعض ما يحتاج إلى الشرح والبيان ، وخرج أحاديثه ، واشار إلى زوائد عبدالله بن أحمد ، وسمى ترتيبه هذا (الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني) وجعله في سبعة أقسام هي :

---

١ – انظر مسند أحمد بتحقيق الشيخ شاكر ص ٢٤ – ٢٥ ج ١ .

٢ – والمطالع للمسند يرى أن الشيخ أحمد رحمه الله قد أنجز من المسند تحقيقاً وتخريجاً وضبطاً اكثر مما طبع ، فكثيراً ما يذكر أن الحديث (سيرد في رقم كذا وكذا) بعد مئات أو آلاف الأحاديث مما لم يطبع ، وعدة الأحاديث المطبوعة من الكتاب المحقق (٨٠٩٩) وهي أقل من ثلث الكتاب ، قارن صفحة ٢٤٥ ج ١٥ من الكتاب المحقق بالصفحة ٣١٢ ج ٢ من المسند طبعة المطبعة الميمنية بمصر .

القسم الأول : قسم التوحيد وأصول الدين .

القسم الثاني : قسم الفقه وجعل فيه أربعة أنواع :

النوع الأول : العبادات .

النوع الثاني : المعاملات .

النوع الثالث : الأقضية والأحكام .

النوع الرابع : الأحوال الشخصية والعادات .

القسم الرابع : الترغيب .

القسم الخامس : الترهيب .

القسم السادس : التاريخ من أول الخليقة إلى ظهور الدولة العباسية .

القسم السابع : أحوال الآخرة وما يتقدم ذلك من الفتن .

فالكتاب جيد جداً ، سهل بهذا الترتيب الرجوع إلى مسند الامام أحمد حسب الموضوعات إلى جانب ما فيه من فوائد علمية جليلة .

طبع من الفتح الرباني اثنان وعشرون جزءاً كبيراً بمصر وهي أكثر الكتاب ، وكان البدء بطبعه سنة (١٣٥٣ هـ) .

الفصل الثاني

الحديث الحسن

١ – نشأة الحديث الحسن وأول من شهره :

من الطبعي أن تتوفر في بعض الأحاديث أعلى شروط القبول ، ومن الطبعي أن يعرى بعضها عن شروط القبول كلهـــا أو بعضها ، فيعمل بالأول – وهو الصحيح – كما رأينا ، ويترك الثاني – وهو الضعيف – كما سنرى .

وقد تتوفر شروط القبول كاملة في بعض الأحاديث ، ولكن بعض رواة هذه الاحاديث لا يكونون على درجة عاليـة من الحفظ والضبط والاتقان ، بل يكون ضبطهم أقل من ضبط رواة الأحاديث الصحيحة ، فهؤلاء هم رواة الحديث الحسن الذي يأخذ الدرجة المتوسطة بين الصحيح والضعيف ، فيقبل حديثهم ويعمل به .

وأقدم من عرف عنه تقسيم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف – الامام أبو عيسى الترمذي ، وإن كان قد ذكر الحسن في كلام بعض مشايخه ومن قبلهم ، إلا أن هذا التقسيم الثلاثي لم يعرف عن أحد قبله ، وقد ذكر الترمذي الحسن كثيراً في سننه حتى عدّ المحدثون كتاب السنن الأصل في معرفة الحسن[1] .

١ – كان المحدثون قبله يقسمون الحديث إلى صحيح وضعيف . قال الامام تقي الدين=

٢ ـ التعريف به :

عرف الترمذي ومَنْ بعده الحديث الحسن ، وأجمع ما جاء في تعريفه قول ابن حجر : وخبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط ، متصل ، مسند غير معلل ولا شاذ هو الصحيح لذاته ... فإن خف الضبط فهو الحسن لذاته[١].

وعلى هذا فان الحسن هو ما توفرت فيه شروط الحديث الصحيح جميعها ، إلا أن رواته كلهم أو بعضهم أقل ضبطاً من رواة الصحيح . وبعد هذا يمكن أن يكون تعريفنا المختار للحسن كما يلي : الحسن ما اتصل سنده بعدل خف ضبطه من غير شذوذ ولا علة .

ومن هنا يتبين الفرق بين الصحيح والحسن وهو أنه يشترط في الصحيح الضبط التام ، وأما الحسن فيشترط فيه أصل الضبط .

٣ ـ أنواع الحسن :

الحسن نوعان : حسن لذاته ، وحسن لغيره ، الحسن لذاته هو الذي ذكرناه ، وسمي (حسناً لذاته) لأن حُسْنَه ناشيء عن توفر شروط خاصة فيه ، لا نتيجة شيء خارج عنه[٢] .

والحسن لغيره ما كان في إسناده مستور لم تتحقق أهليته ، غير أنه ليس مغفلاً كثير الخطأ فيما يرويه ، ولا هو متهم بالكذب في الحديث ولا بسبب آخر مفسق ، على أن يعضد براو معتبر من متابع أو شاهد[٣] .

ابن تيمية : (وأما من قبل الترمذي من العلماء فما عرف عنهم هذا التقسيم الثلاثي ، لكن كان يقسمونه إلى صحيح وضعيف ، والضعيف عندهم نوعان : ضعيف ضعفاً لايمتنع العمل به ، وهو يشبه الحسن في اصطلاح الترمذي ، وضعيف ضعفاً يوجب تركه ، وهو الواهي) . مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية : ص ٢٥ ج ١٨ .

١ ـ شرح نخبة الفكر : ص ٨ ثم ص ١١ سطر (١٤) .

٢ ـ انظر شرح نخبة الفكر : ص ١١ .

٣ ـ انظر مقدمة ابن الصلاح : ص ١٣ ، وشرح نخبة الفكر ص ١١ ، وتدريب الراوي ص ٨٩ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٣٩ ج ١ ، وقارن بشرح الديباج المذهب لشمس الدين التبريزي ص ٢١ ـ ٢٢ .

فالحسن لغيره أصله ضعيف ، وإنما طرأ عليه الحسن بالعاضد الذي عضده ، فاحتُمِلَ لوجود العاضد ، ولولاه لاستمرت صفة الضعف فيه[1] .

٤ ـ الاحتجاج بالحسن :

يحتج بالحديث الحسن بنوعيه كما يحتج بالحديث الصحيح ، ويعمل به ، وإن كان الحسن دون الصحيح في القوة ، ولهذا أدرجه بعض العلماء في طائفة الصحيح ، منهم الحاكم وابن حبان وابن خزيمة ، مع اعترافهم بأنه دون الصحيح في القوة بدليل ترجيح الصحيح عليه عند التعارض[2] .

٥ ـ ارتقاء الحسن إلى الصحيح بتعدد طرقه :

إذا روى الحديث الحسن لذاته من وجه آخر قوى وارتقى من الحسن إلى الصحيح ، لأن راوي الحديث الحسن متأخر عن درجة الحافظ التام الضبط ، مع كونه عدلاً ، فما كان يخشى عليه من جهة سوء حفظه زال بوجود الطريق الآخر ، أو الطرق الاخرى ، التي تجبر ذلك القصور ، وارتفع من الحسن إلى الصحيح[3] ، لاعتضاد أحدهما بالآخر . ومثال هذا : حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » فمحمد بن عمرو بن علقمة من المشهورين بالصدق ، لكنه لم يكن من أهل الاتقان ، فضعفه بعضهم من جهة حفظه ، ووثقه آخرون لصدقه ، فحديثه هذا حسن لذاتـــه ، وصحيح لغيره ، لأنه روى عن شيخ محمد بن عمرو ، وعن شيخ شيخه ،

---

١ ـ انظر قواعد التحديث ص ١٠٢ .

٢ ـ انظر تدريب الراوي ص ٩١ ، وقارن بفتح المغيث : ص ٤١ ج ١ .

٣ ـ انظر شرح نخبة الفكر ص ١١ ، وتدريب الراوي : ص ١٠٣ ، وقارن بقواعد التحديث ص ١٠٣ .

من طريق آخر ، فقد رواه عن أبي هريرة الأعرج وسعيد المقبري وأبوه وغيرهم[1] .

٦ ـ مظان الحديث الحسن :

لم يصنف العلماء في الحسن المجرد كما صنفوا في الصحيح المجرد ، ولكن بعضهم صنف في الصحيح وغيره كما أسلفنا ، فنجد الحسن في هذه الكتب وأول هذه المصنفات سنن الترمذي ، فقد وصف كثيراً من الاحاديث بالحسن كما وصف غيرها بالصحة ، ومن مظان الحسن أيضاً بقية السنن الاربعة ،ومسند الامام أحمد وان كان فيها الصحيح والحسن وبعض الضعيف[1].

٧ ـ مراتب الحسن :

رأينا أن الحديث الصحيح على مراتب ، ورأينا كيف اجتهد العلماء في بيان أصح الاسانيد ، وكذلك الحديث الحسن على مراتب ، قال الامام الذهبي : (فأعلى مراتبه بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده ، وعمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده ، وابن اسحاق عن التيمي ، وأمثال ذلك مما قيل إنه صحيح ، وهو أدنى مراتب الصحيح ، ثم بعد ذلك ما اختلف في تحسينه وتضعيفه ، كحديث الحارث بن عبد الله ، وعاصم ابن ضمرة ، وحجاج بن أرطأة ونحوهم)[2] .

وكما أشرت في بحث الصحيح الى أن الحكم بصحة الاسناد أو حسنه لا يستلزم صحة متنه أو حسنه كذلك أشير الى هذا هنا ، فقد يكون

---

٦ ـ انظر مقدمة ابن الصلاح : ص ١٤ ، وتدريب الراوي ص ١٠٣ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٤٣ ـ ٤٤ ج ١ .

١ ـ انظر نشأة علوم الحديث : ص ٣٦٤ .

٢ ـ تدريب الراوي ص ٩١ .

المتن شاذاً أو معللاً . ولا شك أن الجهبذ لا يعدل عن قوله : حديث صحيح ، أو حديث حسن ، الى قوله اسناد صحيح ، أو اسناد حسن الا لنكتة رآها ، ونرى الحكم بالصحة أو بالحسن للحديث اذا قال امام معتمد (اسناده صحيح) ، أو (اسناده حسن) ، لأنه لا يعقل أن يعرف للمتن علة ولا يبينها .

٨ – جمع الترمذي بين الحسن والصحة :

قال الترمذي في كثير من الاحاديث : (حسن صحيح) وقد استشكل بعض العلماء قوله هذا ، وقالوا : ان الحسن قاصر عن الصحيح ، فالجمع بينهما في حكم واحد جمع بين نفي ذلك القصور واثباته[1] . وأجاب العلماء عن ذلك اجابات كثيرة ، وأفضل مايقال في ذلك ان ما قال فيه (حسن صحيح) مما له اكثر من طريق انما قاله باعتبار اسنادين احدهما صحيح والآخر حسن .

واذا كان ما قيل فيه (حسن صحيح) ليس له إلا طريق واحد ، فذلك نتيجة لاختلاف النقاد في راويه ، فمنهم من يراه من رواة الصحيح ومنهم من يراه من رواة الحسن ، وقد لا يرجح للناقد قول منها ، أو يترجح أحدهما على الآخر ، ولكنه يقول : إنه حسن عند قوم ، صحيح عند آخرين ، وكان الأولى به أن يقول (حسن أو صحيح) ، فحذف حرف التردد .

٩ – جمع الترمذي بين الحسن والصحة والغرابة :

الغريب ما تفرد به راو ، وقد يكون ثقة ضابطاً ، فيكون مارواه

---

١ – انظر فتح المغيث للسخاوي ص ٣٥ وتدريب الراوي ص ٩٢ – ٩٤ ، وشرح نخبة الفكر ص ١١ – ١٢ ، والباعث الحثيث ص ٤٦ – ٤٧ ، ونفع قوت المغتذي ص ٥ – ٧ وشرح علل الجامع لابن رجب ص ٦٦ : ب وما بعدها .

صحيحاً ، وقد يكون دون ذلك فيكون مارواه حسناً ، وقد يكون الراوي ضعيفاً ، فيكون مارواه ضعيفاً[1] فلا تنافي بين وصف الحديث بالغرابة والصحة أو وصفه بالغرابة والحسن ، فالغرابة حكم بتفرد الراوي ، والصحة والحسن حكم على الحديث أو على سنده بما اجتمع فيه من شروط الصحة أو الحسن .

* * *

١ ـ فالغريب من المشترك بين أقسام الحديث الثلاثة كما سنرى في الفصل الخامس من هذا الباب .

الفصل الثالث

الحديث الضّعيف

آ – التعريف به :

هو كل حديث لم تجتمع فيه صفات القبول ، وقال أكثر العلماء هو مالم يجمع صفة الصحيح والحسن .

ب – أنواع الحديث الضعيف :

أنواع الحديث الضعيف كثيرة يطول ذكرها ، وقد بحثت في أسباب ضعف هذه الانواع ، فوجدت أن مرد الضعف يعود الى أحد سببين رئيسين :

الاول : عدم اتصال السند ، والثاني مجموعة أسباب ليس مردها عدم اتصال السند ، وعلى هذا يمكننا تسهيلاً للبحث أن نقسم الضعيف بالاضافة الى ضعفه قسمين ، يضم كل قسم بعض أنواع الضعيف .

القسم الأول : الاحاديث الضعيفة لعدم اتصال سندها :

١ – **المرسل**[1] : هو مارفعه التابعي الى الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، صغيراً كان التابعي أو كبيراً . وعلى هذا جمهور المحدثين

---

١ – أم مصادر هذا البحث : معرفة علوم الحديث ص ٢٥ وما بعدها ، و ص ٣٦ ، والكفاية ص ٢١ ، ص ٤٠٤ ، والجامع لأخلاق الراوي ص ١٥٧ : آ ، ومقدمة ابن الصلاح ص ٢٠ ، واختصار علوم الحديث ص ٥١ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٦٧ حـ ١ ، وتدريب الراوى ص ١١٧ وما بعدها .

من غير أن يفرقوا بين التابعي الصغير والكبير ، وقد قيد بعضهم المرسل بما رفعه التابعي الكبير فقط ، لان معظم رواية التابعي الكبير عن الصحابة ، ولم يعد بعض أهل الحديث ما أرسله صغار التابعين مرسلا ، بل منقطعاً لأن أكثر روايتهم عن التابعين .

والمرسل عند الفقهاء والأصوليين ما رفعه غير الصحابي . وقد سمي بالمرسل لأن راوية أطلقه من غير أن يقيده بالصحابي الذي رواه عنه .

ورأى أهل الحديث أن ما يرويه صغار الصحابة كابن عباس وأمثاله مما لم يسمعوه من النبي ﷺ أو لم يشاهدوه ، بل نقلوه عن غيرهم من الصحابة عن النبي ﷺ – من المرسل إذا لم يذكروا من رووا عنه ، وأطلقوا عليه اسم (مرسل الصحابي) ، وعد أهل العلم مرسل الصحابي في حكم الموصول ، لأن الصحابة يروى بعضهم عن بعض أحياناً ، وكلهم عدول ، وجهالتهم لاتضر [1] .

حكم مرسل التابعي :

اختلفت أقوال العلماء في المرسل حتى بلغت نحو عشرة أقوال ، وأشهرها ثلاثة :

القول الأول : انه يجوز الاحتجاج بالمرسل مطلقاً ، وهذا قول الامام أبي حنيفة ، والامام مالك ، وفي قول عن الامام أحمد،وطائفة من أهل العلم .

القول الثاني : لايحتج به مطلقاً ، وحكى هذا الامام النووي عن جماهير المحدثين ، وعن الامام الشافعي ، وعن كثير من الفقهاء والاصوليين ، قال

---

١ ـ انظر تدريب الراوي : ص ١٢٦ ، واختصار علوم الحديث ص ٥٢ .

الامام مسلم : (والمرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة)[1].

القول الثالث : يحتج به إذا اعتضد بعاضد بأن يروى مسنداً أو مرسلاً من وجه آخر ، أو يعمل به بعض الصحابة أو أكثر أهل العلم .

ولكل صاحب قول من هذه الأقوال حججه وأدلته ، وليس من موضوعنا بسطها [2] .

وإذا صح مجيء المرسل من وجه آخر مسنداً عن غير رجال الاول فهو حجة عند جماهير العلماء والمحدثين ، لأن المسند كشف عن صحة المرسل ، حتى إنه لو عارضها حديث صحيح قدما عليه إذا تعذر الجمع ، وذلك لتعدد الطرق [3] .

٢ ـ المنقطع [4] :

هو ما سقط من سنده راو واحد في موضع أو أكثر ، أو ذكر فيه راو مبهم ، وهو كالمرسل من حيث سقوط راو من سنده ، إلا أن المرسل قيد بعدم ذكر الصحابي فيه ، وأطلق في المنقطع فكل ما سقط منه راو ـ سواء أكان في أوله أو في وسطه أو في آخره ـ فهو منقطع ، وعلى هذا

---

١ ـ صحيح مسلم : ص ٦ ج ١ .

٢ ـ انظر الكفاية : ص ٤٠٤ وما بعدها ، وتدريب الراوي ص ١١٩ ، والرسالة للامام الشافعي ص ٤٦١ وما بعدها ، ومقدمة التمهيد ، وشرح علل الجامع لابن رجب ص ٤٧ : آ ، ص ٧٣ : آ ـ ب ، والجامع لاخلاق الراوي : ص ١٥٧ : آ ، والإحكام للآمدي ص ١٧٧ ج ٢ ، والمستصفى : ص ١٠٧ ج ١ .

٣ ـ انظر تدريب الراوي: ص ١٢٠ ، وشرح الديباج: ص ٣٧ ، وتوضيح الافكار ص ٢٨٩ ج ١ .

٤ ـ أم مصادر هذه الفقرة : معرفة علوم الحديث : ص ٢٧ ـ ٢٩ ، والكفاية ص ٢١ ، ومقدمة ابن الصلاح ص ٢٢ ، واختصار علوم الحديث : ص ٥٣ ـ ٥٥ ، وتدريب الراوي ص ٢٦ وما بعدها ، والمنهل الروي : ص ٩ : ب .

يدخل المرسل في صور المنقطع ، ومثال ما سقط من سنده راو مارواه عبد الرزاق عن الثوري عن أبي اسحاق عن زيد بن يُثَيْع عن حذيفة مرفوعاً : « ان وليتموها أبا بكر فقوى أمين » في اسناده انقطاع في موضعين : احدهما ان عبد الرزاق لم يسمعه من الثوري ، وإنما سمعه من النعمان بن أبي شيبة الجندي عن الثوري ، والثاني أن الثوري لم يسمعه من أبي اسحاق وانما رواه عن شريك عنه [1] .

ومثال ما فيه مبهم مارواه أبو العلاء بن الشخير عن رجلين عن شداد ابن أوس عن الرسول ﷺ : « اللهم اني أسألك الثبات في الأمر » [2] .

والمنقطع مردود لايحتج به للجهل بحال المحذوف منه . فإذا جاء المنقطع من وجه آخر متصلًا ، وتبين ثقة الراوي المحذوف أو المبهم قبل .

٣ ـ المعضل [3] :

هو ماسقط من سنده راويان متتاليان أو أكثر ، ومنه ما يرسله تابع التابعي ، فهو كالمنقطع بل هو دونه ، ويساويه في سوء الحال إذا كان الانقطاع في أكثر من موضع .

وعن بعض المحدثين قول المصنفين من الفقهاء « قال رسول الله ﷺ كذا وكذا » من المعضل ، لأن بين هؤلاء المصنفين والرسول ﷺ راويين فأكثر ، وجل من صنف من الفقهاء كانوا بعد عصر التابعين .

---

١ ـ انظر اختصار علوم الحديث ص ٥٤ ـ ٥٥ وقارن بمعرفة علوم الحديث : ص ٢٨ ـ ٢٩ ، و (يثبع) بضم الياء وفتح الثاء . وسكون الياء الثانية

٢ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٧ ، وقارن باختصار علوم الحديث : ص ٥٤ .

٣ ـ معضل بفتح الضاد ، وأم عضيل مستغلق ، وأهم مصادر هذه الفقرة معرفة علوم الحديث ص ٢٦ ، ٣٦ ، وما بعدها ، والكفاية ص ٢١ ، ومقدمة ابن الصلاح ص ٢٣ واختصار علوم الحديث ص ٥٥ ، والمنهل الروي ص ١٠ : آ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٧٦ ج ١ ، وشرح نخبة الفكر ص ١٨ ، وتدريب الراوى ص ١٢٩ ، وشرح الديباج ص ٣٧ ، وتوضيح الأفكار ص ٣٢٧ ج ١ .

٤ ـ المُدَلِّس[1] :

التدليس لغة : الدَّلَسُ ـ بفتح اللام ـ الظلمة ، ودلّس في البيع وفي كل شيء إذا أخفى ما به من عيب ، والتدليس في البيع كتمان عيب السلعة عن المشترى ، ومن هذا أخذ التدليس في الاسناد ، ففي كل منهما اخفاء شيء بالسكوت عنه .

والتدليس نوعان : تدليس الاسناد ، وتدليس الشيوخ .

آ ـ **تدليس الاسناد** : هو أن يروي الراوي عمن عاصره ولم يلقه أو عمن لقيه ـ ما لم يسمعه منه ، على وجه يوهم سماعه ، كأن يقول : « قال فلان » ، و « عن فـــلان » و (أن فلاناً فعل كذا وكذا) ونحو هذا .

ولو قال فيما لم يسمعه : (حدثني) أو (سمعت) ، أو اي صيغة صريحة لا تَجُوزُ فيها كان ذلك كذباً ، لأنه يحكي سماع ما لم يسمعه ، ويرد خبره .

وهناك أنواع أخرى من تدليس الاسناد أشدها سوءاً أن يسقط الراوي شيخه أو شيخ شيخه أو غيره لكونه ضعيفاً ، أو صغيراً أو نحو هذا ، ثم يأتي بلفظ يحتمل سماع شيخه ممن فوقه ، تحسيناً للحديث ، أي أنه يُسوِّى السند ، فيبدو كأنه متصل بالثقات ، ويسمى هذا النوع (تدليس التسوية) . وهذا النوع شر أنواع التدليس لما فيه من تغرير شديد ، ومما لا شك فيه أن افتعال هذا لا يجوز قط ، ومع هذا فقد عرف النقاد المدلسين ونبهوا إلى ما دلسوه .

---

١ ـ أهم مصادر البحث : معرفة علوم الحديث ص ١٠٣ ، والكفاية ص ٣٥٥-٣٧١ ومقدمة ابن الصلاح ص ٢٨ ـ ٢٩ ، ص ١٣١ ـ ١٣٢ ، والرسالة للامام الشافعي ص ٣٧٩ واختصار علوم الحديث ص ٥٧ ـ ٨٠ وفتح المغيث للعراقي ص ٨٣ ، وتدريب الراوى ص ١٣٩ ـ ١٤٥ ، وشرح النخبة ص ١٨ ، ولسان العرب مادة (دلس) .

وقد استقبح العلماء تدليس الاسناد ، وأنكروا بشدة على المدلسين ، وكان شعبة بن الحجاج من أشد الناس في ذلك حتى قال : (لأن أزني أحب إلى من أن أدلس)[1] مبالغة منه في بشاعة وقبح التدليس .

ومذاهب العلماء في حكم التدليس ثلاثة :

١ ــ قال بعضهم : من عرف بالتدليس صار مجروحاً مردود الرواية مطلقاً وإن بين السماع ، ولو لم يعرف أنه دلس إلا مرة واحدة .

٢ ــ قال بعضهم : يقبل الحديث المدلس لأن التدليس كالارسال ، وعلى هذا جمهور من يقبل المرسل ، ومنهم علماء الزيدية[2] .

٣ ــ وقال آخرون : يرد كل حديث دلّس فيه ، ويقبل من أحاديثه ما لم يدلس فيه ، فمن عرف عنه التدليس ولو مرة فيما رواه بلفظ محتمل لم يبين فيه السماع فخبره لا يقبل ، وما بين فيه السماع بقوله سمعت ، أو حدثنا ، أو أخبرنا ، ونحوها فمقبول يحتج به إذا توفرت فيه شروط القبول . وهذا مذهب الجمهور والشافعي .

أما إذا أسقط المدلس من السند راوياً ضعيفاً لتعمده الكذب ، وهو يعلم ضعفه وتعمده الكذب فلا شك في جرحه ، لأنه يدلس على الناس أمر دينهم ويوهمهم بصحة ما عرف كذبه[3] .

ب ــ **تدليس الشيوخ** : وهذا التدليس أخف من تدليس الاسناد ، لأن الراوي لا يعمد إلى إسقاط أحد من السند ، ولا إلى إبهام سماع ما لم يسمع ، بل يسمى الراوي شيخه أو يكنيه أو ينسبه أو يصفه بما لا يعرف به .

---

١ ــ تقدمة الجرح والتعديل : ص ١٧٣ ، وانظر أقوال العلماء في انكار التدليس في نشأة علوم الحديث .

٢ ــ انظر توضيح الأفكار : ص ٣٤٧ ج ١ .

٣ ــ انظر توضيح الأفكار : ص ٣٤٨ ج ١ .

مثال ذلك قول أبي بكر بن مجاهد المقرىء : حدثنا عبد الله بن أبي عبد الله . يريد به عبد الله بن أبي داود السجستاني صاحب السنن ، فأبو داود اشتهر بكنيته هذه ، لا بأبي عبد الله .

ويلحق بهذا النوع تدليس البلاد كما لو قال المصري : (حدثني فلان بزقاق حلب) وأراد موضعاً بالقاهرة ، أو قال البغدادي (حدثني فلان بما وراء النهر) وأراد نهر دجلة .

وحكم تدليس الشيوخ مكروه عند علماء الحديث لما فيه من توعير الطريق على السامع في معرفة الشيوخ ، وفي هذا تضييع للمروى عنه ، كما فيه تضييع للمروى ، لأنه حين يذكر شيخه بما لا يعرف به يكون سبباً في جهالته ، فربما يبحث السامع عنه فلا يعرفه ، ويصير مجهولاً فلا يلتفت إلى مرويه .

وتختلف كراهة هذا النوع باختلاف الدافع على التدليس ، فشره ما كان الحامل عليه ضعف الشيخ ، فيدلسه حتى لا تظهر روايته عن الضعفاء ، وهذا لا يجوز مطلقاً لما فيه من الغش والتغرير ، وقد يكون شيخه متأخر الوفاة قد شارك الراوي عنه جماعة دونه في السماع منه ، أو يكون الشيخ أصغر سناً من الراوي عنه ، أو تكون أحاديثه التي عنده كثيرة عنه فلا يحب تكرار الرواية عنه ، ونحو هذا ، وتدليس البلاد مكروه أيضاً لما فيه من ايهام الرحلة في طلب الحديث ، إلا أن تكون هناك قرينة تدل على عدم إرادة ذلك فلا كراهة فيه[1] .

٥ ـ المعلل :

هو الحديث الذي اكتشفت فيه علة قادحة ، وإن كان ظاهره السلامة ، وقد بينت في فصل (علم علل الحديث) أن العلة قد تكون في السند ،

---

١ ـ انظر بسط ذلك في نشأة علوم الحديث : ص ٣٨٢ .

وقد تكون في المتن أو قد تكون فيهما ، وقد أدرجنا المعلل هنا لأنه أكثر ما تكون العلل في الأسانيد ، كالارسال والإنقطاع والوقف وما في حكمه ، وكل هذه الأنواع تغاير اتصال السند وتجعل الحديث في زمرة الضعيف .

القسم الثاني من أنواع الضعيف : وهو ما كان ضعفه لسبب غير عدم اتصال سنده ، ويندرج تحت هذا القسم ستة أنواع ، وهي :

١ ـ المضعف :

وهو ما لم يجمع على ضعفه ، بل فيه تضعيف لبعض أهل الحديث في سنده أو متنه ، وفيه تقوية من آخرين ، ولكن التضعيف راجح لامرجوح. أو أنه لم يمكن الترجيح بين التقوية والتضعيف ، لأنه لا يطلق اسم المضعف على ما رجحت تقويته ، وبهذا يعتبر المضعف أعلى مراتب الضعيف ، وابن الجوزي أول من أفرد هذا النوع[1] .

٢ ـ المضطرب[2] :

هو الحديث الذي يروى من وجوه يخالف بعضها بعضاً ، مع عدم امكان ترجيح أحدها على غيره ، سواء أكان راوي هذه الوجوه واحداً أم أكثر ، أما إذا ترجحت احدى هذه الروايات ـ بحيث لا تقاومها أخرى ـ بأحد وجوه الترجيح ، كأن يكون الراوي أحفظ أو أكثر صحبة للمروى عنه ـ فالحكم للراجحة ، ولا يطلق الاضطراب حينئذ لا على الراجح ولا على المرجوح[3] .

---

١ ـ انظر توجيه النظر ص ٢٣٩ .

٢ ـ المضطرب بكسر الراء ، اسم فاعل من الاضطراب ، وهو مأخوذ من اضطراب الأمر إذا اختل وفسد ، وأهم مصادر هذا البحث : مقدمة ابن الصلاح : ص ٣٥ ومابعدها ، واختصار علوم الحديث : ص ٧٨ ، وتدريب الراوي ، وشرح نخبه الفكر ص ٢٢ ، وفتح المغيث للعراقي ص ١١٣ ـ ١١٦ ج ١ ، وتوضيح الأفكار ص ٣٤ ـ ٥٠ ج ٢ .

٣ ـ فالحكم للراجح بالقبول ، ويكون المرجوح شاذاً أو منكراً .

وقد يقع الاضطراب من راو واحد ، كما يقع من جماعة ، وقد يكون الاضطراب في السند ، كما يكون في المتن[1] ، وقد يقع فيهما .

والاضطراب يوجب ضعف الحديث لإشعاره بعدم الضبط ، والضبط شرط في الصحة والحسن إلا في حالة واحدة ، وهي أن يقع الإختلاف في اسم راو ، أو اسم أبيه ، أو نسبته مثلاً ، ويكون الراوي المختلف فيه ثقة ، فيحكم للحديث بالصحة أو الحسن – حسب توفر شرط كل منهما فيه – ولا يضر الاختلاف فيما ذكر ، مع تسميته مضطرباً .

وقد صنف شيخ الإسلام ابن حجر كتاب « المقترب في بيان المضطرب » التقطه من كتاب العلل للدارقطني[2] .

٣ – المقلوب[3] :

هو الحديث الذي انقلب فيه على راو بعض متنه ، أو اسم راو في سنده ، أو سند متن لآخر .

ومثال ما انقلب في المتن : حـــديث أبي هريرة في صحيح مسلم في حديث « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله » فيه « ورجل تصدق بصدقة

---

١ – مثال الاضطراب في السند حديث أبي بكر أنه قال : يا رسول الله أراك شبت؟ قال « شيبتني هود واخواتها » . قال الدار قطني : هذا مضطرب فانه لم يرد إلا من طريق أبي اسحاق – (أبي السبيعي) – وقد اختلف فيه على نحو عشرة أوجه ، فمنهم من رواه عنه مرسلاً ، ومنهم من جعله من مسند أبي بكر ، ومنهم من جعله من مسند سعد ، ومنهم من جعله من مسند عائشة ، وغير ذلك ، ورواته ثقات لايمكن ترجيح بعضهم على بعض ، والجمع متعذر . انظر تدريب الراوي ص ١٧٢ .

ومثال الاضطراب في المتن حديث (التسمية في الصلاة) فقد أعله ابن عبد البر بالاضطراب ، والمضطرب يجامع المعلل لأن علته قد تكون الاضطراب ، انظر بسط هذا في تدريب الراوي ص ١٦٣ – ١٦٥ ، والباعث الحثيث : ص ٧٩ .

٢ – انظر اختصار علوم الحديث : ص ٧٩ .

٣ – انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٣٨ – ٣٩ ، واختصار علوم الحديث : ص ٩٦ ، وتدريب الراوي ص ١٩١ .

أخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله » فهذا ما انقلب على أحد الرواة ، وإنما هو : « حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه »[1] . كما هو في صحيح البخاري وموطأ مالك وفي غيرهما .

وقد يكون القلب في الاسناد بقلب اسم راو ، كمرة بن كعب ، وكعب بن مرة ، لأن اسم أحدهما اسم أبي الآخر .

وقد يكون الحديث من طريق راو معروف به ، أو باسناد مشهور ، فيبدل بنظير الراوي من طبقته ، أو باسناد غير اسناده سهوا .

وقد يتعمد بعض الرواة القلب بقصد الاغراب ، وترغيب الناس بما يروون ، وهذا لا يجوز باتفاق المحدثين ، كما يتعمد بعض الوضاعين قلب بعض الأحاديث فيبدل راوياً مشهوراً بآخر من طبقته[2] . أو يلصق اسناداً قوياً بمتن ضعيف ، وقد يسمي هذا بعضهم (المركب) ، وكل ما كان عمداً من هذا النوع لا يجوز مطلقاً .

وقد يتعمد بعض العلماء قلب بعض الأحاديث بقصد الامتحان ، كما فعلوا ذلك للامام البخاري في بغداد ، فعرفوا مكانته ومنزلته ، لانه لا يعرف المقلوب إلا من أوتي علماً واسعاً ، وحفظاً شديداً ، وفهماً عميقاً ، وهذا النوع جائز بقصد الامتحان ، وقد كره بعض العلماء لطلاب العلم أن يقبلوا الاحاديث على الشيوخ[3] .

وما وقع من الراوي عن غفلة وسهو بغير قصد يجعله ضعيفاً لضعف ضبطه ، إذا عرف به ، وتكرر وقوعه منه . ولهذا كان منشأ الضعف في الحديث المقلوب قلة الضبط .

ونرى أن ما وقع سهواً من قلب اسم راو ثقة ـ لا يخرج الحديث

---

١ ـ انظر صحيح مسلم : ص ٧١٥ حديث ١٠٣١ ج ٢ .

٢ ـ انظر فتح المغيث للعراقي ص ١٣٧ ج ١ .

٣ ـ انظر تدريب الراوي : ص ١٩٣ ، وفتح المغيث ، ص ١٣٩ ج ١ .

الصحيح أو الحسن عن الصحة والحسن قياساً على ما جاء في المضطرب . قال الامام الزركشي (وقد يدخل القلب والشذوذ والاضطراب في قسم الصحيح والحسن)[1] .

٤ – **الشاذ** :

أقدم من عرف الشاذ الامام الشافعي رحمه الله ، قال : (ليس الشاذ من الحديث أن يروي الثقة حديثاً لم يروه غيره ، وإنما الشاذ من الحديث أن يروي الثقات حديثاً فيشذ عنهم واحد فيخالفهم)[2] .

ثم توافق المحدثون بعد الشافعي على أن الشاذ هو ما رواه المقبول مخالفاً لمن هو أولى منه[3] .

ومن ثم كان شرط الشاذ التفرد والمخالفة ، فلو تفرد راو ثقة بحديث لم يخالف فيه غيره فحديثه صحيح غير شاذ ، فلو خولف بأرجح منه لمزيد ضبط أو كثرة عدد أو غير ذلك من وجوه الترجيحات ، فالراجح يقال له : « **المحفوظ** » ، والمرجوح هو الشاذ[4] .

ومن أمثلة الشاذ ما رواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الواحد ابن زياد عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً : « إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع عن يمينه » قال البيهقي : خالف عبد الواحد العدد الكثير في هذا ، فان الناس انما رووه من فعل النبي ﷺ لا من قوله ، وانفرد عبد الواحد من بين ثقات أصحاب الاعمش بهذا اللفظ[5] .

---

١ – تدريب الراوي : ١٧٣ .

٢ – الكفاية ص ١٤١ ، ومعرفة علوم الحديث ص ١١٩ .

٣ – انظر تدريب الراوي ص ١٤٨ ، وشرح نخبة الفكر ص ١٣ .

٤ – انظر شرح نخبة الفكر ص ١٣ .

٥ – تدريب الراوى ص ١٤٨ – ١٤٩ .

٥ ـ المنكر :

هو ما رواه الضعيف مخالفاً الثقات ، ومن ثم كان شرط المنكر تفرد الضعيف والمخالفة ، فلو تفرد راو ضعيف بحديث لم يخالف فيه الثقات لا يكون حديثه منكراً ـ بل ضعيفاً ، فلو خولف برواية ثقة ، فالراجح يقال له « **المعروف** »[١] والمرجوح هو المنكر .

وعلى هذا فالشاذ والمنكر يجتمعان في اشتراط المخالفة ، ويفترقان في أن الشاذ راويه ثقة أو صدوق ، والمنكر راويه ضعيف .

٦ ـ المتروك والمطروح

١ـ المتروك : هو الحديث الذي يرويه متهم بالكذب في الحديث النبوي ، أو كذاب في كلامه ، أو من ظهر فسقه بالفعل أو بالقول ، أومن فحش غلطه و كثرت غفلته ، [٢] كأحاديث عمرو بن شمر عن جابر الجعفي [٣].

والظاهر أن المتروك هو أنزل مراتب الضعيف .

٢ ـ المطروح :

جعل الحافظ الذهبي نوعا مستقلا وهو (المطروح) ، خرجه من قولهم (فلان مطروح الحديث) ، وقال : .. وهو داخل في أخبار المتروكين الضعفاء .

ورأى الشيخ طاهر الجزائري أنه هو المتروك الذي ينفرد بروايته من يتهم بالكذب في الحديث ، ويدخل فيه من عرف بالكذب في غير الحديث ، قال : فيكون هذا القسم مما له اسمان [٤] ، ونحن نوافقه على

---

١ ـ انظر شرح نخبة الفكر ص ١٤ ، وتدريب الراوى ص ١٥٢ .
٢ ـ انظر شرح نخبةالفكر ص ١٩ و ص ٢١ ، وقارن بتدريب الراوي ص ١٥٢ .
٣ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ٥٦ ، ص ٥٧ ، وتدريب الراوي : ص ١٥٢ .
٤ ـ انظر المنهج لحديث في علوم الحديث ص ٢٠٧ .

هذا فليس بين المتروك والمطروح ، أي فرق يذكر ، لا في اللغة ولا في الاصطلاح .

ج – تفاوت مراتب الضعيف :

رأينا حين عرضنا أنواع الحديث الضعيف أن منهـا ما هو شديد الضعف كالمتروك أو المطروح ، ومنها ما هو أعلى من ذلك . والحق أن الضعيف يتفاوت ضعفه بحسب شدة ضعف رواته وخفته ، فمنه أوهى من غيره ، كما أن من الصحيح اصح ، وكما تكلم العلماء في أصح الاسانيد ، تكلموا في أوهى الاسانيد ، وفائدة ذلـك ترجيح بعض الاسانيد على بعض ومعرفة ما يصلح للاعتبار مما لا يصلح [1] .

د – متى يقوى الضعيف بتعدد طرقه :

تنحصر أسباب الضعف والقدح في الرواة في فئتين ،احداهما تضم ما يقدح في العدالة كالكذب على الرسول ﷺ أو التهمة به ، والكذب في أحاديث الناس ، والفسق ، وجهالة الراوي ، والابتداع بكفر ونحو هذا .

فكل ما كان ضعفه ناشئاً عن مثل هذه الاسباب – لا تؤثر فيه كثرة الطرق ، ولا يرتقي عن درجة الضعف ، لشدة سوء أسباب هذا الضعف ، وتقاعد الجابر عن جبر ضعف المروي ،وربما يرتقي بمجموع طرقه عن كونه منكراً أو لا أصل له الى درجة المستور السيء الحفـظ كما صرح بذلك ابن حجر [2] .

والفئة الثانية ينطوي تحتها ما يقدح في الحفظ والضبط ، والاسباب القادحة فيها : الغفلة ، وكثرة الغلط ، وسوء الحفظ ، والاختلاط ، والوهم كوصل مرسل أو منقطع . فكل ما كان ضعفه بسبب عدم

---

١ – انظر تدريب الراوي ص ١٠٦ ، وقواعد التحديث : ص ١٠٩ .

٢ – انظر تدريب الراوي : ص ١٠٤ ، وقارن بفتح المغيث للعراقي ص ٤٢ – ٤٣ ج ١ .

ضبط راويه الصدوق الامين ـ الذي لم تثلم عدالته ـ فان كثرة الطرق تقويه ، ويجبر ضعفه بمجيئه من وجه آخر ، لاننا نعرف من الوجه الآخر أن حفظ راوي الطريق الاول لم يختل فيه ضبطه ، وبهذا يرتقي من درجة الضعيف الى درجة الحسن لغيره .

ومثال هذا ما رواه الترمذي وحسنه من طريق شعبة ، عن عاصم ابن عبيد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه أن امرأة من بني فزارة تزوجت على نعلين ، فقال رسول الله ﷺ : أرضيت من نفسك ومالك بنعلين ؟ قالت نعم ، فأجاز . قال الترمذي : وفي الباب عن عمر وأبي هريرة وعائشة وأبي حَدْرد . قال السيوطي : فعاصم ضعيف لسوء حفظه ، وقد حسن له الترمذي هذا الحديث لمجيئه من غير وجه[1] .

وكذلك كل ما كان ضعفه لإرسال أو تدليس ، أو لجهالة بعض رواته ، فان هذا الضعف يزول بمجيئه من وجه آخر ، ويصبح الحديث حسناً لغيره ، للعاضد الذي عضده [2] .

ومن هذا يتبين أن موافقة من قُدِحَ فيه لاختلال في ضبطه بمجيء الخبر من طريق آخر تنفع في تقوية الضعيف وجبر قصوره ، ولا تنفع الموافقة إذا كان الضعف لفسق ونحوه .

قال النووي : (الحديث الضعيف عند تعدد الطرق يرتقي عن الضعف الى الحسن ، ويصير مقبولاً معمولاً به) وقال السخاوي : (ولا يقتضي ذلك الاحتجاج بالضعيف ، فان الاحتجاج إنما هو بالهيئة المجموعة ، كالمرسل ، حيث اعتضد بمرسل آخر ، ولو ضعيفاً كما قاله الشافعي والجمهور)[3].

---

١ ـ تدريب الراوي ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

٢ ـ انظر تدريب الراوي ص ١٠٢ ، ١٠٤ ، وقواعد التحديث ص ١٠٩-١١٠.

٣ ـ انظر فتح المغيث ص ٣١ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، وقواعد التحديث ص ١٠٩ ـ ١١٠ ، وقارن بالرسالة ص ٤٦١ ـ ٤٦٢ .

هـ – حكم العمل بالضعيف :

اختلف العلماء في الاخذ بالضعيف على ثلاثة مذاهب :

١ – المذهب الاول : لا يعمل به مطلقاً ، لا في الفضائل ، ولا في الاحكام . حكاه ابن سيد الناس عن يحيى بن معين ، وإليه ذهب أبو بكر بن العربي ، والظاهر أنه مذهب البخاري ومسلم ، لما عرفناه من شرطيهما [١] . وهو مذهب ابن حزم [٢] .

٢ – المذهب الثاني : أنه يعمل بالحديث الضعيف مطلقاً ، وعزى هذا الى أبي داود والامام أحمد رضي الله عنهما ، وأنهما يريان ذلك أقوى من رأى الرجال [٣] .

٣ – المذهب الثالث : أنه يعمل به في الفضائل والمواعظ ونحو ذلك إذا توفرت له بعض الشروط ، وقد ذكر شيخ الاسلام ابن حجر هذه الشروط ، وهي :

١ – أن يكون الضعف غير شديد ، فيخرج مَنْ انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ؛ ومن فحش غلطه . وقد نقل العلائي الاتفاق على هذا الشرط .

٢ – الشرط الثاني : أن يندرج تحت أصل معمول به .

٣ – الشرط الثالث : أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، بل يعتقد الاحتياط [٤] .

---

١ – وقد عقد الامام مسلم في مقدمة صحيحه بابا في النهى عن رواية الضعفاء . انظر صحيح مسلم ص ٨ ، و ص ٢٨ ج ١ . وانظر شرح علل الجامع ص ٤ : آ .

٢ – قال الامام ابن حزم رحمه الله : (ما نقله أهل المشرق والمغرب ، أو كافة عن كافة ، أو ثقة عن ثقة ، حتى يبلغ إلى النبي صلى الله عليه وسلم – إلا أن في الطريق رجلاً مجروحاً بكذب ، أو غفلة ، أو مجهول الحال ، – فهذا يقول به بعض المسلمين ، ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه ، ولا الأخذ بشيء منه) الملل والنحل ص ٨٣ ج ٢ .

٣ – انظر تدريب الراوي ص ١٩٦ .

٤ – تدريب الراوي ص ١٩٦ – ١٩٧ .

رأينا في هذه المذاهب :

لا شك أن المذهب الاول من أسلم المذاهب ، ولدينا مما صح في الفضائل والترغيب والترهيب من جوامع كلم المصطفى ﷺ - ثروة يعجز البيان عن وصفها ، وهي تغنينا عن رواية الاحاديث الضعيفة في هذا الباب ، وبخاصة أن الفضائل ومكارم الاخلاق من دعائم الدين ، ولا فرق بينها وبين الاحكام من حيث ثبوتها بالحديث الصحيح أو الحسن . فمن الواجب أن يكون مصدرها جميعاً الاخبار المقبولة [1] .

---

١ - وقد يقال : ان ثبوت الفضائل والترغيب فيها لا يلزمه حكم ، فحين يروى خبر ضعيف في ثواب أمر من الأمور الثابت استحبابها ، والترغيب فيه ، أو في فضائل بعض الصحابة رضوان الله عليهم - لايلزم من هذا الخبر ثبوت حكم ، فنقول : هذا لاخلاف فيه من حيث عدم اثبات حكم مع الفضائل، ولكن الخلاف والكلام في رواية الضعيف والعمل به عامة ، إذ روي عن بعضهم كما أسلفنا العمل بالضعيف مطلقاً .

وأما المذهب الثاني فلا بد من بيانه ، فقد ذكر ابن قيم الجوزية في أصول فتاوى الامام أحمد أنه يأخذ بالحديث المرسل والضعيف ، إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه ، وهو الذى رجحه على القياس ، قال ابن القيم : (وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ، ولا ما في روايته متهم بحيث لايسوغ الذهاب اليه والعمل به ، بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن ، ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف ، بل إلى صحيح وضعيف ، والضعيف عنده مراتب ، فاذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ، ولا قول صاحب، ولا إجماع على خلافه - كان العمل به عنده أولى من القياس ، وليس أحد من الأئمة إلا هو موافقه على هذا الأصل من حيث الجملة ، فانه ما منهم أحد إلا وقد قدم الحديث الضعيف على القياس) . إعلام الموقعين ص ٣١ ج ١ كما أن أبا داود قال : ما كان فيه وهن شديد بينته ، وقد أجاز العلماء رواية الضعيف مع بيان ضعفه.

ومع هذا لم يعمل الامام أحمد بالضعيف إلا عند عدم وجود غيره في الباب ، وقدم ذلك على القياس ، وفي بعض الضعيف - الحسن في اصطلاح من جاء بعده .

وأما ما روي عنه وعن ابن مهدى ، وابن المبارك : (إذا روينا في الحلال والحرام شددنا ، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا) - تدريب الراوي ص ١٩٦ - ، وروى الخطيب البغدادي بسنده عن الامام أحمد قوله : (إذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام والسنن والاحكام تشددنا في الاسانيد، وإذا روينا عن النبي صلى =

و ـ كيف يروى الحديث الضعيف ؟

يفضل علماء الحديث لمن يروي حديثاً ضعيفاً بغير اسناد ان لايرويه

= الله عليه وسلم في فضائل الاعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الاسانيد) . الكفاية ص ١٣٤ ـ فانما يريدون بـه ـ فيما أرجح ـ أنهم يشددون في أحاديث الاحكام فلا يروون إلا ما توفرت فيه شروط الصحة ، ويتساهلون بقبول غيرها وروايته عمن خفت فيه هـذه الشروط فنزل إلى درجة الحسن بنوعيه في اصطلاح المتأخرين، وهـو الذي يقابله (الضعيف الذي يعمل به) في اصطلاح المتقدمين ، إذ لم يستقر اصطلاح الحسن في عصرهم بعد ، ومما يرجح ما ذهبت اليه قول سفيان الثوري : (لا تأخذوا هذا العلم في الحلال والحرام إلا من الرؤساء المشهورين بالعلم ، الذين يعرفون الزيادة والنقصان فلا بأس بما سوى ذلك من المشايخ) ـ الكفاية ص ١٣٤ ـ وما الرؤساء المشهورون إلا الأئمة ومن توفرت فيهم أعلى شروط الصحة ، وأما المشايخ فان كان المراد بها المعنى الاصطلاحي في التعديل فقولهم : (شيخ) ذكره ابن أبي حاتم في المرتبة الثـالثة من مراتب التعديل الاربع ، وهو من يقبل حديثه ، وفي مرتبة من يقال فيه جيد الحديث ، وحسن الحديث. وان لم يكن المراد بـ (المشايخ) المعنى الاصطلاحي بل عموم أهل العلم ـ فالمقصود الرواية عمن لا يكون شديد الضعف ، ويؤيد هذا انهم كرهوا الرواية والاحتجاج بمن غلب على حديثه الشواذ، ورواية الغرائب والمناكير، كما كرهوا الرواية عن أهل الغفلة ومن أصيبوا بالاختلاط وعمن عرف بقبول التلقين ، وبالتساهل في سماع الحديث ، وعمن كثر غلطه . ومن سواهم كانوا يحملون عنهم وهم المقصودون في قول سفيان في روايته غير الحلال والحرام وهم في رأينا رجال الحسن .

وفي رأينا أن بعض الناس فهم ما نقل عن الامام أحمد وابن مهدي وابن المبارك ، فهما بعيداً عن مراد هؤلاء الأئمة رحمهم الله ، فتناقلوا هذه العبارة : (يجوز العمل بالضعيف) في فضائل الأعمال مؤيدين تساهلهم في رواية الأحاديث الضعيفة من غير بيان ضعفهـا ، مجوزين لأنفسهم ادخال أشياء كثيرة في بعض أمور الدين لا تستند إلى دليل مقبول ، أو إلى أصـل معروف اعتماداً منهم على ضعيف الحديث ، من غير أن يفرقوا بين مفهوم الضعيف عند القدامى والمتأخرين .

وأما المذهب الثالث والشروط التي قيد بها المتأخرون العمل بالضعيف فاني أرى أن هذه الشروط وان تحققت لاتقوى على جعل الضعيف مصدراً لاثبات حكم شرعي ، أو فضيلة خلقية ، وفي نظري أن الحديث الضعيف الذي توفرت فيه هذه الشروط يثير شبهة استحباب العمل من باب الاحتياط ، لا من باب الاثبات .

ثم إن المرء يطمئن إلى ما ثبتت صحته، أكثر من اطمئنانه إلى ما تبين له ضعفه ، =

بصيغة الجزم ، فلا يقول فيه : (قال رسول الله ﷺ كذا وكذا) وما اشبه ذلك ، بل يرويه بصيغة تدل على الشك في صحته ،نحو (روى ، أو جاء أو نقل ، أو فيما يروى) ونحو هذا . ويكره قول ذلك في رواية الحديث الصحيح ، فيجب ذكره بصيغة الجزم ، ويقبح فيه صيغة الشك والتمريض ، كما يره في الضعيف صيغة الجزم [1] .

وأما رواية الاحاديث الضعيفة مسندة بصيغة الجزم فلا كراهة فيها ، اذا رويت لاهل العلم ، وأما اذا رويت للعامة فرأينا أن تكون بصيغة التمريض ، كما لو رويت بغير اسناد .

* * *

= وانا لا نتصور فضيلة خلقية ، أو أمرا في ترغيب أو ترهيب، لا يكتب له الانتقال الينا بطريق صحيح ،أوحسن ،أو بطرق ضعيفة محتملة ترتقي به إلى درجة الحسن لغيره، وهو أدنى درجات القبول - لا نتصور هذا بعد أن عرفنا الجهود التي بذلها العلماء منذ الصدر الأول في سبيل حفظ السنة ، وصيانتها ونقلها ، وبيان صحيحها من سقيمها ، وجمعها في مدونات كثيرة تؤكد أن السنة قد حفظت بعناية المسلمين عناية فائقة جليلة. وحسبنا أن نعتمد في كل هذا على صحاح الحديث وحسانه ، بعد أن عرفنا اختلاف مفهوم الضعيف بين القدامى والمتأخرين .

١ - انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٣٩ ، وتدريب الراوي ص ١٩٥ - ١٩٦ .

الفصل الرابع

المشترك بين الصحيح والحسن والضعيف

وجدنا بالاستقراء أن بعض المصطلحات الحديثية – أي أنواع الحديث باصطلاح المصنفين من المحدثين – يشترك بين الأقسام الثلاثة : الصحيح والحسن والضعيف ، ولهذا آثرنا أن نضمها جميعا في هذا الفصل ، ونجعل ما كان منها متقارباً في مجموعات ليسهل تعريفها وبيانها ودراستها[1] .

المرفوع ، والمتصل ، والمسند :

١ – المرفوع : وهو ما أضيف إلى النبي ﷺ خاصة ، من قول أو فعل أو تقرير ، متصلاً كان أو منقطعاً ، بسقوط الصحابي منه أو غيره ، وقيده الخطيب البغدادي بما أخبر فيه الصحابي عن الرسول ﷺ من قول أو فعل ، فأخرج بذلك المرسل والأول هو الذي عليه الجمهور[2].

٢ – المتصل : ويسمى الموصول ، وهو ما اتصل سنده إلى غايته

---

١ – سبقنا إلى نحو هذا فضيلة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله في كتابه (قواعد التحديث) انظر ص ١٢٣ وما بعدها ، ولكننا لن نلتزم تقسيمه وترتيبه .

٢ – انظر مقدمة التمهيد ص ٧ : آ – ب ، والكفاية ص ٢١ ، ومقدمة ابن الصلاح ص ١٨ وفتح المغيث للسخاوي ص ٣٩ .

سواء أكان مرفوعاً إلى الرسول ﷺ أم موقوفاً [1] ، ولا يطلق على ما دون ذلك إلا مع التقييد ، فيقال هذا متصل إلى سعيد بن المسيب ، أو الى الزهري ، وذلك لأن الموقوف على التابعي يسمى (مقطوعاً) [2] .

٣ ـ **المسند** : هو على المعتمد ، ما اتصل سنده من أوله الى منتهاه ، وأكثر ما يستعمل فيما جاء عن النبي ﷺ ، فهو المرفوع المتصل [3] .

فالحديث المتصل ـ على هذا ـ قد يكون مرفوعاً ، وقد يكون غير مرفوع ، والحديث المرفوع قد يكون متصلاً وقد يكون غير متصل ، والحديث المسند هو المتصل المرفوع .

المعنعن ، والمؤنن ، والمعلق :

٤ ـ المعنعن : هو الأسناد الذي فيه (فلان عن فلان) ، قيل انه مرسل حتى يتبين اتصاله ، والذي عليه الجمهور انه متصل بشرط أن لا يكون المعنعن مدلساً ، وبشرط إمكان لقاء من أضيفت العنعة إليهم ، بعضهم بعضاً . وإذا فقد أحد هذين الشرطين لا يكون متصلاً [4] .

٥ ـ المؤنن : وهو ما يقال في سنده : (حدثنا فلان أن فلاناً حدثه بكذا ..) نحو حدث مالك عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب قال كذا [5] .

---

١ ـ الموقوف هو ماروى عن الصحابي من قوله أو فعله انظر ص (٣٧٧) من هذا الكتاب . انظر فتح المغيث للسخاوي ص ٤١ ، وتدريب الراوي ص ١٠٨ .

٢ ـ انظر ص (٣٧٨) من هذا الكتاب وتدريب الراوي ص ١٠٨ .

٣ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ١٧ ـ ١٩ ، والكفاية ص ٢١ .

٤ ـ انظر صحيح مسلم ص ٢٩ ج ١ ، ومعرفة علوم الحديث ص ٣٤ ، والكفاية ص ٤٠٦ .

٥ ـ انظر مقدمة التمهيد ص ٧ : آ ، ونحو هذا في المحدث الفاصل ص ٥٧٤ ومابعدها.

وفرق بعضهم بين (عن) و (أن) : فرأوا أن (أن) محمولة على الانقطاع حتى يتبين السماع في ذلك الخبر بعينه من طريق آخر ، أو يأتي ما يدل على أنه قد شهده أو سمعه[1] . وعند الجمهور (أن) كعن في الاتصال بالشرط المتقدم[2] .

٦ ـ المعلق : وهو ما حذف من أول اسناده واحد فأكثر على التوالي ، ويعزى الحديث إلى من فوق المحذوف من رواته . وهو مأخوذ من تعليق الطلاق لاشتراكهما في قطع الاتصال[3] .

والمعلق كثير في صحيح البخاري ، وإنما أورده معلقاً اختصاراً ومجانبة للتكرار ، وأكثر ما في البخاري من ذلك موصول في موضع آخر من كتابه[4] . فما كان منه بصيغة الجزم ، كقال ، وفعل وأمر ، وروى ، وذكر فلان ـ فهو حكم بصحته عن المضاف إليه ، لأنه لا يستجيز أن يجزم بذلك عن المضاف إليه إلا وقد صح عنده عنه[5] . كقول البخاري في الصوم: (وقال يحيى بن كثير عن عمر بن الحكم بن ثوبان عن أبي هريرة : قال: إذا قاء فلا يفطر)[6] .

وما كان من المعلق بغير صيغة الجزم ـ كيروى ويذكر ، ويحكى ،

---

١ ـ انظر مقدمة التمهيد ص ٧ : آ ، والكفاية ص ٤٠٧ ، ص ٤٠٨ .

٢ ـ انظر مقدمة التمهيد ص ٧ : آ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٧٨ ، ص ٧٩ ج ١.

٣ ـ انظر فتح المغيث للعراقي ص ٣١ ج ١ .

٤ ـ وفي مسلم ثلاثة أحاديث . انظر تدريب الراوي ص ٦٠ ، وفصل السيوطي أنواع المعلق في صحيح البخاري انظر تدريب الراوي ص ٦٠ ـ ٦٢ ، وقارن بصفحة ١٣٦ ـ ١٣٧ منه .

٥ ـ انظر مقدمة ابن الصلاح ص ١٠ ، وتدريب الراوي ص ٦٠ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٣٠ ج ١ .

٦ ـ فتح المغيث للعراقي ص ٣١ ج ١ .

ويقال ، ونحو ذلك ـ ليس له حكم الصحة عن المضاف إليه[1] .

فمن الأحاديث المؤننة والمعنعة والمعلقة الصحيح والحسن والضعيف ، تبعاً لحال رواتها ، ولهذا أدرجناها في القسم المشترك بين الأقسام الثلاثة من الحديث .

الفرد ، والغريب :

٧ ـ الفرد : الفرد نوعان ، فرد مطلق ، وفرد نسبي .

آ ـ الفرد المطلق : هو ما تفرد به راو واحد عن جميع الرواة . فلو تفرد بالحديث صحابي عن الرسول ﷺ ، أو تابعي عن الصحابي ، أو تابع التابعي عن التابعي ، ولم يرو ما تفرد به من طريق آخر لا باللفظ ولا بالمعنى ، يكون هذا الفرد مطلقاً ، فحين يقال تفرد سعيد بن المسيب بكذا وكذا عن أبي هريرة ، معنى هذا أنه لم يُروَ ما تفرد به عن أبي هريرة إلا من طريقه ، ولو تعددت الطرق إليه[3] ، ومثال هذا النوع من الفرد المطلق الصحيح حديث : (النهي عن بيع الولاء ، وعن هبته)[4] ، فقد تفرد بروايته عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، فابن عمر صحابي جليل وابن دينار تابعي حافظ متقن ، لهذا حكموا له بالصحة .

فاذا كان المتفرد بالحديث ثقة ، ومرويه لا يخـــالف مروى غيره ، فحديثه صحيح ، وإذا كان المتفرد خفيف الضبط ، فحديثـه حسن ، وإذا كان المتفرد ضعيفاً فحديثه ضعيف .

---

١ ـ وليس بواه لادخاله في كتاب الصحيح بل ايراده في الصحيـــح يشعر بصحة أصله ، ويؤنس به ويركن اليه ، ومثال المعلق بغير صيغة الجزم قوله : (يذكر عن عبد الله بن السائب ، قال : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (المؤمنون) في صلاة الصبـــح . انظر تدريب الراوي ص ٦٢ .

٢ ـ انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٣٣ ،وفتح المغيث للعراقي ص ١٠٠ ج ١ ، وشرح النخبة ص ٨ ، وتدريب الراوي ص ١٥٦ ، وقارن بصفحة ١٥٩ منه .

٣ و ٤ ـ انظر شرح نخبة الفكر ص ٧ ـ ٨ ، وسبل السلام ص ١٤ ـ ١٥ ج ٣ .

أما إذا تفرد الراوي بحديث وخالف فيه غيره فأمامنا ثلاث حالات :

الحالة الاولى : إذا كان المتفرد بالحديث ، والمخالف له متساويين في الحفظ والضبط ، ولا يمكن ترجيح مروى أحدهما على الآخر بوجه من وجوه الترجيح لاستوائهما في كل الشروط – حينئذ يكون المروى مضطرباً كما بينا ذلك سابقاً .

الحالة الثانية : أن يكون المتفرد بالحديث ثقة مخالفاً من هو أولى منه ، فيكون حديثه شاذاً كما رأينا في (الحديث الشاذ) .

الحالة الثالثة ، أن يكون المتفرد بالحديث ضعيفاً ومخالفاً الثقات ، فيكون حديثه منكراً كما أسلفنا .

ومن هنا يتبين لنا الفرق بين الفرد والشاذ ، فالشاذ يجامع الفرد في التفرد ، ويفترق عنه بشرط المخالفة .

ب – الفرد النسبي : هو ما حكم بتفرده بالنسبة لصفة معينة ، أي قيد بصفة خاصة ، وإن كان الحديث بنفسه مشهوراً ، وهو على أنواع .

الأول : ما قيد ببلد معين ، كقولهم تفرد بهذا الحديث أهل مكة ، أو أهل المدينة ، أو أهل الشام .

الثاني : ما قيد بثقة ، كقولهم لم يرو حديث كذا ثقة إلا فلان .

الثالث : ما قيد بامام أو حافظ ونحوه كقولهم تفرد بهذا الحديث فلان عن فلان ، أو لم يرو حديث كذا عن فلان إلا فلان .

فالفرد النسبي ليس تفرداً مطلقاً بأن لايروى الحديث إلا من طريق واحد ، بل هو تفرد مقيد بصفة خاصة ، اللهم إلا إذا أريد بتفرد أهل بلد تفرد واحد من تلك البلد ، فحينئذ يكون من الفرد المطلق .

٨ – الغريب :

قال ابن حجر الغريب : هو ما تفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند[١] . وقد تكون الغرابة في أصل السند ، أي الموضع الذي يدور الاسناد عليه ، ولو تعددت الطرق إليه ، وهو طرفه الذي فيه الصحابي أو لا يكون كذلك ، بأن يكون التفرد في أي طبقة من طبقات السند ، كأن يرويه عن الصحابي أكثر من واحد ثم ينفرد بروايته عن واحد منهم شخص واحد ، فالأول الفرد المطلق ، والثاني الفرد النسبي[٢] . **والفرد النسبي هو الذي يطلق عليه المحدثون اسم الغريب** ، ويسمونه غريباً لتفرد راويه عن غيره به ، كالغريب الذي شأنه الانفراد عن وطنه .

ولا يطلق المحدثون الغريب على الفرد المطلق الذي ليس له عن النبي ﷺ إلا راو واحد من الصحابة ، ولو تعددت الطرق إليه ، بل يقولون حديث فرد ، فلو تفرد عن الصحابي تابعي فهو فرد غريب .

والحق أن بين الغريب والفرد عنصراً مشتركاً ، وهو التفرد ، ففي الغريب التفرد النسبي ، وفي الفرد التفرد المطلق ، وهذا الرابط المشترك بينها لغة واصطلاحاً جعلها كالمترادفين ، ولكن المحدثين غايروا بينهما من حيث كثرة الاستعمال وقلته ، فالفرد أكثر ما يطلقونه على الفرد المطلق ، والغريب أكثر ما يطلقونه على الفرد النسبي ، فمن حيث التسمية ليسا مترادفين ، وأما في استعمالهم الفعل المشتق فلا يفرقون بين التفرد والاغراب ، فيقولون في الفرد المطلق ، وفي الغريب (الفرد النسبي) تفرد به فلان ، أو أغرب به فلان[٣] .

---

١ ـ شرح نخبة الفكر ص ٦ .
٢ ـ انظر شرح نخبة الفكر ص ٧ – ٨ .
٣ ـ انظر شرح نخبة الفكر ص ٨ .

وننتهي من كل هذا إلى أن التفرد في الحديث الغريب يقع في أي موضع من السند ، فيقيد بالموضع الذي وقع فيه .

أما التفرد في الحديث الفرد فيكون في أصل السند وهو طرفه الذي فيه الصحابي وعليه يدور الاسناد ، واليه يرجع ولو تعددت الطرق إليه .

والغريب منه ما هو صحيح كالاحاديث الافراد المخرجة في كتب الصحيح[1] ، ومنه الحسن ، ومنه غير صحيح وهو الغالب على الغرائب ، ومن ثم كره كثير من الائمة تتبع الغرائب ، قال ابراهيم النخعي : (كانوا يكرهون غريب الكلام ، وغريب الحديث)[2] وقال الامام أحمد : (لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب ، فانها مناكير وعامتها عن الضعفاء)[3] .

والغريب أنوع — منها :

١ — غريب المتن والاسناد : وهو الحديث الذي يتفرد برواية متنه راو واحد . ومثاله حديث محمد بن سوقه عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : (إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ، فإن المنبتّ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى) . هذا حديث غريب المتن والاسناد فلم يروه عن ابن المنكدر عن جابر غير محمد بن سوقة كما قال الحاكم النيسابوري[4] .

٢ — غريب الاسناد كالحديث المعروف متنه برواية جماعة من الصحابة ، فيتفرد راو واحد بروايته عن صحابي آخر ، فانه يكون غريباً من هذا

---

١ ـ حيث توفرت فيها جميع شروط الصحة .
٢ ـ الكفاية ص ١٤١ ، والمحدث الفاصل فقرة (٧٧٤) .
٣ ـ تدريب الراوي ص ٣٧٦ .
٤ ـ معرفة علوم الحديث ص ٩٦ .

الوجه ، مع أن متنه ليس غريباً[1] . وفي هذا يقول الترمذي : غريب من هذا الوجه . ومن هذا النوع غرائب الشيوخ في أسانيد المتون الصحيحة كما قال ابن الصلاح[2] .

٣ – غريب بعض المتن : ومثاله ما رواه الترمذي عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان على كل حر أو عبد ، ذكراً كان أو انثى من **المسلمين** – صاعاً من تمر ، أو صاعاً من شعير) . تفرد الامام مالك عن سائر رواة هذا الحديث بزيادة (من المسلمين) . فالغرابة هنا للزيادة التي في متن هذا الحديث[3] .

---

١ – ومثال هذا : حديث رواه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روّاد ، عن زيد ابن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الاعمال بالنية) قال أبو يعلي الخليلي : اخطأ فيه عبد المجيد ، وهو غير محفوظ عن زيد بن أسلم بوجه . قال أبو الفتح (ابن سيد الناس) : هذا مما أخطأ فيه الثقة ، هو اسناد غريب كله والمتن صحيح . انظر تدريب الراوي ص ٣٧٦ – ٣٧٧ .

٢ – انظر مقدمة ابن الصلاح ص ١١١ . ومن المناسب أن نذكر هنا أنه لا يوجد حديث غريب المتن فقط دون غرابة الاسناد إلا إذا اشتهر الحديث الفرد فرواه عن المنفرد كثير من الرواة – فيصير غريباً مشهوراً ، غريباً متناً لا اسناداً ، وهذا بالنسبة إلى أحد طرفي الاسناد ، فان اسناده غريب في الطرف الأول ، مشهور في طرفه الآخر . ومثال هذا حديث (إنما الأعمال بالنيات) ، فقد رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتفرد به عنه علقمة ، وانفرد به محمد بن ابراهيم عن علقمة ، وانفرد به يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم ، ثم تعدد رواته عن يحيى فأصبح مشهوراً ، فهذا الحديث غريب متناً واسناداً إلى محمد بن ابراهيم ، غريب متناً لتفرد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه به ، وغريب أيضاً لتفرد علقمة به عنه ، وبعد اشتهاره عن يحيى لم يعد غريب الاسناد من هذا الطرف ، وعلى هذا فحديث (إنما الأعمال بالنيات) حديث غريب مشهور . انظر تدريب الراوي ص ٢٨ و ص ٣٧٧ ، وقارن بنشأة علوم الحديث ص ٤١٩ .

٣ – وهذه الزيادة تفرد بها الامام مالك فقط ، فلو لم يتفرد بها لم يكن الحديث غريباً ، وهنا يمكننا أن نقول إن غرابة المتن تستلزم غرابة الاسناد . انظر الحديث في سنن الترمذي بشرح ابن العربي ص ٣٣٦ ج ١٣ .

وقد اهتم الأئمة بمعرفة الافراد والغرائب ، فصنف كثير منهم في ذلك منذ أواخر القرن الثالث ، ومن أشهر هذه المؤلفات كتاب (أطراف الغرائب والأفراد) للحافظ محمد بن طاهر المقدسي (٤٤٨ – ٥٠٧ هـ) ، وفيه رتب كتاب (الافراد) للحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي (٣٠٦ – ٣٨٥ هـ) – على ترتيب الأطراف[١] ، وكتاب (الأحاديث الصحاح الغرائب) ليوسف بن عبد الرحمن المزي الشافعي (٦٥٤ – ٧٤٢ هـ)[٢] .

العزيز ، والمشهور ، والمستفيض :

٩ – العزيز : وهو ما انفرد بروايته عن راويه اثنان ، فلا يرويه أقل من اثنين عن اثنين ، ولو رواه بعد ذلك عن الاثنين جماعة لايخرج عن كونه عزيزاً ، ولكن تنضم اليه صفة أخرى ، وهي الشهرة ، فهو عزيز لرواية اثنين عن راويه ، مشهور لرواية جماعة عنهما ، أو عن احدهما فيسمى حينئذ عزيزاً مشهوراً[٣] .

ويختلف العزيز عن الغريب بأنه لا يرويه أقل من اثنين عن اثنين ، والغريب ما تفرد بروايته واحد عن راويه كما أسلفنا . وسمي عزيزاً إما لقلة وجوده ، أو لكونه قوي بمجيئه من طريق أخرى[٤] .

ومثال العزيز ، ما رواه الشيخان من حديث أنس ، والبخاري من

---

١ – توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم (٦٩٧ حديث) .

٢ – توجد نسخة مخطوطة من كتابه في دار الكتب الظاهرية ضمن مجموعة تحت الرقم (٢٢ مجموعة ٦) . وانظر مزيداً من هذه المؤلفات في كتابنا نشأة علوم الحديث ومصطلحه ص ٤١٧ و ص ٤٢٠ .

٣ – انظر مثال ذلك في تدريب الراوي ص ٣٧٨ .

٤ – انظر شرح نخبة الفكر ص ٥ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٢ ج ٤ وتدريب الراوي ص ٣٧٥ .

حديث أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : (لايؤمن احدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده) . الحديث رواه عن أنس قتادة وعبد العزيز بن صهيب ، ورواه عن قتادة شعبة وسعيد ، ورواه عن عبد العزيز اسماعيل بن علية وعبد الوارث ، ورواه عن كل جماعة [1].

وقد يكون العزيز صحيحاً ، أو حسناً ، أو ضعيفاً تبعاً لا حوال رواته ، ولا يشترط في الصحيح أن يكون عزيزاً كما ظن بعضهم [2] ، وليس كل عزيز صحيحاً ، ولا كل صحيح عزيزاً .

١٠ ، ١١ - : المشهور المستفيض :

المشهور : هو ما اشترك في روايته ثلاثة أو أكثر عن شيخ [3] ، وقال ابن حجر : المشهور ماله طرق محصورة بأكثر من اثنين ، ولم يبلغ حد التواتر . وقد سمي بذلك لوضوحه ، وسماه جماعة من أئمة الفقهاء (المستفيض) لانتشاره ، من فاض الماء يفيض فيضاً . ومنهم من غاير بين المستفيض والمشهور ، بأن المستفيض يكون في ابتدائه وانتهائه سواء ، والمشهور أعم من ذلك ، ومنهم من عكس ذلك [4] .

وقلما يستعمل المحدثون اصطلاح المستفيض ، فالمشهور أكثر تردداً في عباراتهم ، ثم ان المشهور والمستفيض مع كثرة رواتها ليسا دائماً صحيحين فمن المشهور : الصحيح ، والحسن ، والضعيف [5] ، تبعاً لحال رواته .

وشهرة الحديث أمر نسبي ، فمنه ما هو مشهور عند أهل الحديث

---

١ - انظر شرح نخبة الفكر ص ٥ ، وتدريب الراوي ص ٣٧٥ .
٢ - انظر علوم الحديث للحاكم ص ٦٢ ، وقارن بشرح نخبة الفكر ص ٥ .
٣ - انظر اختصار علوم الحديث ص ١٨٧ ،وأطراف الغرائب والأفراد ص ٩:ب .
٤ - انظر شرح نخبة الفكر ص ٥ ، وتدريب الراوي ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .
٥ - انظر أمثلة لكل ذلك في تدريب الراوي ص ٣٦٩ .

خاصة وهو المشهور الاصطلاحي الذي عرفناه ، ومنه ما هو مشهور بينهم وبين غيرهم من العلماء ، ومنه ما هو مشهور عند العلماء والعـــامة وهو ما اشتهر على الالسنة . فيشمل المشهور ماله اسناد واحد فصاعداً ، بـل ما لايوجد له اسناد أصلا [1] ، وما اشتهر على الالسنة أعم مما اشتهر عند المحدثين خاصة ، أو عندهم وعند غيرهم ، أو عند العامة مما لا أصل له .

ومن ثم قيل : حديث (أبغض الحلال إلى الله الطـلاق) مشهور عند الفقهاء ، وحديث (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) مشهور عند الاصوليين ، وحديث (مداراة الناس صدقـــة) مشهور عند العامة ، وأما حديث : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما حرم الله) فهو مشهور عند المحدثين والفقهاء ، والاصوليين وغيرهم كما أنه مشهور عند العوام أيضاً .

ومما هو مشهور لشهرتـه على الالسنة وليس له أصل — حديث : (يوم صومكم يوم نحركم) [2] .

وبدهي ان المشهور عند أهل الحديث غير المشهور على الالسنة ، سواء أكان مشهوراً عند العلماء والعامة أم لم يكن . وهو الذي رواه ثلاثة أو أكثر ، ومثاله ما أخرجه أصحاب الصحاح عن أنس بن مالك : ان رسول الله ﷺ قنت شهراً بعد الركوع يدعو على رِعْلٍ وذَكْوان [3].

---

١ - انظر اختصار علوم الحديث ص ١٨٥ وشرح نخبة الفكر ص ٥ .

٢ - انظر المقاصد الحسنة ص ٤٨٠ .

٣ - رعل وذكوان وعُصية قبائل من بني سُليم غدرت بوفد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجد وكان ذلك ببئر معونة بين مكة والمدينة في شهر صفر سنة أربع من الهجـــرة انظر سيرة ابن هشام ص ١٩٣ ج ٣ . وقارن بصحيح مسلم ص ٤٦٨ ج ١ ، ومعرفة علوم الحديث ص ٩٣ — ٩٤ .

١٢ ، ١٣ – : المتابع والشاهد [١] :

قبل أن يحكم إمام بتفرد راو عن شيخه بحديث ما – يتتبع طرق هذا الحديث ، ويجمعها من مظانها في كتب الجوامع والمسانيد والمعاجم والمشيخات والفوائد والاجزاء – باحثاً هل شارك هذا الراوي غيره في رواية هذا الحديث عن شيخه بلفظه أو بلفظ مقارب له ، أو شارك أحد شيخه في روايته عن شيخ شيخه ؟ ويتتبع ذلك إلى آخر السند ، **فان وجد شيئاً فهو المتابع** ، ومنه قولهم فلان تابع فلاناً ، فان كانت المتابعة عن شيخ الراوي فهي تامة ، وان كانت عمن فوقه فهي قاصرة أو ناقصة ويطلق على مشاركة المتابع للراوي في روايته عن شيخه أو عمن فوقه **متابعة** .

فإن لم يجد متابعاً لذلك الراوي عن شيخه ، أو عن شيخ شيخه إلى آخر السند ، ينظر هل يروى هذا الحديث من طريق آخر عن صحابي غيره باللفظ أو بالمعنى ، فان وجد ذلك فهو **الشاهد** ، فان لم يجد متابعاً ولا شاهداً كان الحديث فرداً .

فالمتابعة : هي مشاركة راو راوياً آخر في رواية حديث عن شيخه أو عمن فوقه من المشايخ .

والشاهد : هو الحديث الذي يروى عن صحابي مشابهاً لما روى عن صحابي آخر في اللفظ أو المعنى .

وقد أطلق أهل الحديث على طريق التوصل إلى معرفة المتابع والشاهد

---

٣ ـ أهم مصادر هذه الفقرة : مقدمة ابن الصلاح ص ٣١ – ٣٢ ، والمنهل الروي ص ١٣ : آ ، وشرح نخبة الفكر ص ١٤ – ١٥ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٩٤ وما بعدها ج ١ ، واختصار علوم الحديث ص ٦٣ – ٦٤ ، وفتح المغيث للسخاوي ص ٨٦ – ٨٨ ، وتدريب الراوي ص ١٥٣ ، وقواعد التحديث ص ١٢٨ – ١٢٩ .

والفرد بتتبع طرق الحديث وجمعها من مظانها – أطلق أهل الحديث على ذلك – اسم (**الاعتبار**) . فالاعتبار هو البحث وسبر طرق الحديث ، وهيئة التوصل لمعرفة هل للحديث متابع أو شاهد أم أنه حديث فرد . فالاعتبار ليس قسيماً للمتابع والشاهد ، بل هو الطريق إلى معرفتها .

وخص بعض أهل الحديث المتابعة بما حصل من ذلك باللفظ والمعنى سواء أكان من طريق ذلك الصحابي أم لا ، والشاهد بما حصل بالمعنى كذلك .

وقال ابن حجر : وقد تطلق المتابعة على الشاهد وبالعكس ، والامر فيه سهل[1] أي من حيث أن كلا منهما يفيد تقوية الحديث .

مثال المتابعة : روى الامام مسلم عن زهير بن حرب ، عن سفيان عن أبي الزناد ، عن الاعرج عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » . فقد تابع جماعة من الرواة زهير بن حرب متابعة تامة برواية هذا الحديث عن شيخه سفيان[2] . وتابعه بعضهم متابعة قاصرة بروايته عن أبي سلمة عن أبي هريرة[3] .

ومثال الشاهد : روى الترمذي بسنده عن سالم بن عبد الله ابن عمر عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول : (من أتى الجمعة فليغتسل)[4] فلهذا الحديث شاهد من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه في

---

١ - انظر شرح نخبة الفكر ص ١٥ .

٢ - انظر صحيح مسلم ص ٢٢٠ ج ١ حديث رقم (٢٥٢) .

٣ - انظر سنن الترمذي ص ٣٤ حديث ٢٢ ج ١ .

٤ - سنن الترمذي ص ٣٦٤ حديث (٤٩٢) حـ ٢ ، لهذا الحديث متابعة في صحيح البخاري . انظر فتح الباري ص ٧ ج ٣ .

في الصحيحين – عن الرسول ﷺ أنه قال : (الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم)[1] .

١٤ ، ١٥ – : العالي والنازل[2] :

الاسناد العالى هو ما قل عدد رواته إلى الرسول ﷺ ، والعلو قسمان :

الاول : العلو المطلق وهو ما قرب رجـــال سنده من رسول الله ﷺ بسبب قلة عددهم بالاضافة إلى سند آخر أكثر منه عدداً يروي به الحديث ذاته ، أو بالنسبة لمطلق الأسانيد ، وهذا النوع أجلها على أن يكون باسناد صحيح ، وقد فضل جمهور المحدثين الأسناد العالي عن الثقات على النازل ولو كان عن الثقات ، ولم يروا في طلب العالي عن غير ثقة أية فائدة ، وكثيراً ما كانوا يؤثرون النازل على العالي إذا تميز بفائدة ما .

الثاني : العلو النسبي أو الإضافي :أي بالإضافة إلى شيء معين ومن هذا :

١ – القرب من امام من أئمة الحديث ، كالأعمش ، وهشيم ومالك ، وغيرهم ، مع صحة الاسناد اليه وان كثر العدد بعد الامـــام الى الرسول ﷺ[3] .

٢ – العلو بالاضافة إلى رواية كتاب معتمد ، كالصحيحين والسنن الأربعة ونحوها ، كأن يروي راو – من طريق غير طريق البخاري –

---

١ – فتح الباري ص ١١ ج ٣ ، وصحيح مسلم ص ٥٨٠ ج ٢ .

٢ – أم مصادر هذه الفقرة : المحدث الفاصل فقرة (١٠٣) وما بعدها ، ومعرفة علوم الحديث ص ٥ – ١٤ ، والجامع لأخلاق الراوي ص ١١ وما بعدها ، وجامع الأصول لابن الأثير ص ٥٩ – ٦٢ ج ١ ، ومقدمة ابن الصلاح ص ١٠٥ ، واختصار علوم الحديث ص ١٧٨ – ١٨٥ ، وتدريب الراوي ص ٣٥٨ – ٣٦٨ .

٣ – انظر معرفة علوم الحديث ص ١١ ، ١٢ ، ومقدمة ابن الصلاح ص ١٠٦ ، وتدريب الراوى ص ٣٦٣ .

حديثاً أخرجه البخاري ويلتقي بشيخ البخاري أو شيخ شيخه بحيث يكون رجال إسناده من هذا الطريق أقل عدداً مما لو رواه عن طريق البخاري ، وهذا ما اشتهر باسم الموافقة والبدل ، والمساواة والمصافحة[1] ، وقد اعتنى به كثير من المتأخرين .

٣ — العلو بتقدم وفاة الراوي ، فقد يوجد اسنادان متساويان في عدد رواتهما ، ولكنه يحكم بالعلو لأحدهما دون الآخر لتقدم وفيات رواته عن وفيات رجال الآخر ، ومثال هذا أن من سمع الحديث من سماك بن حرب (— ١٢٣ هـ) ، عن عامر الشعبي (— ١٠٣ هـ) ، عن علي بن أبي طالب (— ٤٠ هـ) — رضي الله عنهم جميعاً — أعلى نسبياً ممن سمعه من شعبة بن الحجاج (— ١٦٠ هـ) ، عن الأعمش (— ١٤٨ هـ) ، عن عبد الله بن أبي أوفى (— ٨٧ هـ) رضي الله عنهم أجمعين ، لتقدم وفاة الثلاثة الأولين على الثلاثة الآخرين .

٤ — العلو بالنسبة لتقدم السماع ، فمن سمع من شيخه قديماً أعلى ممن سمع منه أخيراً ، كأن يسمع شخصان من شيخ واحد ، أحدهما سمع منه منذ ستين سنة ، والآخر منذ أربعين سنة مثلاً ، فالأول أعلى سماعاً من الثاني ، وإن تساوى عدد الرواة إليهما .

وعلى هذا فجميع أنواع العلو خمسة ، أحدها علو مطلق ، والأربعة

---

١ - قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر : (وفي العلو النسبي الموافقة ، وهي الوصول إلى شيخ أحد المصنفين من غير طريقه ... ومثاله أن يروى البخارى عن قتيبة عن مالك حديثاً ، فلو رويناه من طريقه كان بيننا وبين قتيبة ثمانية ، ولو روينا ذلك الحديث بعينه من طريق أبي العباس السراج عن قتيبة مثلاً ، لكان بيننا وبين قتيبة فيه سبعة ، فقد حصلت لنا الموافقة مع البخارى في شيخه ، مع علو الاسناد على الاسناد اليه ، وفي العلو النسبي البدل: وهو الوصول إلى شيخ شيخه كذلك ، وفيه المساواة : وهي استواء عدد الاسناد من الراوى إلى آخره مع اسناد أحد المصنفين . وفيه المصافحة : وهي الاستواء مع تلميذ ذلك المصنف) . شرح نخبة الفكر ص ٣١ - ٣٢ .

علو نسبي ، ويقابل أنواع العلو الخمسة – خمسة أنواع للنزول ، كل نوع يعرف من ضده .

وقد يختار اسناد نازل على إسناد عال لفائدة فيه ، كأن يكون فيه زيادة ثقة ، أو يكون رواته أحفظ أو أفقه أو نحو هذا ، أو يكون النازل متصلاً بالسماع بينما العالي بالاجازة ، فيفضلون النازل على العالي لأن السماع مقدم على الإجازة ، وقد أكد كثير من السلف أن جودة الحديث ليست بقرب الإسناد ، بل بصحة الرجال .

تكلمنا في العلو والنزول من حيث قلة وكثرة عدد الرواة ، ولكن من الأسانيد ما يعلو بشدة ضبط الرواة وشهرتهم بصحة النقل والرواية ، كمشايخ البخاري ومسلم ، ومنها ما يعلو بفقه الرواة ، ومنها ما يعلو باشتهار الرواة بكثرة ملازمتهم للشيوخ المروى عنهم ونحو ذلك ، فأمثال هذه الأسانيد – وإن بعد طريقها وكثر رجالها – عالية ، وإن كان غيرها أقل رجالاً منها إذا لم تكن حال رواتها كحال هؤلاء . فمثل هذا العلو علو معنوي ، وذلك علو ظاهر مقيد بعدد الرواة[1] .

ثم إن الحكم بالعلو أو بالنزول لا يدل على صحة الاسناد ، لذلك اهتم العلماء بمعرفة الرواة أكثر من اهتمامهم بعدد رجال السند ، وكانت غاية المتقدمين من علو الاسناد القرب من الرسول ﷺ ليقل احتمال وقوع الخطأ فيما يروون .

ويتفاوت العالي والنازل صحة وضعفاً تبعاً لحال رواته .

١١ – المدرج :

هو الحديث الذي يطلع فيه على زيادة ليست منه . والإدراج في اللغة من أدرج الشيء في الشيء أي أدخله فيه ، وضمنه إياه .

---

١ – أنظر بسط هذا في نشأة علوم الحديث ومصطلحه ص ٤٣٢ وما بعدها .

والإدراج في الإصطلاح نوعان : إدراج في المتن ، وإدراج في السند .

آ ـ **أما إدراج المتن** فهو ادخال شيء من كلام بعض الرواة في متن الحديث ، فيتوهم أنه من كلام الرسول ﷺ ، وقد يكون الادراج في أول الحديث ، أو في وسطه ،أو في آخره وهو الغالب في إدراج المتن .

مثال المدرج في أول المتن ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ « أسبغوا الوضوء ، ويل للاعقاب من النار » فقوله : (أسبغوا الوضوء) مدرج من قول أبي هريرة ، كما ميزه الائمة وبدلالة ما أخرجه البخاري وأحمد أن أبا هريرة رأى أناساً يتوضؤون فقال لهم : (أسبغوا الوضوء فإني سمعت ابا القاسم ﷺ يقول : « ويل للأعقاب من النار » ، فوهم أحد الرواة عن شعبة بن الحجاج وظنه كله عن الرسول ﷺ ، ورواه جميعه عنه .

ومثال المدرج في وسط المتن حديث عائشة رضي الله عنها ، (كان النبي ﷺ يتحنث في غار حراء ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد) فجملة (وهو التعبد) من قول الزهري للتفسير .

ومثال المدرج في آخر الحديث قول ابن مسعود بعد حديث التشهد : (إذا قلت هذا ، أو قضيت هذا ، فقد قضيت صلاتك ، إن شئت أن تقوم فقم ، وإن شئت أن تقعد فاقعد) فقد وصل بعض الرواة هذه الجملة بالحديث المرفوع ، وهي مدرجة من كلام ابن مسعود باتفاق الحفاظ(١)

---

١ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص٣٩، ومقدمة ابن الصلاح ص٣٦ ـ ٣٧، وفتح المغيث للسخاوي ص ١٠١ ـ ١٠٥ ، وتدريب الراوي ص ١٧٣ وما بعدها ، وتوضيح الأفكار ص ٥٠ ج ٢ ، وكتاب المدرج إلى المدرج ص ١ مخطوط دار الكتب المصرية .

ب – ومدرج السند ثلاثة أنواع أيضاً :

الاول : أن يكون عند الراوي متنان باسنادين فيرويها بأحدهما .

الثاني : أن يسمع راو حديثاً من جماعة مختلفين في إسناده ، أو متنه فيرويه عنهم باتفاق ، وبأسناد واحد من غير أن يبين الخلاف بينهم .

الثالث : أن يكون عند راو حديث بإسناد ، إلا طرفاً منه ، وعنده هذا الطرف بأسناد آخر ، فيرويه راوٍ عنه تاماً بأحد الإسنادين .

جـ – كيف يعرف المدرج :

أكثر الرواة يبينون الادراج ولا يسكتون عنه ، وطريق معرفة المدرج من غيره ، ورود الحديث من طريق آخر لا تذكر فيه الزيادة المدرجة ، أو بإقرار الراوي ، أن كذا من قول فلان ، أو بحكم الأئمة المطلعين على ذلك ، أو باستحالة صدور مثل ذلك عن الرسول ﷺ ومثال هذا ما رواه أبو هريرة مرفوعاً : (للعبد المملوك أجران . والذي نفسي بيده لولا الجهاد والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك) فقوله : (والذي نفسي بيده) الى آخره مدرج من قول أبي هريرة ، وهذا مما يعرفه أهل هذا الشأن بداهة ، لاستحالة أن يقوله النبي ﷺ ، لأن أمه توفيت وهو صغير ، ولأنه يمتنع منه ﷺ أن يتمنى الرق وهو أفضل الخلق [1] .

د – حكم الادراج :

أجمع العلماء على حرمة تعمد الادراج بأنواعه ، وقال ابن السمعاني وغيره : (من تعمد الادراج فهو ساقط العدالة ، وممن يحرف الكلم عن مواضعه ، وهو ملحق بالكذابين) . وأما ما كان لتفسير شيء من معنى الحديث ففيه تسامح ، والاولى أن ينص الراوي على بيانه .

---

١ ـ انظر الباعث الحثيث ص ٨٢ .

وأما ما وقع من الراوي خطأ فلا حرج فيه ولا إثم ، لأن كل امرىء معرض للخطأ ، وإذا كثر خطؤه يجرح في ضبطه وإتقانه .

وقد اهتم العلماء بمعرفة المدرج اهتماماً كبيراً ، حتى لا يلتبس حديث الرسول ﷺ بغيره ، فصنف الخطيب البغدادي فيه كتاباً سماه (الفصل للوصل المدرج في النقل) لخصه ابن حجر وزاد عليه في كتاب سماه (تقريب المنهج بترتيب المدرج) [1] واستخلص السيوطي من كتاب ابن حجر جزءاً لطيفاً سماه (المُدْرَجُ إلى المُدْرَجِ) اقتصر فيه على مدرج المتن دون مدرج الاسناد ، وله فيه زيادات [2] .

١٧ و ١٨ : ـ المُصَحَّفُ والمُحَرَّفُ :

اهتم المحدثون اهتماماً كبيراً بضبط ألفاظ الحديث خشية التبديل والتحريف ، كما اهتموا بمعرفة الاسماء المتشابهة ، وبينوا إعجامها وشكلها . حتى لا يلتبس اسم بآخر ، وبخاصة أنها ليست مما يعرف بالقياس ، وليس للعقل مجال للاجتهاد فيها ، فمن لا يضبط قد يخلط بعضها في بعض .

وقد كان السبيل إلى تجنب ذلك تلقي العلم مشافهة عن الشيوخ ، وضبط ما يكتب ، وحرص أهل الحديث في العصور الاولى على ملازمة العلماء ، والتخرج بحلقاتهم ، والقراءة بين أيديهم حتى سميت القرون الثلاثة الاولى عصر الرواية ، لاعتماد أهلها على السماع والحفظ والرواية ، أكثر من اعتمادهم على أخذ العلم من الصحف ، بل انهم كانوا يعيبون على من يأخذ علمه من الكتب والصحف ، ونهوا عن ذلك ، وتناقل الناس عبارة (لا تأخذوا القرآن من المُصْحَفين ولا العلم من الصحفيين). وكانوا يثنون على من يأخذ علمه مشافهة عن العلماء [3] .

---

١ ـ انظر تدريب الراوي ص ١٧٨ ، والمنهل الروي ص ١١ : ب .

٢ ـ توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (١٨٨٥ حديث).

٣ ـ انظر المحدث الفاصل فقرة (١٠١) وما بعدها .

وحق للعلماء أن يكرهوا حمل العلم عن الصحف ، ويحذروا طلابهم من الاعتماد عليها من غير أن يلقوا بها العلماء خشية الوقوع في بعض الاخطاء ، وقد أطلقوا على من يعتمدون على الصحف في حمل علمهم اسم (الصحفيين) كما قالوا لمن يخطىء : (صَحَّفَ) لأنه أخطأ كما يخطيء من يأخذ العلم عن الصحف ، والمصدر منه التصحيف . فالمصحف – بضم الميم وفتح الحاء وتشديدها – ماوقع فيه التغيير في اللفظ أو المعنى ، وخصه بعضهم بما كان فيه تغيير حرف أو حروف بتغيير النقط مع بقاء صورة الخط ، – وهو المعنى الاصطلاحي الذي ذهب اليه المحدثون – كتصحيف « من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال .. الحديث » إلى « شيئاً من شوال »[1].

والتصحيف قسمان : تصحيف سمع ، وتصحيف بصر .

ومثال تصحيف السمع أن يقول الشيخ حدثنا عاصم الأحول ، فيرويه بعضهم واصل الأحدب [2] .

ومثال تصحيف البصر ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن ابن أبي سفيان قال : « لعن رسول الله ﷺ الذين يشققون الخَطَبَ تشقيق الشعر » ، فصحفه بعضهم ، فقال : (لعن رسول الله ﷺ الذين يشققون الحَطَب تشقيق الشعر)[3] بالحاء لا بالخاء ، ومن هذا أن رجلاً جاء الى الليث بن سعد فقال : كيف حدثك نافع عن النبي ﷺ في الذي (نشرت في أبيه القصة) ؟ فقال الليث : ويحك إنما هو الذي « يشرب في آنية الفضة ، يُجَرْجِرُ في بطنه نار جهنم »[4] وهذا النوع أكثر وقوعاً من غيره .

والمحرف هو ما كان التغيير فيه في الشكل ، أي في ضبط حركاته ،

---

١ – انظر حاشية لقط الدرر ص ٩٥ .

٢ – انظر مقدمة ابن الصلاح ص ١١٦ .

٣ – الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ٦٣ : آ .

٤ – المصدر السابق ص ٦٣ : ب .

ومثال هذا حديث جابر : « رُمي أُبي يوم الأحزاب على أكحله فكواه رسول الله ﷺ » صحفه بعضهم وقال فيه : « أبي » بالاضافة ، وإنما هو أبي بن كعب ، وأبو جابر كان قد استشهد قبل ذلك بأحد [1] .

ولم يفرق المتقدمون بين التصحيف والتحريف ، وقد جعلوا المصحف والمحرف مترادفين ، وهذا التفريق والتمييز — وإن دلّ على دقة المحدثين — ليس إلا تفريقاً شكلياً .

والتصحيف والتحريف كما يقع في متن الحديث يقع في إسناده ، وقد تناولت الأمثلة السابقة كلا النوعين .

واهتمام المحدثين ببيان المُصحّف والمحرّف من غيرهما دليل واضح على دقتهم ، وشدة ضبطهم ، وعظيم عنايتهم بالحديث النبوي .

وقد صنف بعض أهل العلم في هذا الباب ، وأشار الى ما وقع فيه بعض المحـــدثين من التصحيف سواء أكان في المتن أم في السند وبين صواب ذلك .

ومن أقدم من صنف في هـــذا : أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (٢٩٣ — ٣٨٢ هـ) له كتاب « التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه » وكتاب « تصحيفات المحدثين » [2] .

١٩ — المسلسل :

هو الحديث الذي توارد رجال إسناده واحداً فواحداً على حالة واحدة ، أو صفة واحدة ، سواء أكانت هذه الصفة للرواة أو للإسناد ، وسواء كان ما وقع منه في الاسناد في صيغ الاداء ، أو متعلقاً بزمن الرواية

١ ـ حاشية لقط الدرر ص ٩٥ .

٢ ـ وقد طبع نحو نصف كتابه (التصحيف والتحريف) بمصر سنة (١٣٢٦هـ) وطبع أخيراً طبعة جيدة سنة ١٩٦٣ .وأما كتابه «تصحيفات المحدثين » الذي استخلصه من كتابه الكبير « التصحيف والتحريف » ، فانه لايزال مخطوطاً ، وتوجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢ ش مصطلح).

أو بمكانها ، وسواء كانت أحوال الرواة أو صفاتهم أقوالاً أو أفعالاً . كما قال العراقي [1] .

وبعبارة أخرى فالمسلسل هو الحديث الذي يتصل إسناده بحال (هيئة) أو وصف – قولي أو فعلي – يتكرر في الرواة أو الرواية ، أو يتعلق بزمن الرواية أو مكانها .

ومن هذا يتبين أن التسلسل من صفات الاسانيد . وله أمثلة كثيرة :

١ – التسلسل بأحوال الرواة القولية : ومثاله حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له : يا معاذ إني أحبك فقل في دبر كل صلاة : « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » فقد تسلسل بقول كل من رواته « وأنا أحبك فقل اللهم أعني على ذكرك » الحديث .

٢ – المسلسل بأحوال الرواة الفعلية : ومثاله حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : شبك بيدي أبو القاسم ﷺ وقال : « خلق الله الارض يوم السبت » الحديث ، فقد تسلل هذا الحديث بتشبيك كل واحد من رواته بيد من رواه عنه .

٣ – المسلسل بحال الرواة القولية والفعلية معا : ومثاله حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجد العبد حلاوة الايمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره » وقبض رسول الله ﷺ على لحيته وقال « آمنت بالقدر خيره وشره ، وحلوه ومره » فقد تسلسل بقبض كل من رواته على لحيته ، وبقوله آمنت بالقدر خيره وشره ، وحلوه ومره [2] .

---

١ – فتح المغيث : ص ١٢ ج ٤ .

٢ – انظر معرفة علوم الحديث ص ٣١ ، وفتح المغيث ص ١٢ ج ٤ ومابعدها ، وتدريب الراوي ص ٣٨٠ ومابعدها وشرح نخبة الفكر ص ٣٤ .

٤ ـ المسلسل بصفات الرواة القولية ، ومثاله الحديث المسلسل بقراءة سورة « الصف » وهو أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليعملوه فقرأ عليهم سورة الصف ، فتسلسل الحديث بقراءة كل من رواته . قال العراقي : وأحوال الرواة القولية وصفاتهم القولية متقاربة بل متماثلة [١] .

٥ ـ المسلسل بصفات الرواة الفعلية : ومثاله الحديث المسلسل بالفقهاء وهو حديث ابن عمر مرفوعاً « البيعان بالخيار » فقد تسلسل برواية الفقهاء ، وكالحديث المسلسل برواية الحفاظ ونحو ذلك ، ويلحق بهذا المسلسل باتفاق أسماء الرواة أو صفاتهم أو نسبتهم ، كالمسلسل بالمحمدين ، والدمشقيين أو المصريين وغير ذلك [٢] .

٦ ـ المسلسل بصفات الاسناد والرواية كأن يتفق الرواة في صيغ الاداء كقول كل من رواته : سمعت فلانا ، أو حدثنا فلان ، أو أخبرنا فلان والله ، أو أشهد بالله لسمعت فلانا يقول ذلك ونحو ذلك .

٧ ـ المسلسل بزمن الرواية : ومثاله حديث ابن عباس قال : « شهدت رسول الله ﷺ في يوم عيد فطر أو أضحى ، فلما فرغ من الصلاة أقبل علينا بوجهه ، فقال : « أيها الناس قد أصبتم خيراً فمن أحب أن ينصرف فلينصرف ، ومن أحب أن يقيم حتى يسمع الخطبة فليقم » فقد تسلسل برواية كل من الرواة له في يوم عيد قائلا : حدثني فلان في يوم عيد [٣] .

---

١ ـ فتح المغيث ص ١٣ ج ٤ . وحاشية لقط الدرر ص ١٣٥ .

٢ ـ انظر تدريب الراوى ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ . وحاشية الاجهورى على البيقونية ص ٣٩ .

٣ ـ انظر فتح المغيث ص ١٤ ج ٤ ، وحاشية الاجهوري على البيقونية ص ٤٠ . قال الحافظ السيوطي : غريب بهذا السياق وفي اسناده مقال .

٨ ـ المسلسل بمكان الرواية : ومثاله المسلسل باجابة الدعاء في الملتزم . قال ابن عباس رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء ، وما دعا اللهَ فيه عبدٌ دعوة الا استجاب له » . قال ابن عباس فو الله ما دعوت الله عز وجل فيه قط منذ سمعت هذا الحديث إلا استجاب لي . وقد تسلسل الحديث بقول كل من رواته ، وأنا ما دعوت الله فيه بشيء منذ سمعته إلا استجاب لى .

وقد يتسلسل الحديث من أوله إلى آخره ، وقد ينقطع بعض التسلسل من أوله أو آخره ، [١] . ولهذا قال الحافظ العراقي : (وقلما تسلم المسلسلات من ضعف أعني في وصف التسلسل لا في أصل المتن) [٢] لأن متن بعضها جاء في الصحيح قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر : من أصح مسلسل يروى في الدنيا المسلسل بقراءة سورة الصف ، قال الحافظ السيوطي : والمسلسل بالحفاظ والفقهاء ايضاً ، بل ذكر في شرح النخبة أن المسلسل بالحفاظ مما يفيد العلم القطعي [٣] .

فمن الاحاديث المسلسة الصحيح والحسن والضعيف والباطل ، تبعاً لحال رواتها ، وقد بين العلماء كل ذلك ، فالتسلسل وصف لبعض الاسانيد ولا يدل هذا الوصف على الصحة أو الضعف ، لأن صحة الحديث تتعلق باتصال سلسلة الرواة العدول الضابطين من حيث السند ، وبعدم الشذوذ من حيث المتن ، كما تتعلق بخلو الحديث من علة قادحة فيهما أو في أحدهما .

وللمسلسل فوائد عدة ، منها بعده عن التدليس والانقطاع ، واشتماله

---

١ ـ انظر المراجع السابقة واختصار علوم الحديث ١٨٩ .

٢ ـ فتح المغيث ص ٩٥ ج ٤ .

٣ ـ تدريب الراوي ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ .

على مزيد الضبط من الرواة وحسن تأسيهم واقتدائهم بالرسول ﷺ في أفعاله وأقواله .

وقد صنف جماعة من أهل العلم في هذا النوع من الاحاديث ، ومن أشهر تلك المصنفات (المسلسلات) [1] تخريج الحافظ اسماعيل بن أحمد ابن الفضل التيمي (— ٥٣٥ هـ) ، و(الاحاديث المسلسلات) لمحمد بن عبد الواحد المقدسي (— ٦٤٣) [2] ، و (المسلسلات الكبرى) و (جياد المسلسلات) للامام الحافظ جلال الدين السيوطي (— ٩١١ هـ) [3] ، و (الفوائد الجليلة) [4] للشيخ محمد بن عقيله (— ١١٥٠ هـ) وغيرها من مصنفات المتأخرين .

وإلى هنا نكتفي بذكر هذه الانواع من المشترك بين الصحيح والحسن والضعيف ، والحمد لله رب العالمين .

---

١ - توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت الرقم (٥١ حديث مجاميع) . كما توجد نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣٥٢ حديث تيمور) .

٢ - توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت الرقم (١٠ حديث مجاميع) .

٣ - توجد نسخة مخطوطة من (جياد المسلسلات) فيدار الكتب المصرية تحت الرقم (٣٢٣ حديث تيمور) ونسخة اخرى تحت الرقم (١٤٩ حديث تيمور) .

٤ - توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب الظاهرية تحت الرقم (٤١٩٤ عام) ، كما توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٩٩ حديث تيمور) .

الموقوف والمقطوع

نرى من المناسب أن نعرف هنا بالموقوف والمقطوع ، وقد اعتاد المحدثون والمصنفون في علوم الحديث ومصطلحه ادخالهما في الضعيف ، وان صح طريقهما .

١ ـ **فالموقوف** [١] : هو ما روى عن الصحابي من قول له أو فعل أو تقرير ، متصلا كان أو منقطعاً . واشترط بعضهم أن يكون متصل الاسناد إلى الصحابي غير منقطع .

ويستعمل الموقوف في غير الصحابي مقيداً ، فيقال وقفه فلان على الزهري ، أو على مالك وإذا أطلق لا يراد بـــه إلا ما انتهى إلى الصحابي فقط .

وفقهاء خراسان يسمون الموقوف أثراً ، والمرفوع خبراً ، ويطلق المحدثون على كل هذا أثراً .

وليس للموقوف حكم الحديث المرفوع عند جمهور أهل العلم ، أما إذا وجدت قرينة تدل على رفع الموقوف فله حينئذ حكم المرفوع ، كأن

---

١ ـ أهم مراجع هذه الفقرة : معرفة علوم الحديث ص ١٩ وما بعدها ، والكفاية ص ٢١ ، وجامع الأصول ص ٤٨ ـ ٥٠ ج١ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٥٨ ج ١ ، ومقدمة ابن الصلاح ص ١٨ ، وشرح نخبة الفكر ص ٣٠ ، وتدريب الراوي ص ١٠٩ ـ ١١٦ ، وتوضيح الافكار ص ٢٦١ ج ١ ، والمستصفى ص ١٣٥ ج ١ ، والاحكام للآمدي ص ١٣٥ ج ٢ .

يقول الصحابي «كنا نقول أو نفعل كذا وكذا في عهد الرسول ﷺ» ونحو هذا ، واذا لم يضفه إلى عصر النبي ﷺ فهو موقوف .

ويلحق بالمرفوع قول الصحابي كنا لانرى بأساً بكذا وكذا في حياة الرسول ﷺ ، أو كانوا يقولون ، أو يفعلون أولا يرون بأسا بكذا في حياته عليه الصلاة والسلام ، فكل ذلك له حكم المرفوع سواء أكان قول الصحابي في حياة الرسول ﷺ أم بعد وفاته .

ويلحق بهذا أيضاً قول الصحابي أمرنا بكذا ، أو نهينا عن كذا ، أو من السنة كذا وكذا فكل هذا له حكم المرفوع عند الجمهور ، وقال بعضهم ليس له ذلك .

وإذا قال الراوي عند ذكر الصحابي يرفعه أو ينميه أو يبلغ به [1] — فكل هذا ونحوه له حكم الرفع .

ولقول الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل حكم المرفوع في التفسير الذي يتعلق بسبب نزول آية ، مما لا يمكن أن يؤخذ إلا عن الرسول ﷺ ، ولا مدخل للرأي فيه ، وأما ما كان للرأي مدخل فيه وقد خلا من قرينة تدل على رفعه فكله موقوف .

٢ — المقطوع :[2] وهو ما روي عن التابعين موقوفاً عليهم من أقوالهم أو أفعالهم ، وجمعه مقاطع ومقاطيع . وقد استعمل بعضهم المقطوع في المنقطع الذي لم يتصل سنده، وذلك قبل استقرار هذا الاصطلاح .

---

١ - ومثاله قول ابن عباس : الشفاء في ثلاثة: شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار، وانهي امتي عن الكي . رفع الحديث ، أخرجه البخاري في صحيحه . انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٩ ج ٤ ،وقارن بتدريب الراوي ص١١٤ ،وص ١١٥ منه .

٢- انظر الكفاية ص ٢١ ، ومقدمة ابن الصلاح: ص ١٩ ، وفتح العيث للعراقي ص ٥٩ ج ١ ، وشرح نخبة الفكر ص ٣٠ ، وتدريب الراوي ص ١١٧ ، وقارن بالصفحة ١١٣ ، ١١٥ منه وتوضيح الافكار ص ٢٦٥ ج ١ .

وإذا نقل عن التابعي قوله أمرنا بكذا أو نهينا عن كذا أو من السنة كذا . قال بعضهم : له حكم المرسل ، وقال آخرون : فيه احتمالان إما أنه موقوف أو مرسل مرفوع .

وفي رأينا أن قول التابعي : من السنة كذا وكذا له حكم المرسل ، لأنه لا يقول ذلك إلا إذا تأكد عنده بسماعه من أحد الصحابة رضي الله عنهم ، فهو بمنزلة قول التابعي قال رسول الله ﷺ ، وإن كان قوله – من السنة كذا وكذا – يحتمل السنة بمعنى ما عمل به الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، سواء أكان ذلك في الكتاب الكريم أم في المأثور عن النبي ﷺ أم لا .

ومما تجدر ملاحظته أن بحث المقطوع من مباحث المتن ، وأن بحث المنقطع – الذي سبق بيانه – من مباحث السند ، فالأول ما وقف على التابعي ، والثاني ما نسب إلى الرسول ﷺ ، وكان في سنده انقطاع وعدم اتصال .

وعلى هذا يمكننا أن نقول : إن الموقوف أو المقطوع المتصل إسناده إلى من وقف عليه من مباحث المتن لا من مباحث السند . ويمكننا أن نقسم الحديث باعتبار من يسند إليه : إلى مرفوع وهو ما ينتهي إلى الرسول ﷺ ، وإلى موقوف وهو ما ينتهي إلى الصحابي ، ومقطوع وهو ما ينتهي إلى التابعي .

* * *

ولما كانت لمعرفة الصحابة والتابعين أهمية كبيرة في بيان المرفوع والموقوف والمقطوع والمرسل وغير ذلك ، ولما للصحابة والتابعين من منزلة رفيعة ، ومكانة علمية عالية وبخاصة في حفظ السنة ونقلها – نرى من المناسب أن نتناول في البحثين التاليين الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

* * *

الصحابة
رضوان الله عليهم أجمعين

١ - تعريف الصحابي .
٢ - طبقات الصحابة .
٣ - كيف يعرف الصحابي؟
٤ - عدالة الصحابة .
٥ - عدد الصحابة .
٦ - علم الصحابي .
٧ - الصحابة المكثرون من الرواية
٨ - آخر الصحابة وفاة .
٩ - أشهر ما صنف في الصحابة .

١ – تعريف الصحابي :

الصحابي لغة : مشتق من الصحبة ، وليس مشتقاً من قدر خاص منها ، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلًا كان أو كثيراً ، كما أن القول : مكلم ومخاطب وضارب مشتق من المكالمة ، والمخاطبة والضرب ، وجار على كل من وقع منه ذلك قليلًا كان أو كثيراً ، وكذلك جميع الاسماء المشتقة من الافعال .

وكذلك يقال صحب فلاناً حولاً ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره[١] .

والصحابي عند المحدثين :

هو كل مسلم رأى رسول الله ﷺ[٢] ، قال البخاري في صحيحه : من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، وذكر الامام أحمد من أصحاب رسول الله ﷺ أهل بدر ثم قال : أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ ، القرن الذي بعث فيهم ، كل من صحبه سنة أو أشهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه ، له من الصحبة على قدر ما صحبه ، وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه[٣] .

قال ابن حزم رحمه الله : « أما الصحابة رضي الله عنهم فهو كل من جالس النبي ﷺ ولو ساعة ، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها أو شاهد منه

---

١ – انظر الكفاية في علم الرواية ص ٥١ ، وفتح المغيث ص ٣١ ج ٤ عن ابي بكر الباقلاني وانظر لسان العرب ص ٧ ج ٢

٢ – انظر مقدمة ابن الصلاح ص ١١٨ والباعث الحثيث ص ٢٠١ وتدريب الراوى ص ٣٩٦ وفتح المغيث ص ٢٩ ج ٤ .

٣ – الكفاية ص ٥١ وتلقيح فهوم اهل الاثار ص ٢٧ : ب .

عليه السلام أمراً يعيه ، ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك ، ولا مثل من نفاه عليه السلام باستحقاقه كهيت المخنث ومن جرى مجراه[1] ، فمن كان كما وصفنا أولاً فهو صاحب ، وكلهم عدل إمام فاضل رضي ، فرض علينا توقيرهم وتعظيمهم ، وأن نستغفر لهم ونحبهم)[2] .

قال ابن الصلاح : (بلغنا عن أبي المظفر السمعاني المروزي أنه قال : أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثاً أو كلمة ، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة ، وهذا لشرف منزلة النبي ﷺ أعطوا كل من رآه حكم الصحابة)[3] .

وقال آخرون : لا بد في اطلاق الصحبة مع الرؤية أن يروي حديثاً أو حديثين[4] .

قال الواقدي : (ورأيت أهل العلم يقولون : كل من رأى رسول الله ﷺ ، وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار)[5] ، إلا أن تعريف الواقدي هذا يخرج بعض الصحابة الذين رأوا رسول الله وهم دون الحلم ورووا عنه ، كعبد الله بن عباس والحسن والحسين وابن الزبير وغيرهم رضي الله عنهم ، ولذلك قال العراقي : (والتقييد بالبلوغ شاذ)[6] .

---

١ – انظر خبره في الاصابه ص ٥٨٠ – ٥٨١ ترجمة ٢٢ ٩٠ ح ٣

٢ – الإحكام في اصول الاحكام لابن حزم ص ٦٦٣ ح ٥ .

٣ – مقدمة ابن الصلاح ص ١١٨ وفتح المغيث ص ٣٠ – ٣١ ج ٤ .

٤ – انظر الباعث الحثيث ص ٢٠٣ وفتح المغيث ص ٣٢ ج ٤ .

٥ – تلقيح فهوم اهل الاثار ص ٢٧ : ب ونحوه في فتح المغيث ص ٣٢ ج ٤ ، والكفاية ص ٥١

٦ – فتح المغيث ص ٣٢ ج ٤

قال امام التابعين سعيد بن المسيب : (الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين ، وغزا معه غزوة أو غزوتين)[1].

قال ابن الصلاح : (وكأن المراد بهذا – إن صح عنه – راجع إلى المحكي عن الاصوليين ولكن في عبارته ضيق يوجب ألا يعد من الصحابة جرير بن عبد الله البجلي ومن شاركه ...)[2] .

قال العراقي : (ولا يصح هذا عن ابن المسيب ، ففي الاسناد إليه محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث)[3].

قال ابن الجوزي : (وعموم العلماء على خلاف قول ابن المسيب ، فانهم عدوا جرير بن عبد الله (البجلي) من الصحابة ، وإنما أسلم في سنة عشر ، وعدوا من الصحابة ، من لم يغز معه ، و (من) توفي رسول الله ﷺ وهو صغير السن ، ولم يجالسه ولم يماشه ، فألحقوه بالصحابة إلحاقاً وإن كانت حقيقة الصحبة لم توجد في حقه)[4] .

قال ابن حجر : (وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي : من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على الاسلام ، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز ، ومن رآه رؤية ولم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى)[5] وهو رأي الجمهور .

والرؤية عند أنس بن مالك رضي الله عنه لا تكفي لجعل الرائي صحابياً.

---

١ ـ الكفاية ص ٥٠ ـ ٥١ والباعث الحثيث ص ٢٠٣ وتلقيح فهوم اهل الآثار ص ٢٧ : ب وتدريب الراوي ص ٣٩٨ .

٢ ـ و ٣ ـ فتح المغيث ص ٣٢ ج ٤ .

٤ ـ تلقيح فهوم اهل الآثار ص ٢٧ : ب .

٥ ـ الاصابة ص ٤ ج ١ وهكذا ليس من عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يره صحابيا كما قاله بعضهم ، انظر جميع المراجع السابقة .

روى شعبة عن موسى السبلاني وأثنى علية خيراً ، قال : (قلت لأنس بن مالك : هل بقي من أصحاب رسول الله ﷺ أحد غيرك ؟ قال : ناس من الأعراب رأوه ، فأما من صحبه فلا . رواه مسلم بحضرة أبي زرعة)[1] .

قال ابو بكر الباقلاني (٣٣٨ – ٤٠٣ هـ) بعد أن عرف الصحابي لغة : (وكذلك يقال : صحبت فلانا حولا ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة ، وذلك يوجب في حكم اللغة اجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار ، هذا هو الاصل في اشتقاق الاسم . ومع هذا فقد تقرر للامة [2] عرف انهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت صحبته ، واتصل لقاؤه ، ولا يجرون ذلك على من لقي المرء ساعة ومشى معه خطا وسمع منه حديثاً ، فوجب لذلك ألا يجري هذا الاسم في عرف الاستعمال الا على من هذه حاله)[3] ومع هذا فان خبر الثقة الامين عنه مقبول ومعمول به وان لم تطل صحبته ، ولا سمع منه إلا حديثاً واحداً . فقول انس رضي الله عنه لا يخالف عرف الامة ، ومما لاشك فيه ان الصحابة على درجات بحسب تقدمهم في الإسلام .

---

١ ـ الباعث الحثيث ص ٢٠٣ قال ابن الصلاح : واسناده جيد حدث به مسلم بحضرة ابي زرعة وانظر فتح المغيث ص ٣١ ج ٤ وقال : في كلام ابي زرعة الرازي وابي داود مايقتضي ان الصحبة اخص من الرؤية فانها قالا في طارق بن شهاب : له رؤية وليس له صحبة وقال عاصم الاحول : قد رأى عبد الله بن سرجس رسول الله (ص) غير انه لم يكن له صحبة ، وقال ابن كثير : (وهذا انما نفى فيه الصحبة الخاصة ، ولا ينفي ما اصطلح عليه الجمهور من ان مجرد الرؤية كاف في اطلاق الصحبة) الباعث الحثيث ص ٢٠٣ ، وانظر الكفاية ص ٥٠ .

٢ ـ في الكفاية ص ٥١ للامة ، وفي فتح المغيث (للائمة) .

٣ ـ الكفاية ص ٥١ وفتح المغيث ص ٣١ ج ٤ .

وإلى رأي الجمهور اميل وبه اقول ، لانه في الحقيقة لم يرو صحابي عن رسول الله ﷺ حديثاً الا قد ثبتت عدالته عند جهابذة هذا العلم بتطبيق قواعد النقد العلمي الصحيحة ، التي طبقوها في علم الحديث على سائر الرواة ، وسيتجلى لنا ما ذهبت اليه عندما نتكلم عن عدالة الصحابة .

والصحابي عند الاصوليين أو بعضهم : هو كل من طالت مجالسته للرسول ﷺ ، على طريق التبع له والاخذ عنه [1] وقول انس بن مالك وسعيد بن المسيب قريب من قول الاصوليين .

٢ ـ طبقات الصحابة :

صحيح أن اصحاب الحديث يطلقون اسم الصحبة على كل من روى عن النبي ﷺ حديثاً أو كلمة ، ويتوسعون حتى انهم يعدون من رآه رؤية من الصحابة ، قالوا هذا لشرف منزلة النبي ﷺ إلا أن الصحابة رضي الله عنهم طبقات ودرجات ، فهناك السابقون في الاسلام . الذين طالت صحبتهم ، وبذلوا اموالهم ودماءهم للدعوة ، وهناك من رآه في حجة الوداع رؤية ، وبين هؤلاءوهؤلاء درجات ومراتب كثيرة،وهناك من لازمه في الليل والنهار ، في حله وظعنه ، في صيامه وفطره ، وفي مرحه عليه الصلاة والسلام وجده ، وفي جهاده ومناسكه ، وعرف عنه كثيراً من دقائق الاعمال وشريف السنن ، فلا يعقل ان يكون جميع الصحابة في مرتبة واحدة ، ولا يتصور هذا في ميزان العدالة والمنطق ، لذلك كان الصحابة طبقات

---

١ ـ انظر تدريب الراوى ص ٣٩٧ ، وفتح الغيث ص ٣١ و ٣٢ ج ٤ حكاه ابو المظفر السمعاني عن الاصوليين وقال : (ان اسم الصحابي يقع على ذلك من حيث اللغة والظاهر ، وحكاه الآمدى وابن الحاجب وغيرهما ، وبه جزم ابن الصباغ في العدة فقال : الصحابي هو الذى لقي النبي واقام عنده واتبعه ، فاما من وفد عليه وانصرف عنه من غير مصاحبة ولا متابعة ، فلا ينصرف اليه هذا الاسم) .

باجماع الامة ، واختلف المؤلفون في تصنيف الصحابة إلى طبقات ، فجعلهم ابن سعد خمس طبقات ، وجعلهم الحاكم اثنى عشرة طبقة ، وزاد بعضهم اكثر من ذلك [1] .

والمشهور ما ذهب اليه الحاكم ، وهذه الطبقات هي [2] :

١ ــ قوم تقدم اسلامهم بمكة كالخلفاء الاربعة .

٢ ــ الصحابة الذين اسلموا قبل تشاور اهل مكة في دار الندوة .

٣ ــ مهاجرة الحبشة .

٤ ــ اصحاب العقبة الاولى .

٥ ــ اصحاب العقبة الثانية واكثرهم من الانصار .

٦ ــ اول المهاجرين الذين وصلوا إلى النبي ﷺ بقباء قبل ان يدخل المدينة .

٧ ــ اهل بدر .

٨ ــ الذين هاجروا بين بدر والحديبية .

٩ ــ اهل بيعة الرضوان في الحديبية .

١٠ــ من هاجر بين الحديبية وفتح مكة ، كخالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وابي هريرة [3] .

١١ــ مسلمة الفتح ، الذين اسلموا في فتح مكة .

١٢ــ صبيان واطفال رأوا النبي ﷺ يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرهما .

وقد اجمع اهل السنة على ان افضل الصحابة ابو بكر ثم عمر ولم

---

١ ــ انظر الباعث الحثيث ص ٢٠٧ ، وفتح المغيث ص ٤٠ و ٤١ ج ٤ وتدريب الراوي ص ٤٠٧ .

٢ ــ معرفة علوم الحديث ص ٢٢ ــ ٢٤

٣ ــ هاجر أبو هريرة في أواخر غزوة خيبر ، انظر فتح المغيث ص ٤٠ ج ٤ ، وانظر كتابنا « أبو هريرة » .

يختلف احد من الصحابة والتابعين في افضليتهم على جميع الصحابة [1] ثم عثمان بن عفان ، ثم علي ، وحكى الخطابي عن اهل السنة من الكوفة تقديم علي على عثمان ، وبه وقال ابن خزيمة ، ثم بعدهم بقية العشرة المبشرين بالجنة [2] ، ثم أهل بدر ، ثم أحد ، ثم بيعة الرضوان ، وممن لهم مزية أهل العقبتين من الانصار ، والسابقون الاولون ، وهم من صلى القبلتين في قول ابن المسيب ومحمد بن سيرين وقتادة ، وفي قول الشعبي اهل بيعة الرضوان ، وفي قول محمد بن كعب وعطاء بن يسار أهل بدر ، وقيل : هم الذين أسلموا قبل الفتح ، وهو قول الحسن البصري [3] .

٣ ـ كيف يعرف الصحابي ؟

يعرف الصحابي بأحد الادلة التالية :

١ ـ الخبر المتواتر : كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم .

٢ ـ الخبر المشهور ، أو المستفيض القاصر عن حد التواتر ، كعكاشة ابن محصن ، وضمام بن ثعلبة .

٣ ـ ان يخبر احد الصحابة عنه أنه صحابي ، كحممة بن ابي حممة الدوسي الذي توفي بأصبهان مبطوناً ، فشهد له ابو موسى الاشعري أنه سمع النبي ﷺ .

---

١ ـ انما الخلاف في عثمان و علي رضي الله عنهما ،ولا مبالاة بأقوال اهل التشيع ولا اهل البدع . وانظر صريح السنة للطبري ص ٢ : ب .

٢ ـ انظر الباعث الحثيث ص ٢٠٨ وفتح المغيث ص ٤١ وتدريب الراوي ص ٤٠٧ وتمام العشرة المبشرين بالجنه : سعد بن ابي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابو عبيدة عامر بن الجراح . وانظر مسند الامام أحمد ص ١٠٩ حـ ٣ و ص ١١٠ و ١١١ منه .

٣ ـ انظر تدريب الراوي ص ٤٠٩ والباعث الحثيث ص ٢٠٨ وفتح المغيث ص ٤٣ ج ٤ .

٤ ــ ان يخبر عن نفسه بأنه صحابي بعد ثبوت عدالتـه ومعاصرته للرسول ﷺ [١] .

٥ ــ ان يخبر احد التابعين بأنه صحابي بناء على قبول التزكية من واحد وهو الراجح [٢] . ويمكن ضم الثالث والخامس احدهما إلى الآخر فنقول ان يخبر بذلك من تقبل شهادته . فالصحبة رتبة ومكانة لا تثبت لاحد الا بدليل أو بينة توافرت فيها جميـع الشروط والاركان التي يجب ان تتوافر في كل بينة ، فاذا قامت البينة المقبولة لاحـد في ذلك نال شرف الصحبة .

٤ ــ عدالة الصحابة :

ان للصحبة شرفاً ، يمنح صاحبها ميزة خاصة ، وهي ان جميـع الصحابة عند من يعتد به من اهل السنة عدول ، سواء من لابس منهم الفتن ومن لم يلابس [٣] ، وهو قول الجمهور .

وقال قوم : ان حكمهم في العدالة حكم من بعدهم في لزوم البحث عن عدالتهم عند الرواية .

ومنهم من قال : انهم لم يزالوا عدولا إلى ان وقع الاختلاف والفتن بينهم فبعد ذلك لابد من البحث في عدالتهم .

ومنهم من قال : وهم المعتزلة [٤] ــ : ان كل من قاتل عليا عالما

---

١ ـ راجع تفصيل ذلك في فتح المغيث ص ٣٤ ج ٤ وتدريب الراوى ص ٤٠٠ والباعث الحثيث ص ٢١٥ والروض الباسم ص ١٢٨ ــ ١٣٠ .

٢ ـ انظر تدريب الراوي ص ٤٠٠ وهذا مازاده ابن حجر على ماذكره غيره من طرق معرفة الصحابي وقد استخرجت هذه الطرق من المراجع السابقة : فتح المغيث ص ٣٤ ج ٤ وتدريب الراوي ص ٣٩٩ والباعث الحثيث ص ٢١٥ ، والكفاية ص ٥١ .

٣ ـ انظر الكفاية ص ٤٦ ـ ٤٩ والباعث الحثيث ص ٢٠٥ ، وفتح المغيث ص ٣٥ ج ٤ وتدريب الروای ص ٤٠٠ .

٤ ـ صرح بذلك ابن كثير في الباعث الحثيث ص ٢٠٥ .

فهو فاسق مردود الرواية والشهادة ، لخروجهم على الامام الحق .

ومنهم من قال برد رواية الكل وشهادتهم ، لان أحد الفريقين فاسق وهو غير معلوم ولا معين .

ومنهم من قال بقبول رواية كل واحد منهم وشهادته اذا انفرد لأن الأصل فيه العدالة ، وقد شككنا في فسقه ، ولا يقبل ذلك منه مع مخالفه ، لتحقق فسق احدهما من غير تعيين .

والمختار انما هو مذهب الجمهور من الائمة ، وذلك بالادلة الدالة على عدالتهم ونزاهتهم وتقدمهم على من بعدهم [1] .

قال ابن حزم : (نقول بفضل المهاجرين الاولين بعد عمر بن الخطاب... ثم بعد هؤلاء أهل العقبة —« الأنصار الذين بايعوه بيعة العقبة »— ، ثم أهل بدر ثم أهل المشاهد مشهداً مشهداً ، وأهل كل مشهد أفضل من المشهد الذي بعده حتى يبلغ الامر إلى الحديبية ، فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان فانا نقطع على غيب قلوبهم أنهم كلهم مؤمنون صالحون ، ماتوا كلهم على الايمان والهدى والبر ، كلهم من أهل الجنة ، ولا يلج أحد منهم النار)[2] .

ويتبين لنا من كلام ابن حزم أن أصحاب رسول الله ﷺ حتى بيعة الرضوان في غزوة الحديبية كلهم من أهل الجنة ، معتمداً في ذلك على ما ورد من نصوص في القرآن والسنة ، وأما من جاؤوا بعد هؤلاء فلم يقطع بأنهم من أهل الجنة .

وقال شارح مسلم الثبوت : (أن عدالة الصحابة مقطوعة لاسيما

---

١ - انظر الإحكام في اصول الاحكام للآمدي ص ١٢٨ ج ٢ ونحوه في فتح المغيث ص ٣٦ ج ٤ .

٢- ابن حزم حياته وعصره وآراؤه الفقهية لأبي زهرة ص ٢٥٩ .

أصحاب البدر وبيعة الرضوان ، كيف لا وقد اثنى عليهم الله تعالى في مواضع عديدة من كتابه ، وبين رسول الله ﷺ فضائلهم غير مرة)[1] .

ويقول في موضع آخر : (واعلم أن عدالة الصحابة الداخلين في بيعة الرضوان والبدريين كلهم مقطوع العدالة ، لا يليق لمؤمن أن يتري فيها ، بل الذين آمنوا قبل فتح مكة أيضاً عادلون قطعاً ، داخلون في المهاجرين والانصار ، وانما الاشتباه في مسلمي فتح مكة ، فان بعضهم من مؤلفة القلوب ، وهم موضع الخلاف ، والواجب علينا أن نكف عن ذكرهم الا بخير فافهم)[2] . فمسلمو الفتح لم ينص على عدالتهم ومع هذا يوجد ما يدل على عدالتهم ، وسنتعرض لهذا بعد قليل .

وقد ورد في الصحابة ما يوجب لهم العدالة ، ويجعلهم في ذروة الثقة والائتمان ، فقد زكاهم الله تعالى ورسوله ، وتقبلت الأمة ذلك بالاجماع .

١ ـ أدلة عدالة الصحابة من الكتاب :

قال تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداءُ على الكفار رحماءُ بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضـــلاً من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الانجيـل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظَ فاستوى على سوقـه يعجب الزراع ليَغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحـات منهم مغفرة وأجراً عظيماً »[3] .

وقال عز من قائل : « والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار

---

١ ـ شرح مسلم الثبوت ص ٤٠١ ج ٢

٢ ـ المنهج الحديث في علوم الحديث ص ٦٢ عن شرح مسلم الثبوت .

٣ ـ ٢٩ : الفتح .

والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم [1] .

وقال : « والذين آمنوا وهاجروا وجـــاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم » [2] .

وقال : « للفقراء المهـــاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ،أولئك هم الصادقون. والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أُوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غـلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » [3] .

وقال تعـــالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً » [4] .

تلك آيات كريمة تشهد بفضل ومكانة جميع الصحابة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ من أول الدعوة حتى غزوة الحديبيـة ، وهنـاك آيات أُخرى تذكر فضلهم في كثير من المواقف في الهجرة والجهاد والغزوات . وان هذه وتلك أدلة قطعية — كما ذكر شارح مسلم الثبوت وابن حزم — تنص على عدالة الصحابة ، لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه ، فهل بعد ذلك نطلب رضاء الناس عنهم وتعديلهم إياهم ، وهل لانسـان بعد ذلك أن يطعن في صحابة ، نُصّ على عدالتهم ولم يبد منهم ما يجرحهم أو يقدح

---

١ - ١٠٠ : التوبة .
٢ - ٧٤ : الانفال
٣ - ٨ - ١٠ : الحشر .
٤ - ١٨ : الفتح .

فيهم ؟ هل بعد هذه الآيات مجال للشك في عدالة الصحابة الذين أسلموا قبل الفتح ؟ إن النصوص تنطق واضحة بذلك لاتحتمل التأويل والظن ، ولكن الهوى المتبع يحمل صاحبه على انكار الحق ولو كان كالشمس في رابعة النهار « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون[1] » . وسنرى في الاحاديث التالية تأكيداً واضحاً لمنزلة الصحابة الرفيعة .

٢ ـ أدلة عدالة الصحابة من السنة :

في صحاح السنة أحاديث كثيرة تشهد بفضل الصحابة جملة وآحاداً ، وفي أكثر الكتب كصحيح البخاري والجامع الصحيح لمسلم والسنن الاربعة وغيرها أبواب خاصة في فضل الصحابة .

من ذلك مارواه أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « لا تسبوا أحداً من أصحابي ، فان أحدكم لو انفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »[2] .

ومنها ما رواه عبد الله بن مغفّل وأخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهَ اللهَ في أصحابي لاتتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني ، فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه »[3] .

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال : « النجوم أمنة للسماء ، فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لاصحابي فاذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي امنة لامتي ، فاذا ذهب أصحابي

---

١ ـ ٣٢ : التوبة .

٢ ـ صحيح مسلم ص ١٩٦٨ ج ٤ .

٣ ـ الكفاية ص ٤٨ ، وانظر الجامع الصغير ص ٥٤ ج ١ .

اتى امتي ما يوعدون »[1] .

وقد يقول قائل ان هذه الأدلة تتناول أصحـــاب رسول الله ﷺ الذين كانوا معه قبل الفتح ، وأمـــا من أسلم بعد الفتح فلا دليل على عدالتهم ، فأسوق جواباً له قول الدكتور محمد السماحي : « وأما مسلمة الفتـح والاعراب الوافدون على رسول الله ﷺ فهؤلاء لم يتحملوا من السنة مثل ما تحمل الصحابة الملازمون لرسول الله ﷺ ، ومن تعرض منهم للرواية كحكيم بن حزام ، وعتاب ، وغيرهم عرفوا بالصدق والديانة ، وغاية الأمانة على أنه ورد ما يجعلهم أفضل ممن سواهم ، من القرون بعدهم كقوله ﷺ « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب » وهو حديث صحيح مروى في الصحيحين وغيرهما بألفاظ مختلفة[2] ، والخيرية لاتكون إلا للعدول الذين يلتزمون الدين والعمل به ، وقال تعالى : « كنتم خير أمة أُخرجت للناس : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »[3] .

والخطاب الشفهي لصحابة رسول الله ﷺ ، ومن حضر نزول الوحي وهو يشمل جميعهم ، وكذلك قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً .. »[4] . وسطا : عدولا ...

---

١ - صحيح مسلم ص ١٩٦١ جـ ٤ ، وانظر تلقيح فهوم أهل الاثار ص ٢٦ : ب وانظر تيسير الوصول إلى جامع الاصول ص ٢٢٦ - ٢٦١ جـ ٣ حيث أخرج كثيراً عن الامام مالك والشيخين واصحاب السنن في فضل الصحابة . وانظر مارواه الطبري في افضليه الصحابة في كتابه صريح السنة ص ٢ : ب

٢ - اقول : انظر تيسير الوصول الى جامع الاصول ص ٢٢٦ - ٢٢٧ جـ ٣ حيث أخرجه عن الشيخين وعن أبي داود والترمذي والنسائي. ورواه الامام احمد باسناد صحيح عن ابي هريرة وفيه (ثم يجيء قوم يحبون السمانة يشهدون قبـــل ان يستشهدوا) انظر مسند الامام احمد ص ٩٠ حديث ٧١٢٣ جـ ١٢ وانظر ص ٢٩ حديث ٢٩٦٣ جـ ٦ .

٣ - ١١٠ : آل عمران .

٤ - ١٤٣ : البقـــرة .

فالاسلام كان في أول شبـــابه فتياً وقوياً في قلوب من اذعنوا له واتبعوا هداه . وتمسكوا بمبادئه ، واصطبغوا بصبغته ، فكانت العدالة قوية في نفوسهم شائعة في آحادهم ، حتى اننا نرى الذين وقعوا منهم في الكبائر مالبثوا ان ساقتهم عزائمهم إلى الاعتراف وطلب الحد ، ليطهروا به أنفسهم ، وسارعوا إلى التوبة حيث تاب الله عليهم ، ولا نريد بقولنا الصحابة عدول ، أكثر من أن ظاهرهم العدالة . ا هـ)[1] ، لايبحث عنها مالم يطعن فيها . ثم ان الجرح لا يدعيه ولا يثبته أي انسان كيف شاء ومتى شاء ، فللجرح والتعديل رجال جهابذة اتقيـــاء يخشون الله لا يتبعون أهواءهم ، فلو سلمنا جدلا وجوب البحث عن بعض الصحابة لتهم وجهت اليهم ، فانه لايقبل هذا الجرح إلا ببيان علته ، ولا يتصدى لهذا الموتورون والمغرضون ، من أهل الأهواء وغيرهم ، بل يتصدى له عدول الأمة من ائمة الصدر الأول ، الذين خالطوا الصحابة ، وعاشوا معهم ، وعرفوا عنهم كل شيء إذ رب فضيلة عند النقاد العدول يراها المغرضون رذيلة ومنقصة ، وليست جميع الذنوب والهفوات مسقطة للعدالة .

وقد نص الفاروق عمر رضي الله عنه على عدالة الصحابة جميعاً إلا من أظهر ما يسقط عدالته : (فقال إن اناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ، وان الوحي قد انقطع ، وانما آخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً امناه وقربناه ، وليس الينا من سريرته شيء ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن اظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه ، وان قال ان سريرتي حسنة)[2] .

---

١ ـ المنهج الحديث في علوم الحديث ص ٦٣ .

٢ ـ الكفاية ص ٧٨ .

وقد اجمعت الامة على عدالة الصحابة جميعاً [1] فلا يجوز لاحد ان يطعن فيهم خشية ان يخالف الكتاب والسنة اللذين نصاً على عدالتهم ، فبعد تعديل الله تعالى وسوله لهم لايحتاج أحد منهم إلى تعديل احد ، على انه لو لم يرد من الله تعالى ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام شيء في تعديلهم لوجب تعديلهم لما كانوا عليه من دعم الدين والدفاع عنه ، ومناصرتهم للرسول والهجرة اليه ، والجهاد بين يديه ، وبذل المهج والاموال ، والمحافظة على أمور الدين ، والقيام بحدوده ومراسيمه ، والتشدد في امتثال اوامر الله تعالى ونواهيه ، حتى انهم قتلوا اقرب الناس إليهم ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم في سبيل الله ، واقامة دعائم الاسلام . كل ذلك دليل على قوي ايمانهم ، وحسن اسلامهم ، وامانتهم واخلاصهم . لذلك وجب أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال ، لان ما وقع إنما كان نتيجة لما أدى اليه اجتهاد كل فريق (من اعتقاده ان الواجب ما صار اليه ، وانه اوفق للدين واصلح للمسلمين ، وعلى هذا فاما ان يكون كل مجتهد مصيباً او أن المصيب واحد والآخر مخطيء في اجتهاده ، وعلى كلا التقديرين ، فالشهادة والرواية من الفريقين لا تكون مردودة ، أما بتقدير الاصابة فظاهر وأما بتقدير الخطأ مع الاجتهاد فبالاجماع) [2] . أي أن جميع من اشترك في الفتنة من الصحابة عدول لانهم اجتهدوا في ذلك .

---

١ - الا افراداً معدودين اختلف في عدالتهم للاختلاف في استقامتهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم لايتجاوزون اصابع اليد الواحدة . راجع العواصم من القواصم لابن العربي، فانه يتناول احوال الصحابة ويفند بعض الاقوال والطعون ويوضح ماقيل فيهم ، ويثبت براءتهم . وذكر في الروض الباسم ص ١٢٨ - ١٣٠ بعض من جرح من الصحابة .

٢ - الإحكام في اصول الاحكام للآمدي ص ١٢٩ - ١٣٠ ج ٢ .

ثم ان الكلمة اجتمعت بعد الفتنة في عام الجماعة ، حين تنازل الحسن ابن علي رضي الله عنه للخليفة معاوية بن ابي سفيان . وقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ انه قال عن سبطه الحسن بن علي وكان معه على المنبر : « ابني هذا سيد ، ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين [1] » فسمي الرسول ﷺ الجميع (مسلمين) وقال تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما [2] » فسماهم (مؤمنين) مع الاقتتال . ويقال انه لم يكن من الصحابة في الفريقين مائة [3] ، وقد بينت عدالتهم ، مع انهم اشتركوا مع احد الفريقين ، واشتراكهم هذا لا يسلبهم العدالة لانهم مجتهدون في ذلك

واختتم الكلام في عدالة الصحابة جميعاً بقول ابي زرعة الرازي : (اذا رأيتَ الرجل ينتقص احداً من اصحاب رسول الله ﷺ ، فاعلم انه زنديق ، وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى ذلك كله الينا الصحابة ، وهؤلاء الزنادقة يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، فالجرح بهم أولى) [4] .

٥ ـ عدد الصحابة :

إن حصر الصحابة رضي الله عنهم بالعد والاحصاء متعذر ، لتفرقهم في والبلدان والبوادي ، ولأنهم كثرة لا يمكن إحصاؤها ، ومن حدهم من العلماء فانه من باب التقريب . وقد روى البخاري في صحيحه أن كعب بن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك : (وأصحاب

---

١ ـ فتح الباري باب مناقب الحسن والحسين ص ٩٦ ج ٨ .
٢ ـ ٩ : الحجرات .
٣ ـ انظر الباعث الحثيث ص ٣٠٦ .
٤ ـ الكفاية ص ٤٩ .

رسول الله ﷺ كثير ، لا يجمعهم كتاب حافظ)[1] .

ويمكننا أن نحد عددهم بحد قريب من الحقيقة ، مما ورد في روايات بعض الصحابة والتابعين عن عددهم في بعض المشاهد .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كانوا بالكديد أفطر ثم مضى في عشره آلاف من المسلمين حتى نزل بمر صرار)[2] . وكان ذلك عام الفتح[3] .

وحج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع تسعون ألفاً من المسلمين[4] .

سأل رجل أبا زرعة الرازي فقال له : (يا أبا زرعة ، أليس يقال حديث النبي ﷺ أربعة آلاف حديث ؟ قال : ومن قال ذا ؟ قاتله الله أنيابه ، هذا قول الزنادقة ، ومن يحصي حديث رسول الله ﷺ ؟ قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه قيل : يا أبا زرعة ، هؤلاء أين كانوا وسمعوا منه ؟ قال : أهل المدينة وأهل مكة ومن بينها ، والاعراب ومن شهد معه حجة الوداع)[5] .

---

١ - فتح المغيث ص ٣٩ جـ ٤ . وقارن بنور اليقين ص ٢٤٦ حيث ذكر عددهم ٣٠ الفا وقارن بتلقيح فهوم أهل الاثار ص ٢٧ : ب . وبالاحكام لابن حزم ص ٦٦٥ جـ ٥ .

٢ - تلقيح فهوم اهل الآثار ص ٢٧ : ب ، والكديد عين جارية بينها وبين المدينة سبع مراحل أو نحوها . انظر معجم البلدان ص ٢٢٤ جـ ٧ . واما بمر صرار ففي الاصل المخطوط (مر الصران) واظنه خطأ من الناسخ ، فاني لم اجد في معجم البلدان (الصران) او مر الصران وفيه (صرار) وهو موضع على ثلاثة اميال من المدينة على طريق العراق وقيل (صرار) ماء قرب المدينة . انظر معجم البلدان ص ٣٤٦-٣٤٧ جـ ٥ وكلا المعنيين مناسب لهذا المقام .

٣ - انظر صحيح مسلم ص ٧٨٤ - ٧٨٥ جـ ٢ .

٤ - انظر نور اليقين ص ٢٥٦ وقارن بتلقيح فهوم أهل الآثار ص ٢٧ : ب .

٥ - انظر فتح المغيث ص ٣٩ جـ ٤ والجامع لاخلاق الراوي ص ١٩٢ : آ وتلقيح فهوم أهل الآثار ص ٢٨ : آ

من هـذا يتبين أن من روى عن رسول الله ﷺ من الصحابـــة كثيرون ، وقد نقلوا عنه خيراً عظيماً ، ويختلفون في مقدار ما حملوا عنه باختلاف أحوالهم وسماعهم منه ﷺ .

٦ — علم الصحابي :

لم يكن الصحابة على درجة واحدة من العلم بسنة رسول الله ﷺ وأحواله وأقواله ، بل كانوا متفاوتين[١] لأن منهم المتفرغ الملازم لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، يخدمه في معظم أوقاتـه ، كانس وأبي هريرة رضي الله عنهما ، ومنهم من له ماشيته في البادية ، أو تجارته في الآفاق ، ومنهم البدوي والحضري والمقيم والظاعن ، وقـد سبق أن بينت كيف كانوا يتلقون الاحكام والعـلم عن الرسول ﷺ ، لذلك كان الصحابة عليهم رضوان الله مختلفين في مقدار ما حملوا عنه عليـه الصلاة والسلام . وفي ذلك يقول مسروق : (جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ ، فالإخاذ يروي الرجل ، والإخاذ يروي الرجلين ، والإخاذ يروى المائة ، والإخاذ لو نزل به أهل الارض لأصدرهم)[٢] .

ويمكننا أن نعرف علم الصحابي كما قال ابن حزم (لاحد وجهين لا ثالث لهما ، أحدهما : كثرة روايته وفتاويه ، والثاني : كثرة استعمال النبي ﷺ له ، فمن المحال الباطل أن يستعمل النبي ﷺ من لا علم له وهذا أكبر شهادات على العلم وسعته)[٣] .

---

١ ـ انظر رفع المـــلام عن الائمة الاعلام لابن تيمية ص ٣ حيث تكلم عن تفاوت الصحابة في الالمام بالاحكام .

٢ ـ وتتمة قول مسروق (فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الاخاذ) طبقات ابن سعد ص ١٠٤ قسم ٢ ج ٢ والاخاذ هو الغدير وجمعها آخاذ نادر . انظر لسان العرب مادة (أخذ) ص ٤ ج ٥ .

٣ ـ الفصل في الملل والاهواء والنحل لا بن حزم ص ١٣٦ ج ٤ .

وهذا لا يكفي لمعرفة علم الصحابي وروايته . لأن بعض الصحابة الذين عرفت ملازمتهم للرسول ﷺ وسبقهم للاسلام بالتواتر ، كأبي بكر وعمر اللذين حملا علماً كثيراً عنه عليه الصلاة والسلام ، لم يظهر علمهم كله لنا ، وبخاصة أبو بكر ، لأنه لم يعش كثيراً بعد رسول الله ﷺ ليحتاج إليه كما احتيج إلى غيره ، فامتداد عمر الصحابي إلى جانب الوجهين السابقين اللذين ذكرهما ابن حزم يكشف لنا عن علمه ومروياته ، كما أن ظهور أمور جديدة في الحياة مع مر الزمن يكشف عن علم الصحابة ، لانه يحتاج إلى ما عندهم تجاه تلك الامور المستجدة ، وفي هذا يقول ابن حزم : (ثم وجدنا الامر كلما طال كثرت الحاجة إلى الصحابة فيما عندهم من العلم ، فوجدنا حديث عائشة رضي الله عنها ألفي مسند ومائتي مسند وعشرة مسانيد وحديث أبي هريرة ...)[1] .

ونحن في بحثنا هذا يهمنا الصحابة الذين رووا عن رسول الله ﷺ ، وحملوا لنا الشريعة الحنيفة ، ونقلوا الى من بعدهم افعال الرسول عليه الصلاة والسلام وتصرفاته دقيقها وعظيمها . في سفره وحضره ، وظعنه واقامته ، وسائر احواله من نوم ويقظة ، واشارة وتصريح وصمت ونطق الى غير ذلك . وأوجز الآن في عدد من روى عنه عليه الصلاة والسلام من الصحابة وعدد مروياتهم ، فقد روى عنه ﷺ سبعة من الصحابة ، لكل منهم اكثر من الف حديث ، وأحد عشر صحابياً ، لكل واحد منهم ، اكثر من مائتي حديث ، وواحد وعشرون صحابياً ، لكل واحد اكثر من مائة حديث ، وأما اصحاب العشرات فكثيرون ، يقربون المائة ، واما من له عشرة احاديث أو أقل من ذلك فهم فوق المائة . وهناك نحو

---

١ ـ الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ص ١٣٨ ج ٤ .

ثلاثمائة صحابي روى كل واحد منهم عن الرسول ﷺ حديثاً واحداً [1] .

بهذا العرض السريع يمكننا ان نتصور اختلاف تحمل الصحابة عن الرسول ﷺ .

وجميعهم عندنا عدول ، في منزلة شريفة ومقام كريم ، لا نفضل احداً على غيره عصبية أو هوى ، بل لكل صحابي فضله ومنزلته ، بما له من سبق في الاسلام وبذل في سبيل الله ، وكلهم خير ، نالوا شرف الصحبة ، فكانوا امناء مخلصين للشريعة الغراء التي نقلوها إلى التابعين ، ثم نقلها هؤلاء إلى من بعدهم ، ثم نقلت جيلًا عن جيل حتى وصلتنا كاملة غير منقوصة بفضل الله وحسن رعايته .

٧ ـ الصحابة المكثرون من الرواية عن الرسول ﷺ [2] :

اكثر الصحابة رواية عن الرسول عليه الصلاة والسلام سبعة هم :

١ ـ ابو هريرة : عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني رضي الله عنه ، المولود سنة (١٩ ق هـ) ، والمتوفى سنة (٥٩ هـ) . وعدة مارواه : (٥٣٧٤) حديثاً .

٢ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، المولود سنة (١٠ ق هـ) ، والمتوفى سنة (٧٣ هـ) . وعدد احاديثه (٢٦٣٠) الفا حديث وستمائة وثلاثون حديثاً .

---

١ ـ جمع بقي بن مخلد في مسنده الدقيق مرويات الصحابة وذكر عدد مسانيدهم إلا انه لم يصلنا هذا المسند بل وصلتنا أخباره وبعض مافيه وما ذكرته من عدد مرويات الصحابة ذكره أبو البقاء الأحمدي نقلًا عن مسند الإمام ابن مخلد انظر البارع الفصيح في شرح الجامع الصحيح ص ٩ : ب ـ ١٣ : ب .

٢ ـ أم المصادر : البارع الفصيح في شرح الجامع الصحيح لأبي البقاء محمد بن خلف الأحمدي مخطوط دار الكتب المصرية ص ٩ : ب وما بعدها ، وكتاب أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لابن حزم ص ٢٧٥ وما بعدها ، والسنة قبل التدوين ص ٤١١ ـ ٤٨٠ .

٣ ـ انس بن مالك رضي الله عنه ، المولود سنة (١٠ ق هـ) ، والمتوفى سنة (٩٣ هـ) وعدد احاديثه (٢٢٨٦) الفا حديث ومائتا حديث وستة وثمانون حديثاً .

٤ ـ عائشة بنت ابي بكر الصديق ام المؤمنين رضي الله عنها ، المولودة سنة (٩ ق هـ) ، والمتوفاة سنة (٥٨ هـ) وقيل سنة (٥٧ هـ) . وعدد احاديثها (٢٢١٠) الفا حديث ومائتا حديث وعشرة احاديث .

٥ ـ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما ، المولود سنة (٣ ق هـ) ، والمتوفى سنة (٦٨ هـ) . وعدة احاديثه (١٦٦٠) الف حديث وستمائة حديث وستون حديثاً .

٦ ـ جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه ، المولود سنة (١٦ ق هـ) ، والمتوفى سنة (٧٨ هـ) . وعدة احاديثه (١٥٤٠) الف حديث وخمسمائة حديث واربعون حديثاً .

٧ ـ أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان الانصاري رضي الله عنه المولود سنة (١٢ ق هـ) ، والمتوفى سنة (٧٤هـ) . وعدة احاديثه (١١٧٠) الف حديث ومائة حديث وسبعون حديثاً .

٨ ـ آخر الصحابة وفاة : [1]

اتسعت رقعة البلاد الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، وكان في طليعة الجيوش الاسلامية صحابة رسول الله ﷺ ، وكانوا كلما دخلوا بلداً اقاموا فيه المساجد [2] ، ومكث فيه بعض الصحابة والتابعين يدبرون

---

١ ـ أم مصادر هذه الفقرة مقدمة ابن الصلاح ص ١١٨ ، وفتح المغيث ص ٤٥ ـ ٥٢ ج ٤ والباعث الحثيث ص ٢١٤ ، وتدريب الراوي ص ٤١٢ ـ ٤١٤ . وسيرأعلام النبلاء ، والإصابة في تمييز الصحابة ، وتهذيب التهذيب . انظر تراجم الصحابة المذكورين.

٢ ـ انظر الخطط للمقريزي ص ٢٤٦ ج ٢ .

اموره وينتشرون فيه الاسلام ، ويعلمون ابناءه القرآن الكريم وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكان الخلفاء يمدون البلاد الجديدة بالعلماء ، وقد استوطن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم تلك الامصار ، يرشدون اهلها ويعلمون ابناءها وقد دخل الناس في دين الله افواجاً ، والتفوا حول اصحاب الرسول ﷺ ، ينهلون من الينابيع التي اخذت عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وتخرج في حلقاتهم التابعون الذين حملوا لواء العلم بعدهم ، وحفظوا السنة الشريفة ، وهكذا اصبحت في الاقاليم والامصار الاسلامية مراكز علمية عظيمة تشع منها أنوار الاسلام وعلومه ، إلى جانب مراكز الاشعاع الاولى التي امدت هذه الاقطار بالاساتذة الاول [1] .

وكان آخر الصحابة وفاة على الاطلاق أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي توفي سنه (١١٠ هـ) بمكة .

وآخر من توفي منهم بالمدينة السائب بن يزيد بن سعيد الكندي توفي سنة (٩١ هـ) احدى وتسعين وقيل قبل ذلك .

وقيل سهل بن سعد بن مالك الانصاري توفي سنة (٨٨ هـ) بالمدينة وقد جاوز المائة ، وقال بعضهم كانت وفاته بمصر .

وتأخر عنهما محمود بن الربيع الخزرجي فكانت وفاته سنة (٩٩ هـ) بها . وكان آخر من توفي من الصحابة بالطائف عبد الله بن عباس رضي الله عنه توفي سنة (٦٨ هـ) .

وآخر من توفي منهم في البادية سلمة بن الاكوع الاسلمي ، توفي سنة (٧٤ هـ) [2] .

---

١ ـ انظر الصحابة الذين نزلوا مختلف البلاد في كتابنا السنة قبل التدوين ص ١٦٤ وما بعدها .

٢ ـ لما استشهد عثمان رضي الله عنه خرج سلمة إلى الرّبذة ، وتزوج هناك ، وقبل أن يموت بليال نزل الى المدينة . انظر سير أعلام النبلاء ص ٢٢٣ حـ ٣ .

وآخر من توفي منهم في البصرة انس بن مالك ، وكانت وفاته سنة (٩٢ هـ) وقيل سنة (٩٣) .

وآخر من توفي منهم بالكوفة عبد الله بن ابي اوفى ، توفي سنة (٨٧ هـ) .

وآخر من توفي منهم بالشام عبد الله بن بشر المازني ، توفي سنة (٨٨ هـ) وقيل سنة (٩٦ هـ) وله مائة سنة . وتوفي بها ايضا أبو امامة صدي بن عجلان الباهلي سنة (٨٦ هـ) .

وآخر من توفي بالجزيرة العرس بن عميرة الكندي .

وآخر من توفي منهم بمصر عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي توفي سنة (٨٦ هـ) .

وآخر من توفي منهم ببرقة رويفع بن ثابت الانصاري المدني ، توفي سنة (٥٦ هـ) .

وآخر من توفي منهم باليمامة الهرماس بن زياد الباهلي ، توفي سنة (١٠٢ هـ) .

وآخر من توفي منهم بفلسطين أبو أبي عبد الله بن عمرو (ابن ام حرام) ،

وآخر من توفي منهم بخراسان بريده بن الحصيب الاسلمي ، توفي سنة (٦٣ هـ) وابو بَرْزة نضلة بن عبيد الاسلمي ، وقد توفي سنة (٦٥ هـ) .

وآخر من توفي منهم بسجستان العداء بن خالد بن هَوْذة العامري ، توفي بعد سنة مائة من الهجرة .

وآخر من توفي منهم بأصبهان النابغة الجعدي : قيس بن عبد الله العامري توفي نحو سنة (٥٠ هـ) وقد جاوز المائة . رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين .

٩ ــ أشهر ما صنف في الصحابة :

كان الصحابة والتابعون واتباعهم يعرفون من له صحبة ، وخاصة من عانى منهم نقل الحديث وروايته عن الرسول ﷺ ، وكانوا يحفظون اسماء كثير منهم وقد حرص العلماء على حصرهم ، وبيان مروياتهم واحوالهم واوطانهم وتاريخ وفاة كل منهم ، وقد صنف في الصحابة نحو أربعين مؤلفاً منها :

١ ــ كتاب معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان . في خمسة اجزاء للامام علي بن عبد الله المديني (١٦١ ــ ٢٣٤ هـ) ، ولكنه لم يكتب لهذا الكتاب الوصول إلينا .

٢ ــ الاستيعاب في معرفة الاصحاب : لابي عمر يوسف بن عبد الله (ابن عبد البر) القرطبي (٣٦٨ ــ ٤٦٣ هـ) ، طبع مراراً في مصر والهند ، وقد سماه بهذا الاسم ظناً منه انه استوعب الاصحاب ، ولكنه فاته كثير منهم ، وفيه (٤٢٢٥) اربعة آلاف ترجمة ومائتا ترجمة وخمس وعشرون ترجمة لصحابي وصحابية . واختصر هذا الكتاب وذيل عليه اكثر من واحد .

٣ ــ اسد الغابة في معرفة الصحابة : في خمس مجلدات للمؤرخ عز الدين ابي الحسن علي بن محمد (ابن الاثير) (٥٥٥ ــ ٦٣٠ هـ) ، طبع هذا الكتاب في مصر ، وفيه (٧٥٥٤) سبعة آلاف ترجمة وخمسمائة ترجمة واربع وخمسون ترجمة .

٤ ــ تجريد اسماء الصحابة : في جزأين للامام الحافظ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ ــ ٧٤٨ هـ) ، وقد طبع بالهند سنة (١٣١٠ هـ) .

٥ ـ الاصابة في تمييز الصحابة : لشيخ الاسلام الامام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الكناني (ابن حجر) العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) وهو أجمع ما صنف في هذا الباب ، وقد طبع اكثر من مرة في مصر والهند، وفيه (٩٤٧٧) اسماً ، و (١٢٦٨) كنية للصحابة و (١٥٥٢)، ترجمة للصحابيات .

التابعون [1]

١ ـ التابعي هو من لقي واحداً من الصحابة فأكثر ، وقال بعضهم لا يكفي مجرد الالتقاء ، بخلاف الصحابي ، فقد اكتفي فيه بذلك ، لشرف لقاء النبي ﷺ ، والاجتماع به ، أو رؤيته ، فان لذلك أثراً كبيراً في اصلاح القلوب وتزكية النفوس ، مما لا يتهيأ لمن يلقى الصحابي من غير متابعة له ، وطول أخذ عنه .

ولكن أكثر المحدثين يرون أن التابعي هو من لقي واحداً من الصحابة فأكثر ، وان لم يصحبه ، وعدوا من التابعين بعض من رأى صحابيا من غير أن يصحبه ، وهذا اقرار منهم بأن التابعي من رأى الصحابي .

واشترط ابن حبان أن يكون رآه في سن من يحفظ عنه ، أي أن يكون مميزاً ، فان كان صغيراً لم يحفظ عنه فلا عبرة برؤيته ، قال العراقي : (وما اختاره ابن حبان له وجه ، كما اشترط في الصحابي رؤيته وهو مميز ، قال : وقد أشار النبي ﷺ إلى الصحابة والتابعين بقوله : « طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى لمن رأى من رآني الحديث» [2] ، فاكتفى فيهما بمجرد الرؤية) [3] .

---

١ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ٤١ ، ومقدمة ابن الصلاح ص ١٢٣ ، والباعث الحثيث ص ٢١٦ ، وفتح المغيث ص ٥٢ ج ٤ ، وتدريب الراوي ص ٤١٦ .

٢ ـ أخرجه الطبراني والحاكم عن عبد الله بن بسر ، وله طرق أخرى . انظر الفتح الكبير : ص ٢١٥ ج ٢ .

٣ ـ انظر فتح المغيث ص ٥٢ – ٥٣ ج ٤ ، وتدريب الراوي ص ٤١٦ .

٢ ـ وعدد التابعين يفوق الحصر ، لان كل من رأى صحابياً كان من التابعين ، وقد توفي رسول الله ﷺ عن نيف ومائة ألف من الصحابة ، رحلوا إلى مختلف البلدان ، وانتشروا في جميع الآفاق ، ورآهم ألوف الاتباع .

٣ ـ والتابعون طبقات ، جعلها الحاكم النيسابوري خمس عشرة طبقة ، آخرهم من لقي أنس بن مالك من أهل البصرة ، ومن لقي عبد الله بن أبي أوفى من أهل الكوفة ، ومن لقي السائب بن يزيد من أهل المدينة ، ومن لقي عبد الله بن الحارث بن جزء من أهل مصر ، ومن لقي أبا أمامة الباهلي من أهل الشام [١] .

وقد اتفق أئمة الاسلام على أن آخر عصر التابعين هو حدود سنة خمسين ومائة من الهجرة وان سنة (٢٢٠ هـ) آخر عصر أتباع التابعين .

٤ ـ ومن التابعين المخضرمون ، واحدهم مخضرم [٢] ، وهو الذي أدرك الجاهلية وزمن النبي ﷺ وأسلم ولم يره . كأبي رجاء العطاردي ، وسويد بن غفلة وغيرهم من التابعين ، وقد عدّهم الحافظ برهان الدين سبط ابن العجمي نيفاً وأربعين مخضرما [٣] .

٥ ـ وقد اختلف المحدثون في أفضل التابعين ، فقال أهل المدينة :

---

١ ـ انظر معرفة علوم الحديث ص ٤٢ و ٤٣

٢ ـ المخضرم ـ بفتح الراء ـ لغة : من قضى نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام أو من أدركها ، والناقص الحسب ، والدعي ومن لا يعرف أبوه . . واللحم المخضرم ـ الذي لايعرف من ذكر أو أنثى .. وناقة مخضرمة قطع طرف أذنها انظر القاموس المحيط مادة (خضرم) ص ١٠٨ ج ٤ . وربما أطلق المحدثون ذلك لأن المخضرم عندهم أدرك الجاهلية وزمن النبي وأسلم ولم يره ، فهو متردد بين الصحابة ـ لمعاصرته الرسول صلى الله عليه وسلم ـ والتابعين لعدم لقائه الرسول صلى الله عليه وسلم مع امكان ذلك .

٣ ـ انظر تذكرة الطالب المعلم بمن يقال إنه مخضرم ص ٧ وما بعدها . ومعرفة علوم الحديث ص ٤٤ .

أفضلهم سعيد بن المسيب (١٥ – ٩٤ هـ) ، وقال أهل الكوفة : أفضلهم علقمة بن قيس النخعي (٢٨ ق هـ ٦٢ هـ) ، والأسود بن يزيد النخعي (– ٧٥ هـ) ، وقال بعضهم : أويس القرني الزاهد (– ٣٧ هـ) ، وقال أهل البصرة : الحسن البصري (٢١ – ١١٠ هـ) ، وقال أهل مكة : عطاء بن أبي رباح (٢٧ – ١١٤ هـ) [١] . وكل هؤلاء أهل فضل وعلم ، ويمكننا أن نلحق بهم كثيراً من أكابر التابعين ، كعروة ابن الزبير (٢٢ – ٩٤ هـ) وعامر الشعبي (١٩ – ١٠٣ هـ) ، ومحمد ابن سيرين (٣٣ – ١١٠ هـ) وغيرهم [٢] .

ومن أكابر النساء من التابعين : حفصة بنت سيرين (توفيت بعد سنة مائة هجرية) ، وعمرة بنت عبد الرحمن (٢١ – ٩٨ هـ) ، وأم الدرداء الصغرى الدمشقية (– ٨١ هـ) رضي الله عنهم أجمعين .

٦ – ومن أعلام التابعين الفقهاء السبعة بالمدينة ، وهم سعيد بن المسيب (١٥ – ٩٤ هـ) ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (٣٧ – ١٠٧ هـ) ، وعروة بن الزبير (– ٩٤ هـ) ، وخارجة بن زيد بن ثابت (٢٩ – ٩٩ هـ) ، وسليمان بن يسار (٣٤ – ١٠٧ هـ) ، وعبيد الله بن عبد اللهبن عتبة بن مسعود الهذلي (– ٩٨ هـ) ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف (– ٩٤ هـ) ، وقيل سالم بن عبد الله بن عمر (– ١٠٦ هـ) ، وقيل أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي (– ٩٤ هـ) [٣] . رضي الله عنهم أجمعين .

---

١ ـ انظر تدريب الراوي ص ٤٢١ ، وفتح المغيث ص ٥٤ ج٤ ، والباعث الحثيث ص ٢١٩ .

٢ ـ انظر السنة قبل التدوين ص ٤٨٥ .

٣ ـ انظر اختصار علوم الحديث : ٢١٩ ، وفتح المغيث : ٥٥ ج ٤ ، وتدريب الراوي : ص ٤٢١ .

الحديث الموضوع

١ – التعريف به . . . ٢ – ابتداء الوضع . . .
٣ – اسباب الوضع . . ٤ – حكم الوضع وحكم رواية الموضوع .
٥ – جهود العلماء في مقاومة الوضع ٦ – كيف يعرف الحديث الموضوع ؟
٧ – أشهر ما صنف في الموضوعات .

أولاً التعريف به :

آ ـ الموضوع في اللغة : اسم مفعول من وضع يضع ، ويأتي وضع في اللغة لمعان عدة منها : الاسقاط كوضع الجناية عنه أي أسقطها ، وكوضع الأمر أو الشيء عن كاهله أي أسقطه ، ويأتي بمعنى الترك ومنه ابل موضوعه اي متروكة في المرعى ، ويأتي بمعنى الافتراء والاختلاق كوضع فلان هذه القصة أي اختلقها وافتراها [1] .

ب ـ والموضوع في اصطلاح المحدثين : هو ما نسب إلى الرسول ﷺ اختلاقاً وكذباً مما لم يقله أو يفعله أو يقره . وقال بعضهم : (هو المختلق المصنوع) [2] .

ثانياً ـ ابتداء الوضع :

بقي الحديث النبوي صافياً لا يعتريه الكذب ، ولا يتناوله التحريف والتلفيق طوال اجتماع كلمة الأمة على الخلفاء الاربعة الراشدين ، قبل أن تنقسم إلى شيع وأحزاب ، وقبل أن يندس في صفوفها أهل المصالح والأهواء ، وقد كان للخلاف بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي رضي الله عنه ـ وامير الشام معاوية بن ابي سفيان رضي

---

١ ـ انظر القاموس المحيط : ص ٩٤ ج ٣ مادة « وضع » .

٢ ـ أهم مصادر هذا البحث : مقدمة ابن الصلاح ص ٣٨ ، وتدريب الراوي ص ١٧٨ وما بعدها ، واختصار علوم الحديث ص ٨٥ ، وتوضيح الأفكار ص ٦٨ ج ٢ ، وقواعد التحديث ص ١٥٠ وما بعدها . والسنة قبل التدوين : ص ١٨٧ وما بعدها . والمنتقى من منهاج الاعتدال : ص٣٨٦ ـ ٣٨٧ ، والسنةومكانتها من التشريع الاسلامي ص ٨٩ . وسنذكر بعض المصادر في مكانه عند الضرورة .

الله عنها – أثر بعيد في انقسام الأمة ونشأة الاحزاب والفرق الدينية والسياسية المختلفة . وقد حاول بعض اتباع كل حزب أن يدعم ما يدعى بالقرآن والسنة ، ومن البدهي ألا يجد كل حزب ما يؤيد دعواه في نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فتأول بعضهم القرآن ، وفسروا بعض نصوص الحديث بما لاتحتمله ، ولما لم يجد بعضهم في هذين الاصلين سبيلا إلى غايته ، لكثرة حفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي – لجأ إلى وضع الحديث والكذب على رسول الله ﷺ . فظهرت أحاديث في فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم من رؤساء الفرق وزعماء الاحزاب ، كما ظهرت أحاديث صريحة في دعم المذاهب السياسية والفرق الدينية وغير ذلك .

ويجدر بنا أن نبين أن وضع الحديث لم يطغ ولم يصل إلى ذروته في القرن الاول والثاني ، لأن أسباب الوضع لم تنشأ إلا قبيل منتصف القرن الهجري الأول بقليل ، ولم تكن هذه الاسباب كثيرة ، ولم تزدد الاحاديث الموضوعة إلا بازدياد البدع والفتن ، وقد كان الصحابة وكبار التابعين وعلماؤهم في معزل عنها . ولهذا فاننا نستبعد ظهور الوضع قبل الفتنة ، كما نستبعد تطوع أحد من الصحابة بوضع الحديث ، ولايعقل أن يتصور مسلم الصحابة الاجلاء ، الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم في سبيل الله ، ودافعوا عن رسول الله ﷺ ، وهجروا الاوطان ، وقاسوا من العذاب الألوان ، وذاقوا من العيش مرارته ، ومن العدو اساءته ، وصبروا الصبر الجميل – استجابة للرسول الامين – حتى كتب لهم النصر ، لايعقل أن يتصور أحد هؤلاء المخلصين يفترون على الرسول ﷺ ، وهم الذين نشؤوا في رعايته ، وتخرجوا في جامعته ، ونهلوا من معينه ،

وتأسوا بعمله ، فكانوا على جانب عظيم من التقى والورع والخشية ، لكل هذا ننفي إقدام أحدهم على الوضع والكذب على الرسول ﷺ . والواقع التاريخي في حياته ﷺ بعد وفاته يؤيد ما ذهبنا اليه [1] ، وينفي كل افتراء على الصحابة في هذا الموضوع ، وهم أسمى بكثير من أن يخوضوا في الكذب والوضع بعد أن عرفنا بذلهم وتضحيتهم وحبهم للرسول ﷺ وبعد أن عرفنا عدالتهم بالمنقول — القرآن والسنة — والمعقول ، وبعد أن عرفنا حرصهم على الشريعة وتمسكهم بها ومحافظتهم عليها .

وكما نفينا عن الصحابة انغماسهم في الوضع ننفي عن كبار التابعين وعلمائهم ذلك أيضاً ونؤكد أنه إذا حصل الوضع في عصر التابعين ، فانما صدر عن بعض الجاهلين ، الذين حملتهم الخلافات السياسية والأهواء الشخصية على انتحال الكذب ، ووضع الأحاديث على الرسول ﷺ زوراً وبهتانا . ومع هذا فان الوضع في عصر التابعين كان أقل من الوضع في العصور التالية له ، لكثرة الصحابة والتابعين الذين مارسوا السنة وبينوا السقيم من الصحيح ، ولعدم تفشي التحلل والكذب في الامة ، لقربها من عصر الرسول ﷺ ، إذ لا تزال متأثرة بتوجيهاته ، محافظة على وصاياه تعمها التقوى والورع والخشية ، كل هذا خفف من انتشار الكذب وحال دون تفاقم الوضع ، الى جانب أن دواعي وضع الحديث وأسبابه كانت ضيقة محدودة لا تزال في نشأتها الاولى . ثم كثرت هذه الاسباب فيما بعد .

ثالثاً — أسباب الوضع :

١ — الاحزاب السياسية : كان أول ما ظهر عقب فتنة أمير

---

١ ـ انظر تأكيد هذا في كتابنا السنة قبل التدوين : ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .

المؤمنين عثمان رضي الله عنه شيعة الامام علي ، وحزب معاوية ، ثم ظهر الخوارج بعد وقعة « صفين » وسنتناول بايجاز أثر هذه الاحزاب في وضع الحديث .

آ ـ أثر الشيعة وخصومهم في وضع الحديث :

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : (إن أصل الاكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة ، فانهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم ، حملهم على وضعها عداوة خصومهم ، فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الاحاديث) [1] .

ومما يؤسف له أن بعض أهل الاهواء وأعداء الاسلام اتخذوا التشيع ستاراً لتحقيق أهوائهم ، والوصول إلى مآربهم ، فكان كثير من الفتن يقوم باسمهم ، فكنب أهل البيت نكبات متوالية ، ذهب ضحيتها خيرة أبناء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأحفاده ، وسجل لهم التاريخ مآسي تتفطر لها القلوب ، وتقشعر لهـــا الابدان ، كل ذلك بسبب استغلال أعداء الدين اسم أهل البيت ، وهؤلاء المستغلون هم الذين وضعوا الاحاديث في سبيل تأييد حركاتهم وشجعوا على وضعهـا [2] ، وإنا لانتصور قط أن يوافق الحسن أو الحسين أو محمد بن الحنيفة أو جعفر الصادق أو زيد بن

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ص ٢٦ ج ٣ .

٢ ـ من هذا ماروى عن أبي أنس الحراني قال : قال المختار (الثقفي) لرجل من أصحاب الحديث ـ : ضع لي حديثـــاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كائن بعده خليفة مطالباً له بعترة ولده ،وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم .فقال له الرجل : أما عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا ، ولكن اختر من شئت من الصحابة ، وحطّ لي من الثمن ما شئت ، قال عن النبي صلى الله عليه وسلم أوكد ، والعذاب عليه أشد . انظر اللآلي المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ .

علي أو غيرهم من أهل البيت على الكذب على جدهم رسول الله ﷺ ، وهم على جانب عظيم من الورع والصفاء والتقوى ، فأهل البيت براء من الوضع وإثمه ، وإنما حمل وزر ذلك باسمهم من لف حولهم من شيعتهم ، فأكثروا الموضوعات في علي رضي الله عنه وفي تثبيت خلافته ، فأساؤوا إليه أكثر مما أحسنوا ، قال أبو الفرج بن الجوزي : (فضائل علي الصحيحة كثيره ، غير أن الرافضة لا تقنع ، فوضعت له ما يضع ، لا ما يرفع) [1] . وقال عامر الشعبي : (ما كذب على أحد في هذه الامة ما كذب على علي رضي الله عنه)[2] .

وكان يهم الشيعة إثبات وصية الرسول ﷺ لعلي بالخلافة من بعده ، فوضعوا كثيراً من الاحاديث في هذا ، منها : « وصي ، وموضع سري ، وخليفتي في أهلي ، وخير من أخلف بعدي — علي » [3] ، ووضعوا في علي رضي الله عنه وذريته وشيعته وغير ذلك ، من هذا حديث : « يا علي ، إن الله غفر لك ولذريتك ولوالديك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك » . [4] والى جانب هذا وضع الشيعة أخباراً بشعة تنال من أبي بكر وعمر وغيرهما [5] .

وقد رأى بعض الوضاعين من أتباع الاحزاب الاخرى أن هذه

---

١ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠ .

٢ ـ تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١ .

٣ ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣٦٩ .

٤ ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣٨٤ .

٥ ـ قال ابن أبي الحديد : (فأما الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من ارسال قنفذ إلى بيت فاطمة ... وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار ... وجعل في عنق علي حبلا يقاد به ، فكله لا أصل له عند أصحابنا ولا يثبته أحد منهم ، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه ، وانما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله) شرح نهج البلاغة ص ١٥٨ - ١٥٩ ج ١ .

الاحاديث تنتقص أبا بكر وعمر وعثمان ومعـــاوية ، فوضعوا مقابلها أحاديث أخرى ترفع من شأنهم ، من هذا الحديث الموضوع على عبد الله بن أبي أوفى أنه قـال : « رأيت النبي ﷺ متكئاً على علـي ، وإذا أبو بكر وعمر أقبلا ، فقال : يا أبا الحسن أحبهما فبحبها تدخل الجنة [1] » ، وحديث : « ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين » [2] .

ومما وضعه بعض أتباع معاوية حديث : « الأمناء عند الله ثلاثة : أنا وجبريل ومعاوية » [3] . وأمثال هـــذه الاحاديث كثيرة كلها من صنيعة الأحزاب المتناوئة ، التي حاولت أن تدعم بها موقفها ، وترفع من قدر أصحابها وزعمائها ، وكان بوسع هؤلاء الابتعاد عن الكذب على رسول الله ﷺ مكتفين بما للصحابة من فضائل ثابتة ، ولكن الهوى ساق بعضهم الى ذلك ، والجهل أعمى قلوب بعضهم .

ورأى بعض ذوي النيات الحسنة ما كان من هذه الاحزاب وما دار بينها من طعون مختلفـة تناولت أئمتهم ورؤساءهم ، فدفعهم حبهم للصحابة جميعاً إلى وضع أحاديث تذكر فضلهم ، وترفع من شأنهم ، ولا تفرق بينهم ، وقد ظن هؤلاء — بحسن نيتهم — انهم يفعلون خيراً ، ظناً منهم أنهم سيقطعون دابر الخلاف بين أتباع تلك الاحزاب ، وسيجمعون أمر الامة وكلمتها ، وكأنهم لم يعلموا أنهم يفتئتون على رسول الله الكذب ، من ذلك حديث : « أبو بكر وزيري ، والقائم في أُمتي من بعدي ، وعمر

---

١ ـ تنزيه الشريعة ص ٣٤٧ ج ١ والفوائد المجموعة ص ٣٣٨ .

٢ ـ الفوائد المجموعة ص ٣٤٢ .

٣ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٤ ونحوه ص ٦ ج ٢ .

حبيبي ينطق على لساني ، وأنا من عثمان وعثمان مني ، وعلي أخي وصاحب لوائي »[1] وغير ذلك .

ب ـ الخوارج ووضع الحديث : لم يثبت أن الخوارج وضعوا شيئاً من الحديث على الرسول ﷺ ، والراجح أن عدم وضعهم الحديث مرده اعتقادهم ان مرتكب الكبيرة كافر ، والكذب من الكبائر . بل ان الاخبار تؤكد انهم أصدق مَنْ نقل الحديث . قال ابو داود : « ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثاً من الخوارج[2] ».

٢ ـ أعداء الاسلام :

لقد قوضت دولة الاسلام دولتي كسرى وقيصر ، وقضت على عروش الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون الشعوب الخاضعة لهم ، يذيقونها العذاب ، ويستنزفون خيراتها ، ويسترقون أبناءها ، وكان حول هؤلاء الحكام الخواص والمنتفعون والمستغلون . فعندما انتشر الاسلام ، وخالط قلوب الأمم المظلومة ، والشعوب المغلوبة على أمرها من قبل رعاتها ، تذوق هؤلاء نعمة الحرية ، وشعروا بالكرامة الانسانية ، في حين أفلتت السلطة من يد الحكام ، وخسروا مناصبهم ، وضاعت تلك المنافع التي كانوا ينالونها باستغلال أبناء الشعب ، الذي عرف قيمة الحياة بعد أن حطم قيود الظلم باعتناق الاسلام ، ولم يرق الوضع الجديد أولئك المتسلطين ، فكادوا للاسلام ، وحقدوا عليه ، ولم يستطيعوا أن يحققوا آمالهم بقوة السيف ، لقوة الدولة الاسلامية ، فراحوا ينفرون الناس من العقيدة الجديدة ، ويصورون الاسلام وتعاليمه أبشع الصور في عقائده وعباداته

---

١ ـ الفوائد المجموعة ص ٣٨٦ .

٢ ـ الكفاية ص ١٣٠ . وقد فندنا بعض ما نسب اليهم من وضع الحديث في كتابنا السنة قبل التدوين : ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦ .

وأفكاره ، وظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة ، وتحت اسماء فرق متعددة ؛ إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل أمام قوة الاسلام ، وسمو مقاصده ، وصفاء عقيدته ، ودقة تشريعه ، وأمام جهود علمائه وحفاظه .

ومن أمثلة ما وضعه هؤلاء ليضللوا به أتباع الاسلام ، وينفروا منه من يحب اعتناقه ما رووه : « أن نفراً من اليهود أتوا الرسول ﷺ فقالوا : من يحمل العرش ؟ فقال : تحمله الهوام بقرونها ، والمجرّة التي في السماء من عرقهم ، قالوا : نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1] ، قال ابو القاسم البلخي : (هذا والله تقوّل ، وقد أجمع المسلمون على أن الذين يحملون العرش ملائكة[2]) .

وإن هؤلاء لأشد ضرراً وبلاء على الاسلام من غيرهم ، فقد كان منهم من يفحش في الكذب والافتراء ، ومن هؤلاء عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي اعترف قبل أن تضرب عنقه بوضعه الحديث ، فقال : (والله لقد وضعت فيكم اربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحلّ الحرام[3]) .

إلا ان هذه الموضوعات لم تخف على رجال هذا العلم ، فبينوها وتتبعوا الكاذبين الذين وضعوها .

٣ ـ التفرقة العنصرية والتعصب للقبيلة والبلد والإمام :

اعتمد بعض أولي الأمر من بني أمية في إدارة شؤون الدولة وتسيير أمورها على العرب خاصة ، وتعصب بعضهم للعرب ، وربما نظر بعض العرب الى المسلمين من العناصر الاخرى نظرة لا توافق روح الاسلام ، حتى ان طبقة الموالي ـ وهم المسلمون من غير العرب ـ شعرت بهذه

---

١ و ٢ ـ قبول الأخبار ص ١٤ .

٣ ـ اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ ، وقد أمر بضرب عنقه محمد بن سليمان بن علي أمير البصرة الذي كانت إمارته من سنة (١٦٠ ـ ١٧٣ هـ) . انظر ميزان الاعتدال ص ٦٤٢ ج ٢ .

العنصرية ، فكانوا يحاولون المساواة بينهم وبين العرب ، وانتهزوا أكثر الاضطرابات والحركات الثورية فانضموا اليها في سبيل تحقيق ذلك[1]، والى جانب هذا كانوا يبادلون العرب الاعتزاز والفخار ، فحمل هذا بعضهم على وضع احاديث ترفع من قدرهم ، وتبين فضائلهم . من هذا حديث « ان كلام الذين حول العرش بالفارسية ... »[2] فوضع مقابله حديث : « أبغض الكلام الى الله الفارسية ... وكلام أهل الجنة العربية »[3] .

وكما وضعت أحاديث في الجنس واللغة وضعت أحاديث في فضائل القبائل والبلدان والأئمة ، والراجح عندي أن انتقال مركز ادارة الدولة الاسلامية من بلد الى آخر كان له أثر بعيد في دفع بعض المتعصبين الى وضع الاحاديث في فضائل بلدانهم وأئمتهم ، ومثال ما وضع في فضائل البلدان حديث : « أربع مدائن من مدن الجنة في الدنيا : مكة ، والمدينة ، وبيت المقدس ، ودمشق[4] » .

ومما لا شك فيه ان التعصب للأئمة لم يظهر إلا في القرن الثالث الهجري ، ولم تبد هذه الظاهرة إلا من الأتباع الجاهلين ، ومثال هذه الاحاديث حديث : « يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس ، ويكون في أمتي رجل يقال له ابو حنيفة هو سراج أمتي[5] ». وغير ذلك ...

---

١ ـ انظر تاريخ الاسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٣٤٢ ج ١ .
٢ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٦ ج ١ .
٣ ـ تنزيه الشريعة ص ١٣٧ ج ١ .
٤ ـ تنزيه الشريعة ص ٤٨ ج ٢ .
٥ ـ تنزيه الشريعة ص ٣٠ ج ٢ .

٤ ـ القصاصون :

كان بعض القصاص لا يهمه إلا ان يجتمع الناس عليه ، فيضع لهم ما يرضيهم من الاحاديث التي تستثير نفوسهم ، وتحرك عواطفهم ويمنيهم بما يحبون ، ومن هؤلاء القصاص من كان يفعل ذلك لينال أعطيات المستمعين ، ويستفيد منهم . وقد كان معظم البلاء من هؤلاء وهؤلاء الذين يكذبون على رسول الله ﷺ ، ولا يرون في هذا إثماً ولا بهتاناً . والغريب الذي يؤسف له أن هؤلاء القصاص وجدوا آذاناً تسمع لهم وتصدقهم وتدافع عنهم من جهلة العامة التى لا يهمها البحث والتقصي[1].

ولكل هذا كان رجال الحديث ينهون طلابهم واخوانهم عن مجالسة القصاص ، كما كانوا يمنعون هؤلاء من عقد حلقاتهم .

ومن أطرف ما يروى في كذب القصاص ما رواه ابو جعفر محمد الطيالسي ، قال : (صلى احمد بن حنبل ويحي بن معين في مسجد الرصافة ، فقام بين أيديهم قاص ، فقال : « حدثنا احمد بن حنبل ويحيى ابن معين قالا حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان » ... وأخذ في قصة نحواً من عشرين ورقة ، فجعل احمد بن حنبل ينظر الى يحيى بن معين ، وجعل يحيى ينظر الى احمد ، فقال له : حدثته بهذا ؟ فيقول : والله ما سمعت هذا إلا الساعة ، فلما فرغ من قصصه وأخذ العطيات ، ثم قعد ينتظر بقيتها ، قال له يحيى بن معين بيده : تعال ، فجاء متوهماً لنوال،

---

١ ـ منع عمر رضي الله عنه القصاص من الجلوس في المسجد ، ولم يقص أحد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الخلفاء الراشدين ، وانما قص بعد ذلك . انظر كتاب العلم للمقدسي ص ٥٢ ، وتمييز المرفوع عن الموضوع : ص ١٨ : ب .

فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : احمد بن حنبل ويحيى ابن معين ، فقال : أنا يحيى بن معين ، وهذا احمد بن حنبل ، ماسمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ﷺ ، فقال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ، ما تحققت هذا إلا الساعة ، كأن ليس فيها يحيى بن معين واحمد بن حنبل غيرهما ؟ وقد كتبت عن سبعة عشر احمد بن حنبل ويحيى بن معين ، فوضع احمد كمه على وجهه ، وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستهزىء بها[1]) .

٥ ـ الرغبة في الخير مع الجهل بالدين :

رأى بعض الصالحين والزهـــاد انشغال الناس بالدنيا عن الآخرة ، فوضعوا أحاديث في الترهيب والترغيب حسبه لله [2] ، وقد حملهم جهلهم بالدين على استساغة ما سولت لهم أنفسهم ليرغبوا الناس في صالح الاعمال ، ولو اطلعوا على جانب مما ثبت من الحديث النبوي لرأوا فيه ثروة عظيمة تغنيهم عما افتروه ، وكانوا إذا ذكروا بقـوله ﷺ « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعدة من النار » قالوا : نحن ما كذبنا عليه ، إنما كذبنا له [3] . وقد أخذ العامة بصلاحهم فكانوا يصدقونهم ويثقون بهم ، فكان خطرهم شديداً على الدين ، بل هم أعظم ضرراً من غيرهم ، لما عرفوا به من الصلاح والزهد ، الذي لا يتصور معه العامي اقدام مثل هؤلاء الصالحين على الكذب . وفي هذا يقول الحافظ يحيى بن سعيد القطان : (ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد) [4] .

---

١ ـ الباعث الحثيث ص ٩٣ ـ ٩٤ ، والجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٤٩ : آ ـ ب .

٢ ـ انظر قبول الأخبار ص ٧ ـ ٨ و ص ١٥ .

٣ ـ انظر اختصار علوم الحديث ص ٨٦ .

٤ ـ اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ .

ومما وضعه الصالحون أحاديث فضائل السور ، سورة سورة ، وبعض الرقائق وغيرها ، قيل لأحد هؤلاء : « من أين جئت بهذه الاحاديث : من قرأ كذا فله كذا ؟ قال : وضعتها أرغب الناس فيها » [1] ، وقال أبو عبد الله النهاوندي لغلام خليل ــ احمد بن محمد بن غالب الباهلي ــ : (ما هذه الرقائق التي تحدث بها؟قال : وضعناها لنرقق بها قلوب العامة) [2] .

وكل هذه الأحاديث الموضوعة لم تخف على العلماء بل بينوها وحذروا الناس من واضعيها .

٦ ــ الخلافات المذهبية والكلامية :

وكما دعم اتباع الاحزاب السياسية آراءهم وأحزابهم بوضع الاحاديث ، وضع بعض اتباع المذاهب الفقهية والكلامية احاديث في تأييد مذاهبهم ، من هذا حديث « من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له » [3] ، وحديث « كل ما في السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير القرآن ... وسيجيء أقوام من أمتي يقولون القرآن مخلوق ، فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم ، وطلقت امرأته من ساعته . [4] .

٧ ــ التقرب من الحكام وأسباب اخرى :

لم ينقل أحد يعتد به ان احداً من رجال الحديث أو غيرهم تقرب من خلفاء بني أمية بوضع ما يرضى ميولهم من الحديث [5] ، وطبعي أن يتقرب بعض المرائين إلى الطبقة الحاكمة في بعض العصور بوضع ما يرضيهم

---

١ ـ تدريب الراوي ص ١٨٤ ، واللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ . ولا بد من الإشارة إلى أنه قد وردت أحاديث في فضائل بعض السور ، كما هو واضح في كتب الصحاح والسنن في أبواب التفسير ، وفضائل القرآن ، وثواب القرآن ، إلا أنه لم ترد أحاديث في فضائله سورة فسورة .

٢ ـ ميزان الاعتدال ص ٦٦ - ٦٧ ج ١ ، وتدريب الراوي ص ١٨٥ .

٣ ـ تدريب الراوي ص ١٨١ . وانظر لسان الميزان ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ج ٥ .

٤ ـ تنزيه الشريعة ص ١٣٤ ج ١ .

٥ ـ فندنا في الفصل الثاني من كتابنا أبي هريرة راوية الاسلام بعض الشبهات في ذلك فليراجع .

من الحديث ، وقد حدث هذا في عهد العباسيين فقد أسند أبو عبد الله الحاكم عن هارون بن أبي عبيد عن أبيه قال : (قال لي المهدي : ألا ترى ما يقول لي مقاتل ؟ قال : ان شئت وضعت لك أحاديث في العباس قلت لا حاجة لي فيها)[1] .

وقد كذب غياث بن ابراهيم للمهدي في حديث : « لا سبق الا في نصل أو خف أو حافر » فزاد فيه « أو جناح » حين رآه يلعب بالحمام فتركها المهدي بعد ذلك وأمر بذبحها بعد أن أعطاه عشرة الآف درهم ، وقال فيه بعد أن ولى (أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله ﷺ)[2] . وفي رأينا أن انكار المهدي عليه لا يكفي ، بل كان عليه ألا يعطيه عشرة الآف درهم من اموال المسلمين ، لكذبه على الرسول الكريم ، وأن يمنعه من هذا ويزجره ويحبسه إذا لم يشأ أن يضرب عنقه لكذبه وافترائه .

وهناك أسباب اخرى لوضع الحديث ، كوضع الحديث في مدح عمل معين أو تجارة معينة ، أو أصناف معينة من المآكل ، لترويجها ، وكرفع قدر بعض المهن والحط من غيرها ، وغير ذلك . وقد بين العلماء جميع هذا ، ووضعوا قواعد علمية دقيقة لبيان الموضوع من غيره وحفظ الحديث من عبث المغرضين والجاهلين .

رابعاً ـ حكم الوضع ، وحكم رواية الموضوع :

أجمع المسلمون على حرمة وضع الحديث مطلقاً ، وخالفت فرقة الكرامية [3]

---

١ ـ تدريب الراوي ص ١٨٧ والباعث الحثيث ص ٩٤ ، وأبو عبيد الله هو وزير المهدى .

٢ ـ المدخل ص ٢٠ ـ ٢١ ، وتدريب الراوي ص ١٨٧ .

٣ ـ نسبة إلى زعيمهم محمد بن كرام السجستاني ، وقد كان مجسما من المتكلمين تبعه بعض أهل خراسان وفلسطين وتوفي سنة ٢٥٥ هـ . انظر بعض آرائهم ومقالاتهم في كتاب التبصير في الدين ص ٩٩ .

في ذلك ، وجوّزت الوضع في الترغيب والترهيب دون ما يتعلق به حكم من الثواب والعقاب ، ترغيبا للناس في الطاعة وترهيباً لهم من المعصية [1] ، وقولهم هذا مردود لا يقوم على أساس سليم ، ويرده المنقول والمعقول ، فقد حذر الرسول ﷺ من الكذب عليه وقال « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعد ، من النار » ، وقد أجمع جمهور أهل السنة على أن الكذب من الكبائر ، ورد جميع أهل الحديث خبر الكاذب على رسول الله ﷺ ، وبالغ الشيخ أبو محمد الجويني فكفر واضع الحديث .

وكل حديث موضوع باطل مردود لا يعتد به لأنه كذب وافتراء على الرسول ﷺ .

وكما أجمع العلماء على حرمة وضع الحديث أجمعوا على حرمة رواية الموضوعات من غير بيان وضعها وكذبها ، ولم يجوزوا رواية شيء منها سواء أكان في القصص والترغيب والترهيب والاحكام أم لم يكن ، لحديث الرسول ﷺ : « من حدّث عني بحديث يُرى انه كذب فهو أحد الكاذبين » [2] . وأما رواية الموضوع مع بيان حاله فلا بأس بها ، لان في هذا البيان تميز الموضوع مما ينسب إلى الرسول ﷺ ، وحفظ السنة وصيانتها من كل دخل .

خامساً ـ جهود العلماء في مقاومة الوضع :

قيض الله عز وجل لهذه الامة رجالاً امناء مخلصين ، قاوموا الوضاعين وتتبعوهم ، وميزوا الباطل من الصحيح ، وبذلوا جهوداً عظيمة في سبيل

---

١ ـ انظر تدريب الراوي ص ١٨٥ ، والباعث الحثيث ص ٨٥ .

٢ ـ اخرجه الامام مسلم عن سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة. انظر صحيح مسلم ص ٩ ج ١ . وفي « يُرى » روايتان بضم الياء وبفتحها ، أي بالبناء للمجهول وبالبناء للمعلوم، وفي (الكاذبين) روايتان أيضاً بلفظ الجمع وبلفظ المثنى، والمعنى واضح على الراويتين.

حفظ الشريعة وأصولها ، منذ عصر الصحابة إلى ان تم جمع الحديث في أمهات كتبه ومصنفاته ، وبحثوا في كل ما يتعلق بالحديث النبوي رواية ودراية ، وخطوا خطوات جليلة كفلت سلامة السنة من العبث على مر الاجيال ، وسنستعرض الآن بعض ما بذله العلماء في سبيل حفظ الحديث .

١ – التزام الاسناد :

تشدد الصحابة والتابعون ومن بعدهم في طلب الاسناد من الرواة ، والتزموه في رواية الاحاديث ، لأن السند للخبر كالنسب للمرء . قال الامام محمد بن سيرين : (لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى اهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم) [١] . وقال عبد الله بن المبارك : « الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » [٢] .

ولم يقتصر التشدد في طلب الاسناد على محيط العلماء وطلاب العلم ، بل أصبح الاسناد أمراً بدهيا مسلماً به عند العامة والخاصة ، ويظهر هذا فيما يرويه الاصمعي فيقول : « حضرتُ ابن عيينة وأتاه اعرابي فقال : كيف اصبح الشيخ يرحمه الله ؟ فقال سفيان : بخير نحمد الله ، قال : ما تقول في أمرأه من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت ؟ فقال : تفعل ما يفعل الحاج غير انها لا تطوف بالبيت ، فقال هل من قدوة قال : نعم ، عائشة حاضت قبل ان تطوف بالبيت، فأمرها النبي ﷺ أن تفعل ما يفعل الحاج غير الطواف ، قال : هل من بلاغ عنها ؟ قال : نعم ، حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بذلك . قال

١ – صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٤ ج ١ ، وسنن الدارمي ص ١١٢ ج ١ .
٢ – المرجع السابق ص ٨٧ ج ١ .

الاعرابي : لقد استسمنت القدوة ، وأحسنت البلاغ والله لك بالرشاد »[1].

وهكذا أخذ الأسناد المتصل نصيبه من العناية والاهتمام منـــذ عهد التابعين ، حتى أصبح من واجب المحدث أن يبين نسب ما يروي ، وهو باسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه ، ويطمئن الى صحة ما ينقل عندما ينتهي سنده المتصل الى الرسول ﷺ . كما يبعث الطمأنينـــة في نفوس السامعين ، بروايته بسنده المتصل .

٢ ــ مضاعفة النشاط العلمي والتثبت في الحديث :

ان النشاط العلمي الذي عرفناه ــ فيما سبق ــ في عصر الصحـــابة والتابعين ، والرحلة في طلب الحديث ، والتثبت والاستيثاق له ، والاحتياط في روايته ، وانتشار الصحابة الحفاظ في أنحاء الدولة الاسلامية واجتهادهم في نشر الحديث ــ كل هـــذا يبين الحيوية العلمية في صدر الاسلام ، ونشاط أهـل العلم في سبيل حفظ الحديث ونشره ، وبيان المردود من المقبول ، والدخيل من الاصيل ، وقد عرفنا أن كثيراً من التابعين كانوا إذا ما سمعوا الحديث من غير الصحابة أسرعوا إلى من عندهم من صحابة رسول الله ﷺ ليتأكدوا مما سمعوا ، وكذلك كان يفعل صغار التابعين مع كبارهم ، وأتباع التابعين مع التابعين ، وهكذا فعل معظم من جاء من بعدهم ، فلم تنقطع الرحلة في طلب الحديث على مر العصور .

وقد اجتهد أهل العلم في حفظ الحديث ومذاكرته فيما بينهم ، وكان أئمة الحديث على جانب عظيم من الوعي والاطـــلاع ، فكانوا يحفظون الصحيح والضعيف والموضوع[2] حتى لا يلتبس عليهم الحديث ، وفي هذا

---

١ ـ الكفاية ص ٤٠٤ .

٢ ـ من هذا أن الامام أحمد رأي الإمام يحيى بن معين بصنعاء يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس ، فقال له تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة ؟ =

يقول الامام سفيان الثوري : (إني لأروي الحديث على ثلاثة أوجه ، اسمع الحديث من الرجل أتخذه دينا ، وأسمع من الرجل أقف حديثه ، وأسمع من الرجل لا أعبأ بحديثه وأحب معرفته) (٢) .

٣ – تتبع الكذبة :

الى جانب تثبت أهل العلم واحتياطهم في قبول الحديث ، كان بعضهم يحارب القصاصين والكذابين ويمنعهم من التحديث ويبين أمرهم ، ويحذر الناس منهم ، وكان جميع أهل العلم يبينون لطلابهم الموضوع من غيره ، ويحذرونهم من أخبار الكذابين ، ولم يقصر أهل العلم وطلابهم في محاربة الكذبة ، وأخبارهم في هذا المضمار أكثر من أن يتسع لها هذا المقام ، ومن أشهر من عرف بتصديه لهؤلاء عـــامر الشعبي (– ١٠٣ هـ) ، وشعبة بن الحجاج (– ١٦٠ هـ) ، الذي كان شديداً على الكذابين ، وسيفاً مسلطاً على رقابهم ، وسفيـان الثوري (– ١٦١ هـ) ، وعبـد الرحمن بن مهدي (– ١٩٨ هـ) وغيرهم . وكان نتيجة هذا أن توارى معظم الكذابين ، وكفوا عـن كذبهم ، كما أصبح عنـد العامة وعيّ جيد يميزون به بين المتطفلين على الحديث – وأهله ورجاله الثقات .

٤ – بيان أحوال الرواة :

كان لا بد لأهل العلم من معرفة رواة الحديث معرفـة تمكنهم من الحكم بصدقهم وضبطهم أو كذبهم ليتمكنوا من تميـــيز الصحيح من

= فقال : رحمك الله يا أبا عبد الله ، اكتب هذه الصحيفة عن عبد الرزاق عن معمر على الوجه فأحفظها كلها ، وأعلم أنها موضوعة حتى لايجيء بعده إنســـان فيجعل بدل أبان ثابتاً ، ويرويها عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك ، فأقول له : كذبت إنما هي عن معمر عن أبان لا عن ثابت . (الجامع لأخلاق الراوي ص ١٥٧ : ب) .

١ ـ الكفاية ص ٤٠٢ ، وفي رواية عنه (اني لأكتب الحديث على ثلاثة وجوه ...) انظر الجامع لأخلاق الراوي ص ١٥٧ : ب .

المكذوب ، والخبيث من الطيب ، لذلك تتبعوا حياة الرواة ، وعرفوا أحوالهم ، فكانوا ينقدونهم ويعدلونهم حسبة لله ، لا تأخذهم في ذلك خشية أحد . وقد ذكرنا كثيراً من هذا في فصل علم الجرح والتعديل [1].

وهكذا ساهمت جهود العلماء في هذا المضمار بتكوين علم الجرح والتعديل ، الذي أرسى قواعده وأسسه الصحابة والتابعون وأتباعهم ، وقد ظهر في كل عصر عدد كبير من النقاد تكفل ببيان أحوال الرواة ، ونقل السنة وحفظها على أسلم القواعد العلمية . ثم ما لبث أن صنف العلماء المؤلفات الضخمة في الرواة وأقوال النقاد فيهم ، حتى إنه لم يعد يختلط الكذابون والضعفاء بالعدول الثقات .

٥ ـ وضع قواعد لمعرفة الموضوع من الحديث :

كما وضع العلماء قواعد دقيقة لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف ، وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع منه ، وذكروا ما يدل على الوضع في السند والمتن . وهذا ما سنبنيه في الفقرة التالية .

سادساً ـ كيف يعرف الحديث الموضوع ؟

يعرف الحديث الموضوع من سنده أو متنه ، وسنبين علامات الوضع في كل منهما :

آ ـ علامات الوضع في السند :

١ ـ اعتراف الراوي بكذبه ، كما أقر عبد الكريم الوضاع ، وهذا أقوى دليل على الوضع .

٢ ـ وجود قرينة تقوم مقام الاعتراف بالوضع ، كأن يروى عن شيخ لم يلقه ، ويجزم بالسماع منه ، أو يروي عن شيخ في بلد لم يرحل

١ ـ انظر : ص٢٦١ وما بعدها من هذا الكتاب .

اليه ، أو عن شيخ ولد الراوي بعد وفاته ، أو توفي الشيخ والراوي صغير لا يدرك .

وهذا الصنف لا يدرك إلا بمعرفة مولد الرواة ووفاتهم ، والبلدان التي رحلوا اليها ... وقد وفق العلماء في هـذا ، فقسموا الرواة طبقات ، وعرفوا كل شيء عنهم ، ولم يخف عليهم من أحوالهم شيء .

٣ ـ أن يتفرد راو معروف بالكذب برواية حديث ، ولا يرويه ثقة غيره ، فيحكم على روايته بالوضع ، وقد استقصى جهابذة الامة الكذابين ، وبينوا ما كذبوا فيه حتى لم يخف منهم أحد .

٤ ـ ومن القرائن التي يدرك بها الوضع ، مايؤخذ من حال الراوي كما حدث لسعد بن طريف حين جاء ابنه من الكتاب يبكي فقال له : مالك ؟ قال : ضربني المعلم . قال : لأخزينهم اليوم ، حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً : (معلمو صبيانكم شراركم ، أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المسكين)[1] ، ونحو هذا .

ب ـ علامات الوضع في المتن :

من أهم القرائن التي تدل على الوضع في المتن :

١ ـ ركاكة اللفظ في المروى بحيث يدرك من له إلمام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي ﷺ ، هذا إذا صرح الراوي بأن ما يرويه هو لفظ النبي ﷺ ، فإن لم يصرح بذلك فمدار الركة على ركة المعنى ، فحيثما وجدت دلت على الوضع وإن لم تنضم اليها ركة اللفظ ، لأن الدين كله محاسن ، والركة ترجع إلى الرداءة ، كما صرح بهذا الحافظ ابن حجر[2] .

---

١ ـ تدريب الراوي ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

٢ ـ الباعث الحثيث ص ٩٠ .

٢ ـ فساد المعنى :

كالأحاديث التي يكذبها الحس ، نحو حديث « الباذنجان شفاء من كل داء »[١] ، ومنها سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه كحديث : « من اتخذ ديكاً أبيض لم يقربه شيطان ولا سحر »[٢] . وكل ما يدل على إباحة المفاسد والسير وراء الشهوات[٣] ، وكل ما اشتمل على مجازفات لا تصدر عن العقـــلاء[٤] ، وكل حديث قامت الشواهد الصحيحة على بطلانه[٥] ـ هو من الموضوع الذي لا يعتد به .

٣ ـ ما يناقض نص الكتاب أو السنة المتواترة أو الاجماع :

فمما يخالف صريح القرآن الكريم حديث « مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة » فهذا غير صحيح لانه لو صح لكان كل واحد عالماً كم سيبقى ليوم القيامة والله عز وجل يقول : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ قل ، إنما علمها عنـــد ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو . ثقلت فى

---

١ ـ المنار لابن القيم ص ١٩ .

٢ ـ المنار لابن قيم الجوزية ص ٢١ .

٣ ـ كحديث « ثلاثة تزيد البصر : النظر إلى الخضرة ، والماء الجـــاري والوجه الحسن » وحديث « النظر إلى الوجه الجميل عبادة» المنار ص ٢٤ .

٤ ـ كحديث (المجرة التي في السماء من عرق الأفعى التي تحت العرش) ، وحديث (المؤمن حلو يحب الحلاوة) : المنار ص : ٢٣ و ٢٥ .

٥ ـ كحديث عوج بن عنق الطويل ، الذي قصد واضعه الطعن في أخبار الانبياء فان في هذا الحديث : (أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع ، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين وثلث ، وأن نوحاً لما خوفه الغرق قال له : احملني في قصعتك ، وان الطوفان لم يطل إلى كعبه... وأنه كان يأخذ الحوت من قرار البحر فيشويه في عين الشمس) المنار ص ٢٩-٣٠ .

السموات والارض ، لا تأتيكم إلا بغتة . يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله » [1] .

ومما وضع يناقض السنة مناقضة بينة أحاديث مدح من اسمه محمد وأحمد، وأن كل من يسمى بهذه الاسماء لا يدخل النار ، هذا مناقض لما هو معلوم من الشريعة أن النار لايجار منها بالاسماء ، وانما النجاة منها بالايمان والعمل الصالح . [2] .

وكل حديث ينص على وصاية علي رضي الله عنه ، أو على خلافته غير صحيح ، لأنه يخالف ما أجمعت عليه الامة من أنه ﷺ لم ينص على تولية احد بعده .

٤ ــ كل حديث يدعي تواطؤ الصحابة على كتمان أمر وعدم نقله ، كحديث انه ﷺ أخذ بيد علي بن أبي طالب رضى الله عنه بحضر من الصحابة كلهم ... ثم قال : « هـــذا وصيي وأخي ، والخليفة من بعدي .. » ثم اتفق الكل ــ كما يزعم بعض الفرق ــ على كتمان ذلك وتغييره [3] .

٥ ــ كل حديث يخالف الحقائق التاريخية التي جرت في عصر الرسول ﷺ أو اقترن بقرائن تثبت بطلانه . مثل حديث وضع الجزية عن أهل خيبر ، فكذبه واضح من عدة وجوه منها : أن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد توفي سعد قبل ذلك في غزوة الخندق ، ومعروف أن الجزية لم تكن قد شرعت آنذاك ، وانما نزلت بعد عام تبوك حين وضعها

---

١ - ١٨٧ : الاعراف ، وانظر المنار لابن قيم الجوزية ص ٣١ .

٢ - انظر المنار ص ٢٢ .

٣ - انظر المرجع السابق ص ٢٢

النبي ﷺ على نصارى نجران ويهود اليمن [1] .

٦ ــ موافقة الحديث لمذهب الراوي ، وهو متعصب مغال في تعصبه ، كأن يروى رافضي حديثاً في فضائل أهـــل البيت أو مرجئي حديثاً في الارجاء .

٧ ــ أن يكون خبراً عن أمر جسيم تتوفر أسباب نقله ، كحصر العدو للحاج عن البيت ، ثم لاينقله منهم إلا واحد ، لأن العادة جارية بتظاهر الاخبار في مثل ذلك .

٨ ــ اشتمال الحديث على مجازفات وافراط في الثواب العظيم مقابل عمل صغير ، أو الوعيد العظيم على الفعل الحقير ، وهذا كثير في حديث القصاص . ومثال هـــذا : « من قال لا اله إلا الله ، خلق الله من تلك الكلمة طائراً له سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يستغفرون له » [2] .

وإلى جانب هذه القواعد ، فقد تكونت عند اكثر العلماء ملكة خاصة ، نتيجة لدراستهم حديث رسول الله ﷺ ، وحفظه ومقارنة طرقه ، فأصبحوا يعرفون ــ لكثرة ممارستهم هذا ــ ما هو من كلام الصادق المصدوق وما ليس من كلامه ، وفي هذا يقول الربيع بن خثيم التابعي الجليل ــ أحد أصحاب ابن مسعود ــ : (ان من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار نعرفه به ، وان من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها) [3] ، ويقول ابن الجوزي : (الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه في الغالب) [4] . وقال : (ما أحسن

---

١ ــ ذكر ابن قيم الجوزية كذب هذا الحديث في عشرة أدلة قوية انظر المنار ص ٣٧ ــ ٣٨ .

٢ ــ انظر المنار ص ١٩ .

٣ ــ معرفة علوم الحديث ص ٦٢ .

٤ ــ الباعث الحثيث ص ٩٠ .

قول القائل : إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول ، أو يناقض الاصول ، فاعلم أنه موضوع) [1] .

سابعاً ـ أشهر ماصنف في الموضوعات :

تتجلى ثمرة الجهود العظيمة التي بذلها العلماء من اجل حفظ الحديث وتخليصه من الموضوع في الكتب القيمة التي صنفها الائمة والاعلام في اسماء الصحابة ، وفي تواريخ الرجال وأحوالهم ، وفي طبقات الرواة ، وفي معرفة الاسماء والكنى والالقاب والانساب، وفي الجرح والتعديل ، وفي الوضاعين والموضوعات وهي ثروة علمية ضخمة تربي على نيف وخمسين ومائتي مؤلف ، ويهمنا في هذا المقام كتب الموضوعات ، وتبلغ نحو اربعين مؤلفاً ، أشهرها :

١ ـ (تذكرة الموضوعات) لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (٤٤٨ ـ ٥٠٧ هـ) ، رتبه على حروف المعجم ، وفيه يذكر الحديث ويذكر من جرح راويه من الائمة . طبع بمصر سنه (١٣٢٣ هـ) .

٢ ـ (الموضوعات الكبرى) لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ) في أربع مجلدات ، وقد تساهل في الحكم على بعض تلك المرويات بالوضع لهذا كثر انتقاد العلماء له .

٣ ـ (الباعث على الخلاص من حوادث القصاص) للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (٧٢٥ ـ ٨٠٦ هـ) ، وقد لخصة السيوطي في كتابه (تحذير الخواص من اكاذيب القصاص) في الفصل التاسع منه واستدرك عليه . وقد طبع كتاب السيوطي سنة (١٣٥١ هـ) بمصر .

٤ ـ (اللآلىء المصنوعه في الاحاديث الموضوعة) للحافظ جلال الدين للسيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) طبع اكثر من مرة .

---

١ ـ تدريب الراوي ص ١٨٠ .

٥ – كتاب (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة) لأبي الحسن علي بن محمد (ابن عراق) الكناني المتوفي سنة (٩٦٣ هـ) ، وهو كتاب جامع زاد فيه على السيوطي في لآلئه واستدرك عليه . طبع الكتاب سنة (١٣٧٨ هـ) بمصر في مجلدين .

٦ – (الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة) للقاضي أبي عبد الله محمد بن على الشوكاني (١١٧٣ – ١٢٥٥ هـ) ، وقد أفاد من مؤلفات السلف ، إلا أنه تساهل في الحكم على بعض الاحاديث بالوضع ، فأدرج فيه بعض الاحاديث المقبولة ، وقد نبه إلى هذا السيد عبد الحي اللكنوى في كتابه (ظفر الأماني) . وقد طبع كتاب (الفوائد المجموعة) سنة (١٣٨٠ – ١٩٦٠ م) بمصر .

٧ – وإلى جانب هذه المؤلفات صنف العلماء كتبا كثيرة في الاحاديث المشتهرة بين الناس تبين منزلة الحديث من القوة أو الضعف ، او لوضع ، ومن أشهر هذه الكتب كتاب (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة) للحافظ المؤرخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣١ – ٩٠٢ هـ) رتبه على حروف المعجم ، كما رتبه على الابواب وهو كتاب جيد مفيد ، طبع سنة (١٣٧٥ هـ) بمصر .

* * *

آداب رواية الحديث ومجالسه

إن مقام التحديث مقام رفيع ، لان المحدث يخلف الرسول ﷺ في تبليغ الناس أحكام الشريعة وبيانها ، وينقل أخباره وهديه وصفاته وغير ذلك ، ولهذا بين العلماء آداب المحدث وصفاته وآداب طالب الحديث وما يتعلق بها[1].

١ - **آداب المحدث** : أول صفات المحدث التي يجب أن يتصف بها - اخلاص النية لله عز وجل ، فعليه أن يصحح نيته . ويطهر قلبه من أعراض الدنيا وأدناسها ، فلا يجلس للتحديث من أجل جاه ، أو حب رياسة ، أو تكثير أتباع ، أو لمنافع أخرى ، فالاصل أن تكون غايته وهمه نشر الحديث وتبليغه عن الرسول ﷺ ، لا يبتغي عنه بديلًا « فانما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » . وقد امتنع كثير من السلف عن التحديث إذ لم تحضره النية كسفيان الثوري ، وحبيب بن أبي ثابت وسلام بن سليم وغيرهم . وحق لهؤلاء أن يمتنعوا عن التحديث إلى أن تحضرهم النية ، لأن للعلم وللأسانيد وسرد الاحاديث

---

١ - أهم مصادر هذا البحث : المحدث الفاصل بين الراوي والواعي فقرة (٨٢٥ - ٨٣٦) و (٨٦٨ - ٨٧١) و (٧١٨ - ٧٢٠) وغيرها ، والجامع لأخلاق الراوي ص ١١٤ وما بعدها ، وجامع بيان العلم ص١٠٥ ج١ وما بعدها ،وتذكرة السامع والمتكلم ص ٣٨ وما بعدها ، ومعرفة علوم الحديث ص١٤١ ، ومقدمة ابن الصلاح ص ٩٦ - ١٠٥ ، واختصار علوم الحديث ص ١٧٠ - ١٧٨ ، وتدريب الراوي ص ٣٣٢ - ٣٥١ ، وسنذكر بعض المصادر في مكانه عند الضرورة .

وكثرة الطلاب في مجلس الحديث خيلاء في القلب — كما قال حماد بن زيد — قد لا يسلم منها إلا من عصم الله عز وجل .

واختلف العلماء في السن الذي يحسن أن يتصدى فيه المرء للتحديث ، فقال بعضهم : يجلس للتحديث في سن الخمسين ، وقال آخرون في الاربعين ، والصحيح أن يحدث متى احتيج الى ما عنده في أي سن كان ، وينبغي أن يمسك عن التحديث اذا خشي التخليط لهرم ، أو خرف ، أو مرض ، أو عمى وغير ذلك مما يحول دون أداء المروى أداء صحيحاً ، ويختلف ذلك باختلاف الناس .

وأوجب العلماء أن يكون المحدث حسن الاخلاق ، حميد السيرة ، جميل الشيم ، ورأوا أنه من الأولى له أن لا يحدث بحضرة من هو أولى منه ، لسنه أو علمه أو غير ذلك ، وكان كثير من السلف لا يحدث في حضرة من هو أولى منه .

ويستحب للمحدث اذا أراد حضور مجلس التحديث — أن يتطهر طهوره للصلاة ، ويتطيب ويستاك ، ويقبل على الناس نظيف اللباس حسن السمت والهيئة ، ويتمكن من جلوسه بوقار وهيبة ، تعظيماً لحديث الرسول ﷺ ، وقد كان الامام مالك رحمه الله يفعل ذلك فقيل له فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث الا على طهارة . وكره العلماء أن يحدثوا في الطريق ، أو على غير قرار ، كما كرهوا أن يحدثوا على غير طهارة .

ومن واجب المحدث أن يقبل على الطلاب جميعاً ، ولا يخص بالحديث بعضهم دون بعض ، كما ينبغي أن لا يسرد الحديث سرداً ، بل يحدث على وجه يستطيع جميع الطلاب فهمه وادراكه . وعليه أن يصلي على الرسول ﷺ كلما ذكره ، ويترضى على الصحابي عند ذكره ، واستحب العلماء بل استحسنوا أن يذكر المحدث شيوخه بالخير والثناء .

٢ ـ آداب طالب الحديث :

على طالب الحديث أن يخلص النية في طلبه ، ويحذر أن يكون طلبه مطية لأغراض الدنيا ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن الرسول ﷺ أنه قال : « مَنْ تعلّم علماً مما يُبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه الا ليصيب به عرضاً من الدنيا ، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة »[١] .

وعلى طالب الحديث أن يتحلى بكريم الاخلاق ، وجميل الآداب ، ويجد في طلب الحديث ، ويستفرغ الوسع في تحصيله ، فيبدأ السماع من شيوخ بلده ، ويكثر مجالستهم ، ثم يرحل إلى غيرهم من العلماء في البلدان الاخرى . كما فعل بعض الصحابة وكثير من التابعين ومن بعدهم ، وقد ذكرنا بعض ذلك في الفصل الخامس من الباب الاول من هذا الكتاب .

وعلى الطالب أن يتحمل عن الشيوخ الثقات ، ولا يتتبع الاحاديث الغريبة والمنكرة ، ويحرص على العمل بما يسمع من احاديث العبادات والآداب والفضائل ، ليكون ممن يعمل بما يعلم ، وهذا سبيل جيد لحفظ الحديث . قال ابراهيم بن اسماعيل بن مُجمّع : (كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به)[٢] . وقال عمرو بن قيس الملائي : (اذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرة ، تكن من أهله)[٣] .

وعلى طالب الحديث احترام شيوخه وتوقيرهم ، ففي هذا اجلال العلم واسباب الانتفاع به ، وقد جاءت السنة بهذا ، قال الرسول ﷺ :

---

١ ـ أخرجه أبو داود وابن ماجه ، انظر سنن ابن ماجه ص ٩٢ حديث ٢٥٢ ج١. وعرف الجنة ريحها .

٢ و ٣ ـ تدريب الراوي : ص ٣٤٧ .

« ليس من أمتي من لم يجّل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » [1] ، وقد امتثل لهذا الحديث المحدثون وطلاب العلم ، فلقي الطلاب رعاية وعنايه من شيوخهم ، كما لقي الشيوخ الاحترام والتوقير والطاعة من طلابهم ، وقد ذكرنا بعض هذا في (مبحث النشاط العلمي في عصر الصحابة والتابعين) في الفصل الخامس من . الباب الاول من هذا الكتاب .

وعلى طالب العلم ان لا يحول دون طلبه الكبر والعزة أو الحياء ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (من رق وجهه دقّ علمه) [2]، وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : (نعم النساء نساء الانصار ، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) [3] ، وقال الاصمعي : (من لم يحتمل ذلّ التعليم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا) [4] .

ونبه العلماء الطلاب إلى عدم اطالتهم على شيوخهم حتى لا يضجروهم ، كما نبهوا إلى التزام ما يرضيهم والبعد عما يسخطهم ، كي يستمر التلقي وتعم الفائدة ، كما أشاروا إلى وجوب تعاون الطلاب في طلب العلم والسماع على الشيوخ الثقات ، وحذروا الطلاب من كتم العلم والخير عن بعض اخوانهم ، لما أثر في هذا من الزجر الشديد وعظيم الوعيد .

وإلى جانب هذا كله فان تكثير الطرق والسماع من الشيوخ والرحلة في طلب التحديث — لا ينفع الطالب اذا لم يُقرن بالفهم والدراية ، لهذا

---

١ - رواه الامام احمد والطبراني في معجمه الكبير باسناد صحيح . انظر مجمع الزوائد ص ١٢٧ ج ١ .

٢ - تدريب الراوي ص ٣٤٩ . أي من خجله .

٣ - فتح الباري ص ٢٣٩ ج ١ .

٤ - تدريب الراوي : ص ٣٤٩ .

حث العلماء طلابهم على التفقه والفهم والحفظ ، كما حضوهم على معرفة درجة ما يحملون من صحة وضعف ، ورأوا ضرورة معرفة كل هذا سندا ومتنا ولغة ومعنى ، حتى لا يخفى على الطالب شيء ، كما حثوا الطلاب على مذاكرة ما يسمعون ، ومقابلة ما يكتبون ، كيلا يَنِدَّ عن الطالب لفظ ، أو تفوته فائدة .

٣ ـ مجالس الحديث :

لقد عرفت حلقات العلم منذ عهد الرسول ﷺ ، وكثرت واتسعت مع اتساع رقعة البلاد الاسلامية وكثرة المساجد فيها ، وكانت مجالس الحديث تفتتح بتلاوة شيء من القرآن الكريم ، يرتله طالب حسن الصوت ، ثم يبسمل الشيخ ، ويحمد الله عز وجل على نعمه ، ويصلي على الرسول ﷺ ، ويشرع في التحديث مما اختاره من الاحاديث ، سواء من حفظه أم من كتابه ، بصوت واضح يسمعه البعيد كما يسمعه القريب ، ويشرح الحديث ، ويبين غريب ألفاظه ، وفقهه ، ورجال سنده ، ويزيل ما فيه من مشكل ، وقد يبينه بدلالة غيره من الاحاديث ، ويضبط ما يخشى إشكاله ، وغير ذلك ، حتى يتضح لجميع الحضور ، ثم يعيد قراءته ثانية لينتقل إلى غيره .

وقد كره أئمة الحديث للمحدث أن يطيل المجلس ، مخافة املال السامعين ، متأسين بالرسول ﷺ ، الذي كان يتخول اصحابه رضي الله عنهم بالموعظة في الأيام كراهة السآمة عليهم ، كما استحبوا التنويع في في التحديث ، وختم المجالس ببعض الحكايات أو ما يستحسن من النوادر والانشادات [١] ، قال النووي وأولاها ما كان في الزهد ومكارم الاخلاق [٢] .

---

١ ـ انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : ص ١٣٦ : آ و ص ١٣٧ ، وجامع بيان العلم ص ١٠٥ ج ١ .

٢ ـ تدريب الراوي ص ٣٤٣ .

وينهي الشيخ مجلسه بالاستغفار ، وحمد الله تعالى على نعمه وآلائه [1] .

وكره العلماء أن يقوم المحدث لأحد ، وحرصوا على أن يسود حلقات الحديث الخشوع والسكينة والوقار ، فان رفع أحد صوته في المجلس زجره الشيخ ، وكان الامام مالك يفعل ذلك ويقول : (قال الله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي » [2] فمن رفع صوته عند حديثه فكأنما رفع صوته فوق صوته .) [3] .

٤ ـ مجالس الاملاء :

لم يكتف علماء السلف بإباحة كتابة الحديث ، بل حضوا طلابهم على كتابته ، فعقدوا الحلقات وتصدروا لاملاء الحديث ، وكان لا يتصدر لذلك إلا من بلغ رتبة عالية من العلم والمعرفة ، لأن الاملاء أعلى مراتب الرواية . واستحبوا لمن كان أهلا لذلك ان يعقد حلقات الاملاء ليستفيد منه الطلاب . وكان الشيوخ يخصصون اياماً معينة للاملاء من كل أسبوع .

ويمكننا ان نعتبر أن اولى مجالس الاملاء في الاسلام كانت في عهد الرسول ﷺ ، تلك المجالس التي كان يملي فيها ما يتنزل من آيات الكتاب المبين على كتّاب الوحي ، وبعض المجالس التي سمح فيها لبعض الصحابة كعبد الله به عمرو بن العاص وانس بن مالك بكتابه الحديث بين يديه [4] .

---

١ ـ انظر أمثلة لذلك في المحدث الفاصل فقرة (٨٣٤ ـ ٨٣٦) والجامع لأخلاق الراوي ص ١٣٧ .

٢ ـ ٢ : الحجرات .

٣ ـ تدريب الراوى ص ٣٣٦ .

٤ ـ انظر سنن الدرامي ص ١٢٥ ج ١ ، وجامع بيان العلم ص ٧١ ج ١ ، والالماع ص ٢٧ : ب ، وتقييد العلم ص٧٤ ، ٩٥ ، ٩٦ .

ثم املى بعض الصحابة الحديث على خواص طلابهم ، كما كتب غير واحد من التابعين عن كثير من الصحابة ، ثم ما لبثت أن اتسعت مجالس الاملاء ، فكان الصحابي المشهور واثلة بن الاسقع (— ٨٥ هـ) يملي على الناس الحديث وهم يكتبون بين يديه [١] .

ثم تصدر كثير من التابعين للاملاء [٢] ، وتتالى بعدهم اتباعهم وأهل العلم من بعدهم ، وازداد تشجيع العلماء للطلاب على كتابة الحديث ، حتى إن بعضهم كان يقول : ينبغي للطالب أن لا تفارقه محبرته وصحفه لئلا يعرض له من يحدثه بما يحتاج إلى كتبه [٣] .

ويستحب في الاملاء اختيار ما يستفيد منه كافة الناس ، ويكره املاء ما يدخل الشبه والالتباس ، فكان العلماء يملون الاحاديث الفقهية ، التي تفيد معرفة الاحكام في العبادات والمعاملات ، واستحب كثير من العلماء أن يبين الشيخ مايرويه من حيث الصحة والمعنى [٤] . وفي هذا يقول الامام سفيان بن عيينة : (ان العالم الذي يعطي كل شيء حقه) [٥] .

واستحب العلماء أن يتخذ الشيخ مستمليا يبلغ عنه ما يحدث به وما يمليه ، ومن أقدم من عرفنا أنه اتخذ مستمليا الامام شعبة بن الحجاج (— ١٦٠ هـ) ، وقد اضطر المحدثون الى اتخاذ المستملين عندما كثر طلاب العلم ، وتدفقوا على الحلقات العلمية من كل حدب وصوب ، وكانت حلقات بعضهم لايكفيها مستمل ولا اثنان ، حتى بلغ المستملون

---

١ - انظر الجامع لأخلاق الراوي ص١١٢ : ب ، والآداب الشرعية ص١٢٥ ج٥ .

٢ - انظر السنة قبل التدوين ص ٣٢١ وما بعدها ، والمحدث الفاصل فقرة(٨٦٨) وما بعدها .

٣ - انظر الجامع لأخلاق الراوي ص ١٥٤ : ب - ١٥٥ : آ .

٤ - انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٣١ - ١٣٤ .

٥ - تقدمة الجرح والتعديل ص ٤٤ .

لبعض المحدثين سبعة وأكثر من ذلك ، يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه [1] . ولا عجب في هذا اذا عرفنا ان المساجد قد ضاقت ببعض حلقات الاملاء ، فاضطر العلماء الى الجلوس في الفلاة أو في الميادين الكبيرة ، حتى إن عاصم بن علي الواسطي (— ٢٢١ هـ) كان يجلس على سطح في رحبة واسعة ، وينتشر الخلق حوله ، ويكثرون عليه ، فيضطر إلى اعادة حديث اربع عشرة مرة ، ومستمليه فوق نخلة معوجة يبلغ الناس عنه [2] .

وكثر الحضور في حلقات الاملاء حتى بلغ الحاضرون في مجلس ابي اسحاق ابراهيم بن علي الهجيمي ثلاثين ألف رجل ، وفي مجلس ابي مسلم الكجي اربعين ألف كاتب سوى النظارة [3] .

وكان المستملي يستنصت الناس في أول المجلس بعد سماع القرآن الكريم ، ويعلن ابتداء الاملاء بالبسملة وحمد الله تعالى والصلاة على الرسول ﷺ ، ثم يقول للشيخ : (من ذكرت رحمك الله ، أو رضي الله عنك) [4] ونحو هذا فيملي المحدث ويبلغ المستملي ، وعلى هذا كانت مجالس الاملاء منذ منتصف القرن الهجري الثاني .

واستحب العلماء أن يكون المستملي ذكياً متيقظاً من أهل التحصيل ، جهوري الصوت ، حسن البيان ، فصيح اللسان ، يتبع لفظ المحدث ، يشرف على الناس في تبليغه ، فيجلس على مرتفع أو يقف قائماً ، وقد

---

١ ـ انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١١٤ : آ .
٢ ـ انظر تذكرة الحفاظ ص ٣٥٩ ج ١ .
٣ ـ انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١١٣ : آ .
٤ ـ انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١١٧ — ١١٩ .

ذكر الخطيب البغـــدادي بعض آداب المستملي ، مما يضيق المقام بذكره [1] .

وقد بين العلماء أصول كتابة الحديث ، وضبطه وتقييده ، ومعارضته ومقابلته بعد مجالس الاملاء ، وأكدوا ضرورة ذلك وأهميتـه . كما ذكروا أصول التخريج على الحواشي ، وتصحيح الأخطاء ومـا يلحق بهذا ، مما يؤكد عظيم عنايتهم ، وكبير اهتمامهم بالحديث النبوي منذ صدر الاسلام . وكل هذا يزيدنا ثقة واطمئناناً إلى سلامة القواعـد والأسس التي اتبعها المحدثون في نقل الحديث وروايته .

ومن أقدم وأشهر ما صنف في الرواية وآدابها ، وفي مجالس الحديث ، وأصول كتابته وضبطه وكل ما يتعلق بذلك ـ كتاب (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) لاحمد بن علي (الخطيب البغدادي) (٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ) [2] .

* * *

١ ـ انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١١٧ ـ ١١٩ .

٢ ـ توجد نسخة مخطوطة منه في مكتبة البلدية بالاسكندرية ، وتوجد نسخة مصورة عنها في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٥٠٥ مصطلح) . ويقع الكتاب في (١٩٤) ورقة من القطع المتوسط ، نرجو أن نوفق إلى الانتهاء من تحقيقه ثم نشره ليعم الانتفاع به .

ألقاب أهل الحديث

١ ـ **طالب الحديث** : هو من شرع في طلب الحديث .

٢ ـ **المسند** : بضم الميم وكسر النون : وهو من يروي الحديث باسناده سواء أكان عنده علم به أم لم يكن [١] .

٣ ـ **المحدث** : هو من مهر في الحديث رواية ودراية ، وميز سقيمه من صحيحه ، وعرف علومه واصطلاحات أهله ، والمؤتلف والمختلف من رواته ، وضبط ذلك عن أئمة هذا العلم ، كما عرف غريب الفاظ الحديث وغير ذلك بحيث يصلح لتدريسه وافادته [٢] .

٤ ـ **الحافظ** هو من اجتمعت فيه صفات المحدث ، وضم اليها كثرة الحفظ وجمع الطرق كي يصدق عليه اسم الحافظ . وقد فرق بعض المتأخرين ، فرأى أن الحافظ من وعى مائة ألف حديث متناً واسناداً ، ولو بطرق متعددة ، وعرف من الحديث ماصح ، وعرف اصطلاح هذا العلم . وقال المزي : الحافظ ما فاته أقل مما يعرفه .

فاذا وعى أكثر من مائة الف وأصبح ما يحيط به ثلاثمائة الف حديث مسندة فهو حافظ حجة [٣] .

---

١ ـ انظر تدريب الراوي ص ٧ ، وحاشية لقط الدرر ص ٥ .

٢ ـ انظر تدريب الراوي ص ١١ ، والجواهر والدرر ص ٩ ج ١ ، ومعيد النعم ومبيد النقم ص ٨٢ ـ ٨٣ .

٣ ـ انظر حاشية لقط الدرر ص ٥ ، وقارن بتدريب الراوي ص ١٠ .

٥ ـ **الحاكم** : هو من أحاط بجميع الاحاديث المروية ، متناً واسناداً ، وجرحاً وتعديلاً وتاريخاً [١]

ـ **أمير المؤمنين في الحديث** : يطلق هذا اللقب على من اشتهر في عصره بالحفظ والدراية ، حتى أصبح من أعلام عصره وأئمته ، وقد لقب بهذا اللقب عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان المدني (أبو الزناد) (ـ ١٣١ هـ) ، وشعبة بن الحجاج ، وسفيان الثوري ، والإمام مالك بن أنس ، والإمام البخاري ، وغيرهم ، وهؤلاء من أبرز أعلام أئمة الحديث ، وقد شهد لهم كبار الائمة وجمهور الامة بالامامة والتقدم والرسوخ في هذا العلم [٢] .

---

١ ـ حاشية لقط الدرر ص ٥ .

٢ ـ انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ١٢٨ وتذكرة الحفاظ ص ١٢٧ ج ١ ، والجواهر والدرر ص ٧ ج ١ ، وهدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث ص ٧ ، والجامع لأخلاق الراوي ص ١٩٣ : ب ، وتقدمة الجرح والتعديل ص ١١ ـ ١٣ .

وأصول الحديث ، ولا تزال جهوده في هذا المضمار ماثلة أمامنا في كتابه الذي كتب له الخلود . وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة ، وقد حققه الاستاذ أحمد شاكر تحقيقاً علمياً جليلاً ، فظهر في ثوب جديد سنة (١٣٥٨هـ-١٩٤٠م) وهذه الطبعة أحسن طبعة لكتاب الرسالة .

٢ – وبعد ربع قرن تقريباً – وفي مطلع القرن الثالث – يضع الامام علي بن عبدالله المديني (١٦١ – ٢٣٤) كتابه (أصول السنة) ، وكتاب (مذاهب المحدثين) في جزءين [١] ، ولا نستطيع الحكم على هذين الكتابين لأنهما لم يكتب لهما الوصول إلينا .

٣ – وبعد ربع قرن تقريباً من وفاة علي بن عبد الله المديني يدون لنا الامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٤ – ٢٦١ هـ) بعض أصول الحديث في مقدمة كتابه (الصحيح) ، وهي – وإن كانت مقدمة لكتابه – تعد مدخلاً جيداً إلى علم أصول الحديث ، وتؤكد رسوخ أهم قواعد هذا العلم منذ زمن بعيد [٢] .

٤ – وقبل نهاية القرن الثالث يطالعنا الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن

---

١ – انظر تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ص ٢١ ج ١ ترجمة ١٧ ، وتهذيب التهذيب ص ٣٤٩ ج ٧ ، وطبقات الحنابلة ص ١٦٨ ، وتاريخ بغداد ص ٤٥٨ ج ١١ .

٢ – بين في مقدمته طبقات الرواة الذين يقبل حديثهم ، ومن لايقبل حديثه ، والمنكر من الحديث ومعرفته ، وزيادة الثقة ، ووجوب التحمل عن الثقات ، وتجنب الرواية عن الضعفاء والكذابين ، وأهمية الاسناد ، كما ذكر بعض طرق معرفة الكذابين ، وغير ذلك ، ثم ختم مقدمته بصحة الاحتجاج بالحديث المصنف . ولا يمكننا ان نعد ما جاء في الابواب الأولى من بعض كتب السنن كسنن الدارمي وابن ماجه تصنيفان في أصول الحديث ، وإن تناول بعض فروعه ، لأنه اقرب إلى الحض على التمسك بالسنن وطلب العلم وتبليغه منه إلى اصول الحديث .

هارون بن روج البرديجي (٣٠١ هـ) [١] بعدة مؤلفـــات في علوم الحديث ، وبأكثر من مصنف في أصوله ، ككتاب (معرفة المتصل من الحديث والمرسل والمقطوع ، وبيان الطرق الصحيحة) [٢] ، وقد نقل عن هذا الكتـاب غير واحد من المصنفين [٣] ، وكتاب (معرفة أصول الحديث) [٤] ، وإذا لم يكتب لهذه المؤلفات الوصول إلينا ، فقد كتب لكثير من أقواله النقل والبقـــاء في مصنفات من خلفه .

٥ – ويطالعنا القرن الرابع الهجري بمصنفات جامعة في أصول الحديث ، فمن أقدم من صنف في هذا القرن القاضي المحدث أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، المولود نحو سنة (٢٦٥ هـ) والمتوفى سنة (٣٦٠ هـ) ، فقد صنف كتابه « المحدث الفاصل بين الراوي والواعي » الذي يعد أقدم كتاب جامع في أصول الحديث ، وعده كثير من المصنفين أول من صنف في هذا العلم ، ولأهمية هذا الكتاب ومكانته آثرت تحقيقه وتعليق حواشيه وتخريج أحاديثه ، لأنه يعطي صورة صادقة عن مؤلفات المتقدمين ، كما يؤكد رسوخ قواعد هذا العلم منذ زمن بعيد . وقد حالت كثرة اسفاري دون نشره منذ الانتهاء من تحقيقه سنة (١٣٨٤ – ١٩٦٤) ، والحمد لله أن يسر الله عز وجل البدء بطباعته ، مع الطبعة الثانية من هذا الكتاب . ويقع كتاب المحدث في نحو (٦٥٠) صفحة بعد تحقيقه .

---

١ – منها كتاب (الاسماء المفردة) الذي حدث به المؤلف بعد سنة (٢٨٠ هـ) بالأهواز، توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع من ص ٢٨٨ – ٣٠٧ تحت الرقم ٤٦ تاريخ . وتوجد نسخة ثانية منه باسم (طبقات الاسماء المفردة من الصحابة والتـابعين واصحاب الحديث) تحت رقم (٥٢٥ حديث) .

٢ – انظر فهرسة ابن خير ص ٢٠٧

٣ – انظر المقنع في علوم الحديث ص ١٥٢

٤ – ذكره الخطيب البغدادي فيما ورد به دمشق باسم (كلام البرديجي في معرفـة اصول الحديث .) انظر الخطيب البغدادي للدكتور العش ص ٩٧ .

نشر دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس .

١١ – كما صنف المحدث أبو حفص عمر بن عبدالمجيد اليانشي[١] المتوفى سنة (٥٨٠هـ) جزءاً سماه (مالا يسع المحدث جهله) توجد منه عدة نسخ مخطوطة[٢].

١٢ – وكثرت المؤلفات بعد ذلك ومن أشهرها كتاب (علوم الحديث لشيخ الإسلام تقي الدين أبي عمر وعثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري (٥٧٧ – ٦٤٣ هـ) المعروف بابن الصلاح ، وقد اشتهر كتابه باسم (مقدمة ابن الصلاح) ذكر فيه خمسة وستين نوعاً من أنواع فنون الحديث ، وجمع فيه كثيراً من أقوال المتقدمين، وحرره تحريراً جيداً ، لهذا عكف عليه أهل العلم بالدرس والشرح والنظم والاختصار حتى صار عمدة ومناراً لمن جاء بعده .

طبعت مقدمة ابن الصلاح مراراً في مصر وغيرها ، وطبعت أخيراً طبعة جيدة بتحقيق الدكتور نورالدين عتر سنة (١٣٨٦ – ١٩٦٦) في مطبعة الأصيل بحلب ، ونشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة

وتتالت المؤلفات بعد ابن الصلاح وكثرت كثرة يضيق المقام بسردها ، حتى اننا لا نكاد نرى مشتغلاً في الحديث إلا وله مصنف في أصوله ، أو شرح لبعض ما صنف فيه ، أو اختصار لمبسوط ، أو نظم لمنثور ، أو لمعارضة لمنظوم، وغير ذلك مما ذكره بعض المتأخرين ، ونحن في غنى عن اعادة ذكره هنا[٣] .

ومن الملاحظ أن المصنفات الأولى في أصول الحديث ككتاب الرامهرمزي والحاكم والخطيب البغدادي تضم مـــادة غزيرة ، تتناول أقوال كثير من أئمة

---

١ – عرف عند المحدثين باليانجي ، وفي كشف الظنون ومعجم البلدان (اليانشي) نسبة إلى قرية (ميانش) بفتح الميم وتشديد الياء ، ونون مكسورة وشين – من قرى المهدية بأفريقية .

٢ – منها في مكتبة (شهيد علي) وفي مكتبة رامبور ، انظر بروكلمان ص ٦٣٣ ج ٢ فقرة ٣٧١ .

٣ – انظر الرسالة المستطرفة ، وتدريب الراوي ص (د)

السلف وقواعدهم في مختلف علوم الحديث ، وهي غنية بالأمثلة الكثيرة التي توضح مذاهب المتقدمين ، وتثبت اطراد وصحة القواعد التي ساروا عليها واتبعوها .

أما المصنفون بعد هؤلاء فقد اكتفوا بذكر تلك القواعد ، وايراد بعض الأمثلة أحياناً ، وذكر مذاهب بعض الأئمة أحياناً أخرى ، عارية عن الشواهد الكثيرة التي تثبت تلك المذاهب ، فكانت هذه المصنفات اكثر ايجازاً من سالفتها ، وإن كانت تلك أغنى بأقوال أئمة الحديث ، ويمكن أن يعمم هذا الحكم على أكثر مصنفات المتأخرين خلا مصنفين جليلين من مصنفات أواخر القرن التاسع الهجري ، وهما « فتح المغيث بشرح ألفية الحديث » للامام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ـ ٩٠٢ هـ) ، وقد طبع هذا الكتاب في مجلد كبير بالهند . والكتاب الثاني (تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي) للامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) . طبع هذا الكتاب عدة مرات ومن أجودها طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة بتحقيق الاستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف سنة (١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م) في جزء كبير ، ثم طبعه طبعة ثانية لنفس المحقق في مجلدين ، سنة (١٣٨٥ ـ ١٩٦٦) بمصر .

وقد جمع هذان الكتابان بين طريقتي المتقدمين والمتأخرين ، ومع هذا لايغني هذان الكتابان الباحث المتخصص عن الرجوع إلى المؤلفات الأولى ، لأنها معين هذا العلم وخزائن مكنونه ، التي تمدنا بكثير مما لا نجده في هذين الكتابين ولا في غيرهما من مصنفات المتأخرين .

ولا بد من الاشارة هنا إلى عيون ما صنف بعد القرن العاشر في هذا الميدان ، فمن أشهر تلك المصنفات : كتاب (توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار) للعلامة محمد بن اسماعيل الأمير الصفاني (١٠٩٩ ـ ١١٨٢ هـ) وهو كتاب جامع

١٠ ـ ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول : لشيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني طبع مصر سنة ١٣٢٧ هـ .

١١ ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى : لأبي العباس أحمد ابن خالد الناصري سنة ١٩٥٤ طبع الدار البيضاء .

١٢ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر يوسف بن عبد البر تحقيق علي محمد البجاوي مطبعة نهضة مصر .

١٣ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة : لعز الدين أبي الحسن بن الأثير الجزري طبع القاهرة ١٢٨٦ هـ .

١٤ ـ أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد : لابن حزم الأندلسي طبع دار المعارف بمصر .

١٥ ـ الاصابة في تمييز الصحابة : لشهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي (ابن حجر) العسقلاني طبع مصر سنة ١٣٢٣ هـ .

١٦ ـ أصول التشريع الاسلامي : للاستاذ علي حسب الله . الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م دار المعارف بمصر .

١٧ ـ أطراف الغرائب والأفراد : لمحمد بن طاهر المقدسي . مخطوط دار الكتب المصرية برقم (٦٩٧ حديث) .

١٨ ـ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار : لزين الدين محمد ابن موسى الحازمي الهمداني ، أشرف على طبعه الشيخ راغب الطباخ الحلبي سنة ١٣٤٦ هـ بحلب .

١٩ ـ الاعتصام : للإمام أبي اسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي الغرناطي ، بتعريف السيد محمد رشيد رضا ، المكتبة التجارية بالقاهرة .

٢٠ ـ الأعلاق النفيسة لأحمد بن عمر بن رسته طبع ليدن سنة ١٩٨١ م .

٢١ ـ إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه :

لأبي الفرج عبد الرحمن ابن علي (ابن الجوزي) مصورة عن نسخة مكتبة مدينه باستانبول ، ويوجد فيلم عنها لدى معهد المخطوطات بالجامعة العربية برقم (٦٩ حديث) .

٢٢ - إعلام الموقعين عن رب العالمين : لشمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الأولى مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ .

٢٣ - الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي طبع دمشق - ١٣٤٩ هـ .

٢٤ - الأغاني : لأبي الفرج الاصبهاني مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة - ١٩٣٦ م .

٢٥ - الافراد : لابي الحسن علي بن عمر الدارقطني ، مخطوط دار الكتب الظاهرية تحت الرقم (٣٥ مجاميع) .

٢٦ - أقدم تدوين في الحديث النبوي (صحيفة همام بن منبه) للدكتور محمد حميد الله طبع المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .

٢٧ - ألفية السيوطي : لجلال الدين السيوطي تحقيق أحمد محمد شاكر طبع عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٥٣ هـ .

٢٨ - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع : للقاضي عياض ابن موسى بن عياض اليحصبي ، مخطوط دار الكتب الظاهرية رقم (٤٠٦ حديث) .

٢٩ - الإمام زيد لمحمد أبو زهرة دار الفكر العربي بالقاهرة الطبعة الاولى ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

٣٠ - الاموال : للقاسم بن سلام طبع مصر سنة ١٣٥٣ هـ .

٥١ ـ تذكرة الموضوعات : لمحمد بن طاهر المقدسي طبع مصر سنة ١٣٢٣ هـ .

٥٢ ـ تصحيفات المحدثين : للحسن بن عبد الله العسكري . مخطوط دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢ ش مصطلح) .

٥٣ ـ تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل : لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، طبع الهند سنة ١٩٥٢ م .

٥٤ ـ تقريب التهذيب : لشهاب الدين أحمد بن علي (ابن حجر) العسقلاني تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف طبع مصر .

٥٥ ـ تقييد العلم : لابي بكر أحمد بن علي بن ثابت المشهور بالخطيب البغدادي . بتحقيق الدكتور يوسف العش . طبع دمشق سنة ١٩٤٩ م .

٥٦ ـ تلقيح فهوم أهل الاثر : لجمال الدين بن الجوزي مخطوط دار الكتب المصرية .

٥٧ ـ التمهيد (مقدمة التمهيد) : لابي عمر يوسف بن عبد البر مصورة عن الفيلم المحفوظ لدى معهد المخطوطات بالجامعة العربية تحت الرقم (٨٤٠ حديث) .

٥٨ ـ تمييز المرفوع عن الموضوع : للملا علي القاري مخطوط دار الكتب المصرية .

٥٩ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاحاديث الشنيعة الموضوعة : لعلي (ابن عراق) الكناني بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف طبع مكتبة القاهرة سنه ١٣٧٨ هـ .

٦٠ ـ تهذيب الآثار : لابي جعفر محمد بن جرير الطبري ، مصورة عن مخطوطة كوبريلي ، المحفوظ لها فيلم في معهد المخطوطات العربية تحت الرقم (١٧١ مصطلح الحديث) .

٦١ - تهذيب التهذيب : لشهاب الدين أحمد بن علي (ابن حجر) العسقلاني الطبعة الاولى في حيدر آباد سنة ١٣٢٥ هـ .

٦٢ - تهذيب ابن القيم لمختصر المنذري : لمحمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) طبع مع معالم السنن في مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .

٦٣ - توجيه النظر إلى أصول الاثر : للشيخ طاهر الجزائري طبع مصر ١٣٢٩ هـ .

٦٤ - التوشيح على الجامع الصحيح للبخاري : لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي مخطوط دار الكتب المصرية تحت الرقم (١١٣ حديث قوله) .

٦٥ - توضيح الافكار لمعاني تنقيح الانظار : لمحمد بن اسماعيل الامير الحسني الصنعاني ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الاولى سنة ١٣٦٦ .

٦٦ - تيسير الوصول إلى جامع الاصول من حديث الرسول : لعبد الرحمن (ابن الديبع) الشيباني طبع مصطفى الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م .

٦٧ - جامع الاصول من أحاديث الرسول : لابي السعادات مبارك ابن محمد بن الاثير الجزرى مطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .

٦٨ - جامع بيان العلم وفضله : لابي عمر يوسف بن عبد البر طبع مصر ادارة المطبعة المنيرية .

٦٩ - الجامع الصحيح (صحيح البخاري) بحاشية السندي : لمحمد ابن عبد الهادي السندي طبع دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .

٧٠ ـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي طبع مصر .

٧١ ـ الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع : للخطيب البغدادي مخطوط الاسكندرية .

٧٢ ـ الجرح والتعديل : لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي طبع الهند سنة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م .

٧٣ ـ حاشية الاجهوري على شرح الزرقاني للبيقونية : للشيخ عطية الاجهوري ، طبع عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .

٧٤ ـ حاشية لقط الدرر بشرح متن نخبة الفكر : لعبد الله بن حسين العدوي مطبعة مصطفى الحلبي بمصر سنة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٨ م .

٧٥ ـ حجة الله البالغة في اسرار الاحاديث وعلل الاحكام : لاحمد ابن عبد الرحيم الدهلوي ، المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٢ هـ .

٧٦ ـ خطط المقريزي = المواعظ والاعتبار : لاحمد بن علي تقي الدين المقريزي طبع مصر سنة ١٢٧٠ هـ ـ ١٨٥٣ م .

٧٧ ـ الخلاصة في معرفة الحديث : للحسين بن محمد الطيبي المتوفى (ـ ٧٤٣ هـ) مخطوط دار الكتب المصرية تحت الرقم (١٧٦ مصطلح).

٧٨ ـ الرسالة : للإمام محمد بن ادريس الشافعي بتحقيق أحمد محمد شاكر ، الطبعة الاولى سنة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٤٠ م. مطبعة البابي الحلبي بمصر .

٧٩ ـ رسالة أبي داود إلى أهل مكة : لابي داود السجستاني ، تحقيق الشيخ زاهد الكوثري . طبع القاهرة .

٨٠ ـ الرسالة المستطرفة : لمحمد بن جعفر الكتاني طبع بيروت ١٣٣٢ هـ ، كما رجعنا إلى الطبعة الحديثة بتحقيق الاستاذ محمد المنتصر الكتاني طبع دار الفكر بدمشق .

٨١ - رسوم التحديث في علوم الحديث : لبرهان الدين ابراهيم بن عمر الجعبري مخطوط دار الكتب المصرية برقم (٥٠ مجاميع م حديث).

٨٢ - رفع الملام عن الائمة الاعلام : لشيخ الاسلام تقي الدين (ابن تيمية) طبع الهند سنة ١٣١١ هـ .

٨٣ - الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم : لمحمد بن إبراهيم الوزير اليماني المطبعة المنيرية بمصر .

٨٤ - الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير : لشرف الدين الصنعاني طبع مصر ١٣٤٧ هـ .

٨٥ - زهر الربى على المجتبى : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٢ هـ .

٨٦ - سبل السلام : لمحمد بن اسماعيل الامير الصنعاني طبع مصر مصطفى البابي الحلبي .

٨٧ - سنن ابن ماجه : لمحمد بن يزيد (ابن ماجه) القزويني بتحقيق الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي طبع عيسى الحلبي بمصر سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .

٨٨ - سنن أبي داود : للامام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م .كما رجعنا إلى طبعة المكتبة التجارية بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

٨٩ - سنن الترمذي الجامع الصحيح : لابي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الجزء الاول والثاني بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، والثالث بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧م كما رجعت إلى طبعة الهند .

٩٠ - سنن النسائي بحاشية السندي : لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، والحاشية لمحمد بن عبد الهادي السندي المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٢ هـ ، ورجعت إلى طبعة لاهور بالتعليقات السلفية .

٩١ ـ السنة قبل التدوين : للدكتور محمد عجاج الخطيب . مكتبة وهبة بمصر سنة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م .

٩٢ ـ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي: الدكتور مصطفى السباعي دار العروبة بالقاهرة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م .

٩٣ ـ سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي . الاجزاء (١ ـ ٣) طبع دار المعارف بالقاهرة ، وبقية الاجزاء مصورة دار الكتب المصرية قسم المخطوطات .

٩٤ ـ سيرة النبي ﷺ : لعبد الملك بن هشام ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م .

٩٥ ـ شرح أصول الحديث : للامام محمد البركوي (ـ ٩٨١ هـ): لداود بن محمد القارصي الحنفي ، مخطوط دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣٠٢ مصطلح) .

٩٦ ـ شرح الديباج المذهب في مصطلح الحديث : لشمس الدين محمد الحنفي التبريزي . الطبعة الثانية طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م .

٩٧ ـ شرح الزرقاني على البيقونية : لمحمد الزرقاني طبع مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م .

٩٨ ـ شرح نهج البلاغة : لعز الدين أبي حامد الشهير بابن أبي الحديد بتحقيق نور الدين شرف الدين والشيخ محمد خليل الزين بيروت دار الفكر .

٩٩ ـ شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر : لشيخ الاسلام أحمد بن على (ابن حجر) العسقلاني ، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤ م .

١٠٠ ـ شرف أصحاب الحديث : لأحمد بن علي (الخطيب البغدادي) مصورة دار الكتب المصرية برقم (٢٣٧٣٦ ب) .

١٠١ ـ شروط الائمة الخمسة : لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي طبع القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ .

١٠٢ ـ شروط الأئمة الستة : للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي طبع القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ .

ـ صحيح البخاري = الجامع الصحيح

١٠٣ ـ صحيح مسلم : للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبع دار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م .

١٠٤ ـ صحيفة همام بن منبه : لهام بن منبه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ، طبع المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م .

١٠٥ ـ طبقات علماء افريقيا : لابي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي بتحقيق ونشر الشيخ محمد بن أبي شنب . طبع الجزائر سنة ١٣٣٢ هـ .

١٠٦ ـ طبقات الحنابلة : لمحمد بن محمد (ابن أبي يعلي) تحقيق محمد حامد الفقي ، طبع مصر سنة ١٣٧١ هـ .

١٠٧ ـ طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي الطبعة الاولى بالمطبعة الحسينية المصرية .

١٠٨ ـ الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدى مطبعة بريل بليدن ١٣٢٢ هـ .

١٠٩ ـ علل الحديث : لاحمد بن محمد بن حنبل ، مخطوط دار الكتب الظاهرية تحت الرقم (٤٠ مجاميع) .

١١٠ ـ علل الحديث : لعبد الرحمن بن أبي حاتم ، طبع باشراف محب الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٣ هـ .

١١١ ـ العلل الواردة في الاحاديث النبويـــة : للحافظ علي بن عمر الدار قطني ، مخطوط دار الكتب المصرية برقم (٣٩٤ حديث) .
١١٢ ـ العلم (كتاب العلم) : لزهير بن حرب ، مخطوط دار الكتب الظاهرية تحت الرقم (٩٤ مجموع) .
١١٣ ـ علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٩ ـ ١٩٥٩ .
ـ علوم الحديث = مقدمة ابن الصلاح .
١١٣ ـ غاية النهاية في طبقات القراء : لشمس الدين (ابن الجزري) طبع مصر ١٩٣٥ م
١١٤ ـ غريب الحديث : لابي عبيد القاسم بن سلام ، مصورة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٠٥١ حديث)
١١٥ ـ غوطة دمشق : لمحمد كـرد علي . دمشق المجمع العلمي ١٩٥٢ م .
١١٦ ـ الفائق في غريب الحديث : لمحمود بن عمر الزمخشري ، بتحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم طبـع عيسى الحلبي بالقاهرة .
١١٧ ـ فتاوى ابن تيمية = مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه : جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمـد العاصمي النجدي طبـع الرياض الطبعة الاولى سنة ١٣٨٢ هـ .
١١٨ ـ فتح الباري : لشهاب الدين أحمد بن علي (ابن حجر) العسقلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م .
١١٩ ـ فتح الغفار بشرح المنار (مشكاة الانوار في أصول المنار) : لزين الدين بن إبراهيم (ابن نجيم الحنفي) مطبعة مصطفى البـابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٥٥ هـ .
١٢٠ ـ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير : لجلال الدين السيوطي : ترتيب الشيـخ يوسف النبهـــاني ، طبـع مصطفى البابي الحلبي بمصر .

١٢١ ـ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث : لعبد الرحيم العراقي طبع القاهرة الطبعة الاولى سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٧ م ،

١٢٢ ـ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي : لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي طبع الهند .

١٢٣ ـ فتوح مصر وأخبارها لعبد الرحمن بن عبد الله (ابن عبد الحكم) طبع ليدن ١٩٢٠ م .

١٢٤ ـ الفرق بين الحديث القدسي والقرآن والحديث النبوي : لنوح ابن مصطفى القونوي مخطوط دار الكتب المصرية .

١٢٥ ـ الفصل في الملل والاهواء والنحل : لعلي بن أحمد (ابن حزم) طبع مصر سنة ١٣١٧ هـ .

١٢٦ ـ الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة : لمحمد بن علي الشوكاني بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني . الطبعة الاولى ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .

١٢٧ ـ الفوائد المنتقاة والغرائب الحسان : لعلي بن عمر الدارقطني . مخطوط دار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم (١٢٦٠ حديث) .

١٢٨ ـ قواعد الاحكام في مصالح الانام : لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

١٢٩ ـ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث : لمحمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق محمد بهجة البيطار . الطبعة الثانية سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م بالقاهرة .

١٣٠ ـ الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث : لابي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني مخطوط دار الكتب المصرية برقم (٩٥ مصطلح) .

١٣١ ـ كتاب العلم : لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق .

١٣٢ ـ الكفاية في علم الرواية : لاحمد بن علي (الخطيب البغدادي) طبع الهند سنة ١٣٥٧ هـ .

١٣٣ ـ الكمال في اسماء الرجال : لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي مخطوط دار الكتب المصرية تحت الرقم (٥٥ مصطلح) .

١٣٤ ـ اللآلىء المصنوعة في الاحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي، طبع مصر ١٣١٧ هـ .

١٣٥ ـ لسان العرب : لابي الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الافريقي الطبعة الاولى ١٣٠٢ هـ .

١٣٦ ـ لسان الميزان : لابن حجر طبع الهند سنة ١٣٢٩ هـ .

١٣٧ ـ اللطائف في دقائق المعارف من علوم الحفاظ الاعارف : للحافظ محمد بن أبي بكر الاصبهاني المدني . مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق .

١٣٨ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : لنور الدين الهيثمي . طبع القدسي بالقاهرة ١٣٥٣ هـ .

١٣٩ ـ مجموعة الوثائق السياسية : للدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادي طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة : الطبعة الثانية ١٩٥٨ م .

١٤٠ ـ المحبر : لمحمد بن حبيب ، طبع بالهند سنة ١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٢ م .

١٤١ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي : للحسن بن عبد الرحمن ابن خلاد الرامهرمزي ، تحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب . توجد نسخ من الاصل المحقق في مكتبة كلية الشريعة بجامعة دمشق ، وفي مكتبة وزارة التربية بدمشق ، وفي مكتبة جامعة القاهرة ، وفي مكتبة كلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

١٤٢ ـ مختصر سنن أبي داود : لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، طبع مع معالم السنن في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م .

١٤٣ ـ مختصر كتاب المؤمل للرد إلى الامر الاول : لابي القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل (أبو شامة) طبع مصر ضمن مجموعة سنة ١٣٢٨ هـ .

١٤٤ ـ المَدْرَجُ إلى المُدْرَج : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مخطوط دار الكتب المصرية برقم (١٨٨٥ حديث) .

١٤٥ ـ المدخل إلى السنة وعلومها : للدكتور معروف الدواليبي . مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٥ هـ .

١٤٦ ـ مسند الإمام أحمد : للامام أحمد بن حنبل الشيباني بتحقيق أحمد محمد شاكر طبع دار المعارف بالقاهرة .

١٤٧ ـ مسند الامام الشهيد زيد : جمع عبد العزيز البغدادي طبع القاهرة ١٣٤٠ هـ .

١٤٨ ـ مسند عبد الله بن عمرو بن العاص وصحيفته الصادقة : للسيد محمد سيف الدين عليش ، رسالة ماجستير في مكتبة كلية دار العلوم .

١٤٩ ـ المستصفى من علم الاصول : لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي الطبعة الاولى بمصر سنة ١٣٥٦ هـ .

١٥٠ ـ المسلسلات : تخريج الحافظ اسماعيل بن أحمد التيمي ، مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت الرقم (٥١ حديث مجاميع) .

١٥١ ـ المسلسلات الكبرى ، وجياد المسلسلات : للامام الحافظ جلال الدين السيوطي ، مخطوط دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣٢٣ حديث تيمور) .

١٥٢ ـ مشكل الآثار : لابي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي طبع الهند سنة ١٣٣٣ هـ .

١٥٣ ـ مشكل الحديث وبيانه : لمحمد بن الحسن بن فُورَك طبع الهند سنة ١٣٦٢ هـ .

١٥٤ - مصادر الشعر الجاهلي : للدكتور ناصر الدين الاسد . دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م .

١٥٥ ـ المصباح المضيء في كتاب النبي الامي ورسله إلى ملوك الارض من عرب وعجم ، لمحمد بن علي بن حديد الانصاري مخطوط مكتبة الاوقاف بحلب تحت الرقم (٢٧٠) .

١٥٦ ـ معالم السنن : لابي سليمان حمد بن محمد الخطابي مطبعة انصار السنة بالقاهرة سنة ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٤٨ م .

١٥٧ ـ معجم البلدان : لياقوت الحموي ، مطبعة السعادة ، الطبعة الاولى ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م .

١٥٨ ـ معرفة علوم الحديث لابي عبد الله محمد بن عبد الله (الحاكم) النيسابوري ، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٧ .

١٥٩ ـ معيد النعم ومبيد النقم : لتاج الدين عبد الوهاب السبكي ، بتحقيق محمد علي النجار واخوانه ، مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٣٦٧ هـ .

١٦٠ ـ المغني لابن قدامة : لأبي محمد عبد الله بن أحمد (ابن قدامة) المقدسي الطبعة الثالثة باشراف السيد محمد رشيد رضا . دار المنار بالقاهرة سنة ١٣٦٧ هـ .

١٦١ ـ المقاصد الحسنة : لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي بتحقيق عبد الله محمد الصديق ، طبع مصر سنة ١٣٧٥ هـ .

١٦٢ ـ مقدسة ابن الصلاح (علوم الحديث) : لتقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهروزوري (ابن الصلاح) ، طبع مصر سنة ١٣٢٦ هـ .

١٦٣ ـ مقدمة في أصول التفسير : لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية) المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٠ هـ .

١٦٤ ـ المنار : لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

١٦٥ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال : للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٧٤ هـ .

١٦٤ ـ المنهج الحديث في علوم الحديث : للدكتور محمد محمد السماحي طبع القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ .

١٦٧ ـ منهج ذوي النظر : لمحمد محفوظ بن عبد الله الترمسي طبعة مصطفى الحلبي الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .

١٦٨ ـ المنهل الروي في الحديث النبوي : لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ابن جماعة) مخطوط دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢١٧ مصطلح طلعت) .

١٦٩ ـ الموطأ : للامام مالك بن أنس تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبع عيسى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٧٠ هـ .

١٧٠ ـ ميزان الاعتدال : للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، الطبعة الأولى ، ورجعت إلى طبعة عيسى البابي الحلبي بتحقيق علي محمد البجاوي بالقاهرة سنة ١٣٨٢ هـ .

١٧١ ـ ناسخ الحديث ومنسوخه : لأبي بكر أحمد بن محمد الأثرم ، مخطوط دار الكتب المصرية برقم (١٥٨٧ حديث) .

١٧٢ ـ ناسخ الحديث ومنسوخة : لأبي حفص عمر بن أحمد (ابن شاهين) البغدادي مصورة عن مخطوط مكتبة الاسكوريال ذي الرقم (١١٠٧) .

١٧٣ ـ الناسخ والمنسوخ : لأبي عبد الله محمد بن حزم على هامش تفسير الجلالين المطبعه الازهرية بالقاهرة سنة ١٣٠١ هـ .

١٧٤ ـ النجوم الزاهرة : ليوسف بن تغري بردى طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

١٧٥ ـ نشأة علوم الحديث ومصطلحه : للدكتور محمد عجاج الخطيب ، توجد نسخ من أصل هذا الكتاب في مكتبة كلية الشريعة بجامعة دمشق ، ومكتبة وزارة التربية بدمشق ، ومكتبة جامعة القاهرة ، ومكتبة كلية دار العلوم .

١٧٦ ـ نفع قوت المغتذي على جامع الترمذي : للعلامة علي بن سليمان الدمنتي البجمعوي المغربي . المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٨ هـ .

١٧٧ ـ النهاية من غريب الحديث والأثر : للامام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) بتحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، طبع عيسى الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م .

١٧٨ ـ نور اليقين : لمحمد الخضري ، طبع دار الأدب العربي بالقاهرة الطبعة الثانية عشرة سنة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .

١٧٩ ـ هدي الساري لفتح الباري مقدمة شرح صحيح البخاري : لشيخ الاسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ المطبعة الميرية بمصر سنة ١٣٠١ هـ .

١٨٠ ـ هدية المغيث في امراء المؤمنين في الحديث : لمحمد حبيب الله الشنقيطي الطبعة الأولى بمصر سنة ١٣٥٨ هـ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
تمهيد :	٧
علم الحديث رواية	٧
علم الحديث دراية	٧
أهمية علم أصول الحديث	١٠
حول نشأة علم أصول الحديث	١٠
كثرة أنواع علوم الحديث	١١
منهجنا في دراسة علوم الحديث	١٢
الباب الأول : مدخل إلى السنة	١٥
الفصل الأول : معنى السنة	١٧
١ ـ السنة في اللغة	١٧
٢ ـ السنة في الشرع	١٨
السنة في اصطلاح المحدثين	١٩
السنة في اصطلاح علماء أصول الفقه	١٩
السنة في اصطلاح الفقهاء	١٩
٣ ـ السنة وعمل الصحابة	٢١
٤ ـ السنة والبدعة	٢٣
٥ ـ ما نعنيه بالسنة في دراستنا	٢٥

الموضوع	الصفحة
٦ ـ معنى الحديث والخبر والأثر	٢٦
آ ـ الحديث في اللغة	٢٦
ب ـ الحديث في الاصطلاح	٢٧
٧ ـ الحديث القدسي	٢٨
٨ ـ تعريف المتن والسند	٣١
آ ـ المتن في اللغة والاصطلاح	٣٢
ب ـ السند في اللغة والاصطلاح	٣٢
الفصل الثاني : مكانة السنة من التشريع	٣٤
١ ـ تمهيد	٣٤
٢ ـ أدلة حجية السنة :	٣٦
آ ـ الايمان	٣٦
ب ـ القرآن الكريم	٣٧
ﻫ ـ أدلة حجية السنة من الحديث	٣٩
د ـ الاجماع	٤١
٣ ـ منزلة السنة من القرآن الكريم	٤٦
الفصل الثالث : الحديث في العهد النبوي	٥١
آ ـ تمهيد	٥١
ب ـ منهج الرسول ﷺ في تعليم أصحابه :	٥٣
١ ـ التدرج في التعليم	٥٧
٢ ـ ميادين التعليم	٥٨
٣ ـ حسن التربية والتعليم	٥٩
٤ ـ التنويع والتغيير	٦٠
٥ ـ التطبيق العملي	٦٠

الموضوع	الصفحة
٦ ـ مراعاة المستويات المختلفة	٦١
٧ ـ التيسير وعدم التشديد	٦٣
٨ ـ تعليم النساء	٦٥
حـ ـ كيف تلقى الصحابة السنة عن الرسول ﷺ؟	٦٦
١ ـ مجالس الرسول ﷺ	٦٧
٢ ـ حوادث تقع للرسول ويبين حكمها	٦٨
٣ ـ حوادث تقع للمسلمين فيسألون عن حكمها	٦٨
٤ ـ وقائع وحوادث شاهد فيها الصحابة تصرفات الرسول ﷺ	٧٠
د ـ انتشار الحديث في عهد الرسول ﷺ وعوامله :	٧١
١ ـ نشاط الرسول عليه الصلاة والسلام	٧٢
٢ ـ طبيعة الاسلام ونظامه الجديد	٧٢
٣ ـ نشاط الصحابة	٧٢
٣ ـ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن	٧٣
٥ ـ الصحابيات	٧٣
٦ ـ رسله ﷺ وبعوثه وولاته	٧٤
٧ ـ غزوة الفتح	٧٥
٨ ـ حجة الوداع	٧٦
٩ ـ الوفود بعد الفتح الأعظم وحجة الوداع	٧٧
الفصل الرابع : الحديث في عهد الصحابة والتابعين	٧٩
آ ـ محافظة الصحابة والتابعين على السنة	٧٩
ب ـ منهج الصحابة والتابعين في المحافظة على السنة	٨٤
١ ـ احتياط الصحابة والتابعين في رواية الحديث .	٨٤

الموضوع	الصفحة
٢ ـ تثبت الصحابة والتابعين في قبول الحديث	٨٨
الفصل الخامس : النشاط العلمي في عصر الصحابة والتابعين	٩٥
أهم الأسس التربوية التي نهجها الصحابة والتابعون في التعليم :	١٠٤
١ ـ مراعاة أحوال طلاب الحديث	١٠٤
٢ ـ الحديث لمن هو أهل له	١٠٥
٣ ـ طلب الحديث بعد القرآن الكريم	١٠٧
٤ ـ عدم تتبع المنكر من الحديث	١٠٧
٥ ـ التنويع والتغيير دفعاً للملل	١٠٨
٦ ـ احترام حديث رسول الله ﷺ وتوقيره	١٠٩
٧ ـ مذاكرة الحديث	١١١
انتشار الحديث في عهد الصحابة والتابعين	١١٥
اهم مراكز التعليم في ذلك العصر :	١١٦
١ ـ المدينة المنورة	١١٦
٢ ـ مكة المكرمة	١١٧
٣ ـ الكوفة	١١٩
٤ ـ البصرة	١١٩
٥ ـ الشام	١٢٠
٦ ـ مصر	١٢٢
٧ ـ المغرب والاندلس	١٢٣
٨ ـ اليمن	١٢٥
٩ ـ جرجان	١٢٥
١٠ ـ قزوين	١٢٦
١١ ـ خراسان	١٢٦
الرحلة في طلب الحديث	١٢٩

الموضوع	الصفحة
الباب الثاني : تدوين الحديث	**١٣٧**
الفصل الأول : حول تدوين الحديث	**١٣٩**
١ ـ الكتابة عند العرب قبيل الاسلام	١٣٩
٢ ـ الكتابة في العصر النبوي وصدر الاسلام	١٤٢
اولاً ـ ما روي عن الرسول ﷺ في الكتابة	١٤٧
آ ـ ما روى من كراهة الكتابة	١٤٧
ب ـ ما روى من إباحة الكتابة	١٤٧
آراء العلماء في التوفيق بين هذه المرويات	١٥٠
ثانياً ـ كتابة الحديث في عصر الصحابة	١٥٣
ثالثاً ـ تدوين الحديث في عصر التابعين	١٦٥
رابعاً ـ اهتمام الدولة بتدوين الحديث	١٧٦
١ ـ طلائع التدوين الرسمي على يدي امير مصر عبد العزيز بن مروان	١٧٦
٢ ـ خدمة عمر بن عبد العزيز للسنة	١٧٦
خامساً ـ المصنفون الأوائل في الحديث	١٨١
أهم نتائج هذا الفصل	١٨٥
الفصل الثاني : ما دون في صدر الاسلام	**١٨٧**
عرض تاريخي دقيق لأكثر الصحف التي دونت في ذلك العصر ومن أبرز ما عرضناه :	
الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص	١٩٤
صحيفة جابر بن عبد الله الانصاري	١٩٧
الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه	٢٠٠
الفصل الثالث : آراء في تدوين الحديث	**٢٠٧**
١ ـ رأي الشيخ محمد رشيد رضا ، ومناقشته	٢٠٧

الموضوع	الصفحة
٢ ـ رأي الشيعة في تدوين الحديث	٢٠٩
آ ـ رأي السيد حسن الصدر ، ومناقشته	٢٠٩
ب ـ مجموع الامام زيد	٢١٣
١ ـ الامام زيد بن علي بن الحسين	٢١٣
٢ ـ راوي المجموع	٢١٤
٣ ـ المجموع	٢١٥
٣ ـ رأينا في التدوين الرسمي	٢١٨
أهم نتائج هذا الفصل	٢٢٠
الباب الثالث : علوم الحديث	٢٢٣
بين يدي الباب	٢٢٥
الفصل الأول : تحمل الحديث وأداؤه	٢٢٧
آ ـ أهلية الراوي :	٢٢٧
١ ـ أهلية التحمل	٢٢٧
٢ ـ أهلية الاداء وشروطها :	٢٢٩
١ ـ الاسلام	٢٣٠
٢ ـ البلوغ والعقل	٢٣٠
٣ ـ العدالة	٢٣١
٤ ـ الضبط	٢٣٢
ب ـ طرق تحمل الحديث وأدائه	٢٣٣
١ ـ طرق تحمل الحديث :	٢٣٣
أولا ـ السماع	٢٣٣
ثانياً ـ العرض (القراءة على الشيخ)	٢٣٤
ثالثاً ـ الإجازة	٢٣٥

الموضوع	الصفحة
رابعاً ـ المناولة	٢٣٨
خامساً ـ المكاتبة	٢٣٩
سادساً ـ اعلام الشيخ	٢٤١
سابعاً ـ الوصية	٢٤٣
ثامناً ـ الوجادة	٢٤٤
٢ ـ صيغ الاداء	٢٤٨
حـ ـ رواية الحديث بالمعنى	٢٥١
الفصل الثاني : علم تاريخ الرواة	٢٥٣
الفصل الثالث علم الجرح والتعديل	٢٦٠
١ ـ الجرح والتعديل ، لغة واصطلاحاً	٢٦٠
٢ ـ مشروعية الجرح	٢٦١
٣ ـ نشأة علم الجرح والتعديل	٢٦١
٤ ـ أشهر المتكلمين في الرواة	٢٦٥
٥ ـ منهج العلماء في بيان أحوال الرواة:	٢٦٥
١ ـ الامانة والنزاهة في الحكم	٢٦٦
٢ ـ الدقة في البحث والحكم	٢٦٦
٣ ـ التزام الادب في الجرح	٢٦٦
٤ ـ الاجمال في التعديل والتفصيل في التجريح	٢٦٧
٦ ـ شروط المعدل والجارح	٢٦٨
٧ ـ معرفة العدالة	٢٦٨
٨ ـ تعارض الجرح والتعديل	٢٦٩
٩ ـ جرح الاقران	٢٧٠
١٠ ـ المجهول عند المحدثين	٢٧٠

الموضوع	الصفحة
١١ ـ المستور	٢٧١
١٢ ـ هل رواية الثقة عن غيره تعديل له؟	٢٧١
١٣ ـ الرواية عن المبهم	٢٧٢
١٤ ـ الرواية عن أهل الاهواء والبدع	٢٧٣
١٥ ـ خبر التائب عن الفسق	٢٧٤
١٦ ـ مراتب الجرح والتعديل	٢٧٤
آ ـ مراتب التعديل	٢٧٥
ب ـ مراتب التجريح	٢٧٦
١٧ ـ أشهر ماصنف في الجرح والتعديل	٢٧٧
الفصل الرابع : علم غريب الحديث	٢٨٠
الفصل الخامس : علم مختلف الحديث ومشكله	٢٨٣
١ ـ موضوعه والتعريف به	٢٨٣
٢ ـ أهمية علم مختلف الحديث ومشكله .	٢٨٣
٣ ـ أشهر ما صنف في علم مختلف الحديث ومشكله	٢٨٤
الفصل السادس : علم ناسخ الحديث ومنسوخه	٢٨٧
١ ـ معنى النسخ	٢٨٧
آ ـ النسخ لغة	٢٨٧
ب ـ النسخ عند الاصوليين	٢٨٧
٢ ـ موضوع علم ناسخ الحديث ومنسوخه وأهميته	٢٨٨
٣ ـ أشهر ما صنف في ناسخ الحديث ومنسوخه	٢٨٩
٤ ـ أسباب ورود الحديث ، وأشهر ما صنف فيه	٢٩٠
الفصل السابع : علم علل الحديث	٢٩١
١ ـ العلة في اللغة	٢٩١

الموضوع	الصفحة
٢ ـ العلة في اصطلاح المحدثين	٢٩١
٣ ـ علم علل الحديث وأهميته	٢٩١
٤ ـ مواطن العلة	٢٩٤
٥ ـ أشهر ماصنف في علل الحديث	٢٩٥
الباب الرابع : مصطلح الحديث	**٢٩٩**
بين يدي الباب	٣٠١
آ ـ أقسام الحديث باعتبار عدد نقلته :	٣٠١
١ ـ الحديث المتواتر	٣٠١
٢ ـ الحديث المشهور	٣٠٢
٣ ـ خبر الآحاد	٣٠٢
ب ـ أقسام الحديث من حيث القبول والرد	٣٠٣
الفصل الأول : الحديث الصحيح	**٣٠٤**
أولاً ـ التعريف به	٣٠٤
آ ـ تعريف ابن الصلاح	٣٠٤
ب ـ تعريف الامام النووي	٣٠٤
ح ـ تعريفنا المختار	٣٠٥
ثانياً ـ أقام الصحيح	٣٠٦
ثالثاً ـ أصح الأسانيد	٣٠٦
رابعاً ـ معنى قولهم : صحيح الاسناد ـ وأصح شيء في الباب	٣٠٨
خامساً ـ أول من صنف في الصحيح :	٣٠٨
١ ـ الامام البخاري:	٣٠٩
آ ـ التعريف به	٣٠٩
ب ـ الجامع الصحيح	٣١٢

الموضوع	الصفحة
حـ ـ شرط البخاري في صحيحه	٣١٢
٢ ـ الامام مسلم :	٣١٤
آ ـ التعريف به	٣١٤
ب ـ صحيح مسلم	٣١٥
حـ ـ شرط الامام مسلم في صحيحه	٣١٦
٣ ـ الموازنة بين الصحيحين	٣١٦
٤ ـ هل استوعب الصحيحان الحديث الصحيح ؟	٣١٨
٥ ـ مراتب الصحيح بالنسبة للصحيحين :	٣١٨
٦ ـ السنن الأربعة :	٣١٩
١ ـ أبو داود السجستاني وسننه	٣٢٠
٢ ـ الترمذي وسننه	٣٢٢
٣ ـ النسائي وسننه	٣٢٤
٤ ـ ابن ماجه وسننه	٣٢٦
٧ ـ مسند الامام أحمد :	**٣٢٨**
الفصل الثاني : الحديث الحسن	**٣٣١**
١ ـ نشأة الحديث الحسن وأول من شهره	»
٢ ـ التعريف به	٣٣٢
٣ ـ أنواع الحسن	»
٤ ـ الاحتجاج بالحسن	٣٣٣
٥ ـ ارتقاء الحسن إلى الصحيح بتعدد طرقه	»
٦ ـ مظان الحديث الحسن	٣٣٤
٧ ـ مراتب الحديث الحسن	»
٨ ـ جمع الترمذي بين الحسن والصحة	٣٣٥
٩ ـ جمع الترمذي بين الحسن والصحة والغرابة	»

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث : الحديث الضعيف	٣٣٧
آ ـ التعريف به	»
ب ـ أنواع الحديث الضعيف :	»
القسم الأول : الأحاديث الضعيفة لعدم اتصال سندها :	»
١ ـ المرسل	»
٢ ـ المنقطع	٣٣٩
٣ ـ المعضل	٣٤٠
٤ ـ المدلس	٣٤١
آ ـ تدليس الاسناد	»
ب ـ تدليس الشيوخ	٣٤٢
٥ ـ المعلل	٣٤٣
القسم الثاني : من أنواع الضعيف ما كان ضعفه لسبب غير عدم اتصال سنده	٣٤٤
١ ـ المضّعف	»
٢ ـ المضطرب	»
٣ ـ المقلوب	٣٤٥
٤ ـ الشاذ	٣٤٧
٥ ـ المنكر	٣٤٨
٦ ـ المتروك والمطروح	»
حـ ـ تفاوت مراتب الضعيف ؟	٣٤٩
د ـ متى يقوى الضعيف ؟	»
هـ ـ حكم العمل بالضعيف ، ومذاهب العلماء فيه	٣٥١
و ـ كيف يروى الحديث الضعيف ؟	٣٥٣

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع : المشترك بين الصحيح والحسن والضعيف	٣٥٥
١ ـ المرفوع	»
٢ ـ المتصل	»
٣ ـ المسند	٣٥٦
٤ ـ المعنعن	»
٥ ـ المؤنن	»
٦ ـ المعلق	٣٥٧
٧ ـ الفرد	٣٥٨
٨ ـ الغريب	٣٦٠
٩ ـ العزيز	٣٦٣
١٠ ـ المشهور	٣٦٤
١١ ـ المستفيض	٣٦١
١٢ ـ المتابع	٣٦٦
١٣ ـ الشاهد ، ويليه (الاعتبار)	٣٦٣
١٤ و ١٥ ـ العالى والنازل	٣٦٨
١٦ ـ المدرج :	٣٧٠
آ ـ ادراج المتن	٣٧١
ب ـ مدرج السند	٣٧٢
حـ ـ كيف يعرف المدرج ؟	٣٦٩
د ـ حكم الادراج	٣٦٩
١٧ و ١٨ ـ المصحف والمحرف	٣٧٣
١٩ ـ المسلسل	٣٧٥
الموقوف والمقطوع :	٣٨٠
١ ـ الموقوف	٣٧٧

الموضوع	الصفحة
٢ ـ المقطوع	٣٨١
الصحابة :	٣٨٣
١ ـ تعريف الصحابي	٣٨٥
٢ ـ طبقات الصحابة	٣٨٩
٣ ـ كيف يعرف الصحابي .	٣٩١
٤ ـ عدالة الصحابة	٣٩٢
٥ ـ عدد الصحابة	٤٠٠
٦ ـ علم الصحابي	٤٠٢
٧ ـ الصحابة المكثرون من الرواية	٤٠٤
٨ ـ آخر الصحابة وفاة	٤٠٥
٩ ـ أشهر ما صنف في الصحابة	٤٠٨
التابعون :	٤١٠
١ ـ تعريف التابعي	٤٠٨
٢ ـ عدد التابعين	٤١١
٣ ـ طبقات التابعين	٤٠٩
٤ ـ المخضرمون	٤٠٩
٥ ـ أفضل التابعين	٤٠٩
٦ ـ من التابعين الفقهاء السبعة	٤١٢
الحديث الموضوع :	٤١٣
أولاً ـ التعرف به	٤١٥
ثانياً ـ ابتداء الوضع	٤١٣

الموضوع	الصفحة
ثالثاً ـ أسباب الوضع :	٤١٧
١ ـ الاحزاب السياسية	٤١٥
آ ـ أثر الشيعة وخصومهم في الوضع	٤١٨
ب ـ الخوارج ووضع الحديث	٤٢١
٢ ـ أعداء الاسلام	٤١٩
٣ ـ التفرقة العنصرية والتعصب للقبيلة والبلد والامام	٤٢٢
٤ ـ القصاصون	٤٢٤
٥ ـ الرغبة في الخير مع الجهل بالدين	٤٢٥
٦ ـ الخلافات المذهبية والكلامية	٤٢٦
٧ ـ التقرب من الحكام وأسباب أخرى	٤٢٤
رابعاً ـ حكم الوضع ، وحكم رواية الموضوع	٤٢٧
خامساً ـ جهود العلماء في مقاومة الوضع	٤٢٨
١ ـ التزام الاسناد	٤٢٩
٢ ـ مضاعفة النشاط العلمي والتثبت في الحديث	٤٣٠
٣ ـ تتبع الكذبة	٤٣١
٤ ـ بيان أحوال الرواة	٤٢٩
٥ ـ وضع قواعد لمعرفة الموضوع من الحديث	٤٣٢
سادساً ـ كيف يعرف الحديث الموضوع ؟	٤٣٠
آ ـ علامات الوضع في السند	٤٣٠
ب ـ علامات الوضع في المتن	٤٣٣
سابعاً ـ أشهر ماصنف في الموضوعات	٤٣٧
آداب رواية الحديث ومجالسه :	٤٣٩

الموضوع	الصفحة
١ ـ آداب المحدث	٤٣٩
٢ ـ آداب طالب الحديث	٤٤١
٣ ـ مجالس الحديث	٤٤٣
٤ ـ مجالس الاملاء	٤٤٤
ألقاب أهل الحديث :	٤٤٨
١ ـ طالب الحديث	٤٤٦
٢ ـ المسند	٤٤٦
٣ ـ المحدث	٤٤٦
٤ ـ الحافظ	٤٤٦
٥ ـ الحاكم	٤٤٩
٦ ـ أمير المؤمنين في الحديث	٤٤٧
التصنيف في أصول الحديث	٤٥٠
فهرس أهم المصادر والمراجع	٤٥٩
فهرس الموضوعات	٤٧٧

★ ★ ★

للمؤلف

١ – زيد بن ثابت الأنصاري

نفد دمشق ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٩ م

٢ – أبو هريرة راوية الاسلام

الطبعة الاولى القاهرة ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣ م

٣ – السنة قبل التدوين

الطبعة الاولى القاهرة ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣ م

الطبعة الثانية بيروت ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م

٤ – أصول الحديث علومه ومصطلحه

الطبعة الاولى دمشق ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٧ م

الطبعة الثانية بيروت ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م

٥ – قبسات من هدي النبوة

الطبعة الاولى دمشق ١٣٧٨ هـ – ١٩٦٧ م

٦ – لمحات في المكتبة والبحث والمصادر

الطبعة الاولى الرياض ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م

الطبعة الثانية الرياض ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م

الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م

٧ – المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للقاضي الرامهرمزي

تحقيق عن أربع نسخ خطية نشر لاول

مرة في دار الفكر ببيروت ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م